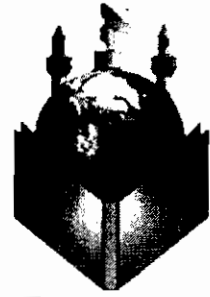




الجامعة الأمريكية المفتوحة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

الحكاية (٢)



حقوق الطبع محفوظة

لدار الأندلس الحضراء

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م

المملكة العربية السعودية - جدة

لإدارة: ص ب ٤٢٣٤٠ جدة ٢١٥٤١ هاتف: ٦٨١٠٥٧٧ - فاكس: ٦٨١٠٥٧٨

المكتبات: حي السلامة - خلف مسجد الشيعي هاتف - فاكس: ٦٨٢٥٢٠٩

حي النور - شارع باخشب - هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ - فاكس: ٦٨١٠٥٧٨

مكتب الرياض: هاتف / فاكس: ٢٤٣٤٩٣٠

الموقع: www.alandalos.com

البريد الإلكتروني: info@andalos.com

الجامعة الأمريكية المفتوحة

مؤسسة تعليمية
مستقلة غير ربحية

Web Location:
www.aou.edu.com

٤٢١٢ King Street
Alexandria, VA
٢٢٢٠٢ U.S.A

مكتب الجامعة بالقاهرة
Email: Info@aou.edu.com

هاتف: ٤١١٥٢٧٦
فاكس: ٤١١٥٢٦٠

مركز البحوث وإعداد
المناهج بالجامعة

٢٠ ش عبد العزيز عيسى لطفة
أندلس - مدينة نصر - القاهرة
تليفاكس: ١١٢٠٢٦٧٠٩٢٦٩

حقوق الطبع ١٤٢٥ هـ © لا يُسمح بإعادة نشر هذا
الكتاب أو أي جزء منه بشكل من الأشكال أو حفظه
ونسخته في أي نظام رقمي أو إلكتروني يُمكن من
استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس
أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون
الحصول على إذن من دار الأندلس الحضراء.

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالجامعة

مكتب القاهرة - مكتب جدة



شارك في إعداد مادة هذا الكتاب:

أ.د/ الخشوعي الخشوعي محمد الخشوعي

أستاذ الحديث وعلومه

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

إشراف ومتابعة

د/ محمد يسري إبراهيم

رئيس مركز البحوث وإعداد المناهج بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى الدارس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. الإخوة والأخوات طلبة وطالبات الجامعة الأمريكية المفتوحة:

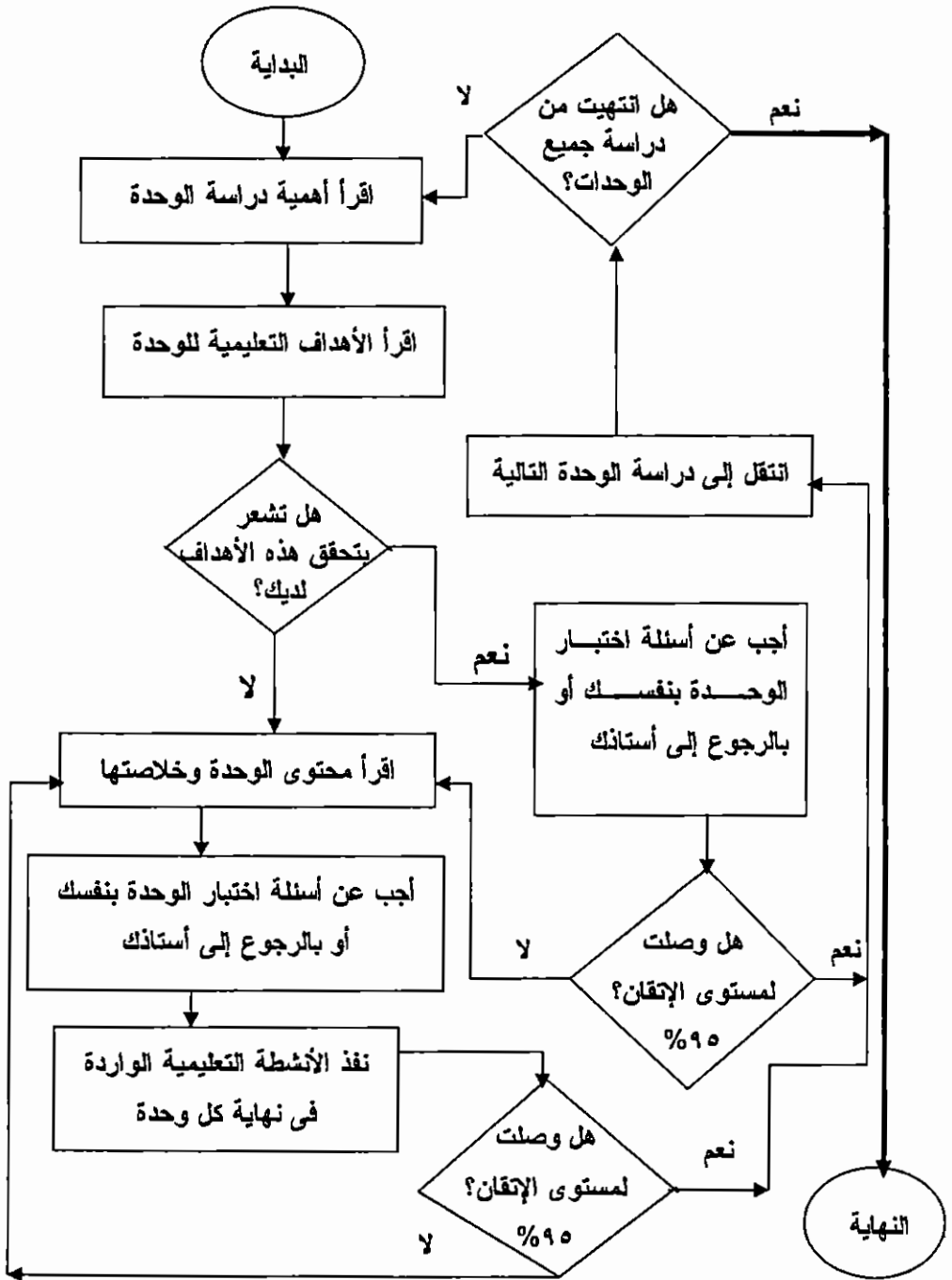
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.....وبعد:

فمرحباً بكم على طريق التفقه في الدين، وأهلاً بكم أوفياء لدينكم في زمن الغربة الثانية للإسلام، ونزف إليكم بشرى إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ أن: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"^(١)، وأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يفعل، وأن من سلك طريقاً يتبغي فيه علماً يسر الله له به طريقاً إلى الجنة.

عزيزي الدارس...عزيزتي الدارسة: يطيب لنا أن نلتقي بكم مجدداً في مرحلة البكالوريوس مع مقرر **المصايف (٢)**. وقد تم إعداد هذه المادة وتنظيمها في صورة وحدات تضم فصولاً، تحتوي كل وحدة على عناصر أساسية هي: (مبررات دراسة الوحدة - الأهداف التعليمية - الرسومات الختية - اختبار الوحدة- الأنشطة التعليمية). وإننا لنوصي إخواننا وأخواتنا - طلبة الجامعة - بأن يسيروا في دراسة هذا المقرر وفقاً لنظام تصميم الوحدات الذي أعد به هذا الكتاب وذلك حتى يتحقق أكبر قدر من الاستيعاب والفائدة، والله -تعالى- هو موفق والمهادي إلى سواء السبيل.

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، حديث رقم: (٦٩)، ومسلم،

كتاب الركاة، باب: النهي عن المسألة، حديث رقم: (١٧٢١).



الحديث (٢)

الوحدة الأولى	بدء الوحي إلى النبي ﷺ
الوحدة الثانية	الصور التي كان جبريل فيها يأتيه، ثم، بعد، يأتيه فيها
الوحدة الثالثة	علامات الساعة
الوحدة الرابعة	المسلم دائم النفع
الوحدة الخامسة	الله يثق يعطي العبد من جنس عمله، وما قد قلبه
الوحدة السادسة	وجوب تبليغ الإسلام إلى الناس كافة لعدم الرسالة
الوحدة السابعة	شفقة المربي بمن يربيهم
الوحدة الثامنة	ثبات طائفة من الأمة الإسلامية على الحق، إلى قيام الساعة
الوحدة التاسعة	موقف الناس من قبول الحق
الوحدة العاشرة	قبض العلم يموت العلماء
الوحدة الحادية عشرة	حرص المرأة المسلمة على تعلم دينها
الوحدة الثانية عشرة	إثم الكذب على رسول الله ﷺ
الوحدة الثالثة عشرة	تهيئ في معنى الإيمان والإسلام
الوحدة الرابعة عشرة	إثبات الفلاح لمن فعل الواجبات الشرعية
الوحدة الخامسة عشرة	فعل الواجبات من الأسباب المفضية إلى دخول الجنة
الوحدة السادسة عشرة	التسارع في دعوة الناس إلى الإسلام والوفاء به
الوحدة السابعة عشرة	من مات على التوحيد دخل الجنة
الوحدة الثامنة عشرة	الاعتقاد الصحيح شرط لدخول الجنة
الوحدة التاسعة عشرة	الحياة وأثره في المجتمع
الوحدة العشرون	خصال الإيمان
الوحدة الحادية والعشرون	إنشاء السلام وسيلة لغرس المودة والمحبة بين المسلمين
الوحدة الثانية والعشرون	تقصان الإيمان بالمعاصي
الوحدة الثالثة والعشرون	تعظيم حق المسلم
الوحدة الرابعة والعشرون	المعاصي أسباب مفضية إلى دخول جهنم
الوحدة الخامسة والعشرون	أقبح الذنوب
الوحدة السادسة والعشرون	الله هو الفاعل على الحقيقة
الوحدة السابعة والعشرون	عقوبة من لم يؤد زكاة ماله
الوحدة الثامنة والعشرون	مرور الحول شرط لإيجاب الزكاة
الوحدة التاسعة والعشرون	أنصبة الأموال الزكوية
الوحدة الثلاثون	زكاة الركاز والحلي
الوحدة الحادية والثلاثون	زكاة مال يتيم
الوحدة الثانية والثلاثون	من تجل له المسألة
الوحدة الثالثة والثلاثون	فضل الصوم
الوحدة الرابعة والثلاثون	الصوم وانقطاع لرؤية هلال الشهر



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستعديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وبعد:

فهذه مجموعة من الأحاديث الشريفة قمت بشرحها.

وإن كان في هذا العمل من خير فمرَّده إلى الله تعالى وحده؛ فهو الذي أعانني ووفقني وهداني إلى الصواب، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وإن كان فيه من تقصير -وهو واقع لا محالة- فهو عمل البشر الذي لا يسلم من الزلل ليبقى الكمال المطلق لكتاب الله الكريم، وأسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، وأسأله ﷺ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم ألقاه وأن ينفع به المسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].
وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد النبي الأمي الكريم، ومن تبعه
بإحسان إلى يوم الدين.

الدكتور

الخشوعي الخشوعي محمد الخشوعي

أستاذ الحديث وعلومه - كلية أصول الدين

جامعة الأزهر الشريف - القاهرة

الأهداف التعليمية للوحدة:

- عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادراً على أن:
- ١- تعرف مدى رحمة الله بالإنسانية، فلم يتركهم هملاً، بل تداركهم بمحمد ﷺ.
 - ٢- تبين أن من نزل به أمر فيستحب له أن يطلع عليه من يثق به ليعمل بنصيحته.
 - ٣- تقدر فضل أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- ورجاحة عقلها، وقوة نفسها، وثبات قلبها.
 - ٤- توضح أهمية دور المرأة في حياة الرجل، وكيف تكون نعم لعون لزوجها.
 - ٥- تؤكد على حكمة الله تعالى في اختيار أفضل البشر لحمل الرسالات السماوية.
 - ٦- تبين أن على الناصح والمجيب أن يقيم الدليل على ما يجيب به.
 - ٧- توضح موقف الكافرين من المرسلين على مر العصور والأزمان.
 - ٨- تشرح كيف أن الابتلاء سنة الله تعالى في خلقه ليرفع للمبتلين الدرجات.

الوحدة الأولى

بدء الوحي إلى النبي ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ^(١) أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَعَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»؛ قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ» [العلق: ١-٣] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُوَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»؛ فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لَخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»؛ فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ؛ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ - وَكَانَ أَمْرًا تَنْصَرَفِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ - فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ؛ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا

(١) تأتي ترجمتها في الحديث الثاني.

تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى؛ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْمُخْرِجِي هُم؟»؛ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عَوْدِي، وَإِنْ يَدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا؛ ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّي وَفَتَرَ الْوَحْيَ^(١)

ترجمة أم المؤمنين الأولى خديجة رضي الله عنها وأرضاها.

أم القاسم، خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشية الأسدية زوج رسول الله ﷺ، وأم المؤمنين، الأولى ترتيبًا ومكانة، وسيدة نساء العالمين، أول من آمن به ﷺ وصدقه قبل كل أحد.

لها في عنق كل مسلم حق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يوم أن استقبلته ﷺ -وهو عائد من عار حراء بعد أن فاجأه الوحي- هذا الاستقبال الطيب الذي لا يصدر إلا عن أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- أكمل النساء عقلاً، وأنفذهم بصيرة، وأرقهم قلباً، وأسأخاهم يداً، وأعرف الناس بقدر رسول الله ﷺ فتبّت جأشه وطمأنته وبشرته بأنه لن يحدث له مكروه، مستتجة ذلك من تاريخه السابق على مجيء الوحي له ﷺ، وقد استقرأت تاريخه على عجل، فوجدته مُحَسَّنًا إلى القريب والبعيد والقوي والضعيف، ومن كان هذا حاله فلن يصيبه مكروه، فقد استقر في الأذهان أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، ثم ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل فبشره وطمأنه بأن الذي أتاه إنما هو جبريل عليه السلام رسول الله إلى رسله.

وقد وقفت بجواره ﷺ عشر سنين بعد بعثته ﷺ توأسيه بمألها، وتدفع عنه

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له" -كتاب بدء الوحي- باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (٤-٣/١).

وأخرجه مسلم -كتاب الإيمان- باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ -صحيح مسلم بشرح النووي-

(٢/١٩٧-١٩٨).

الأذى، وتحوّن عليه الصعاب، وتنصره بنفسها ومالها، وما بخلت عليه بشيء، بل جادت بكل شيء تبتغي بذلك رضا الله تعالى، ونصرة الصادق الأمين صاحب الخلق العظيم، الذي آثرها بمكارم أخلاقه، وجميل صفاته قبل أن يبعث، فعلمت أنه الصادق الأمين، فكيف به بعد أن شرفه الله بالبعثة، والمرأة أعرف الناس بحال زوجها.

لذلك استحقت -رضي الله عنها- لرجاحة عقلها وكمال خلقها وعفافها -أن تُلَقَّب في الجاهلية بالطاهرة، وأن تُلَقَّب في الإسلام بسيدة نساء العالمين ومناقبها أكثر من أن تحصى؛ فهي أكمل النساء، وأي كاملة توزن بها أو تدانيها في كمال العقل ورجحانه، أو بذلها وتضحيتها من أجل نصرة دين الله تعالى، أو في موقفها من رسول الله ﷺ عشر سنوات كلها أزمات، كانت الأمور تنتقل فيها من سيئ إلى أسوأ، فما لانت لها قناة، بل كانت كالجبال الرواسي التي لا تميد ولا تضطرب مهما هبت الرياح وزلزلت الأرض ومن عليها؛ ومن أجل ذلك سُمي العام الذي توفيت فيه بعام الحزن.

فإن قلت: ما سر ثبات أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- بجوار النبي ﷺ مع طول فترة المحنة وبذلها كل شيء من أجل نصرة دين الله تعالى؟ قلت لك: إنه الإيمان الصادق حين تخالط بشاشته القلوب، يجعل صاحبه يركب الصعاب، ويستعذب العذاب إن كان في ذلك رضا الله تعالى.

إنه اليقين والثقة المطلقة بوعد الله تعالى لعباده الصادقين، الباذلين أنفسهم، المضحين بكل شيء من أجل رضا الله تعالى والفوز بالنعيم المقيم في الجنة في ضيافة أرحم الراحمين.

مكانة أم المؤمنين الأولى خديجة -رضي الله عنها- من النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ بطبيعته وتكوينه الفطري يعرف الفضل لأهله، ويشكر أهل المعروف على معروفهم وإحسانهم، وإن كان إحسانهم لغيره، فكيف بمن ضحّت

بنفسها وما لها وراحتها من أجله ﷺ، ومن أجل دعوته؟!

لقد عرف النبي ﷺ لأم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- قدرها ومنزلتها العالية الرفيعة التي لا تدانيها منزلة امرأة من نساءه - مع كثرتها -؛ لأن خديجة -رضي الله عنها- اجتمع فيها من المحاسن والفضائل ما لم يجتمع في بقية نساءه جميعاً؛ فكان النبي ﷺ يثني عليها ويفصلها على سائر أمهات المؤمنين ويبالغ في ذلك، حتى إن الغيرة لتشتد على عائشة -رضي الله عنها- من خديجة -رضي الله عنها- مع أنها ماتت قبل أن يتزوجها الرسول ﷺ بثلاث سنوات.

بل إن الأمر لم يقتصر على محبته ﷺ لخديجة -رضي الله عنها- وتفضيله لها على سائر نساءه، بل كان يحسن إلى أقاربها، وإلى صويحباتها ويكرمهن بعد وفاتها؛ وفاءً لها، ومعرفة لقدرها.

عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرَبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَغْضَاءً، ثُمَّ يَتَعْنَهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرَبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ؛ فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ وَكَأَنْتِ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»^(١).

ومن كرامة خديجة -رضي الله عنها- على النبي ﷺ، أنه لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قط، ولا تسرّى إلى أن لقيت ربه، فحزن عليها حزناً شديداً، لدرجة أنه سمّى العام الذي توفيت فيه بعام الحزن؛ لأنه ﷺ فقد فيه النصير والمعين؛ فقد خديجة -رضي الله عنها- ثم أبا طالب. سلام الله تعالى وجبريل الطيب ﷺ على خديجة -رضي الله عنها- وتبشيرها بالجنة:

إن منزلة المسلم ومكانته عند الله تعالى لا تكون إلا بالأعمال الصالحة،

(١) أخرجه البخاري "وللفظ له" -كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- باب تزويج النبي ﷺ خديجة

وفصلها -رضي الله عنها- (٤٧/٥-٤٨). وأخرجه مسلم -كتاب فضائل الصحابة ﷺ- باب فضائل

خديجة -رضي الله عنها- صحيح مسلم بشرح النووي- (٢٠١/١٥).

وبقدر بذله وتضحيته من أجل مرضاة الله تعالى يكون جزاء الله له، فلن يضيع معروف عند الله تعالى في الدنيا والآخرة.

وقد بذلت أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- من أجل الله تعالى كل شيء، فلم تدخر شيئاً، فكيف يكون جزاء الله تعالى لها؟ لقد أقرأها الله تعالى السلام، وبشّرها بالجنة، فياله من تكريم لا يوصف، ولا يعرف قدره إلا العارفون إن الذي كرمها إنما هو الملك الكبير المتعال؛ وفاءً بحقها، وتقديراً لبذلها وعطائها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى جَبْرِيلُ الطَّلَحَةُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ^(١)."

أنجبت خديجة -رضي الله عنها- من النبي ﷺ: القاسم، والطيب، والطاهر وقد ماتوا رُضْعاً؛ ورقية، وزينب، وأم كلثوم وقد ماتوا قبله ﷺ؛ وفاطمة -رضي الله عنها- وقد ماتت بعده بستة أشهر.

وبعد هذه الحياة الحافلة بالبذل والعطاء، والصبر والمصابرة، لقيت أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- ربّها راضية مرضية في رمضان في العام العاشر من البعثة المشرفة عن خمس وستين سنة، ودفنت بالحجون.

رضي الله عنها وأرضاها، وجزاها الله خير الجزاء، عن نبيه ﷺ وعنا وعن الإسلام والمسلمين.

المباحث اللغوية:

الوحي لغة: الإعلام في خفاء؛ ويطلق على الإلهام، والأمر، والإيماء،

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له" -كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها -رضي الله عنها- (٤٧/٥-٤٨). وأخرجه مسلم -كتاب فضائل الصحابة ﷺ- باب فضائل خديجة -رضي الله عنها- صحيح مسلم بشرح النووي- (٢٠١/١٥).

والإشارة، والتصويت شيئاً بعد شيء؛ ويطلق على الكتابة والمكتوب، والبعث؛ وكل ما دلت به من كلام أو كتابة أو رسالة أو إشارة فهو وحي.

الوحي شرعاً: الإعلام بالشرع؛ وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه أي الموحى، وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ.

الرؤيا الصالحة: وفي رواية البخاري في كتاب التفسير: الصادقة، وهي التي ليس فيها ضغث.

وبدئ الوحي بالرؤيا الصادقة ليكون تمهيداً وتوطئة لليقظة؛ لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة، فلا تحملها قوى البشرية، فبدأ بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا، ثم مهد له في اليقظة أيضاً برؤية الضوء، وسماع الصوت، وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة.

قولها: (في النوم) لزيادة الإيضاح، أو ليخرج رؤيا العين في اليقظة؛ لجواز إطلاقها مجازاً.

والمراد بـ (فلق الصبح) ضياؤه، وخص التشبيه بضياء الصبح؛ لظهوره الواضح البين الذي لا شك فيه.

قولها: (حُبِّب) بيناء الفعل للمجهول؛ لعدم تحقق الباعث على ذلك، وإن كان كلٌّ من عند الله، أو لينبه على أنه لم يكن من باعث البشر، أو يكون ذلك من وحي الإلهام.

قولها: (الخلاء) المراد بالخلاء: الخلوة، والسر في الخلوة أن الخلوة فراغ القلب لما يتوجه له.

قال أبو سليمان الخطابي: حببت العزلة إليه ﷺ، لأن معها فراغ القلب، وهي مُعِينَةٌ على التفكير، وبها ينقطع عن مألوفات البشر، ويتخشع قلبه، والله أعلم.

قولها: (حراء) جبل معروف بمكة، بينه وبين مكة ثلاثة أميال عن يسار

الذاهب من مكة إلى منى.

قولها: (الغار) نقب في الجبل، وجمعه: غيران.

قولها: (فيتحنث) بمعنى يتحنف، أي: يتبع الحنيفية، وهي دين إبراهيم عليه السلام، والفاء تبدل ثاء في كثير من كلامهم، ووقع في رواية ابن هشام في السيرة (يتحنف) بالفاء؛ أو التحنث إلقاء الحنث، وهو الإثم؛ كما قيل يتأثم ويتخرج يعني يتجنب الإثم والحرج، فمعنى يتحنث يتجنب الحنث، فكأنه بعبادته يمنع نفسه من الحنث، ثم فسره بالتعبد.

قولها: (وهو التعبد) هذا مدرج في الخبر، وهو من تفسير الزهري كما ورد في صحيح البخاري في كتاب التفسير.

قولها: (الليالي ذوات العدد) يتعلق بقولها: (يتحنث) وأبهم العدد لاختلافه. مدة الخلوة كانت شهراً، وذلك الشهر كان رمضان، وإن كان أبهم العدد بالنسبة إلى المدة التي يتخللها مجيئه إلى أهله.

قولها: (ينزع) بكسر الزاي أي: يرجع، ورواه البخاري بلفظه في التفسير

قولها: (التزود) استصحاب الزاد.

قولها: (لمثلها) أي: لمثل الليالي.

قولها: (حتى جاءه الحق) أي: الأمر الحق، وسُمي حقاً؛ لأنه وحي من الله تعالى؛ وفي كتاب التفسير (حتى فجنه الحق) وكذا في رواية مسلم بكسر الجيم، أي: بغتة، أي: جاءه الوحي بغتة، فإنه ﷺ لم يكن متوقفاً للوحي.

قوله: (ما أنا بقارئ) ثلاثاً، ما نافية؛ إذ لو كانت استفهامية لم يصح دخول الباء، وإن حُكي عن الأخفش جوازه فهو شاذ، والباء زائدة لتأكيد النفي أي: ما أحسن القراءة.

فلما قال ذلك ثلاثاً، قيل له: (اقرأ باسم ربك) أي: لا تقرأه بقوتك ولا

معرفة، لكن بحول ربك وإعانتته، فهو يعلمك كما خلقتك ولم تكن شيئاً.

قال الإمام النووي: هذا دليل صريح في أن أول ما نزل من القرآن (اقرأ) وهذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف، وقيل: أوله (يا أيها المدثر) وليس بشيء^(١).

قوله: (فغطني) الغط حبس النفس، ومنه غطه في الماء، كأنه أراد: ضمني وعصري، أو أراد: غمني، ومنه الخنق.

قوله: (حتى بلغ مني الجهد) روي بفتح الجيم والنصب، أي: بلغ جبريل ^{عليه السلام} مني الجهد، أو بلغ الغط مني غاية وسعي، وروي بضم الجيم والرفع، أي: بلغ مني الجهد مبلغه وغايته.

قوله: (أرسلني) أي: أطلقني.

ولم يذكر الجهد هنا في المرة الثالثة، وهو ثابت عند البخاري في كتاب التفسير، وكذا في رواية مسلم.

قال الإمام النووي: قال العلماء: والحكمة في الغط شغل عن الالتفات والمبالغة في أمره بإحضار قلبه لما يقوله له، وكرر الغط ثلاثاً مبالغة في التنبيه^(٢).

قولها: (فرجع بها) أي: بالآيات أو بالقصة.

قولها: (فزملوه) أي: غطوه بالثياب ولفوه بها.

قولها: (الرَّوْعُ) بالفتح: الفرع.

قولها: (يرجف فؤاده) يعني يردد ويضطرب، وأصله شدة الحركة والفؤاد هو القلب؛ وفي رواية مسلم (ترجف بؤادره) البؤادر هي اللحمية التي بين المنكب والعنق، تضطرب عند فرع الإنسان.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٩٩).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/١٩٩).

قوله: (لقد خشيت على نفسي) هذه الجملة مع قوله: (يرجف فواده) تدل على افعال حصل له من مجيء الملك، ومن ثم قال: (زملوني).

والخشية المذكورة اختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً، وأولى الأقوال بالصواب: الموت من شدة الرعب أو المرض.

قولها: (كلا والله ما يخزيك الله أبداً)، (كلا) معناها -هنا: كلمة نفي وإبعاد، (لا يخزيك) الخزي الفضيحة والهوان، وفي رواية: (بخزنك) من الحزن. قولها: (تصل الرحم) المراد بصلة الرحم الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام... وغير ذلك.

قولها: (الكلّ) بفتح الكاف، هو من لا يستقلّ بأمره، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ كُلٌّ عَلَى مَوْلَاةٍ﴾ [النحل: ٧٦]؛ ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال، وغير ذلك.

قولها: (تكسب المعدوم) ورد تُكسِب بضم التاء، وتُكسِب بفتح التاء. قال الخطابي: الصواب في رواية تُكسِب -بضم التاء- أن تكون (تُكسِب المعدوم) بلا واو، أي: الفقير؛ لأن المعدوم لا يُكسِب؛ قال الحافظ: ولا يمنع أن يطلق على المعدوم المعدوم؛ لكونه كالمعدوم الميت الذي لا تُصَرَّف له، والكسب هو الاستفادة، فكأنها قالت: إذا رغب غيرك أن يستفيد مالاً موجوداً، رغبت أنت أن تستفيد رجلاً عاجزاً فتعانونه^(١).

أما رواية (تُكسِب) بفتح التاء -وهذه هي الرواية الراجحة كما قال الحافظ ابن حجر والإمام النووي- ومعناها تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق فحذف أحد المفعولين، وقيل: معناه تكسب المال المعدوم،

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٢٠١-٢٠٢).

وتصيب منه ما يعجز غيرك عن تحصيله، وكانت العرب تُمادح بكسب المال المعدوم لاسيما قريش، وكان النبي ﷺ قبل البعثة محظوظاً في التجارة، وقد خرج النبي ﷺ إلى الشام ليتاجر في مال خديجة -رضي الله عنها- مع غلامها ميسرة، وربح ربحاً عظيماً فتضاعف مال خديجة -رضي الله عنها-.

وإنما يصح هذا المعنى إذا ضم إليه ما يليق به، فيكون المعنى تكسب المال العظيم الذي يعجز عنه غيرك، ثم تجود به في وجوه الخير وأبواب المكارم، كما ذكرت من حمل الكل، وصلة الرحم، وقرى الضيف، والإعانة على نوائب الحق^(١). قولها: (تقرى الضيف) قرى الضيف إكرامه والإحسان إليه.

قولها: (وتعين على نوائب الحق) هي كلمة جامعة لأفراد ما تقدم، ولما لم يتقدم.. النوائب جمع نائبة وهي الحادثة، وإنما قالت: نوائب الحق؛ لأن النائبة قد تكون في الخير، وقد تكون في الشر؛ لذلك قيدتها بأنها في الحق.

وفي رواية البخاري في كتاب التفسير (وتصدق الحديث) وهي من أشرف الخصال، ومراد أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- بما قالت إنك لن يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، ومن السمائل، فلقد استقر في أذهانهم من خلال الممارسة العملية أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء. قولها: (فانطلقت به) أي: مضت معه، فالباء للمصاحبة.

قولها: (تَنَصَّرَ) أي: صار نصرانياً، وكان ورقة قد نحر إلى الشام وغيرها يسأل عن الدين، فأعجبه دين النصرانية فتنصر، وكان لقي من بقي من الرهبان على دين عيسى ولم يبدل، ولهذا أخبر بشأن النبي ﷺ والبشارة به، إلى غير ذلك مما أفسده أهل التبديل.

قولها: (فكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية)، وفي

(١) فتح الباري (١/٣٣-٣٤)، بتصرف يسير.

رواية (يكتب من الإنجيل بالعربية)، وفي رواية مسلم (فكان يكتب الكتاب العربي). والجميع صحيح، لأن ورقة تعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانية، فكان يكتب الكتاب العبراني كما كان يكتب الكتاب العربي؛ لتمكنه من الكتابين واللسانين، وإنما وصف ورقة بكتابة الإنجيل دون حفظه؛ لأن حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسراً كتييسر حفظ القرآن الكريم الذي خصت به هذه الأمة، فلهذا جاء في صفتها: أناجيلها صدورها.

قولها: (يا ابن عم) هذا نداء على حقيقته، ووقع في رواية مسلم (يا عم)، وهو وهم؛ لأنه وإن كان صحيحاً لجواز إرادة التوقير، لكن القصة لم تعدد ومخرجها متحد، فلا يحمل على أنها قالت ذلك مرتين، فتعين الحمل على الحقيقة، وإنما جَوَزْنَا ذلك فيما مضى في العبراني والعربي؛ لأنه من كلام الراوي في وصف ورقة، واختلفت المخارج فأمكن التعداد، وهذا الحكم يطرد في جميع ما أشبهه.

وإنما قالت خديجة -رضي الله عنها- في حق النبي ﷺ (اسمع من ابن أخيك)؛ لأن والده عبد الله بن عبد المطلب وورقة في عداد النسب إلى قصي بن كلاب الذي يجتمعان فيه سواء، فكان من هذه الحيشة في درجة إخوته أو قائته على سبيل التوقير لسنه.

قوله: (ماذا ترى؟) فيه حذف يدل عليه سياق الكلام، وقد صرح به في دلائل النبوة لأبي نعيم بسند حسن إلى عبد الله بن شداد في هذه القصة قال: فأتت به ورقة ابن عمها فأخبرته بالذي رأى.

قوله: (هذا الناموس الذي نزل الله على موسى)، أشار بقوله: (هذا) إلى الملك الذي ذكره النبي ﷺ في خبره، ونزله منزلة القريب لقرب ذكره، (الناموس) صاحب السر -كما جزم به البخاري في أحاديث الأنبياء- والمراد بالناموس: جبريل عليه السلام؛ وسمي بذلك لأن الله تعالى خصه بالغيب والوحي.

قال أهل اللغة: الناموس، صاحب سر الخير، والحاسوس صاحب سر الشر.
قوله: (على موسى) قال على موسى ولم يقل على عيسى -مع كونه نصرانياً- لأن كتاب موسى ﷺ مشتمل على أكثر الأحكام، بخلاف عيسى، وكذلك النبي ﷺ، وقد ورد أن ورقة قال: ناموس عيسى، وذلك ورد في دلائل النبوة لأبي نعيم بإسناد حسن إلى هشام بن عروة عن أبيه في هذه القصة، أن خديجة -رضي الله عنها- أولاً أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر فقال: لئن كنت صدقتني إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم، فعلى هذا كان ورقة يقول تارة ناموس عيسى وتارة ناموس موسى، فعند إخبار خديجة -رضي الله عنها- له بالقصة، قال لها ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية، وعند إخبار النبي ﷺ قال له ناموس موسى للمناسبة. وكلُّ صحيح والله تعالى أعلم.

قوله: (يا ليتني فيها جذعاً)، انضمير في قوله (فيها) يعود على أيام الدعوة، (الجذع) بفتح الجيم والذال المعجمة هو الصغير من البهائم، كأنه تمني أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شاباً؛ ليكون أمكن لنصره، وبهذا يتبين سر وصفه بكونه كان كبيراً أعمى.

قوله: (إذ يخرجك) قال ابن مالك فيه استعمال (إذ) في المستقبل كـ (إذا) وهو صحيح، وغفل عنه أكثر النحاة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [مریم: ٣٩]، هكذا ذكره ابن مالك وأقره عليه غير واحد^(١).

قوله: (أوخرجني هم) استبعد النبي ﷺ أن يخرجهم قومه؛ لأنه لم يكن فيه سبب يقتضي الإخراج لما اتصف به النبي ﷺ من مكارم الأخلاق، وجميل الصفات التي وصفته بها خديجة -رضي الله عنها-.

قوله: (إلا عودي) جاء في رواية البخاري في كتاب التفسير (إلا أودي)،

(١) فتح الباري (١/٣٥-٣٦).

فذكر ورقة العلة في إخراجهم ﷺ، وهو أنه ﷺ جاءهم بخلاف ما ألفوا واعتادوا، ولأنه علم من الكتب أنهم لن يجيئوه إلى ذلك، وأنه يلزمه لذلك منابذهم ومعاندتهم فتنشأ العداوة بينه وبينهم، وهذه هي سنة الكافرين مع المرسلين.

قوله: (إن يدركني يومك)، (إن شرطية، و(يدركني) فعل الشرط مجزوم، وفي رواية البخاري في كتاب التفسير (حيًا) ولابن إسحاق (إن أدركت ذلك اليوم)، والمراد بـ (اليوم) يوم الإخراج.

قوله: (مؤزرًا) أي: قويًا بالغًا؛ قال أبو شامة: يحتمل أن يكون من الإزار، أشار بذلك إلى تشميره في نصرته.

قال الأخطل: قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم.

وأن قوله مؤزرًا بمزة، أي: قويًا، مأخوذ من الأزر وهو القوة.

قوله: (ثم لم ينشب) بفتح الشين المعجمة، أي: لم يلبث، وأصل النشوب: التعلق، أي: لم يتعلق بشيء من الأمور حتى مات؛ وقد عارض هذا ما جاء في السيرة النبوية لابن إسحاق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب، وهذا يقتضي أنه تأخر إلى زمن الدعوة، وإلى أن دخل بعض الناس في الإسلام.

فإن تمسكنا بالترجيح، فما في صحيح البخاري أصح، ويقدم عند التعارض. وإن أردنا الجمع بين الروایتين أمكن أن يقال: (الواو) في قوله: (وفتر الوحي) ليست للترتيب، فلعل الراوي لم يحفظ لورقة ذكرًا بعد ذلك في أمر من الأمور، فجعل هذه القصة انتهاء أمره بالنسبة إلى علمه لا إلى ما هو الواقع.

المراد بـ (فتور الوحي) تأخره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع، وليحصل له التشوق إلى العود. وقد روى البخاري في كتاب التعبير ما يدل على ذلك.

مدة فترة الوحي: اختلف العلماء في مدة انقطاع الوحي عنه ﷺ، والصواب

ما ذهب إليه ابن عباس، وأنها كانت أياماً.

المعنى العام للحديث:

من رحمة الله تعالى بخلقه أنه لم يتركهم يعيشون في هذه الحياة بدون منهج إلهي ينظم حياتهم، فحياة الإنسان لن تستقيم إلا في ظل منهج رباني ينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته ببني جنسه وغيرهم.

ولقد تداركت رحمة الله تعالى الإنسان منذ اللحظة الأولى، فحين أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض لم يتركه يعيش بدون منهج إلهي ينظم حياته وحياة أبنائه على قلتهم؛ وذلك لأن الناس لن يسعدوا في الدنيا إلا في ظل منهج إلهي ينظم حياتهم، ولن يفوزوا في الآخرة بالجنة إلا إذا ألزموا أنفسهم بهذا المنهج، ومن رحمة الله تعالى بخلقه، أن قدم لهم ضمانات تطبيق المنهج الإلهي، حتى يقبل عليه الإنسان وهو مطمئن إلى نتائجها، مع أن مُشرَّعه هو الله تعالى الذي نه الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وتشريعاته.

قال تعالى - في سياق الحديث عن آدم عليه السلام وإخراج إبليس له من الجنة -:
﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

فضمن الله تعالى في هاتين الآيتين لمن اتبع منهجه ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، وأن يحيا آمناً في الدنيا فرحاً بلقاء ربه تعالى يوم لقائه.

بل إن الله تعالى ربط صلاح الدنيا وسعادة الناس فيها باستقامتهم على منهج الله تعالى، وربط الفلاح في الآخرة بصلاح الدنيا، فمن أصلح دياره باستقامته على منهج الله تعالى عاش حياة طيبة، وسعد في الآخرة سعادة لا حد لها.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

كما أن الله تعالى ربط فساد الدنيا وخسران الآخرة، بالانحراف عن منهجه.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٧].

وهاهو الله تعالى يتدارك البشرية برحمته، فيرسل إليها النبي الخاتم محمدًا ﷺ بهذا القرآن المعجز الخالد؛ ليكون المنهاج الذي يحتكم إليه المسلمون في كل كبيرة وصغيرة، ويجعلوا له واقعًا عمليًا في حياتهم العامة والخاصة، فيسعدوا في الدنيا، ويفوزوا في الآخرة بالنعيم المقيم في ضيافة أرحم الراحمين.

ومع ما تحمّله النبي ﷺ من متاعب عظيمة في سبيل التلقي عن الله تعالى وتبليغ هذا الدين العظيم للناس، إلا أن ثمار هذه الدعوة كانت عظيمة، جعلت هذه المتاعب لا تذكر بجوارها.

وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، واحد من الأحاديث التي تبين مدى المشقة التي تحملها النبي ﷺ في التلقي عن الله تعالى، حتى إنه ﷺ قد خشي على نفسه لشدة ما وجد.

كما أن هذا الحديث يبين مدى ما فُطر عليه النبي ﷺ من صفات كريمة، فلقد فطره الله تعالى منذ أن خلقه على مكارم الأخلاق، وجميل الصفات، ومحاسن الأعمال.

لذلك أدخل العلماء تاريخه قبل البعثة في سيرته؛ لأنه كان له دخل كبير في الإيمان به ﷺ وتصديقه عندما دعا الناس إلى الإسلام.

فقد استدلت أم المؤمنين السيدة خديجة -رضي الله عنها- بحسن خلقه وسيرته، وكريم أفعاله قبل البعثة، على أن الله تعالى لن يخزيه يوم أن عاد إليها من غار حراء خائفاً على نفسه يرجف فؤاده بعد أن فاجأه الملك، وقال لها: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فقالت السيدة خديجة -رضي الله عنها-: "كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق".

وفي رواية البخاري في كتاب التفسير: (وتصدق الحديث)، وكذا في رواية مسلم. ومعنى هذا أن السيدة خديجة -رضي الله عنها- قد استبعدت أن يكون حدث له مكروه، مؤكدة ما قالت بالخلف بالله ﷻ، ثم استدلت على ما أقسمت عليه من نفي الخزي أو الحزن عنه أبداً، بأمر استقرائي وصفته بأصول مكارم الأخلاق؛ لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجنب، وإما بالبدن أو بالمال، وإما على من يستقل بأمره أو من لا يستقل، وذلك كله مجموع فيما وصفته به. ثم إنه تاريخ رجل صنعه الله على عينه، وأعدده لحمل هذه الرسالة الخاتمة، فلا بد من أن يصون الله هذا النبي قبل الرسالة، وينأي به عن الرذائل، حتى لا يكون تاريخه قبل الرسالة سبباً لانصراف الناس عنه والإعراض عن دعوته، فالله يصطفي للرسالة من يصلح لها، ومن يستطيع القيام بواجباتها، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ولا يختار لها من يكون سبباً في إعراض الناس عنها، لذلك نراه ﷺ استدلل بتاريخه السابق على دعوى الرسالة بأنه صادق لا يكذب أبداً، يوم أن صعد الجبل ودعا قومه، ثم قال لهم: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قالوا: نعم، ما حربنا عليك كذبا، وبذلك يكون الرسول ﷺ قد أقام الحجة عليهم،

وأشهدهم جميعاً على أنفسهم أنه الصادق الأمين ﷺ، وكان هذا هو سر انشغال كفار مكة به، فلو لم يكن كما كان، ما شغلوا أنفسهم به، ولتشككوا فيه وفي دعوته من واقع تاريخه السابق.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: " لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعَدَ الصَّفا فَهَتَفَ «يَا صَبَاحَةَ» فَقَالُوا مَنْ هَذَا، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ؛ فَقَالَ «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟»؛ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا؛ قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»؛ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا ثُمَّ قَامَ، فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، وَ(قَدْ تَبَّ) هَكَذَا قَرَأَهَا الْأَعْمَشُ يَوْمَئِذٍ ^(١).

كما استدل هرقل ملك الروم على صدق نبوته وصحة ما جاء به ﷺ بظواهر صفاته وحسن سيرته قبل البعثة، وقد علمها من أبي سفيان بن حرب زعيم المشركين آنذاك، وما كان يستطيع أبو سفيان أن يكذب في حديثه.

ففي حديث هرقل عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ هِرْقْلَ سَأَلَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ مِمَّا سَأَلَهُ عَنْهُ أَنْ قَالَ هِرْقْلُ لِأَبِي سُفْيَانَ: "فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟" قُلْتُ: "لَا"، قَالَ: "فَهَلْ يَغْدُرُ؟" قُلْتُ: "لَا" .. فَقَالَ هِرْقْلُ لِأَبِي سُفْيَانَ: "وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتُ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ؛

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له" - كتاب التفسير - باب تفسير سورة تبت يدا أبي لهب، فتح الباري ٧/٨٣٧.

وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان - باب قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صحيح مسلم بشرح

النووي (٨٣-٨٢/٣).

وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ لَا تَغْدِرُ" (١).

هذا مع أنه يجب أن نعلم أن الله أخبر في كتابه الكريم بأنه ﷺ قد تربع فوق قمة الخلق العظيم في سورة مكية من أوائل ما نزل من القرآن وهي سورة القلم، حيث قال تعالى -مخاطباً نبيه ﷺ-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فلقد جبله الله وفطره على كل خلق جميل من الحياء والكرم والحلم والصفح والشجاعة... وغير ذلك ﷺ.

كما جاء في هذا الحديث، أن ورقة -وكان عالماً بالكتب السابقة، وبتاريخ الأنبياء، وموقف أمهم منهم- قال للنبي ﷺ: ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك؛ فقال رسول الله ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِيْهُمْ؟»؛ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي.

ولقد أثبت الواقع العملي صحة ما قال ورقة، فلما دعا النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، وقفوا منه موقف المكذبين المعرضين المعادين، مع أنهم لم يجربوا عليه كذباً قط - كما شهدوا بذلك أنفسهم - ولم يقتصر موقفهم على التكذيب والإعراض، بل وقفوا يصدون الناس عن الإسلام ويفتنوهم في دينهم حتى مات بعضهم تحت وطأة التعذيب، ومع أن النبي ﷺ كان في منعة من أهله إلا أنه لم يسلم من شرهم وأذاهم، وقاطعوه هو والمؤمنين به، بل وآمروا على قتله، غير أن الله تعالى نجّاه من مكرهم وكيدهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

(١) أخرجه البخاري - جزء حديث - كتاب بدء الوحي - باب رقم ٦، (١/٥-٦). وأخرجه البخاري - كتاب الجهاد - باب دعوة النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، فتح الباري (٦/١٠٩-١١٠)، "هذه الفقرات التي استشهدنا بها من كتاب الجهاد".

ولم يكن هذا موقف كفار مكة من النبي ﷺ خاصة، بل بسين القرآن الكريم أن هذا موقف الكافرين من المرسلين على مر العصور - كما أخبر بذلك ورقة بن نوفل - مع أن الكافرين المكذبين لرسولهم لم يجمعهم زمان واحد أو مكان واحد، ولم يكن هناك اتصال بينهم حتى يوصي بعضهم بعضاً، ومع ذلك توحد موقفهم، والذي وحد موقفهم من المرسلين إنما هو الكفر والطغيان، الذي جعلهم يقفون من رسل الله ﷺ موقفاً واحداً.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذريات: ٥٢-٥٣].

فالرسل جاءوا بخلاف ما ألف الناس واعتادوا، ففريق من الناس عبدوا الناس لأنفسهم وأذلّوهم وظلموهم، فجاء الرسل - عليهم السلام - ليعبّدوا البشر لله وحده، وليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وقال كل رسول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

جاء الرسل - عليهم السلام - ليقرروا مبدأ المساواة بين البشر جميعاً، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، فالكل عبيد لله تعالى، والله فوق الجميع، فكان من الطبيعي أن يثور أولئك السادة الذين استعبدوا الناس وأذلّوهم؛ لأن الرسل أرادوا أن يسلبوهم هذا الحق الذي يرونه لأنفسهم.

فوقفوا يدافعون عن مكانتهم، وعادوا المرسلين حتى وصل بهم العداء إلى أن قتلوا الرسل، وسارع المستضعفون إلى دين الله تعالى؛ لأنهم رأوا الحق واضحاً جلياً، ووجدوا فيما جاء به الرسل حلاً لمشاكلهم، ولم يكن هناك مانع يمنعهم من

تدحرج في دين الله تعالى كما كان حال السادة.

جاء الرسل بالتكاليف الشرعية لتنظيم حياة الناس، والإنسان بطبيعته يريد أن يتحرر من القيود والتكاليف، ضئلاً منه أن اتباعه لما أقوى نفسه يحقق له اللذة والسعادة في الدنيا، وأن هذه القيود أو التكاليف الشرعية تحول بينه وبين السعادة الدنيوية. وتفرقت عليه منافع مادية كثيرة.

لذلك وقف أصحاب الأهواء -الذين لا يستطيعون السيطرة على شهواتهم وأهوائهم- موقف العداء من الرسل؛ لأن الرسل يريدون أن يفوتوا عليهم بعض ما يشتهون، يريدون أن يقيسوا حركة حياتهم لمصلحتهم ومصنحة المجتمع من حولهم، لا لفائدة تعود على الله تعالى فطاعة العباد لله تعالى لا تحقق لله تعالى كمالاً، ولا تدفع عن الله تعالى نقصاً فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال جميعها، ومنزّه عن صفات النقص جميعها.

قال تعالى -حاكياً موقف الناس من الرسل جميعاً وأهم توعدهم بالقتل والإخراج والتعذيب والرحم إلى غير ذلك-: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ١٣].

وقال تعالى -مواشياً رسوله ﷺ مبيناً له موقف الكافرين من المرسلين على مر العصور، وأنه ليس بدعاً من الرسل، فكما صر أولئك ارسل على تكذيب أقوامهم وإيذائهم، فعليك يا محمد -وأنت أفضل المرسلين- أن تصير أيضاً على ما تتعرض له من تكذيب وإيذاء- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].
إلى غير ذلك من الآيات التي بين الله تعالى فيها موقف الكافرين من رسلهم، وأهم لم يكتفوا بالإعراض، بل وقفوا منهم موقف العداء والإيذاء والتهديد بالضرب والرحم والإخراج، بل وقتل بعضهم.

خلاصة الوحدة الأولى

- ١- لطف الله تعالى بنبيه ﷺ حيث تدرج به قبل أن يأتيه الوحي الجلي، فبدأ بالإرهاصات، ثم بتسليم الجماد عليه، ثم بالرؤيا الصالحة وسماع الصوت... وغير ذلك؛ ليطمئن قلبه، وهذه مقدمات الرسالة.
- ٢- رحمة الله تعالى بالإنسانية؛ حيث تداركهم برحمته، فأرسل إليهم نبيه الخاتم محمدًا ﷺ يحمل وحي الله إليهم؛ ليصلح دنياهم وآخرتهم.
- ٣- ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم والعمل على إحضار قلبه، ليتمكن العلم من قلبه أيما تمكن، فيستقر العلم في قلبه ويعيه.
- ٤- يستحب تأنيس من نزل به أمر بذكر تيسيره عليه وتهوينه لديه، وذكر أسباب السلامة له.
- ٥- من نزل به أمر استحب له أن يُطلع عليه من يثق بنصيحته وصحة رأيه.
- ٦- جواز مدح الإنسان في وجهه إذا ترتب على ذلك مصلحة وأمن المادح والممدوح من عاقبة المدح السيئة.
- ٧- فضل أم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها وأرضاها- ورجاحة عقلها، وأن لها في عنق كل مسلم حقًا ما بقي في الدنيا قرآن يتلى وسنة تتبع يوم أن استقبلت رسول الله ﷺ هذا الاستقبال فخفت من روعه، وسكنت قلبه، وطمأنته ﷺ.
- ٨- كمال السيدة خديجة -رضي الله عنها- ورجاحة عقلها، وجزالة رأيها، وقوة نفسها، وثبات قلبها، وعظم فقهها -رضي الله عنها.

٩- دور المرأة المسلمة العاقلة في حياة الرجل، وأنها نعم العون لزوجها على القيام

بالمهام العظيمة، ووقوفها بجواره عند الأزمات وشدائد الدهر.

١٠- بيان الحكمة في اختيار الله تعالى لرسالاته أفضل البشر؛ ليكون ذلك أدعى

لقبول الرسالة.

١١- بيان الصفات الكريمة التي حُب عليها النبي ﷺ، ومدى دخل هذه الصفات

في الإيمان به ﷺ وتصديقه بعد البعثة.

١٢- على صاحب الحاجة أن يقدم بين يديه من يعرف بقدره ممن يكون أقرب

منه إلى المسئول، وذلك مستفاد من قول أم المؤمنين خديجة -رضي الله

عنها- لورقة: اسمع من ابن أخيك؛ أرادت بذلك أن يتأهب لسماع كلام

النبي ﷺ، وذلك أبلغ في التعظيم.

١٣- على الناصح والمحيب أن يقيم الدليل على ما يجيب به إذا اقتضى المقام ذلك.

١٤- بيان موقف الكافرين من المرسلين على مر العصور والأزمان، وأن هذا الموقف

لم يتغير، مع أن الكافرين لم يجمعهم مكان واحد ولا زمان واحد، ولم يوص

بعضهم بعضًا بهذا الموقف المتكرر.

١٥- الابتلاء سنة لله في خلقه، فلقد ابتلى الله تعالى أنبياءه ورسله لا لهُوانهم على

الله تعالى؛ بل ليرفع لهم الدرجات، ويقيم بهم الحجة على عباده.

اختبار الوحدة الأولى

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- الوحي لغة: الإعلام في خفاء.
 - ٢- الوحي شرعاً: الإعلام بالشرع، وقد يطلق ويراد به اسم المفعول، أي: السُّوْحَى.
 - ٣- الرؤيا الصالحة: أضغاث الأحلام.
 - ٤- الغار: نقب في الجبل، وجمعه: أغوار.
 - ٥- يتحنث: يتحنف، أي: يتبع الحنفية، وقيل: هي بمعنى اجتناب الإثم.
 - ٦- "غطني": الغط: إطلاق النفس.
 - ٧- "غطني": الغط: حبس النفس، والمراد: ضمني وعصري.
 - ٨- الراجح في رواية الحديث: "تَكْسِب" بفتح التاء -لا بضمها-.
 - ٩- الناموس: صاحب السر، كما جزم به البخاري في أحاديث الأنبياء.
- ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

- ١- الوحي لغة:
 - أ- الإعلام في خفاء.
 - ب- الإعلام في العلن.
 - ج- كلاهما صواب.
- ٢- الوحي شرعاً: الإعلام بالشرع ويطلق ويراد به:
 - أ- اسم الفاعل.
 - ب- اسم المفعول.
 - ج- الصفة المشبهة.
- ٣- الرؤيا الصالحة:
 - أ- الصادقة.
 - ب- أضغاث الأحلام.

ج-هي ما يذكره النائم حين يصحو.

٤- الغار: نقب في الجبل وجمعه:

أ- غُور. ب- أغوار. ج- غيران.

٥- غطني بمعنى:

أ- أطلق نفسي. ب- حبس نفسي. ج- كلاهما خطأ.

٦- الراجح في رواية لفظ: "تكسب" في الحديث أنه:

أ- بفتح التاء. ب- بضم التاء. ج- كلاهما صواب.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- ترحم لأم المؤمنين خديجة -رضي الله عنها- مبيناً مكانتها من النبي ﷺ، وكرامتها عليه.

٢- دلل -في ضوء ما درست- على أن من نزل به أمر استحبه له أن يُطلع عليه من يثق به ليأنس برأيه.

٣- دلل على جواز مدح الإنسان في وجهه إذا ترتب على ذلك مصلحة -في ضوء فهمك للحديث.

٤- "على صاحب الحاجة أن يقدم بين يديه من يعرف بقدره ممن يكون أقرب إلى المسئول" اشرح هذا القول في ضوء دراستك للحديث.

٥- "على الناصح والمحجب أن يقيم الدليل على ما يجيب به إذا اقتضى المقام ذلك" دلل على هذا من خلال دراستك للحديث.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تذكر بعض الصور التي كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ عليها.
- ٢- تبين مدى حرص النبي ﷺ على تعليم الصحابة أمور دينهم.
- ٣- توضح بعض جوانب حرص الصحابة على تعلم دينهم.
- ٤- تبين مدى شفقة النبي ﷺ بأصحابه وتعليمهم ما ينفعهم.
- ٥- تؤكد على عظم ما تحمّله النبي ﷺ من متاعب ومشقات في تلقي الوحي وتبليغه لأمتة.

الوحدة الثانية

الصور التي كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ عليها

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ الْحَارِثَ ^(١) بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَصلةِ الْجَرَسِ - وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ - فَيَقْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ» قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَنْفَصِّدُ عَرَقًا ^(٢).

ترجمة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، القرشية التيمية المكية، زوجة رسول الله ﷺ، حبيبة حبيب الله ﷺ، المبرأة من فوق سبع سموات، أفضله نساء الأمة على الإطلاق، الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنها. أبوها الإمام الصديق الأكبر صاحب رسول الله ﷺ في الغار وخليفة رسول الله ﷺ وأفضل رجل في الأمة بعد نبيها ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومناقبه أكثر من تحصى، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ما بقى في الدنيا قرآن يتلى.

وأما أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية.

(١) الحارث بن هشام، أخو أبي جهل، أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وكان خيرًا شريفًا كبير القدر، أعطاه النبي ﷺ من غنائم حنين مائة من الإبل، استشهد بالشام سنة ثمان عشرة. سير أعلام النبلاء (٤/٤١٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/٢-٣).

وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب عرقه ﷺ والترك به، صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٨٨).

ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس وتزوجها النبي ﷺ بعد وفاة الصديقة أم المؤمنين الكبرى خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً، وقيل: بعامين وهي بنت ست سنين، وقيل: سبع ودخل بها وهي بنت تسع سنين في شوال في السنة الثانية من الهجرة منصرفه ﷺ من غزوة بدر ولم يتزوج ﷺ بكرة غيرها.

جاء جبريل عليه السلام النبي ﷺ بصورة عائشة في النوم وأخبره أنها ستكون زوجته. عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ هَذِهِ أَمْرَأَتُكَ. فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَلْتِ هِيَ فَأَقُولُ إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضُهُ»^(١). وقد أقرأها جبريل عليه السلام.

عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ»، فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لَا أَرَى -تُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ^(٢).

منزلة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- العلمية والمنزلة عائشة -رضي الله عنها- من الرسول ﷺ فقد اطلعت على ما تطلع عليه المرأة من أمور زوجها الخاصة، ولشدة ذكائها وفهمها فلقد حفظت عن الرسول ﷺ علماً كثيراً طيباً، ونقلت إلى الأمة ما حفظت عنه ﷺ، ولأنها عاشت بعده ﷺ ما يقرب من خمسين سنة فلقد احتاج الناس إلى علمها فكانوا يُهرعون إليها يسألونها عن

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي عائشة، وقيل لها المدينة، وبه ما، (٧١/٥). وأخرجه مسلم "واللفظ له"، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٠٢/١٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة -رضي الله عنها- (٣٦٠/٥). وأخرجه مسلم، نفس الكتاب والباب السابق.

معضلات المسائل التي تنزل بالمسلمين فيجدون عندها الجواب الشافي.
قال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة^(١).
قال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة^(٢).

روت عائشة عن رسول الله ﷺ علماً كثيراً، وعن أبيها وعمر وفاطمة وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم، وروى عنها خلق كثير.
روى عنها من الصحابة: عمر وابنه عبد الله وأبو هريرة وابن عباس وأبو موسى وزيد بن خالد وعبد الله بن الزبير... وغيرهم كثير.
روى عنها من التابعين: القاسم بن محمد بن أبي بكر وأخوه عبد الله وعروة بن الزبير وسعيد بن المسيب ومسروق وغيرهم، كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال: حدثني الصادقة ابنة الصديق حبيبة حبيب الله.
وهي من المكثرين من الرواية.

قال الحافظ الذهبي: مسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث. اتفق البخاري ومسلم لها علي مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين وانفرد مسلم بتسعة وستين^(٣).

عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّ عَائِشَةَ اشْتَكَتْ فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، تَقْدَمِينَ عَلَى فَرَطٍ صِدْقٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ^(٤).
توفيت -رضي الله عنها- سنة سبع وخمسين على الصحيح وقيل: سنة ثمان

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٣٦٠).

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) سير أعلام النبلاء: (٢/١٣٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة -رضي الله عنها- (٥/٣٦).

وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان بعد الوتر ودفنت من ليلتها وصلي عليها أبو هريرة.

المباحث اللغوية:

قوله: (كيف يأتيك الوحي) يحتمل أن يكون المستول عنه صفة الوحي نفسه، ويحتمل أن يكون صفة حامل الوحي وهو جبريل عليه السلام، أو ما هو أعم من ذلك، وعلى كل تقدير فإسناد الإتيان إلى الوحي مجاز؛ لأن الإتيان حقيقة من وصف حامل الوحي.

قوله: (أحياناً) -جمع حين- يطلق على كثير الوقت وقليله، والمراد به هنا مجرد الوقت، فكأنه قال: أوقاتاً يأتيني.

قوله: (مثل صلصلة الجرس)، الصلصلة في الأصل: صوت وقع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين، وقيل: صوت متدارك لا يدرك في أول وهلة.

الجرس: الناقوس الصغير، والمراد بالصلصلة المذكورة: صوت الملك بالوحي. قال الخطابي: "يريد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد". وقيل: بل هو صوت حفيف أجنحة الملك.

وإنما شبه النبي ﷺ الوحي - وهو محمود - بصوت الجرس - وهو مذموم؛ لأن الجرس لا تحصل صلصلته إلا متداركة - فشبه به الوحي دون غيره من الآلات، فذكر النبي ﷺ ما ألف السامعون سماعه تقريباً لأفهامهم.

قوله: "فَيَقْصِمُ" -بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد- أي: يقلع ويتجلى ما يغشائي منه، وفي رواية: (فيقصم) بضم الياء وفتح الصاد بالبناء للمجهول. وقيل: (فيقصم) بالفاء: القطع بلا إبانة، وبالقاف: (فيقصم) على القطع بإبانة وانفصال، فذكر (الفصم) بالفاء إشارة إلى أن الملك فارقه على أن

يعود، ولا يفارقه مفارقة قاطع لا يعود.

قوله: "وقد وعيت عنه ما قال" أي وعى النبي ﷺ وحفظ وفهم القول الذي جاء به الملك.

وإسناد الوحي إلى قول الملك، لأن الملك -وهو جبريل عليه السلام- هو الوسيلة بين الله وبين رسله، يبلغهم ما أمره الله بتبليغه إليهم.

قوله: "يتمثل لي الملك رجلاً" التمثل مشتق من المثل، أي: يتصور واللام في الملك للعهد، وهو جبريل عليه السلام.

المراد بتمثل الملك رجلاً أنه ظهر في صورة رجل تأنيساً لمن يخاطبه، وليس معنى ذلك أن ذاته تنقلب رجلاً، والله أعلم.

قوله: (ليتفصد) بالفاء وتشديد الصاد، من الفصد، وهو قطع العرق لإسالة الدم، شبه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق.

وفي قولها: (في اليوم الشديد البرد) دلالة على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي؛ لما فيه من مخالفة العادة، وهو كثرة العرق في شدة البرد، فإنه يشعر بوجود أمر طارئ زائد على الطباع البشرية.

فقه الحديث:

ذكر الرسول ﷺ في هذا الحديث صورتين من صور الوحي التي كان جبريل عليه السلام يأتي فيها النبي ﷺ.

ولكن صور إتيان جبريل عليه السلام للنبي ﷺ ليست منحصرة في هاتين الصورتين، ولما كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ -في الأعم الأغلب- في هاتين الصورتين اقتصر النبي ﷺ عليهما، وإلا فهناك صور أخرى كان جبريل عليه السلام يأتي فيها النبي ﷺ.

فمن ذلك: كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة رجل أعرابي كما أتاها في صورة دحية الكلبي.

وكذلك أتى جبريل عليه السلام في صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، غير أنه لم يره على هذه الحالة إلا مرتين.

كما رآه الرسول عليه السلام جالساً على كرسي بين السماء والأرض قد سد الأفق وسوف نتحدث عن كل صورة بشيء من الإيجاز.

- الصورة الأولى: كان جبريل عليه السلام يأتي النبي عليه السلام أحياناً في مثل صلصلة الجرس، والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي، فلا يبقى فيه مكان لغيره، ولما كان الجرس لا تحصل صلصلته إلا متداركة، وقع التشبيه به دون غيره من الآلات، وفي هذه الحالة لا يرى النبي عليه السلام جبريل عليه السلام، بل يتقل عليه الأمر ويشتد، حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه الوحي وقد وعى كل ما قال، وكان الصحابة يشعرون به فيسمعون دويّاً كدوي النحل أحياناً.

- الصورة الثانية: كان جبريل عليه السلام يأتي النبي عليه السلام أحياناً في صورة رجل، فكان يأتيه أحياناً في صورة دحية الكلبي الصحابي المشهور بحسن صورته، وكان يأتيه أحياناً في صورة رجل من الأعراب، وقد جاء بالصورة الأولى والثانية، كما في حديث الباب.

يفهم من حديث عائشة -رضي الله عنها- وهو حديث الباب - أن الوحي كله شديد على رسول الله عليه السلام؛ غير أن الحالة الأولى أشد أنواع الوحي على رسول الله عليه السلام؛ وذلك لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجال بالتخاطب المعهود.

والحكمة فيه أن العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع، وهي هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية، وهو النوع الأول - أي النوع الأول في حديث عائشة - رضي الله عنها - وهي صلصلة الجرس - وهذا أشد بلاشك، وإما باتصاف القائل بوصف السامع، وهو البشرية، وهو النوع الثاني.

- الصورة الثالثة: كان جبريل عليه السلام يأتي النبي عليه السلام في صورة رجل غير معروف، كما جاء في حديث جبريل عليه السلام الذي أخرجه البخاري ومسلم عن

أبي هريرة، وفيه: " قَالَ ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ»؛ فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً، وهذه صورة من الصور التي كان جبريل عليه السلام يأتي فيها النبي ﷺ، وإنما جاء جبريل عليه السلام في هذه المرة في هذه الصورة، وعلى هذه الهيئة مبالغة في تعمية أمره ليقوى الظن عند الصحابة بأنه من جفافة الأعراب، ولهذا تخطى الناس حتى انتهى إلى النبي ﷺ.

- الصورة الرابعة: كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، ورؤيته على كرسي بين السماء والأرض، وقد سدَّ الأفق، غير أن مجيئه على صورته الحقيقية قد ندر، فقد ثبت عن عائشة -رضي الله عنها- أنه لم يره كذلك إلا مرتين لذلك لم يذكر النبي ﷺ هذه الحالة لندركها.

ملحوظتان:

أ- يلاحظ أن هذا الحديث لم يذكر الرسول ﷺ فيه إلا حالتين من أحوال الوحي، وهما: مثل صلصلة الجرس، وتمثل الملك رجلاً، ولم يذكر الرؤيا في النوم وهي من الوحي؛ لأن مقصود السائل بيان ما يختص به ﷺ ويخفى فلا يعرف إلا من جهته، وأما الرؤيا فمشتركة معروفة.

ب- من المعلوم أن القرآن الكريم -من أوله إلى آخره- أخذه النبي ﷺ من جبريل عليه السلام مشافهة في اليقظة، مع علم النبي ﷺ أن الذي يخاطبه بالوحي إنما هو جبريل عليه السلام، فجبريل عليه السلام واسطة بين الله ورسله في تبليغهم كلام الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

خلاصة الوحدة الثانية

- ١- حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أمور دينهم.
- ٢- شفقة الرسول ﷺ بأصحابه، وتعليمهم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم
- ٣- عظم ما تحمّله الرسول ﷺ من متاعب ومشقات في تلقى الوحي وتبليغه للناس، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

اختبار الوحدة الثانية

أولاً: الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- كيف يأتيك الوحي؟ المسئول عنه هنا صفة الوحي، قولاً واحداً.
- ٢- الصلصلة في الأصل هي: صوت وقع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين.

٣- لفظ: "يفصم": هو بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد قولاً واحداً.

٤- "يتفصد" بتشديد الصاد، من الفصد وهو قطع العرق لإسالة الدم.

٥- ذكر الحديث أربع صور من صور الوحي التي كان جبريل يأتي فيها النبي ﷺ.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- كيف يأتي الوحي؟ المسئول عنه هنا:

أ- صفة الوحي نفسه. ب- صفة حامل الوحي. ج- كلاهما محتمل.

٢- الصلصلة في الأصل هي:

أ- صورة وقع الحديد بعضه على بعض.

ب- صوت له طنين.

ج- كلاهما صواب.

٣- لفظ "يفصم":

أ- هو بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد.

ب- هو بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد.

ج- روايتان.

٤- ذكر الحديث:

أ- أربع صور من صور الوحي.

ب- ثلاث صور من صور الوحي.

ج- صورتين من صور الوحي.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

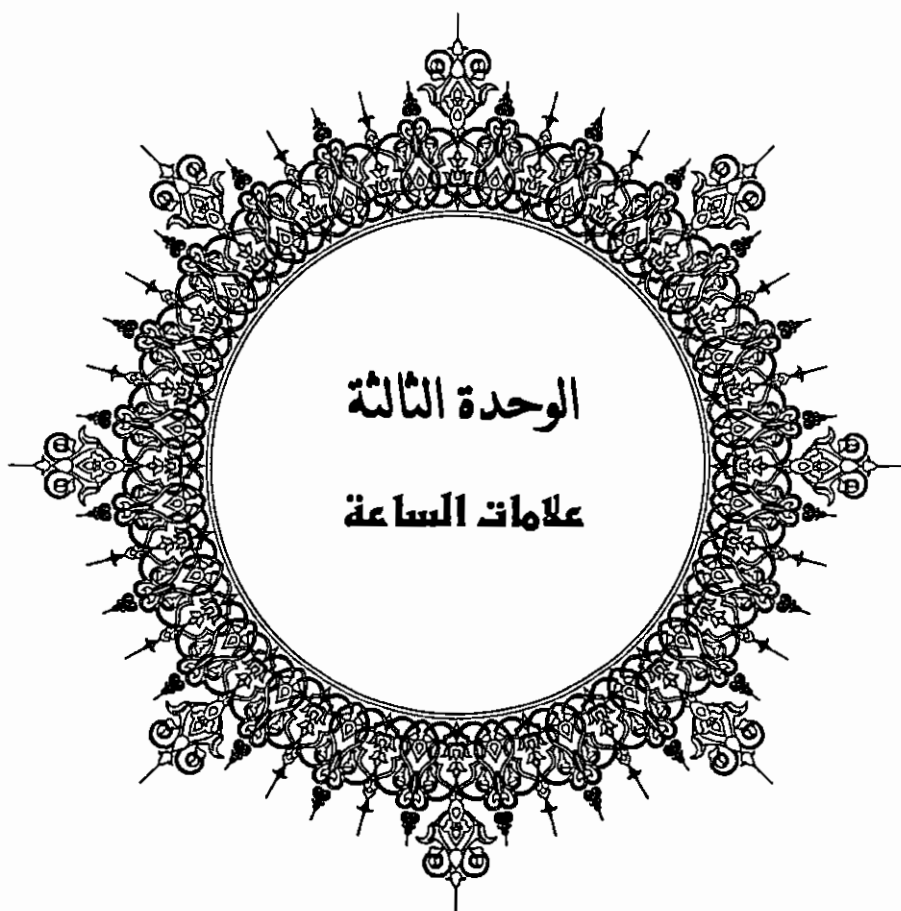
١- ذكر الحديث صورتين من صور بيان الوحي للنبي ﷺ اذكرهما، وبين هل هناك

صور أخرى للوحي؟ ولماذا لم يذكر النبي في الحديث إلا هاتين الصورتين.

٢- بين -في ضوء ما درست- مدى حرص الصحابة على تعلم دينهم.

٣- اذكر بعض المتاعب والمشقات التي تحملها النبي ﷺ في سبيل إبلاغ الناس دعوى الحق.

٤- لأم المؤمنين عائشة منزلة علمية عظيمة، ترجم لها -رضي الله عنها- ميئاً مكانتها من النبي ﷺ.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

١- تذكر بعض علامات الساعة الصغرى والكبرى.

٢- تبين: هل يجوز قطع الخطبة لسؤال السائل.

٣- توضّح طرفاً من الآداب التي ينبغي أن يتحلّى بها طالب العلم.

٤- تذكر بعض الأدلة على رفق النبي ﷺ بمن يعلمهم.

٥- تشرح كيفية مراعاة حال المتعلم أو السائل.

٦- تبين: كيف يتأدّب طالب العلم مع شيخه.

الوحدة الثالثة

علامات الساعة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِي فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَّرَهُ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ - أَرَاهُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: «إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»؛ قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»^(١).

ترجمة أبي هريرة رضي الله عنه

عبد الرحمن بن صخر الدؤسي

اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً وذلك يرجع إلى أنه عرف بكنيته، قيل: كان اسمه في الجاهلية عبد شمس بن صخر فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن، وكناه بأبي هريرة لمره كان يحملها في كفه.

أسلم أبو هريرة في أول سنة سبع عام خيبر وشهداها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضياً بشعب بطنه فكانت يده مع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدور معه حيث دار، فصحب أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين.

وكان من أحفظ الصحابة وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار لاشتغال المهاجرين بالتجارة والأنصار بحوائطهم^(٢) وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه حريص على العلم والحديث.

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه فأنم الحديث ثم أجاب السائل. (٢٣/١).

(٢) الحوائط: جمع حائط وهو البستان.

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ كما روى عن الصحابة فروى عن أبي بكر وعمر وعائشة، وغيرهم.

روى عنه من الصحابة ابن عمر وابن عباس وجابر وأنس... وغيرهم.
روى عنه من التابعين سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب... وغيرهم كثير، حتى قال الإمام البخاري: روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل ما بين صاحب وتابع.

أبو هريرة أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله ﷺ وأكثرهم حفظاً وإتقاناً.
أجمع أهل الحديث على أن أبا هريرة أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله ﷺ.
قال الذهبي: روى خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً اتفق البخاري ومسلم على ثلاثمائة وستة وعشرين حديثاً، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين حديثاً، ومسلم بمائة وتسعة وثمانين حديثاً^(١).

حفظه وإتقانه: إذا كان أبو هريرة قد تميز بكثرة الرواية فإنه تميز أيضاً بشدة الحفظ والإتقان فكان أحفظ من روى عن رسول الله ﷺ وشهد له بذلك الصحابة وغيرهم من الأئمة الكبار الذين سبوا حديثه ووقفوا من خلال الدراسة العملية لأحاديث أبي هريرة على درجة حفظه وإتقانه.

قال ابن عمر -رضي الله عنهما- لأبي هريرة: يا أبا هريرة أنت كنت ألزماً لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه^(٢).

قال الإمام الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره^(٣).

أسباب إكثار أبي هريرة من الرواية:

ومع أن أبا هريرة ﷺ أسلم في العام السابع من الهجرة إلا أنه أكثر الصحابة

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٦٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي هريرة، قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن" (٥/٦٨٤).

(٣) الرسالة للإمام الشافعي (ص ٢٨١).

رواية للحديث، وكان ذلك من الأسباب التي تعلق بها أعداء الإسلام وجعلوها سبباً للطعن في أبي هريرة واتهامه بالكذب على رسول الله ﷺ واختلاق الأحاديث.

فلقد قال المشككون في أبي هريرة ﷺ كيف يروي هذا الكم الهائل من الأحاديث وهو لم يصحب الرسول ﷺ إلا أربع سنوات؟ وإذا قيس ما رواه أبو هريرة في هذه الفترة بما رواه واحد من السابقين الأولين كأبي بكر الصديق ﷺ وقد صحب الرسول ﷺ من أول الأمر ولازمه في كل أحواله وأوقاته فلا نجد له من الرواية عَشْرَ ما رواه أبو هريرة.

ولا يخفى أن هؤلاء المشككين في أبي هريرة ليس قصدهم أبا هريرة في حد ذاته -فليس بينهم وبينه عداً شخصيٌ وليس الغرض من قولهم هذا إظهار الحق أو الغيرة على حديث رسول الله ﷺ- ولكن قصد هؤلاء من اتهام أبي هريرة بالكذب واختلاق الأحاديث -الطعن في السنة المطهرة والتشكيك فيها باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، والطعن في أئمة السنة والتشكيك في مصنفاتهم باعتبارهم خرّجوا لأبي هريرة أحاديث ولم يفتنوا إلى كذبه وافتراءه.

لذلك عمدوا إلى أبي هريرة ﷺ يشككون فيه على وجه الخصوص لأنه لا يوجد إمام من أئمة السنة إلا وخرج لأبي هريرة وعلى رأس هؤلاء المخرجين لأبي هريرة الشيخان البخاري ومسلم وبذلك يصلون إلى غرضهم من التشكيك في السنة المطهرة ليصلوا من وراء ذلك إلى تعطيل العمل بالقرآن الكريم وجعله كتاباً غير قابل للتطبيق وينحى من حياة المسلمين تماماً؛ وذلك لأن السنة المطهرة هي المبينة والشارحة للقرآن الكريم والمقيدة لمطلقه والمخصصة لعامه، فالسنة المطهرة تمثل المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم ولا يمكن أن يفهم القرآن الكريم أو يطبق إلا في ضوء السنة المطهرة فإله ﷻ وكل إلى رسوله ﷺ تبين القرآن الكريم وتبين القرآن الكريم ما هو إلا في السنة المطهرة.

قال الله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ولقد قام النبي ﷺ بهذه المهمة فيبين القرآن الكريم غاية البيان بأقواله وأفعاله وتقريراته وأقره الله ﷻ على هذا البيان فهو بيان حق وصدق.

ونأتى الآن للحديث عن أسباب إكثار أبي هريرة من الحديث.
أسباب إكثار أبي هريرة من رواية الحديث:

١- ملازمة أبي هريرة ﷺ لربي ﷺ في كل أحواله وتفرغه للرواية عنه فلم يشغل نفسه حتى بتحصيل قوته الضروري.

٢- حرص أبي هريرة ﷺ على حديثه ﷺ حتى شهد له النبي ﷺ بذلك.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْ أَوْلُ مِنْكَ، لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصاً مِنْ قَبْهِ أَوْ نَفْسِهِ»^(١).

٣- تعدد مصادر التحمل بالنسبة لأبي هريرة ﷺ؛ من المعلوم أن الصحابة ﷺ تحملوا الحديث عن نبيهم ﷺ كما تحملوا الحديث بعضهم عن بعض، غير أنه إن روى بعضهم عن بعض عن النبي ﷺ لا يذكرون الوسطة الذي حدثهم عن رسول الله ﷺ غالباً وهذا ما يسمى بمرسل الصحابي ومرسل الصحابي يجب العمل به فلا تضر الجهالة العينية بالنسبة للصحابة؛ لأن حالهم معروف فهم جميعاً عدول بتعديل الله ورسوله ﷺ لهم.

وأبو هريرة كغيره من الصحابة فكما تحمل الحديث عن النبي ﷺ تحمله عن كبار الصحابة، فلم يتحمل الحديث الذي حدث به عن النبي ﷺ فقط حتى يشنع

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث. (١/٣٥-٣٦).

به عليه ويُتهم بالكذب والتقوُّل على رسول الله ﷺ.

٤- تفرغ أبي هريرة للرواية والتحديث عن رسول الله ﷺ، فكما تفرغ أبو هريرة لتحمل والسماع من الرسول ﷺ وملازمته له مع شدة حرصه على سماع الحديث وحفظه من الرسول ﷺ ومن الصحابة الكرام فقد تفرغ بعد وفاة الرسول ﷺ للتحديث عنه ولتعليم الناس.

٥- كثرة تلاميذ أبي هريرة ؓ: لقد مكث أبو هريرة بالمدينة المنورة بعد وفاة النبي ﷺ ولم يخرج منها إلا فترة زمنية إلى البحرين ثم عاد ومكث بها إلى أن توفي وكانت المدينة المنورة من أكبر المراكز العلمية في العالم الإسلامي وكثر طلاب العلم بها فكثُر الآخذون عن أبي هريرة حتى قال الإمام البخاري: روى عنه أكثر من ثمانمائة من أهل العلم؛ وقام هذا العدد الكبير بدوره في تبليغ ما سمع من أبي هريرة إلى من بعدهم.

٦- الخوف من كتمان العلم: لقد توعد الله ﷻ من يكتم العلم ولا يبلغه للناس بالعذاب الأليم في الآخرة والإبعاد من رحمة الله في الدنيا ولخوف أبي هريرة من الدخول في هذا الوعيد الشديد قام بواجبه على خير وجه، فسد ثغراً من ثغور الإسلام، فلا غرابة أن يظلم ويعتدى عليه ويتهم بما هو منه بريء وهذا جزاء العاملين للإسلام في كل زمان ومكان.

ولقد اعتذر عن نفسه وبين سبب إكثاره من الرواية.

ولقد صح عنه أنه قال: وَاللَّهِ لَوْ لَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئاً أَبَداً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠] ^(١).

(١) أخرجه البخاري "جزء حديث"، كتاب العلم، باب حفظ العلم. (٤٠/١). وأخرجه مسلم، كتاب

الفضائل، باب فضل أبي هريرة، صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٥٣-٥٤).

٧- تأخر وفاة أبي هريرة ؓ: لقد توفي أبو هريرة في العام الثامن والخمسين من الهجرة وهذا يعني أنه عاش بعد وفاة النبي ﷺ ثمان وأربعين سنة تقريباً، وفي هذه الفترة الزمنية الطويلة احتاج الناس إلى علمه انذي تحمله عن النبي ﷺ وأصحابه.

٨- دعاء النبي ﷺ لأبي هريرة ؓ بالحفظ: لقد دعا الرسول ﷺ لأبي هريرة ؓ بأن يرزقه الله علماً لا ينسى، فاستجاب الله دعاء رسوله ﷺ.

- عن محمد بن قيس عن أبيه أنه أخبره أن رجلاً جاء زيد بن ثابت فسأله عن شيء فقال له زيد: عليك أبا هريرة؛ فإني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله تعالى ونذكر ربنا خرج علينا رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا فسكتنا فقال: «عودا للذي كنتم فيه» قال زيد: فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة ؓ وجعل رسول الله ﷺ يؤمن على دعائنا قل: ثم دعا أبو هريرة ؓ فقال: اللهم إني أسألك مثل ما سألك صاحباي هذان، وأسألك علماً لا ينسى؛ فقال رسول الله ﷺ: «آمين» فقلنا يا رسول الله، ونحن نسأل علماً لا ينسى فقال: «سبقكم بها الغلام الدوسي»^(١).

٩- قصة الرداء: لقد شكى أبو هريرة إلى النبي ﷺ سوء حفظه وأن الحديث يتفلت منه، فأمره الرسول ﷺ أن يسط ردائه ثم غرف فيه يديه الشريفتين ثم أمره بضمه فضمه فما نسي شيئاً بعد ذلك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أُنْسَاهُ، قَالَ: «ابْسُطْ رِدَاءَكَ» فَسَطَّهْ، قَالَ: فَعَرَفَ بِيَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ «ضُمَّهُ» فَضَمَّمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ^(٢).

(١) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب العلم، باب علم لا ينسى. (٤٤٠/٣). قال ابن حجر: "سده جيد"، الإصابة. (٢٠٨/٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم. (٤١-٤٠/١). فتح الباري. (٢٦٠/١). تراجع ترجمة أبي هريرة، سير أعلام النبلاء، (٥٧٨-٦٣٢). الاستيعاب لابن عبد البر، بهامش الإصابة. (٢١٠-٢٠٢/٤). الإصابة في تمييز الصحابة. (٢١١-٢٠٢/٤).

قال الحافظ ابن حجر: "وفي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لأبي هريرة ومعجزة واضحة من علامات النبوة؛ لأن النسيان من لوازم الإنسان، وقد اعترف أبو هريرة بأنه كان يُكثر منه ثم تخلف عنه ببركة النبي ﷺ" (١).

توفي أبو هريرة رضي الله عنه في العام الثامن والخمسين من الهجرة المباركة.

المباحث اللغوية:

قوله: (بينما) بينا وبينما ظرفا زمان يضافان إلى الجمل الاسمية والفعلية، وهما في الأصل (بين) التي هي ظرف مكان، استعيرت هنا للزمان وأُشبعَت فيه الحركة فصارت بينا، وزيدت عليها الميم فصارت بينما.

قوله: (جاء أعرابي) اسم هذا الأعرابي غير معروف.

قوله: (فمضى رسول الله ﷺ يحدث)، أي: استمر النبي ﷺ في حديثه ولم يتوقف من أجل سؤال الأعرابي.

قوله: (فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع) إنما حصل لهم التردد في ذلك لما ظهر من عدم التفات النبي ﷺ إلى سؤاله وإصغائه نحوه، ولأنه ﷺ كان يكره السؤال عن وقت قيام الساعة، ولكن النبي ﷺ أخر جواب السائل ليكمل الحديث الذي كان مشغولاً به.

قوله: (أين أراه السائل) (أراه) بضم الهمزة، أي: أظنه، و(أراه) بفتح الهمزة، أي: أعلمه.

فـ (أراه) بضم الهمزة، أي: أظنه - والشك من محمد بن فليح أحد رواة الإسناد - ورواه الحسن بن سفيان، وغيره، عن عثمان بن شيبة عن يونس بن محمد عن فليح، ولفظه (أين السائل) ولم يشك.

قوله: (إذا وسد الأمر إلى غير أهله)، أي: أسند الأمر إلى غير أهله، ولفظ

(١) فتح الباري. (١/٢٦٠).

حديث (محمد بن سنان) في كتاب الرقاق (إذا أسند).

وأصل كلمة: (وُسَد) من الوسادة، وكان من شأن الأمير عندهم إذا جلس أن تتنّى تحته وسادة.

قوله: (وسد الأمر إلى غير أهله)، أي: جعل له غير أهله وسادًا، فتكون (إلى) بمعنى (اللام)، أي: (إذا وسد الأمر لغير أهله) وأتى بها (أي: بـ) إلى ليدل على تضمين معنى أسند.

والمراد من (الأمر) في الحديث: جنس الأمور التي تتعلق بالدين كالخلافة والإمارة والقضاء والإفتاء، وغير ذلك.

والمراد بقوله في الحديث: (إذا وسد الأمر إلى غير أهله)، وقوله في كتاب الرقاق: (إذا أسند الأمر إلى غير أهله): أن الأئمة قد ائتمنهم الله تعالى على عباده، وفرض عليهم النصيحة لهم فينبغي لهم تولية أهل الدين، فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التي قلدتهم الله تعالى إياها.

المعنى العام للحديث:

كثر سؤال الصحابة رضي الله عنهم عن وقت قيام الساعة لشفتهم على أنفسهم وخوفهم أن تدركهم الساعة أحياء، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما ورد الزجر عن السؤال عن وقت قيام الساعة؛ لأنه مما استأثر الله تعالى بعلمه، كما أنه لا يترتب على معرفة ذلك عمل، فالخوض فيه باطل وإضاعة للوقت.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا

يُذَرِّبُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا» [الأحزاب: ٦٣]؛ وغير ذلك من الآيات.

وقد استأثر الله تعالى بعلم وقت قيام الساعة، فلم يَطْلُعْ عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب، كما جاء ذلك في حديث جبريل عليه السلام، فحين سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن وقت قيام الساعة قال النبي ﷺ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، أي لا علم لي ولا لك ولا لأحد بوقت قيام الساعة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

فينبغي ألا يشغل المسلم نفسه بالسؤال عن وقت قيام الساعة، لأن هذا علم لا يترتب عليه عمل، ولكن ينبغي أن يشغل نفسه بالعمل والاستعداد ليوم القيامة، لينجو من خزي الدنيا وعذاب الله تعالى، ويحظى برضا الله تعالى، والسعادة الأبدية في ضيافة الرحمن الرحيم.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا» قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا إِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؛ فَقَالَ: «أَلَتِ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ؟» قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَلَتِ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ؟» قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ يَحْيَىٰ إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ^(١).

وقد جاءت بعض علامات الساعة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فبعثته ﷺ من علامات الساعة، لأنه خاتم المرسلين فلا نبي بعده الذي أكمل الله به الدين، وأتمته ﷺ هي آخر الأمم.

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، (٥١/٧-٥٢).

وأخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، صحيح مسلم بشرح النووي. (١٨٧/١٦).

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [عمد: ١٨].

وقد قسم العلماء علامات الساعة إلى قسمين:

أ- العلامات الكبرى. ب- العلامات الصغرى.

وفي هذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، ذكر الرسول ﷺ من علامات الساعة إسناد الأمر إلى غير أهله، والأمر إذا أسند القيام به إلى غير أهله الذين لا يستطيعون القيام به لقلة دينهم وقلة علمهم وخبرتهم، فإن ذلك يؤدي إلى الظلم وضياح الحقوق؛ لأن هذا الصنف من الناس لا يتقي الله تعالى في عمله، ولا يعبأ بما ينتج عن تقصيره أو جهله هو أو غيره؛ لأنه لقلة دينه لا يراقب الله ﷻ، ولا يخشى عقابه أو حسابه في الآخرة. وليس له ولاء أو انتماء، فهو يعيش لنفسه فقط، وهو في نفس الوقت عديم الخبرة والعلم، يبغض العلماء وأصحاب الخبرة الذين إن قرعهم أو أسند إليهم أمراً فقاموا به كما ينبغي أظهروا تقصيره هو وحاشيته، فالولاء له مقدم عنده على الخبرة، ولتذهب الدنيا كلها إلى الجحيم، وليبقى هو الحاكم بأمره حتى ولو خربت الدنيا.

فقه الحديث:

اشتمل حديث أبي هريرة على عدة مسائل:

١- علامات الساعة.

٢- هل تقطع الخطبة لسؤال السائل؟

٣- بعض آداب طالب العلم.

أ- أما عن علامات الساعة، فقد ورد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة علامات للساعة، وهي في مجموعها تدل على أن الأوضاع قبل قيام الساعة ستضطرب اضطراباً شديداً، وأن الأوضاع ستقلب رأساً على عقب، ويبدأ ذلك بفساد الأخلاق، وانحراف الناس عن منهج الله تعالى، وتفريطهم في دينهم. ثم يضطرب نظام الكون بعد ذلك، فبدل أن تطلع الشمس من المشرق تطلع من المغرب... إلى غير ذلك.

وقد قسم العلماء علامات الساعة إلى قسمين:

أولاً: العلامات الصغرى.

ثانياً: العلامات الكبرى.

أولاً: العلامات الصغرى، ومنها: كثرة عقوق الآباء والأمهات - امتلاك أهل الفاقة للدنيا وسيطرتهم على رؤوس الأموال - كثرة الزنا - كثرة شرب الخمر - رفع العلم وظهور الجهل فيؤدي ذلك إلى تسويد الجهلة الذين لا دين لهم ولا أخلاق، وسيطرتهم على أمور الناس يوجهون الناس كيفما شاءوا، فيقودونهم إلى التهلكة، وتخرب الدنيا على أيديهم - كما في هذا الحديث.

ثانياً: العلامات الكبرى: ظهور الدجال - نزول عيسى بن مريم عليه السلام - خروج

يأجوج ومأجوج - خروج الدابة - طلوع الشمس من مغربها... إلى غير ذلك.

ب- أما عن قطع الخطبة لسؤال السائل، فقد اختلف العلماء في هذه

المسألة على النحو التالي:

١- مذهب الجمهور: ذهب جمهور العلماء إلى التفصيل في هذه المسألة،

فقالوا: إن وقع السؤال في أثناء واجبات الخطبة أحر الجواب، وإن وقع السؤال

في غير واجبات الخطبة لم يؤخر الجواب.

٢- ذهب الإمام مالك وأحمد وغيرهما إلى أنه لا تقطع الخطبة لسؤال السائل، وإذا فرغ الخطيب من خطبته أجاب السائل، واستدل هؤلاء بحديث الباب.

٣- ذهب الحافظ ابن حجر إلى التفصيل في هذه المسألة، فقال: "والأولى حينئذ التفصيل، فإن كان السؤال مما يهتم به في أمر الدين - ولا سيما إن اختص بالسائل - فيستحب إجابته، ثم يتم الخطبة، وكذا بين الخطبة والصلاة؛ وإن كان السؤال بخلاف ذلك كأن يكون السؤال من الأمور التي ليست معرفتها على الفور مهمة فيؤخر، كما في هذا الحديث، ولا سيما إن كان ترك السؤال عن ذلك أولى؛ وإذا وقع السؤال في أثناء الواجب، وكان يقتضي تقديم الجواب، قدم الجواب، لكن إذا أجاب استأنف الخطبة على الأصح^(١).

وهذا الخلاف أُخذ من اختلاف الأحاديث الواردة في ذلك.

ج- بعض آداب طالب العلم، ينبغي أن يتأدب طالب العلم بآداب مجلس العلم، ومن الآداب التي ينبغي أن تراعى: ألا يتكلم إذا كان غيره يتكلم - لا سيما إذا كان المتكلم هو الشيخ، فإذا فرغ الشيخ من حديثه استأذنه، فإن أذن له سأل، وهذا أدب إسلامي عظيم، ينبغي أن يراعى في كل مجلس.

خلاصة الوحدة الثالثة

- ١- رفق النبي ﷺ بمن يعلمهم، وذلك أن النبي ﷺ ترك زجر السائل أثناء حديثه.
- ٢- مراعاة حال المتعلم أو السائل، فإن تجاوز آداب مجلس العلم، أدب بما يتناسب مع حاله، يؤخذ ذلك من أن النبي ﷺ ترك زجر السائل، واكفى بالإعراض عنه حتى استوفى حديثه، ثم عاد إلى جواب السائل.
- ٣- العناية بجواب سؤال السائل، ولو لم يكن السؤال متعيناً، ولا الجواب.
- ٤- ينبغي أن يتأدب الطالب مع شيخه، فلا يسأله وهو مشغول بالدرس، أو بغيره من الطلاب، بل ينبغي أن ينصت حتى يفرغ المتحدث من حديثه.
- ٥- مراجعة الطالب لشيخه إذا لم يفهم الجواب حتى يتضح له الأمر.
- ٦- مراعاة مدى حاجة السائل إلى الجواب.
- ٧- إسناد الأمر إلى غير أهله غير القادرين على القيام به من علامات الساعة، وإنما يكون ذلك عند غلبة الجهل ورفع العلم وتقريب من لا أخلاق لهم.

اختبار الوحدة الثالثة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- كان أبو هريرة راوي الحديث أكثر الصحابة رواية.
- ٢- أسلم أبو هريرة في العام الثاني من الهجرة.
- ٣- جاء لفظ: "أراه" في الحديث بضم الهمزة وفتحها.
- ٤- المراد من الأمر في الحديث: حنس الأمور التي تتعلق بالدين كالخلافة والإمارة والقضاء... وغير ذلك.
- ٥- ظهور الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الصغرى.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- كان أبو هريرة رضي الله عنه:

أ- من أقل الصحابة رواية. ب- من متوسطيهم رواية.

ج- أكثر الصحابة رواية على الإطلاق.

٢- جاء لفظ "أراه":

أ- بضم الهمزة. ب- بفتح الهمزة.

ج- بكليهما والشك من الراوي.

٣- المراد من الأمر في الحديث:

أ- الخلافة. ب- الإمارة.

ج- القضاء. د- الإفتاء. هـ- جميع ما سبق.

٤- قطع الخطبة لسؤال السائل:

أ- لا يجوز قولاً واحداً. ب- في المسألة خلاف وتفصيل.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- اذكر الأسباب التي دفعت المشككين إلى اتهام أبي هريرة بالكذب واختلاق الأحاديث.

٢- اذكر الأسباب التي جعلت أبا هريرة أكثر الصحابة رواية.

٣- اذكر بعض علامات الساعة لصغرى وبعض علاماتها الكبرى.

٤- بين - في ضوء ما درست في الحديث - هل يجوز قطع الخطبة لسؤال السائل؟

٥- اذكر بعض الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تعرّف بعبد الله بن عمر راوي الحديث وتذكر طرفاً من سيرته وأخلاقه.
- ٢- تعرف الحياء لغةً وشرعاً.
- ٣- تبين لماذا شبه النبي المؤمن بالنخلة وتذكر بعض أوجه الشبه.
- ٤- توضح جواز امتحان العالم أذهان طلاب بما يخفى عليهم، وبيانه لهم إذا لم يفهموه.
- ٥- تدلّ على أهمية الحث على العلم في العلم.
- ٦- تؤكد على فضيلة الحياء ما لم تؤد إلى تفويت مصلحة.
- ٧- تذكر أهمية ضرب الأمثال والأشياء لزيادة الإفهام وتصوير المعاني.
- ٨- تشرح أن التشبيه لا يلزم منه مطابقة المشبه من جميع الوجوه.
- ٩- تبين أن العمل قد يخفى على الكبير ويفطن إليه الصغير.
- ١٠- تعرف بركة النخل وما يثمره.
- ١١- تحدد أهمية توقير الكبير وتقديم الصغير إياه عند الحديث.
- ١٢- تبين أن خير المؤمن لا ينقطع، بل يتعداه إلى غيره.

الوحدة الرابعة

المسلم دائم النفع

عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدَّثُونِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبُؤَادِي؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»^(١).

ترجمة عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما.

أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه قبل أن يحتلم واستصغره النبي ﷺ يوم أحد فردّه، وأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، قدم الشام والعراق والبصرة وفارس غازياً في سبيل الله تعالى، وتميّز بحسن الخلق، وكان لا يساوم على دينه بالدنيا الإمام القدوة، شيخ الإسلام، العابد، الزاهد، التقى، النقي، الورع.

قال طاوس: ما رأيت أورع من ابن عمر.

كان من أشد الناس اقتداء برسول الله ﷺ واتباعاً للأثر، وكان يحاكي النبي ﷺ في كل كبيرة وصغيرة.

قالت عائشة -رضي الله عنها-: ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من ابن عمر. كان معروفاً بالسخاء والكرم، وكان إذا أحب شيئاً تصدق به عملاً بقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]. اعتزل الفتنة، وطلب للخلافة فأبى راجياً الجنة وحقناً لدماء المسلمين

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب قول المحدث: "حدثنا" أو "أخبرنا". (٢٣/١). وأخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب المؤمن مثل النخلة، صحيح مسلم بشرح النووي. (١٥٣/١٧).

وهو من المكثرين من الفتيا والرواية، له في مسند "بقي بن مخلد" ألفان وستمئة وثلاثون حديثاً بالمكرر، واتفق البخاري ومسلم له على مائة وثمانية وستين حديثاً، وانفرد له البخاري بواحد وثمانين حديثاً، ومسلم بواحد وثلاثين حديثاً. عدله النبي ﷺ، وزكاه، وشهد له بالصلاح والاستقامة. عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أُخْتِهِ حَفْصَةَ أَنَّ لِنَبِيِّ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ»^(١). توفي ابن عمر سنة ثلاث وسبعين، أو أربع وسبعين، وقد جاوز الثمانين سنة. المباحث اللغوية:

قوله: (فوقع الناس) أي ذهبت أفكارهم في أشجار البادية، فجعل كل منهم يفسرها بنوع من الأنواع، وذهلوا عن النخلة. وإنما ذهبت أفكارهم إلى أشجار البادية، ولم تذهب إلى أشجار الحضر؛ لأن الأشجار التي تزرع في البادية إنما تكون أشجاراً مثمرة منتجة، أما الأشجار التي تزرع في الحضر فتكون للزينة غالباً. قوله: (قال عبد الله) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما. قوله: (ووقع في نفسي أنها النخلة) وإنما وقع في نفس ابن عمر أنها النخلة من أجل الجمار الذي كان يأكله النبي ﷺ -كما سيأتي. قوله: (فاستحييت)، أي: منعه الحياء من أن يقول ما وقع في نفسه؛ لأنه كان محضر كبار الصحابة: كأبي بكر وعمر وغيرهما، وكان ابن عمر أحدثهم سناً. والحياء لغة: تغير وانكسار يعتري الشخص من خوف ما يعاب به، وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب، والترك إنما هو من لوازمه. وشرعاً: خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. المعنى العام للحديث:

من وسائل التعليم التي اتبعها الرسول ﷺ في تعليم أصحابه، إلقاء السؤال

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- فتح الباري. (١١٣/٧).

على الحضور؛ لينشط أذهانهم ويجعلهم يفكرون للسؤال عن جواب، وحتى إذا لم يوفقوا إلى جواب سديد، فإذا أجاب النبي ﷺ على السؤال تمكن الجواب من نفوسهم أيما تمكن، ويكون الجواب عن السؤال بعيداً عن التفات والنسيان شأن كل شيء يبذل فيه الإنسان جهداً ووقتاً، ولا يلقي الكلام على أصحابه فيستمعون إليه دون إعمال لأفكارهم، فإن ما يحصله المرء بسهولة ويسر يتفوت منه، ويكون قريباً من النسيان.

بل قد لا يلتفت المرء إلى ما يسمع، ولا يفتن إليه أصلاً، وهذا ما تميز به أسلوب النبي ﷺ في تعليم أصحابه وتربيتهم.

وهذا الحديث واحد من الأحاديث التي تبين كيف كان النبي ﷺ يعلم أصحابه، ويسيطر على أفكارهم، ويجذب انتباههم، حتى لا يتفوت ما يقوله ﷺ ويستقر في أذهانهم.

وهذه أحدث طرق التعليم التي توصل إليها العلم الحديث، فلا يلقي المعلم الدرس على طلابه وهم في غفلة عما يقول، بل لابد من أن ينشط أذهانهم بعرض المسألة في صورة سؤال وينتظر جوابهم، فإن وفقوا وإلا أجاب.

فقه الحديث:

في هذا الحديث شبه الرسول ﷺ النخلة بالمسلم؛ لأنها كثيرة النفع، وخيرها لا ينقطع، وكذلك المسلم نافع لنفسه، نافع لغيره، وخيره لا ينقطع، فهو مستمر في حياته وبعد موته.

وجه الشبه بين النخلة والمسلم: لقد شبه النبي ﷺ النخلة بالمسلم؛ وذلك لعموم النفع في كل أحوالها، وإن كانت المنفعة في المسلم أعظم وأتم، وذلك أن بركة النخلة موجودة في جميع أجزائها مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيسر تؤكل ثمارها بلحاً ورطباً وتمرّاً، كما يؤكل جمارها وطلعها، كما يتداوى بذلك كله أيضاً.

وينتفع بالنوى في علف الدواب، واستخراج الزيت منه، وينتفع بالليف في صناعة الحبال، وينتفع بورقها وبجريدتها في صناعات متعددة، ولا يسقط لها ورق

طوال العام، وإذا قطعت انتفع بساقها في البناء، وغير ذلك.

وبركة المسلم عامة في جميع الأحوال والأوقات، فهو نافع لنفسه يؤدي الواجبات الشرعية على أكمل وجه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، تاركاً المعاصي والمحرمات جملة وتفصيلاً؛ ليقينه أن صلاحه في الدنيا وفوزه في الآخرة مرتبط بالتزام المنهج الإسلامي في خاصة نفسه، وهو في نفس الوقت نافع لغيره، فهو بار بأبويه، واصل لرحمه، محسن إلى جيرانه، عطوف شفوق بأهله وأبنائه، ناصح لإخوانه، أمر بالمعروف، ناه عن المنكر، لا يرضى السلبية ولا يقر الانعزالية، يصدق إذا حدث، ويفي إذا وعد، أمين إذا ائتمن، مخلص في عمله، قدوته في ذلك رسول الله ﷺ، يرجو من وراء أعماله الظاهرة والباطنة رضا الله تعالى والجنة، لا يستعلي على الناس بأعماله، ولا يحب أن يحمد عندهم، بل هو مبالغ في ستر أعماله الصالحة رجاء أن يتقبلها الله منه ويثيبه عليها، ويمتد نفعه بعد موته، فلا تنقطع أعماله بموته لما ترك من علم نافع، أو صدقة جارية، أو تربية نافعة للآخرين، فيستمر أجره ما بقي عمله بعده.

الذي جعل ابن عمر -رضي الله عنهما- يفتن إلى الجواب -بعد توفيق الله تعالى- هي قرينة الحال، فإن النبي ﷺ وجه السؤال إلى الصحابة وهو يأكل الجمار، ففتن ابن عمر -رضي الله عنهما- إلى أن المسئول عنه هي النخلة.
عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: "كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَانِي بِجُمَارٍ، فَقَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا كَمَثَلِ الْمُسْلِمِ»؛ فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ»^(١).

وهذا منه ﷺ لا يدخل في باب الأغلوطات (وهي صعب المسائل) المنهي عنها؛ لأن الأغلوطات تحمل على ما لا نفع فيه، أو ما خرج على سبيل تعجيز وتعنيت المسئول.

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الفهم في العلم، (٢٨/١).

خلاصة الوحدة الرابعة

- ١- امتحان العالم أذهان الطلاب بما يخفى، مع بيانه لهم إن لم يفهموه.
- ٢- التحريض على الفهم في العلم.
- ٣- استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة، ولهذا تبنى عمر رضي الله عنه أن يكون ابنه لم يسكت؛ لأنه بسكاته فوت على نفسه معرفة النبي صلى الله عليه وسلم لقدره وتقريبه منه، كما فوت على نفسه دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له لو أجاب.
- ٤- ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتجديد الفكر في النظر في حكم الحادثة.
- ٥- التشبيه لا يلزم منه أن يكون المشبه مثل المشبه به من جميع الوجوه، فوجه الشبه دائماً في المشبه به أوضح وأتم منه في المشبه، فالمؤمن لا يماثله شيء من الجمادات ولا يعادله.
- ٦- قد يخفي العلم على العالم الكبير ويفطن إليه الصغير؛ لأن العلم مواهب، وفضل الله يؤتیه من يشاء.
- ٧- توقير الكبير وتقدم الصغير إياه في القول، وأنه لا يبادره بما فهمه وإن ظن أنه الصواب، لكن إذا لم يعرف الكبار المسألة، فينبغي للصغير الذي يعرفها أن يقولها.
- ٨- الخواطر التي تقع في القلب من محبة الثناء على أعمال الخير لا يقدح فيها إذا كان أصلها لله تعالى، فلعل عمر رضي الله عنه أراد بما قال ليس المباهاة والعُجب بابنه، ولكنه أراد أن يزداد ابنه من النبي صلى الله عليه وسلم قرباً فيدعو له بالزيادة في الفهم، والله أعلم بمراد عمر.
- ٩- ينبغي أن يفطن الملغز له إلى قرائن الأحوال الواقعة عند السؤال، كما فعل ابن عمر، فإنه فطن إلى الجواب؛ لأنه رأي النبي صلى الله عليه وسلم يأكل الجمار.
- ١٠- ينبغي أن لا يبالغ الملغز في التعمية، بحيث لا يجعل للملغز له باباً يدخل منه، بل كلما قرب به كان أوقع في نفس سامعه.
- ١١- المسلم خير لا ينقطع، ونفعه متعدّد إلى غيره.
- ١٢- في الحديث دليل على بركة النخل وما تثمره.

اختبار الوحدة الرابعة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (x) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:

- ١- قال النبي ﷺ لحفصة: "إن عبد الله رجل صالح" وهو يقصد بذلك عبد الله بن عمر.
- ٢- لعبد الله بن عمر في مسند: "بقي بن مخلد" ألف وستمئة وثلاثون حديثاً بالمكرر.
- ٣- الحياء لغة: تغير وانكسار يعتري الشخص من خوف ما يعاب به.
- ٤- الحياء شرعاً: خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.
- ٥- توفي عبد الله بن عمر سنة ثلاث وتسعين أو أربع وتسعين هجرية.
- ٦- توفي عبد الله بن عمر سنة ثلاث وسعين أو أربع وسعين، وقد جاوز الثمانين سنة.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- قصد النبي ﷺ بقوله: "إن عبد الله رجل صالح":

- أ- عبد الله بن عباس.
 - ب- عبد الله بن عمر.
 - ج- عبد الله بن عمرو بن العاص.
- ٢- لعبد الله بن عمر في مسند "بقي بن مخلد":
- أ- ألف وسبعمائة حديث.
 - ب- ألفان وأربعمائة حديث.
 - ج- ألفان وستمئة وثلاثون حديثاً بالمكرر.

٣- اتفق البخاري ومسلم لعبد الله بن عمر على:

- أ- مائة وثمانية وستين حديثاً.

ب- مائة وعشرين حديثاً.

ج- واحد وثمانين حديثاً.

٤- انفرد البخاري لعبد الله بن عمر برواية:

أ- واحد وثلاثين حديثاً.

ب- واحد وثمانين حديثاً.

ج- مائة وعشرين حديثاً.

٥- انفرد مسلم لعبد الله بن عمر برواية:

أ- واحد وثلاثين حديثاً.

ب- واحد وثمانين حديثاً.

ج- مائة وثلاثين حديثاً.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- ترجم لعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه راوي الحديث مبيناً منزلته العلمية.

٢- "من وسائل التعليم التي اتبعها النبي ﷺ إلقاء السؤال على الحضور لتنشيط أذهانهم" اشرح هذا المعنى في ضوء دراستك للحديث.

٣- شبه الرسول ﷺ المسلم بالنخلة؛ لأنها كثيرة النفع. اذكر أوجه الشبه بين المسلم والنخلة كما فهمت من شرح الحديث.

٤- يستحب الحياء ما لم يؤدّ إلى تفويت مصلحة. اشرح هذا المعنى في ضوء تمسّي عمر أن يكون ابنه لم يسكت عن الجواب، مبيناً كيف يكون الحياء واجباً، ومباحاً، وحراماً، ومكروهاً، ومستحباً.

٥- قد يخفى العلم عن العالم الكبير ويفطن إليه الصغير؛ لأن العلم مواهب يمنّ الله بها على من يشاء. اشرح في ضوء فهمك للحديث.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادراً على أن:

- ١- تبين كيفية الجلوس في حلق العلم في المسجد وغيره.
- ٢- تذكر فضل ملازمة حلق العلم والذكر.
- ٣- توضح أن من جلس مجلس علم فهو في حفظ الله تعالى.
- ٤- تشرح أن من سبق إلى موضع من حلق العلم فهو أحق به.
- ٥- تسد الخلل في حلق العلم حين حضورك إياها.
- ٦- تجلس حيث انتهى بك المجلس ولا تُقيم أحدًا من مكانه.
- ٧- تبين جواز نسبة السيئات إلى أصحابها إن استعلنوا بها.
- ٨- تؤكد على جواز الإخبار عن أهل المعاصي وأحوالهم زجرًا لهم.
- ٩- توضح أن من يعرض عن مجالس العلم -لغير ضرورة- يعرض الله عنه.

الوحدة الخامسة

يعطى العبد من جنس عمله ومما في قلبه

عَنْ أَبِي وَقَدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةَ فِي الْحَلَقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَذْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ، أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ»^(١).

ترجمة أبي وقاد الليثي رضي الله عنه

أبو وقاد الليثي، صاحب النبي ﷺ، سماه البخاري وغيره: الحارث بن عوف، شهد بدرًا، وشهد فتح مكة، وسكن مكة.
روى عن أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- وغيرهما، وروى عنه عطاء بن يسار، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، خرَّج له أصحاب الكتب الستة.
توفي سنة خمس وستين، عن خمس وسبعين سنة، وقيل عن ثمانين سنة.
المباحث اللغوية:

قوله: (بينما) بينا وبينما ظرفا زمان يضافان إلى الجمل الاسمية والفعلية، وهما في الأصل (بين) التي هي ظرف مكان، استعيرت هنا للزمان وأشبعت فيه الحركة فصارت بينا، وزيدت عليها الميم فصارت بينما.

قوله: (نفر) نفر اسم جمع لا واحد له من لفظه، ويطلق على العدد من ثلاثة إلى عشرة، ومنهم من خصه بالرجال دون النساء، والمعنى ثلاثة هم نفر،

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، (٢٦/١). وأخرجه مسلم، كتاب السلام، باب الجلوس في المجلس، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٥٨-١٥٧/١٤).

ومنهم من قال: النفر يطلق على العدد من الثلاثة إلى التسعة.

(الرهط) اسم جمع لا واحد له من لفظه، ويطلق على العدد ما دون العشرة، وقيل إلى الأربعين، ولا تكون فيهم امرأة، وقيل: يطلق على العدد من ثلاثة إلى تسعة، وقيل: من الثلاثة إلى العشرة.

قوله: (فلما فرغ رسول الله ﷺ)، أي فلما فرغ رسول الله ﷺ عما كان مشغولاً به من الخطبة أو تعليم العلم.

قوله: (ألا أخبركم)، (ألا) حرف تنبيه سواء كان المخاطب به مفرداً أو مثني أو جمعاً، ويحتمل أن تكون (الهمزة) للاستفهام و(لا) للنفي، وفي الكلام حذف كأنهم قالوا: أخبرنا.

قوله: (فرجة) الفرجة - بضم الفاء وفتحها - الخلل بين الشيتين.

قوله: (الحلقة) - بإسكان اللام - كل شيء مستدير خالي الوسط.

قوله: (أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله) المراد بـ (فأوى إلى الله) لجأ إلى الله تعالى، أو على الحذف أي انضم إلى مجلس رسول الله ﷺ؛ والمراد بـ (فأواه الله) أي جازاه بنظير فعله بأن ضمه إلى رحمته ورضوانه، وهذا من باب المشاكلة.

قوله: (وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه) المراد بالآخر هو الثاني، والمراد

بـ (فاستحيا)، أي: ترك المزاحمة - كما فعل رفيقه - حياء من النبي ﷺ وممن حضر، أو أنه استحيا من الذهاب وترك مجلس الرسول ﷺ كما فعل رفيقه الثالث - كما جاء ذلك في حديث أنس رضي الله عنه؛ والمراد بـ (فاستحيا الله منه) لازم الاستحياء، أي: رحمه الله ولم يعاقبه.

قوله: (فأعرض الله عنه) المراد لازم الإعراض، أي: سخط الله عليه ولم

يرحمه، وهذا محمول على من ذهب معرضاً لا لعذر، هذا إن كان مسلماً، ويحتمل أن يكون هذا الثالث كان منافقاً، واطلع النبي ﷺ على أمره، ويحتمل أن يكون

قوله ﷺ: «فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ» إخباراً أو دعاء، وحديث أنس يرجح أن المراد به الإخبار، وفيه قوله: «فاستغنى فاستغنى الله عنه».

تعريف الحياء لغة: تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به.

تعريف الحياء شرعاً: خُلِقَ يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

المعنى العام للحديث:

من تمام عدل الله تعالى أنه يعطي العبد من جنس عمله ومما في قلبه، فمن أقبل على الله تعالى بطاعته معترفاً أن صلاحه في الدنيا وفلاحه في الآخرة متوقف على استمساكه بدينه وتحويله الإسلام من منهج نظري إلى منهج عملي، أقبل الله عليه، ورحمه، وأعاناه على طاعته، وكره إليه المعاصي والمحرمات، وذلك أنه في معية الله تعالى وحفظه.

قال الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

ومن أعرض عن الله تعالى مستغنياً عنه، فإن الله تعالى يكله إلى نفسه وإلى الشياطين تتخطفه من كل ناحية.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠].

وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تعد المقبلين على الله بالتوفيق والسداد، وتتوعد المعرضين عنه بالخزي العظيم في الدنيا والآخرة.

والحديث الذي نحن بصدد دراسته، واحد من هذه النصوص التي تبين أن الجزاء من جنس العمل، وأن الله يعطي العبد من جنس ما في قلبه.

فلما أقبل الأول على مجلس رسول الله ﷺ كان جزاءه أن آواه الله تعالى ورحمه، وأما الثاني فلما استحيا أن ينصرف عن مجلس رسول الله ﷺ رحمه الله تعالى ولم يعاقبه، وأما الثالث لما أعرض عن مجلس رسول الله ﷺ ولم يستمع من رسول الله ﷺ كان جزاءه أن أعرض الله عنه وسخط عليه.

وهكذا يكون الجزاء من جنس العمل، وهو الجزاء العادل.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

نسأل الله تعالى أن يعاملنا بلطفه ورحمته، إنه أرحم الراحمين.

فقه الحديث:

قوله: (إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد) هما إقبالان: الإقبال الأول إقبال من الطريق إلى المسجد، وكان المقبلون من الطريق إلى المسجد ثلاثة. الإقبال الثاني إقبال على رسول الله ﷺ، وكان المقبلون على رسول الله ﷺ اثنين.

ويكون المعنى: أقبل الثلاثة نفر من الطريق، فدخلوا المسجد مارّين، وأقبل اثنان على رسول الله ﷺ، كما في حديث أنس: " فإذا ثلاثة نفر يمرون، فلما رأوا مجلس النبي ﷺ أقبل إليه اثنان منهم واستمر الثالث ذاهباً" (١).

قوله: (فوقفا على رسول الله ﷺ)، أي: وقفا على مجلس رسول الله ﷺ، والمراد من وقوفهما عليه إشرافهما عليه ﷺ وهو جالس بين أصحابه، أو أن (على) بمعنى (عند)، أي: وقفا عند مجلس رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه الحاكم "جزء حديث"، كتاب التوبة والإقامة، باب حكاية ثلاثة نفر حضروا مجلس النبي ﷺ، قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه؛ قال الذهبي: صحيح. المستدرک (٤/٢٥٥).

خلاصة الوحدة الخامسة

- ١- جلوس العالم في المسجد وغيره في موضع بارز ظاهر ليعرفه الناس ويقصدونه.
- ٢- جلوس العالم في المسجد لإلقاء دروس العلم وتعليم الناس ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.
- ٣- فضل ملازمة حلق العلم والذكر.
- ٤- الثناء على من زاحم في طلب العلم والخير.
- ٥- من جلس مجلس علم فهو في حفظ الله تعالى ورعايته.
- ٦- استحباب التحلق في مجالس العلم والذكر حول العالم.
- ٧- على العالم أن يؤوي المتعلم، وأن يكفله إن قدر على ذلك.
- ٨- من سبق إلى موضع من حلق العلم كان أحق به.
- ٩- فضل الحياء والثناء على المستحي.
- ١٠- ينبغي سد خلل حلق العلم.
- ١١- ينبغي أن يجلس طالب العلم حيث ينتهي به المجلس، ولا يقيم أحدًا من مجلسه.
- ١٢- يستحب الثناء على من فعل معروفًا تنشيطًا له ولغيره.
- ١٣- مراعاة الأدب في مجالس العلم.
- ١٤- جواز التخطي لسد الخلل ما لم يؤذ، فإن خشي استحباب له الجلوس حيث ينتهي به المجلس - كما فعل الثاني.
- ١٥- من يعرض عن مجالس العلم لغير ضرورة يعرض الله عنه ويكون عُرضة لسخط الله تعالى.
- ١٦- من استعلن بسيئة وجاهر بها، جاز أن تنسب إليه ويذكر بها.
- ١٧- جواز الإخبار عن أهل المعاصي وأحوالهم للزجر عنها، وأن ذلك لا يعد من الغيبة المحرمة.

اختبار الوحدة الخامسة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- توفي أبو واقد الليثي سنة خمس وسبعين عن خمس وستين سنة.

٢- كلمة: "نفر" اسم جمع لا مفرد له من لفظه.

٣- كلمة: "الرهط" اسم جمع لا واحد لها من لفظها.

٤- "الحلقة" بإسكان اللام كل شيء مستدير نحالي الوسط.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- توفي أبو واقد الليثي سنة:

أ- ٧٥هـ. ب- ٦٥هـ. ج- ٨٥هـ.

٢- كلمة: "نفر":

أ- اسم جمع لا واحد له من لفظه. ب- مفرد لا جمع له.

٣- كلمة "الرهط":

أ- اسم مفرد لا جمع له. ب- اسم جمع لا واحد له من لفظه.

٤- "الحلقة" الصواب فيها:

أ- سكون اللام. ب- تحريك اللام بالفتح.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- ترجم لأبي واقد الليثي راوي الحديث رحمه الله.

٢- قال النبي ﷺ: "ألا أخبركم عن نفر الثلاثة..." أكمل الحديث، واذكر تخريجه كما درسته.

٣- من أعرض عن الله مستغنياً وكله الله إلى نفسه وإلى الشياطين تتخطفه من كل ناحية. اشرح هذا المعنى في ضوء دراستك للحديث.

٤- الجزء العادل يكون من جنس العمل. اكتب من القرآن ومن الحديث ما يؤيد هذا المعنى.

٥- اذكر ما تحفظ من الأدلة مما يؤكد على فضل ملازمة حلق العلم والذكر.

٦- بين: لماذا شبه النبي حرمة الدماء والأموال والأعراض بحرمة اليوم والشهر والبلد؟



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادراً على أن:

- ١- تعلل لوجوب تبليغ الإسلام إلى الناس كافة.
- ٢- تشدد على التأكيد على حرمة الدماء والأموال والأعراض.
- ٣- تطرح أسئلتك على سامعيك في الخطبة لتنشط أذهانهم.
- ٤- توضح استحباب ضرب الأمثال وإلحاق الشبه بشبيهه قياساً؛ لما فيه من التأثير على السامعين.
- ٥- تؤكد على حرمة الحرام وتبالغ فيه؛ حتى لا يستهين الناس بذلك.
- ٦- تبين ضرورة تبليغ العلم وتعليمه لمن لا يعلمه اقتداءً برسول الله ﷺ.
- ٧- تدلل على جوار تحمل العلم قبل كمال الأهلية وأن الفهم ليس شرطاً في التحمل والأداء، فرب مبلغ أوعى من سامع.
- ٨- تبين أنه قد يأتي في الزمان المتأخر من قد يكون أفهم ممن تقدمه.

الوحدة السادسة

وجوب تبليغ الإسلام إلى الناس كافة لعموم الرسالة

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، ذَكَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخَطَامِهِ - أَوْ بِزِمَامِهِ - قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»؛ فَسَكَنَّا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ؛ قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟»؛ قُلْنَا: بَلَى؛ قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»؛ فَسَكَنَّا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ؛ فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟»؛ قُلْنَا: بَلَى؛ قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا. لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»^(١).

ترجمة أبي بكر التقي رحمته الله

هو نفي بن الحارث أبو بكر التقي الطائفي، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم تدلى في حصار الطائف من حصن الطائف ببكرة، فكنى بأبي بكر لذلك، وفر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يده وأعلمه أنه عبد فأعتقه.

رَوَى عَنْهُ بَنُو الْأَرْبَعَةِ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، وَغَيْرُهُمْ. سَكَنَ الْبَصْرَةَ، وَكَانَ مِنْ فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ، خَرَجَ لَهُ الْأَثَمَةُ السِّتَةُ.

قال الحسن البصري: لم ينزل البصرة أفضل من أبي بكر وعمران بن حصين. توفي أبو بكر في سنة إحدى وخمسين واثنتين وخمسين في خلافة معاوية، وصلى عليه أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه الصحابي الجليل. المباحث اللغوية:

قوله: (وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه) الذي أمسك بخطام بعيره صلى الله عليه وسلم هو

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رب مبلغ أوعى من سامع (٢٦/١). وأخرجه مسلم، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، صحيح مسلم بشرح النووي، حديث رقم (١٦٧٩).

بلال بن رباح أو عمر بن خارجة أو أبو بكرة، لاختلاف الروايات في ذلك، وصوب ابن حجر أن يكون الذي أمسك بخطام البعير هو أبو بكرة. (الخطام والزمَام) بمعنى واحد وهو الخيط الذي تشد فيه الحلقة التي تسمى بالبُرّة في أنف البعير.

وفائدة إمساك الخطام صون البعير عن الاضطراب، حتى لا يشوش على راحته. قوله: (بخطامه أو بزمَامه) الشك من الراوى.

قوله: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا... إلخ) والكلام على حذف مضاف، أي سفك دمائكم وأخذ أموالكم وهتك أعراضكم.

(العرض) - بكسر العين - موضع المدح والذم من الإنسان، سواء كان في نفسه أو سلفه، فإذا نسب الشخص إلى الأخلاق الحميدة كان المدح، وإذا نسب إلى الأخلاق السيئة كان الذم.

قوله: (ليبلغ الشاهد الغائب) الشاهد أي: الحاضر في المجلس، والغائب أي: الغائب عن المجلس، والمراد إما تبليغ القول المذكور (أي: الخطبة)، أو تبليغ جميع أحكام الإسلام. المعنى العام للحديث:

إن سعادة المسلمين في الدنيا، وفوزهم في الآخرة، لن يتحقق ولن يكون له وجود إلا إذا استمسكوا بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، فهما مصدر عز المسلمين وسعادتهم في الدنيا والآخرة، فالعرب كانوا أذل الناس، فأعزهم الله تعالى بالإسلام، ومكن لهم في الأرض، وجعلهم دعاة خير وإصلاح بعد أن كانوا غارقين في الضلال العقدي والأخلاقي والاجتماعي، مهملين لا ذكر لهم، فجعل منهم الإسلام خلقاً جديداً لم تعرفه الإنسانية، وإن كانوا على كل حال أحسن من غيرهم من أصحاب الحضارات الأخرى، وأصدق ما يصور حال العرب قبل الإسلام هو لقرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [الجمعة: ٢].

لذلك حرص النبي ﷺ كل الحرص على أن تظل هذه الأمة مستمسكة بمصدر عزها وسعادتها، فأمر النبي ﷺ بتبليغ القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى من لم يبلغه؛ ليظل الخير موصولاً، ويقوم كل جيل بتوريث الإسلام إلى الجيل الذي بعده، فلا يضيع الإسلام ويتهدى المسلمون بموت جيل من الأجيال، فالإسلام هو الجهاز المناعي لهذه الأمة.

وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، واحد من النصوص التي أمر المسلمون فيها بتبليغ هذا الدين العظيم إلى من لم يبلغه، وهذه أمانة ائتمن عليها المسلمون، وسوف يحاسبون عليها بين يدي الله تعالى، فكما ائتمن الله عليهم وسخر لهم من يقوم بحمل هذا الدين إليهم فعليهم أن يقوموا بهذا الواجب نحو إخوانهم في الإسلام والإنسانية؛ لأن الإسلام دين عالمي، وهذا تشريف من الله تعالى لمن يقوم بهذا الواجب فهذه مهمة الرسل الكرام، والعلماء هم خلفاء الرسل في القيام بهذه المهمة العظيمة، مهمة البلاغ عن الله تعالى.

ولقد استثمر النبي ﷺ هذا اللقاء المبارك على أكمل وجه، وفي هذا الجمع الغفير -الذي لم تشهده الجزيرة العربية من قبل- يعلن النبي ﷺ عن حقوق الإنسان، وأن الناس سواسية كأسنان المشط، لا يتفاضلون إلا بتقوى الله تعالى والعمل الصالح، ثم يعلن عن حق الإنسان في أن يعيش آمناً على نفسه وماله وعرضه، ويؤمن حرمة الدماء والأموال والأعراض، ولأهمية تبليغ الإسلام إلى الناس - لأنه سر سعادتهم في الدنيا وفوزهم في الآخرة - يأمر أصحابه أن يقوموا بهذه المهمة محملاً بإهاهم المسئولية، مرغباً لهم في ذلك بأنهم قد يبلغون القرآن والسنة إلى من هم أكثر من السامعين فهمًا واستنباطاً للأحكام، والكل مأجور -إن شاء الله تعالى- ما أخلصوا لله تعالى، وهذه مهمة كل مسلم، كل على قدره وحسب الإمكانات المتاحة له.

ولقد تحقق ما توقعه الرسول ﷺ حيث أخبر أن المبلغ قد يكون أوعى ممن سمع من الرسول مباشرة، فرأينا الأئمة الكبار الذين لم يشرفوا بصحبة النبي ﷺ قد استنبطوا من القرآن الكريم والسنة المطهرة الاستنباطات الكثيرة التي لم يفتن إليها

بعض من حمل الكتب والسنة إليهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.
فقه الحديث:

جاء في هذه الرواية أن النبي ﷺ سأل أصحابه عن اليوم والشهر، إلا أنه قال في الجواب: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا".

وجاء في رواية البخاري في كتاب الأضاحي، وكذا عند مسلم وغيره، أن النبي ﷺ سأل عن اليوم والشهر والبلد.
ومرة هذا الاختلاف يرجع إلى تصرف الرواة فبعضهم حفظ ما لم يحفظه البعض الآخر.

وإنما سأل النبي ﷺ عن الثلاثة، وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار أذهانهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يحترم عنده؛ ولذلك قال بعد هذا: "إن دماءكم... إلخ" مبالغة في بيان تحريم هذه الأشياء.

وإنما شبه النبي ﷺ حرمة الدماء والأموال والأعراض بحرمة اليوم والشهر والبلد؛ لأن تحريم البلد والشهر واليوم كان ثابتاً في نفوسهم مقررّاً عندهم؛ بخلاف حرمة الأنفس والأموال والأعراض، فكانوا في الجاهلية يستيحيونها، فطراً الشرع عليهم بأن تحريم دم المسلم وماله وعرضه أعظم من تحريم البلد والشهر واليوم.

ولا يرد على هذا كون المشبه به أخفض رتبة من المشبه؛ لأن الخطاب إنما وقع بالنسبة لما اعتاده المخاطبون قبل تقرير الشرع.

وجاء في روايات البخاري وغيره، أن الصحابة رضوا أجابوا رسول الله ﷺ عن كل سؤال بقولهم: "الله ورسوله أعلم"، وذلك من حسن أدبهم؛ لأنهم علموا أن النبي ﷺ لا يخفي عليه ما يعرفونه من الجواب، وأنه ليس مراده مطلق الإخبار بما يعرفونه، ولهذا قالوا في حديث الباب: "حتى ظننا أنه سيسميه سوا اسمه".

قوله: (حتى ظننا أنه سيسميه سوا اسمه) في هذا القول إشارة إلى تفويض الأمور بالكلية إلى الشارع، وترك ما ألفه من المتعارف عليه المشهور بينهم.

خلاصة الوحدة السادسة

- ١- ينبغي أن يجلس الخطيب على مكان عال؛ ليكون أبلغ في إسماع الناس ورؤيتهم إياه، ليتمكنوا من الأخذ منه.
- ٢- طرح المسألة على الحضور في صورة سؤال لينشط أذهان السامعين، ويجذب انتباههم، وحتى إذا لم يوفقوا للجواب أجاب هو فيتمكن الجواب من نفوسهم، ويكون بعيداً عن النسيان.
- ٣- استحباب ضرب الأمثال، وإلحاق الشبيه بشبيهه قياساً؛ لما فيه من التأثير في نفس السامع وتعريفه بما يجمله.
- ٤- على العالم أن يؤكد حرمة الحرام ويبالغ في ذلك، حتى لا يستهين الناس به.
- ٥- الحث على تبليغ العلم وتعليمه لمن لا يعلمه اقتداء بالرسول ﷺ، فإن العلماء ورثة الأنبياء.
- ٦- جواز التحمل قبل كمال الأهلية، وأن الفهم ليس شرطاً في التحمل والأداء.
- ٧- قد يأتي في آخر الزمان من يكون أفهم ممن تقدمه.
- ٨- جواز القعود على ظهر الدواب وهي واقفة، إذا كانت هناك حاجة لذلك، وكانت الدابة تطيق ذلك، وأما النهي الوارد في ذلك فإن كان لغير حاجة، أو كانت الدابة لا تقوى على ذلك.

اختبار الوحدة السادسة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- لم يرو عن أبي بكره الثقفي إلا البخاري ومسلم.
- ٢- الخطام والزام بمعنى واحد وهو اخط الذي تشد فيه الحلقة.
- ٣- "العرض" بكسر العين، هو موضع المدح والذم من الإنسان، سواء كان في نفسه أو سلفه.

٤- يستحب ضرب الأمثال وإلحاق لشيء بشيئه قياساً؛ لما فيه من التأثير في نفس السامع وتعريفه بما يجله.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- روى عن أبي بكره الثقفي رضي الله عنه:

أ- أصحاب الكتب الستة.

ب- الأربعة والحسن البصري وابن سيرين وغيرهم.

ج- البخاري ومسلم فقط.

٢- (أبو بكره الثقفي) هذا:

أ- اسم راوي الحديث.

ب- كنية راوي الحديث.

ج- لقب راوي الحديث.

٣- "العرض" بكسر العين:

- أ- موضع الذم من الإنسان.
- ب- موضع المدح من الإنسان.
- ج- موضع المدح والذم من الإنسان.

٤- "ليبغ الشاهد الغائب" المراد منه:

- أ- تبليغ المذكور في الحديث.
- ب- تبليغ أحكام الإسلام.
- ج- كلاهما محتمل.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

- ١- ترجم لأبي بكرة الثقفي راوي الحديث رضي الله عنه.
- ٢- في الحديث دلالة على: جواز التحمل قبل كمال الأهلية.
اذكر من الحديث ما يدل على ذلك مع شرحك لما تذكر.
- ٣- يقول النبي ﷺ: "إن دماءكم وأموالكم..." أكمل الحديث كما حفظته،
مستخرجاً ما فيه من قضايا فقهية.
- ٤- لقد تحقق ما توقعه النبي ﷺ حيث أخبر أن المبلغ قد يكون أوعى من السامع.
بين هذا تفصيلاً في ضوء دراستك للحديث، وفي ضوء ما توصل إليه الأئمة
الكبار في الفقه والحديث والأصول وغيرها.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادراً على أن:

- ١- توضيح وجوب شفقة المربي بمن يريهم رحمة بهم.
- ٢- تترجم لعبدالله بن مسعود راوي الحديث.
- ٣- تبين حرص النبي ﷺ على أمته وشفقته بهم وعدم تكليفهم فوق طاقتهم.
- ٤- تدلل على أن على المعلم اغتنام أوقات نشاط المتلقين؛ ليكون ذلك أوعى إلى تحصيل العمل دون مثل.
- ٥- تراعي أحوال الناس حين تدعوهم.
- ٦- توضح استحباب ترك المداومة في الجد خشية الملل.

الوحدة السابعة

شفقة المربي بمن يربيهم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةً السَّامَةِ عَلَيْنَا^(١)."

ترجمة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

أبو عبد الرحمن، عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع الهذلي المكي، مات أبوه في الجاهلية، وأسلمت أمه وصحبت؛ فلذلك نسب إليها أحياناً، فكان يعرف بأمه، فيقال له ابن أم عبد.

قال الإمام الذهبي: الإمام الحبر، فقيه الأمة، المهاجر، البصري، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرة، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا^(٢) قال عبد الله: لقد رأيتني سادس ستة، وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا.

وَوَلَّى بَيْتَ الْمَالِ بِالْكُوفَةِ لِعَمْرِ وَعُثْمَانَ، وَقَدِمَ فِي أَوَاخِرِ عَمْرِهِ الْمَدِينَةَ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ انْتَشَرَ عِلْمُهُ بِكَثْرَةِ أَصْحَابِهِ.

منزلة عبد الله بن مسعود من النبي صلى الله عليه وسلم:

قَرَّبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ مِنْهُ حَتَّى كَانَ الصَّحَابَةُ يَظُنُّونَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ وَأُمَّهُ مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؛ لِكَثْرَةِ تَرَدُّدِهِ وَأُمَّهُ عَلَى مَنْزِلِهِ صلى الله عليه وسلم.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: "قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ، فَمَكَّنَنَا حِينًا وَمَا نُرَى ابْنُ مَسْعُودٍ وَأُمُّهُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، مِنْ كَثَرَةِ دُخُولِهِمْ وَلُزُومِهِمْ لَهُ"^(٣).

ولحب عبد الله بن مسعود لرسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق كان يحاكي الرسول صلى الله عليه وسلم في كل

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم. (٢٧/١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٦١/١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب عبد الله بن مسعود، فتح الباري. (١٢٩/٧). وأخرجه

مسلم "واللفظ له"، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود، حديث رقم (٢٤٦٠).

أعماله، في حركاته، وسكناته، فكان أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ سَمْتًا وَهَدْيًا. عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: "سَأَلْنَا حُدَيْفَةَ عَنْ رَجُلٍ قَرِيبِ السَّمْتِ وَالْهَدْيِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى نَأْخُذَ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَقْرَبَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ" (١).

منزلة عبد الله بن مسعود بين الصحابة:

عرف أصحاب رسول الله ﷺ لعبد الله بن مسعود ﷺ منزلته العالية الرفيعة، وها هو عمر بن الخطاب ﷺ يثني عليه ويبين منزلته بين الصحابة، وأنه أثر أهل الكوفة به على نفسه: عن حارثة بن مضر قال: كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أهل الكوفة: "إني قد بعثت إليكم عمارًا أميرًا، وابن مسعود معلمًا ووزيرًا، وهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ، من أهل بدر، فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما، وقد أثرتكم بعبد الله على نفسي" (٢).

خرج له الأئمة الستة، وله في مسند بقي بن مخلد ثمانمائة وأربعون حديثًا. توفي ابن مسعود بالمدينة المنورة، ودفن بالبقيع، في خلافة عثمان ﷺ، سنة اثنتين وثلاثين.

المباحث اللغوية:

قوله: (يتخولن بالموعظة) - بالخاء المعجمة وتشديد الواو - يتعهدنا بالموعظة في الأوقات التي نكون فيها أقرب إلى النشاط، ولا يفعل ذلك كل يوم حتى لا نمل. (الموعظة) النصح والتذكير بالعواقب.

قوله: (كراهة السامة علينا)، أي: كراهة السامة الطارئة علينا، أو ضمن السامة معنى المشقة فَعَدَّاهَا — (على). (السامة) الملل والضجر.

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود ﷺ، فتح الباري. (١٢٩/٧) السمت: اخشوع. الهدي: الطريقة. لذل: سيرة وحالة وهية، وكأنه مأخوذ مما يدل ظاهر حاله على حسنفعاله.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب مناقب عمار بن ياسر.

المعنى العام للحديث:

لقد تميز النبي ﷺ بالحرص الشديد على أمته، ومن مظاهر ذلك أنه كان لا يكلفهم فوق طاقتهم، بل كان يراعي دائماً وأبداً أحوالهم وظروفهم، وكان بهم شفوفاً رحيماً، ولقد شهد الله له بذلك.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وكانت شففته ورحمته ﷺ بأمته وحرصه المنقطع النظير هو سبب محبتهم له والافتداء به وتفضيله على أنفسهم، بل وافتدائه بالنفس والنفيس.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، واحد من هذه الأحاديث التي تشهد بذلك، فمع أن النبي ﷺ كان حريصاً على تربية أمته، وتعليمهم الخير، وتذكيرهم؛ ومع رغبة الصحابة ﷺ في مجالسته والتعلم منه ﷺ، إلا أن هذا الحرص لم يدفعه إلى أن يشق عليهم ويحملهم فوق طاقتهم؛ لأنه ﷺ قبل أن يكون معلماً فهو معلّم، علمه ربه وعرفه كيف يربي الناس، وكيف يسلك الطرق إلى قلوبهم وعقولهم؛ لأنه يعلم أن النفوس ثقل، وإذا ملت النفوس انقطعت الفائدة.

واقترن بالنبي ﷺ تلاميذه البررة ﷺ فسلكوا طريق نبيهم ﷺ في التربية والتعليم، فلم يشقوا على من يربونهم، وهاهو عبد الله بن مسعود يطلب منه أن يذكر الناس كل يوم فيأبى ويقتصر على يوم في الأسبوع؛ خوفاً من أن يملوا فينصرفوا عنه وعن علمه.

عن أبي وائل قال: "كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمْلِكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا، مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا" (١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة، (٢٧/١).

خلاصة الوحدة السابعة

١ - شفقة النبي ﷺ بأمته، وحرصه عليهم.

٢ - حرص المعلم على من يعلمهم، واغتنام أوقات نشاطهم؛ ليكون ذلك أدعى لتحقيق العلم دون ملل.

٣ - اغتنام الأوقات التي يكون فيها احضور أقرب إلى تحقيق العلم.

٤ - مراعاة أحوال الناس.

٥ - استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح، خشية الملل، وإن كانت المواظبة مطلوبة مع مراعاة أحوال الأشخاص والضابط الحاجة مع وجود النشاط.

اختبار الوحدة السابعة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يحاكي رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أعماله، في حركاته، وسكناته، فكان أقرب الناس سمتاً وهدياً إلى النبي.

٢- توفي عبدالله بن مسعود بالمدينة سنة اثنتين وأربعين.

٣- لعبدالله بن مسعود في مسند بقي بن مخلد ثلاثمائة وأربعون حديثاً.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- توفي عبدالله بن مسعود في المدينة سنة:

أ- ٤٢. ب- ٣٢. ج- ٣٨.

٢- لعبدالله بن مسعود في مسند بقي بن مخلد حديثاً.

أ- ٣٤٠. ب- ٤٦٠. ج- ٨٤٠.

٣- اختار ابن مسعود يوم من كل أسبوع لتذكير الناس برهيم؛ مخافة السامة عليهم.

أ- الاثنين. ب- الأربعاء. ج- الخميس.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- ترجم لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه راوي الحديث.

٢- بين - كما فهمت من شرح الحديث - مدى شفقة النبي صلى الله عليه وسلم بأمتة وحرصه عليهم.

٣- يستحب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملل. اشرح هذا المعنى في ضوء دراستك للحديث.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

١- تعرّف بمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه روي الحديث.

٢- تبين أن المعطي في الحقيقة إنما هو الله ﷻ.

٣- توضّح أن غير الله تعالى لا يملك أمر نفسه فكيف به يملك أمر غيره.

٤- تؤكد على فضل التفقه في الدين على سائر العلوم.

٥- تعلّل لفضل العلماء العاملين على غيرهم من سائر الناس.

٦- توضّح أن بعض الأمة ثابت على حق مهما كلفهم ذلك إلى قيام الساعة.

٧- تشرح أن العلم فضلٌ من الله يمن به على من يشاء.

٨- تبين كمال تواضع النبي ﷺ.

٩- تؤكد على صدق النبي ﷺ في تبليغ رسالة الله.

١٠- تعلل لحجية الإجماع من الحديث.

١١- توضّح أن الأمة الإسلامية هي آخر الأمم ذات الشريعة الإسلامية، وعليها تقوم الساعة.

الوحدة الثامنة

ثبات طائفة من الأمة الإسلامية على الحق إلى قيام الساعة

قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يَعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»^(١).

ترجمة معاوية بن أبي سفيان

هو أبو عبد الرحمن، معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي، أمير المؤمنين، ملك الإسلام.

أسلم عام الفتح مع أبيه، وقيل: أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، وما أظهر إسلامه إلا يوم الفتح خوفاً من أبيه.

كان يكتب لرسول الله ﷺ.

مكث عشرين سنة أميراً على الشام، وعشرين سنة خليفة، وبويع بالخلافة سنة أربعين لما صالحه الحسن بن عليٍّ وبايعه، وسمي هذا العام بعام الجماعة لاجتماع المسلمين على بيعة معاوية.

خَرَّجَ لَهُ الْأَثَمَةُ السَّيْتَةُ، وَلَهُ فِي مَسْنَدِ بَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ مِائَةٌ وَثَلَاثَةٌ وَسِتُونَ حَدِيثًا، اتَّفَقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِأَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ، وَانْفَرَدَ مُسْلِمٌ بِخَمْسَةِ أَحَادِيثَ.

توفي معاوية سنة ستين، عن سبع وسبعين سنة.

المباحث اللغوية:

قوله: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين).

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، (٢٧/١-٢٨).

وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، صحيح

مسند بشرح النووي، (١٣/٦٦-٦٧).

(يرد الله) - بضم الياء - مشتق من الإرادة، وهي عند الجمهور صفة مخصصة أحد طرفي المقدور بالوقوع، وقيل: إنها اعتقاد النفع والضرر.
(خيرًا) أي: منفعة، وهي اللذة أو ما يكون وسيلة إلى اللذة، ونكر خيرًا ليشمل القليل والكثير؛ وذلك لأن النكرة في سياق الشرط تفيد العموم، فالمعنى: من يرد الله به جميع الخيرات، فيعم ذلك كل خير والتكثير في الحديث للتعظيم؛ لأن المقام يقتضيه.
(يفقهه) أي: يجعله فقيهاً.

والفقه في اللغة: الفهم، تقول فقهاً هذه المسألة، أي: فهمتها، والتفقه في الدين تعلمه والاستكثار منه، وأما تفقيهه فهو تعليمه الطالب حتى يتقنه.
واصطلاحاً: هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية.
والمقصود بالفقه في الحديث، هو المعنى اللغوي؛ ليتناول ذلك فهم كل علم من العلوم الدينية، فيتناول ذلك: العقيدة، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والآداب، فلا يختص بعلم دون علم، بل إن ذلك يشمل الإسلام من أوله إلى آخره.
ومعنى هذه الجملة: من يرد الله به خيرًا كثيرًا عظيم النفع في الدنيا والآخرة، يعينه على تعلم علوم الدين والاستكثار منها، ولا يتم الخير إلا بالعمل بما علمه الله تعالى.

قال الحسن البصري: "الفقيه: الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بأمور دينه، المداوم على عبادة ربه".

المعنى العام للحديث:

حرص الرسول ﷺ كل الحرص على أن يربط المسلمين برهم ﷺ فغرس في عقولهم وقلوبهم أن الله ﷻ هو مصدر كل خير، وأن الناس يعيشون في نعمه وبنعمه، ولا غنى لهم عن فضله وإحسانه، وأن المعطي في الحقيقة إنما هو الله تعالى، وأن غير الله تعالى - مهما علا قدره وارتفعت منزلته - لا يملك أمر نفسه، فكيف يملك أمر غيره؟! وهذا المعنى أكدته آيات القرآن الكريم الكثيرة، وأحاديث النبي ﷺ، وصار

معلومًا من الدين بالضرورة. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقد بين القرآن الكريم أن النبي ﷺ - مع ما له من مكانة عالية رفيعة - لا يملك أمر نفسه ولا اطلاع له على الغيب، بل هو وسائر الناس في ذلك سواء. قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، واحد من الأحاديث التي أكدت هذه الحقيقة، ووجه فيها النبي ﷺ المسلمين إلى ربه ﷻ، مذكراً لهم بأن الله تعالى هو مصدر كل خير، وأنه هو الذي يعطي خلقه من فضله وإحسانه، فعليهم أن يتعلقوا به، وأن يسألوه من فضله وإحسانه وأن النبي ﷺ - مع أنه رسول العالمين - ما هو إلا قاسم بين العباد بأمر الله تعالى.

كما وجه النبي ﷺ أصحابه إلى أن المقياس الحقيقي الذي يتفاضل الناس به إنما هو في فهم دين الله تعالى؛ وذلك لأن سعادة الإنسان في الدنيا ونجاته في الآخرة متوقفة على فهم دين الله والعمل به وتحويله من منهج نظري إلى منهج عملي.

فما عبد الناس ربه ﷻ بشيء أحب إليه من أن يعبد على علم ومعرفة. فقيمة العلم بما يورثه لصاحبه من العلم بالله والخشية منه، وإنما تميز العلم الشرعي عن غيره من العلوم الأخرى؛ لأنه يورث العبد العلم بالله تعالى والخشية منه، وكل علم يورث صاحبه العلم بالله تعالى فهو علم محمود، وإنما تورث العلوم الطبيعية وغيرها العبد الخشية من الله إذا ربطت بخالقها ﷻ واستقر في أذهان الناس أن الكون كله بما فيه من عوالم صادر عن الله تعالى، فيصل المسلم من وراء عظمة المخلوقات إلى عظمة الخلاق العظيم ﷻ.

لذلك أرشدنا القرآن الكريم إلى النظر والتدبر فيما خلق الله تعالى في آيات كثيرة. قال الإمام البخاري رحمه الله: "باب الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ يَقُولُ اللَّهُ

تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ^(١).

ثم ذكر الإمام البخاري بعض الآيات والأحاديث التي تحث على طلب العلم والعمل به.

ويلاحظ أن الله بدأ في الآية الكريمة بالعلم، ثم ثنى بالعمل فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩]، وذلك لأن العلم شرط لصحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل.

فقه الحديث:

اشتمل هذا الحديث على عدة مسائل:

أ- المراد من قوله ﷺ: «وَأِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يَعْطِي».

ب- المراد بالطائفة التي ستثبت على الحق إلى قيام الساعة.

ج- المراد بأمر الله تعالى في الحديث.

أ- المراد من قوله ﷺ: «وَأِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يَعْطِي»:

يجوز أن يكون المراد بالقسمة هنا، القسمة في العلم، أو القسمة في المال.

١- إن كانت القسمة في العلم: فيكون المراد من قوله ﷺ: «وَأِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يَعْطِي»، ما أنا إلا قاسم للعلم بينكم، فألقى إلى كل واحد ما يليق به، والله تعالى يوفق من يشاء منكم لفهمه والتفكير في معناه.

قال العلامة التوربشيتي: "اعلم أن النبي ﷺ أخبر أصحابه أنه لم يفضل في قسمة ما يوحى إليه أحداً من أمته على الآخر، بل سوى في البلاغ وعدل في القسمة، وإنما التفاوت في الفهم وهو واقع بطريق العطاء، ولقد كان بعض الصحابة يسمع الحديث فلا يفهم منه إلا الظاهر الجلي، ويسمعه آخر منهم أو من بعدهم فيستنبط منه مسائل كثيرة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضيلة التعليم، (١/١١).

٢- إن كانت القسمة في المال: فيكون المراد من قوله ﷺ: «وَأَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي»، أنه ﷺ لم يستأثر لنفسه بشيء من مال الله عنهم، أما ما كان يأخذه من الخمس فإنه كان يُرَدّ عليهم.

وإنما قال ﷺ: «وَأَنَا قَاسِمٌ» تطييباً لنفوس الصحابة لمفاضلته في العطاء بينهم، «وَاللَّهُ يُعْطِي» والله يعطيكم ما أقسمه عليكم لا أنا، فمن قسمت له قليلاً فذلك بقدر الله تعالى له، ومن قسمت له كثيراً فبقدره أيضاً.

وجه مناسبة هذه الجملة -وهي قوله ﷺ: «وَأَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي»- لقوله: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» على القول الثاني بأن مورد الحديث كان وقت قسمة المال حين خص الرسول ﷺ رجالاً من قريش بعطاء كثير دون الأنصار، فقال بعض الأنصار: "يُعْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يعطي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُ الْأَنْصَارَ، وَسَيُوفِنَا نَقْطَرُ مِنْ دِمَائِهِمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثَ عَهْدِهِمْ بِكُفْرٍ...» الحديث^(١)، وكان هذا منه ﷺ لحكمة عظيمة، وهي تأليف قلوبهم؛ لحداثة عهدهم بالجاهلية، وخفيت هذه الحكمة على أحداث الأنصار، فقالوا ما قالوا، فرد عليهم الرسول ﷺ بقوله: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» أي: يوفقه لفهم أمور الشرع، حتى يستطيع فهم الحكمة في المفاضلة، وغير ذلك؛ وما النبي ﷺ إلا قاسم، والله هو المعطي.

ب- المراد بالطائفة التي سببت على الحق:

ورد في هذا الحديث الشريف وغيره، أن طائفة من المسلمين سيثبتون على الحق مهما كلفهم ذلك، وأنهم سيبدلون من أجل نصرة دين الله تعالى النفس والنفس، وقد تحقق ما أخبر به الرسول ﷺ، فَمَنْ هذه الطائفة؟
اختلف العلماء في المراد بهذه الطائفة، ويبدو أنه خلاف شكلي أو لفظي؛

(١) أخرجه البخاري "جزء حديث"، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المولفة قلوبهم من الخمس ونحوه، فتح الباري، (٦/٢٨٨)، عن أنس بن مالك.

لأنه يثول في النهاية إلى معنى واحد.

١- ذهب طائفة من العلماء إلى أن المراد بهذه الطائفة هم أهل الحديث. قال الإمام أحمد: "إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم" (١). قال القاضي عياض مفسراً قول الإمام أحمد السابق: "أراد أحمد أهل السنة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث".

قال الإمام البخاري: "سمعت علي بن المديني يقول: هم أصحاب الحديث" (٢). ٢- ذهب طائفة من العلماء إلى أن المراد بهذه الطائفة المنصورة الثابتة على الحق: المسلمون المستمسكون بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، الباذلون أنفسهم، المضحون براحته من أجل رضا الله تعالى، المدافعون عن الإسلام العظيم بغض النظر عن العلوم التي يشتغلون بها أو الأعمال التي يقومون بها.

قال الإمام النووي: "يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين: منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض" (٣).

وهذا هو ما ذهب إليه القاضي عياض، وسبق تعقيبه على قول الإمام أحمد. وما ذهب إليه الإمام النووي هو الأولى والصواب، والله أعلم. فالمراد بالطائفة المنصورة، هم المستمسكون بالإسلام وإن تنوعت أعمالهم، فلا تنحصر هذه الطائفة في أهل عمل بعينه، أو علم بعينه، وهذا قول جامع لكل ما تقدم. ولو كان المراد بهم المشتغلون بالحديث فقط فما ذنب المسلمين المستمسكين بالكتاب والسنة الذين انصرفوا إلى علوم أخرى وأعمال أخرى لا

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٦٧/١٣).

(٢) فتح الباري (٣٠٦/١٣).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٦٧/١٣).

تقل عن الانشغال بالحديث وعلومه؛ كالجهد في سبيل الله تعالى الذي هو بمثابة الحصن الذي يتحصن به المؤمنون والذي لولاه لضاع الإسلام، ثم إن المشتغلين بالحديث وعلومه لا يستطيعون الاستقلال بأمورهم، فهم بحاجة إلى من يقوم بأمورهم ويدبر لهم ما يحتاجون إليه من مطعم وملبس... وغير ذلك.

وما قيمة الانشغال بالحديث وعلومه إذا لم يحول العالم ما يعلم إلى عمل؟ إن العبرة ليست بالاشتغال بالحديث أو غيره، ولكن بالالتزام بالإسلام وتحويله من منهج نظري إلى عمل وسلوك والدفاع عنه.

ج- المراد بأمر الله تعالى في الحديث:

وردت جملة «أمر الله» في الحديث مرتين، فالمراد بأمر الله الأول هو دين الله تعالى. والمراد من أمر الله تعالى -الثاني في الحديث- الريح اللينة التي تأتي قرب القيامة فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة، وهذا يكون قبل قيام الساعة.

كيف توفق بين قوله ﷺ في هذا الحديث: «وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ» وقوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ»^(١) وفي رواية: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ اللَّهُ اللَّهُ»^(٢)، وقوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ»^(٣).

قال الإمام النووي: "لا مخالفة بين الأحاديث؛ لأن المراد من أمر الله الريح اللينة التي تأتي قرب القيامة فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة، وهذا قبل القيامة، وأما الحديثان الآخران فهما على ظاهرهما؛ لأن مضمونهما عند القيامة".

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٧٧/٢-١٧٨).

(٢) المنصرد السابق.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن، باب فضل العبادة في المهرج، صحيح مسلم بشرح النووي، (٨٨/١٨).

خلاصة الوحدة الثامنة

- ١- المعطي في الحقيقة إنما هو الله تعالى، وما عداه تعالى إنما هم أسباب أو وسطاء.
- ٢- غير الله تعالى - وإن علا قدره وارتفعت منزلته - لا يملك أمر نفسه، فكيف يملك أمر غيره؟
- ٣- فضل التفقه في دين الله تعالى على سائر العلوم؛ لأنه يقود إلى خشية الله والتزام طاعته، فهو سبب السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.
- ٤- فضل العلماء العاملين على سائر الناس.
- ٥- ثبات بعض الأمة الإسلامية على الحق مهما كلفهم ذلك، إلى أن تقوم الساعة.
- ٦- العلم فضل من الله يمتن به على من يشاء من خلقه، وإن كانت هناك أسباب يتوصل بها إليه إلا أنه كما يكون مكتسباً قد يكون منحة من الله تعالى.
- ٧- كمال تواضع النبي ﷺ.
- ٨- صدق النبي ﷺ، وإنه مبلغ عن الله تعالى، ولا خيار له في ذلك؛ لأن الإنسان مهما سمّت نفسه وتجرد، لا يصل إلى هذه الدرجة من التجرد وإنكار الذات.
- ٩- في الحديث معجزة ظاهرة للنبي ﷺ، ودليل على صدقه، وأدلة صدقه لا تحفى، حيث أخبر عن مستقبل هذه الأمة، وأن طائفة من المسلمين سيثبتون على الحق مهما كلفهم ذلك.
- وبالفعل، فقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ عن مستقبل هذه الأمة، فلم تزل طائفة في كل عصر ومصر ثابتة على دين الله تعالى تفتدى دين الله بالنفوس والنفيس، وتقاوم المتربصين بدين الله، ولا تستسلم لهم، وقد مضى أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان على الهجرة المباركة، وستظل كذلك - إن شاء الله تعالى - ثابتة على الحق حتى يأتي أمر الله تعالى - كما أخبر الصادق المصطفى ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.
- ١٠- الأمة الإسلامية هي آخر الأمم ذات الشريعة السماوية، وعليها تقوم الساعة.
- ١١- في الحديث دليل على أن الإجماع حجة.

اختبار الوحدة الثامنة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- أسلم معاوية في السنة الرابعة من الهجرة.
- ٢- خرّج لمعاوية رضي الله عنه البخاري ومسلم فقط.
- ٣- خرّج لمعاوية رضي الله عنه الأئمة الستة.
- ٤- لمعاوية في مسند بقي بن مخلد ثلاثمائة وستون حديثاً.
- ٥- توفي معاوية رضي الله عنه سنة ستين عن سبع وسبعين سنة.
- ٦- المنقصور بقوله عليه السلام: "وإنما أنا قاسم، والله يعطي" القسمة في العلم، أو القسمة في المال.
- ٧- المراد بالطائفة التي سبّحت على الحق: أهل الحديث دون سواهم.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

- ١- مكث معاوية خليفة على المسلمين:
 - أ- عشر سنين.
 - ب- عشرين سنة.
 - ج- ثلاثين سنة.
- ٢- خرّج لمعاوية رضي الله عنه:
 - أ- الأئمة الستة.
 - ب- البخاري ومسلم.
 - ج- البخاري فقط.
- ٣- لمعاوية في مسند بقي بن مخلد حديثاً.
 - أ- ٣٦٠.
 - ب- ١٦٠.
 - ج- ٦٣.
- ٤- توفي معاوية رضي الله عنه سنة:
 - أ- ٥٤٠ هـ.
 - ب- ٥٥٠ هـ.
 - ج- ٥٦٠ هـ.

٥- توفي معاوية رضي الله عنه عن:

أ- ٧٤ عامًا. ب- ٧٥ عامًا. ج- ٧٦ عامًا.

٦- المقصود بقوله رضي الله عنه: "وإنما أنا قاسم، والله يعطي":

أ- القسمة في المال. ب- لقسمة في العلم. ج- كلاهما معًا.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١- ترجم لمعاوية بن أبي سفيان راوي الحديث رضي الله عنه.

٢- اذكر أقوال أهل العلم في المراد بالطائفة التي سببت على الحق تفصيلًا.

٣- اختلف في المراد بقوله رضي الله عنه: "وإنما أنا قاسم" فصل القول في هذا، في ضوء دراستك للحديث.

٤- وردت جملة: "أمر الله" في الحديث مرتين فما المراد بها في المرتين؟ فصل القول في هذا.

٥- اشرح معنى قوله رضي الله عنه: "من يرد به الله خيرًا يفقهه في الدين" شرحًا مفصلاً كما درست.

٦- للعلماء العاملين فضل على سائر الناس، اشرح العبارة في ضوء فهمك للحديث.

٧- في الحديث دليل على حجية الإجماع. وضح ذلك، واذكر موضع الشاهد.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تترجم لأبي موسى الأشعري راوي الحديث، وتدلل على فضله.
- ٢- تبين اختلاف الناس في مواقفهم من هذا الدين تبعًا لاختلاف نفوسهم وعقولهم، ومدى قبولهم للحق.
- ٣- تدلل على جواز ضرب الأمثال لتقريب المعقول من المحسوس.
- ٤- تؤكد على أن حاجة الإنسانية إلى الإسلام لا تقل عن حاجتهم إلى الماء الذي تصلح به حياتهم.
- ٥- توضح فضل العلم والتعلم وتؤكد على شدة الحث عليهما.
- ٦- تفرق بين العالم العامل والعالم غير العامل بما يعلم.
- ٧- تشرح أن ثمرة العلم لا تكون إلا بالعمل به.
- ٨- تدلل على فضل تبليغ العلم.
- ٩- تذم التكبر والإعراض عن العلم؛ لأنه يؤدي إلى البوار والخسران.

الوحدة التاسعة

موقف الناس من قبول الحق

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَتَفَعَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى -إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ- لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^(١).

ترجمة أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري التميمي، الفقيه، المقرئ، أسلم أبو موسى بمكة، وهاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة بعد فتح خيبر بثلاث، وغزا مع النبي ﷺ وجاهد معه، وحمل عنه علماً كثيراً.

ولم يكن في الصحابة أحد أحسن صوتاً منه، فلقد أعطي زمزماً من مزامير آل داود. الإمام الكبير، قرأ على النبي ﷺ، وأقرأ أهل البصرة، وفقههم في الدين، استعمله النبي ﷺ ومعاذاً على زبيد وعدن، وولي إمرة الكوفة لعمر، وإمرة البصرة.

قال الذهبي: كان أبو موسى صَوَّامًا، قَوَّامًا، رَبَّانِيًا، زَاهِدًا، عَابِدًا، مَنَّ جَمَعَ العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، لم تغَيَّرْهُ الإمارة، ولا اغتر بالدنيا.

خَرَّجَ لَهُ الْأُئِمَّةُ السِّتَةُ، وَغَيْرُهُمْ، لَهُ فِي مَسْنَدِ بَقِي بْنِ مَخْلَدٍ مِائَةٌ وَسِتُونَ حَدِيثًا، خَرَّجَ لَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ تِسْعَةً وَأَرْبَعِينَ حَدِيثًا، وَتَفَرَّدَ الْبُخَارِيُّ بِأَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ، وَمُسْلِمٌ بِخَمْسَةِ عَشَرَ حَدِيثًا.

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، (٣٠/١). وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب مثل ما بُعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، صحيح مسلم بشرح النووي، (٤٥/١٣-٤٦).

توفي سنة اثنتين وأربعين، أو أربع وأربعين.

المباحث اللغوية:

قوله: (مثل) -بفتح الثاء- والمراد به الصفة العجيبة لا القول السائر.

قوله: (الهدى) لغة: الدلالة الموصلة إلى المطلوب.

(العلم) المراد بالعلم معرفة الأدلة لشرعية من الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

(الغيث) هو المطر الذي يأتي الناس عند شدة الحاجة إليه.

(النقية) من النقاء، وهي الخالية مما يعيبها.

(الكلاء) يطلق على النبت الرطب واليابس معاً.

(العشب) يطلق على النبت الرطب فقط، فذكر العشب بعد الكلاء من باب

ذكر الخاص بعد العام.

(الأحادب) جمع جذب على غير قياس، وقيل: جمع حديب، وأصل

الجذب: القحط، والأرض الجذبة هي التي لم تمطر، وأجذب القوم أصابهم

الجذب.. والمراد بالأحادب: الأرض التي لا تشرب الماء لصلابتها، فلا تنبت شيئاً،

ولكنها تحفظ الماء.

(القيعان) جمع قاع، ويطلق على الأرض المستوية، وقيل: الملاء، وقيل:

التي لا نبات فيها، وهذا هو المراد في هذا الحديث.

(الفقه) في اللغة: الفهم، وسبق تعريفه.

المعنى العام للحديث:

حرص النبي ﷺ على تعليم أمته الخير بكل وسيلة، وسلط إلى عقولهم

وقلوبهم كل طريق، فنراه تارة يلقي المسألة في صورة سؤال لينشط أذهانهم ويحرك

عقولهم ويبحثوا للسؤال عن جواب، وراه حيناً يضرب الأمثلة، ويشبه المعقول

بالمحسوس؛ ليقرب المعنى إلى السامع، ويتضح الأمر، إلى غير ذلك من الوسائل التي

اتخذها الرسول ﷺ لتعليم الناس الخير وإرشادهم إلى خيري الدنيا والآخرة.
وفي هذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، يضرب النبي ﷺ هذا المثل مبيناً موقف الناس من دين الله ﷻ، فشبه النبي ﷺ ما جاء به بالغيث الذي يأتي الناس وهم في أشد الحاجة إليه، كذلك كان الناس قبل بعثته ﷺ في أمس الحاجة إلى ما جاء به النبي ﷺ لتصحيح عقيدتهم وعبادتهم، وإصلاح الناحية الأخلاقية الاجتماعية، بل وإصلاح الحياة من أولها إلى آخرها، فلسان حال العالم قبل بعثته ﷺ كان يستصرخ منقذاً ينقذه مما تردى فيه من فساد عقدي أدى به إلى فساد أخلاقي وانحراف سلوكي، فلما بُعث النبي ﷺ أصلح الله به الناحية العقدية والأخلاقية والاجتماعية، وجعل من العرب جنساً آخر لم يعرفه التاريخ فعلم الناس أن المنقذ الذي كانت تنتظره البشرية إنما هو محمد ﷺ، والدين الذي غير الله به الدنيا إنما هو الإسلام العظيم.

فكما أن الغيث يحيي الله به البلد الميت، فكذلك علوم الدين يحيي الله بها القلب الميت.

ومع حاجة الناس الماسة إلى هذا الإسلام العظيم، إلا أن الناس اختلفت مواقفهم من هذا الدين العظيم تبعاً لاختلاف نفوسهم وعقولهم، ومدى قبولهم للحق الذي جاء به النبي ﷺ.

فقه الحديث:

التأمل في هذا الحديث الشريف، يجد أن النبي ﷺ جعل الناس بالنسبة إلى الانتفاع بما جاء به النبي ﷺ ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: قبل الهدى وتعلم أدلته من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وعمل بما علم، وعلم غيره، فهذا الصنف قبل الهدى ونفعه الله بالعلم، ونفع غيره به، فهذا هو العالم العامل المعلم غيره، وهذا الذي شبهه النبي ﷺ بالأرض النقية التي قبلت

الماء كما قبل هو الهدى والعلم، وأنبئت الكلاً والعشب الكثير الذي انتفع به الإنسان والحيوان، فانتفعت في نفسها ونفعت غيرها، كذلك علّم هذا الصنف الناس العلم، وأظهره لهم، ولم يكتمه عنهم، فلم يستأثر به لنفسه فانتفعوا بعلمه.

ففي كل من المشبه والمشبّه به قبول لنعمة الله تعالى، ونفع عباد الله بها، وهذا مثل للعلماء العاملين بالكتاب الكريم والسنة المطهرة، على أكمل وجه، المعلمين غيرهم من غير تقصير، فانتفعوا في أنفسهم ونفعوا غيرهم.

الصنف الثاني: قبل هدى الله تعالى وتعلم العلم النافع، غير أنه لم ينتفع به الانتفاع الكامل من جهة العمل والسلوك، أو من جهة الفهم والاجتهاد، ولكنه حفظ العلم وحرص على جمعه وعلمه للناس، فهذا هو الذي شبهه النبي ﷺ بالأرض الأجاذب التي أمسكت الماء فلم تنتفع به في نفسها، غير أن الله نفع بها الناس فشربوا وسقوا ودأبهم ورعوا، وانتفاع هذه الأرض بالماء غير كامل كمثّل انتفاع هذا الصنف من الناس بالعلم، ولكنهما لا يخلوان من الانتفاع في الجملة، وكلاهما نفع غيره وأفاده.

وهذا الصنف هو المقصود بقوله ﷺ: «نُضِرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفَظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، قَرُبَ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ»^(١).

وهذان الصنفان من الناس مأخوذان من قوله ﷺ في الحديث: «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ».

الصنف الثالث: هو الذي تكبر على العلم ولم يرفع له رأساً، لعدم اكترائه

(١) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع؛ قال أبو عيسى: "حديث زيد بن ثابت حديث حسن"، (٤١/٥-٤٢)، عن زيد بن ثابت.

وأخرجه الترمذي عن غير زيد بن ثابت؛ وأخرجه غير الترمذي، راجع ذلك في غاية الإيضاح، حكم العمل بمحدث الآحاد.

به، ولم يقبل هدى الله الذي بعث به نبيه ﷺ، فهذا هو الذي شبهه الرسول ﷺ بالأرض السبخة أو الملساء التي ليست لها جوانب تحفظ الماء، وليست ذات مسام حتى تقبل الماء وتشربه وتصلح بذلك للنبات أو تفسد الماء على غيرها، فكل من المشبه والمشبه به لا يقبل الخير ولا يعطيه.

ملحوظة: يلاحظ على نص الحديث أنه ﷺ ذكر أن أصناف الأرض ثلاثة تفصيلاً، وهي التي وقع التشبيه بها، وأما المشبه فهو اثنان إجمالاً، لكنه ثلاثة تفصيلاً، ليلتقي المشبه والمشبه به في عددهما وقد أخذ الصنفان الأولان من المشبه من قوله ﷺ: «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلِمَ» على ما مر تفصيله.

وأما الصنف الثالث من المشبه، فقد نص عليه الرسول ﷺ صراحة بقوله: «وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا».

ويرى الإمام الكرمانى أن تثليث المشبه يمكن بتقدير كلمة (مَنْ) قبل لفظ: (نفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم) فيصير الكلام هكذا: "ومن نفعه ما بعثني الله به... إلخ"، فكأنه قال: (ومن نفعه ما بعثني الله به... إلخ) بقرينة عطفه على مَنْ فقه. وبذلك يكون الفقيه بمعنى العالم بالفقه الذي لم ينتفع به في خاصة نفسه الانتفاع الكامل في مقابل الأجادب من الأرض.

ويكون الفقيه العالم الذي انتفع بالعلم في خاصة نفسه وعلم غيره في مقابل الأرض النقية على سبيل اللف والنشر غير المرتب.

على حد قول حسان بن ثابت:

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ
وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سِوَاءِ
أَيٍّ: ومن يمدحه.

(ومن لم يرفع رأساً) في مقابل القيعان^(١).

(١) صحيح البخاري بشرح الكرهاني (٥٨/٢)، تصرف يسير.

خلاصة الوحدة التاسعة

- ١- ضرب الأمثال 'تقريب المعقول من المحسوس.
- ٢- حاجة الإنسانية إلى الإسلام، لا تقل عن حاجتهم إلى الماء الذي تصلح به حياتهم، بل لا تقل عن حاجتهم إلى الهواء الذي يتنفسونه
- ٣- فضل العلم والتعلم وشدة الحث عليهما؛ لما يترتب عليهما من صلاح الدنيا والآخرة.
- ٤- العالم العامل المعلم غيره من أفضل الناس؛ حيث يقوم بمهمة الرسول ﷺ، فالعلماء ورثة الأنبياء.
- ٥- لا تتم ثمرة العلم إلا بالعمل به.
- ٦- ينبغي أن يكون المسلم نافعاً لنفسه نافعاً لغيره.
- ٧- فضل تبليغ العلم.
- ٨- ذم التكبر والإعراض عن العلم، لأنه يؤدي بصاحبه إلى البوار والخسران في الدنيا والآخرة.

اختبار الوحدة التاسعة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- خَرَجَ لأبي موسى الأشعري الأئمة الستة وغيرهم.
- ٢- لم يخرج أحاديث أبي موسى الأشعري إلا البخاري ومسلم فقط.
- ٣- لأبي موسى الأشعري في مسند بقي بن مخلد مائة وستون حديثاً.
- ٤- الكلاً: يطلق على النبات الرطب واليابس معاً.
- ٥- العشب: يطلق على النبات الرطب فقط.
- ٦- الأجاذب: جمع جذب على غير قياس، وقيل: جمع جديب.
- ٧- القيعان: جمع قاع ويطلق على الأرض المستوية، وقيل: الملاء.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل المطروحة فيما يلي:

- ١- خَرَجَ لأبي موسى الأشعري:
أ- الأئمة الستة وغيرهم.
ب- البخاري ومسلم فقط.
- ٢- لأبي موسى الأشعري في مسند بقي بن مخلد:
أ- ١٢٠ حديثاً. ب- ١٤٠ حديثاً. ج- ١٦٠ حديثاً.
- ٣- يطلق الكلاً على النبات:
أ- اليابس. ب- الرطب. ج- الرطب واليابس معاً.

٤ - يطلق العشب على النبات:

أ- اليابس. ب- الرطب. ج- الرطب واليابس معًا.

٥ - الأجاذب جمع:

أ- جذب. ب- حبيب. ج- جذب وحبيب معًا.

٦ - القيعان جمع:

أ- قاع. ب- قوع. ج- قيع.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١ - ترجم لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه راوي الحديث.

٢ - جعل النبي ﷺ الناس بالنسبة إلى لانتفاع بما جاء به ثلاثة أصناف، اذكر الأصناف الثلاثة - مع الشرح.

٣ - اذكر من الحديث ما يدل على: ذم لتكبر والإعراض عن العلم.

٤ - لا تتم ثمرة العلم إلا بالعمل به. اشرح هذا المعنى في ضوء دراستك للحديث.

٥ - ينبغي أن يكون المسلم نافعاً لنفسه، نافعاً لغيره اشرح هذا المعنى في ضوء دراستك للحديث مع ذكر المثل الذي ضربه النبي لهذا الصنف من الناس.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- ترجمه لعبدالله بن عمرو بن العاص راوي الحديث.
- ٢- تؤكد على فضيلة تعلم العلم وحفظه وتبليغه لمن لا يعلمه.
- ٣- تُحذر من اتخاذ الجهال رؤساء؛ لأنه يلزم منه الحكم بالجهل.
- ٤- تدلل على جواز خلّو الزمان من مجتهد؛ لأن الحديث صريح في رفع العلم بقبض العلماء.
- ٥- توضح المنزلة العظيمة للفتوى في دين الله تعالى.
- ٦- تدم الفتوى بغير علم؛ لما يترتب عليها من إضلال الناس.
- ٧- تثبت فيما تحدّث به.
- ٨- نبين أن العلم الحقيقي الذي ينتفع به الناس هو ما حوته صدور العلماء العاملين.

الوحدة العاشرة

قبض العلم بموت العلماء

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا، أَخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَلًا فَسْتَلُوا، فَأَقْتَرُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١).

ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما.

أبو محمد، عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد القرشي السهمي، كان اسمه العاص، فلما أسلم غيره النبي ﷺ إلى عبد الله، أسلم عبد الله وهاجر بعد سنة سبع، وشهد بعض المغازي.

الإمام الحبر، العابد، الزاهد، التقى، النقي، المعرض عن الدنيا المقبل على الله تعالى بطاعته، كان من أشد الناس تواضعًا، صاحب المناقب والفضائل الجمّة، له مقام راسخ في العلم والعمل.

حمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا، وكتب الكثير من الحديث عن النبي ﷺ بإذن صريح منه، وكانت له صحيفة حديث كتبها عن الرسول ﷺ تسمى بالصادقة، قال عنها: كتبها من في رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد، وكان يعتز بها ولا يعيرها لأحد.

خرّج له الأئمة الستة وغيرهم، روى سبعمئة حديث، اتفق البخاري ومسلم على سبعة أحاديث، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بعشرين حديثًا.

قرأ القرآن الكريم كله في ليلة واحدة، فنهاه النبي ﷺ أن يقرأه في أقل من ثلاث ليال.

وأراد أن يصوم الدهر، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك، وقال له: «فَصُمْ صَوْمَ

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، (٣٦/١). وأخرجه مسلم، كتاب العلم،

باب رفع العلم وظهور الفتن في آخر الزمان، صحيح مسلم بشرح النووي، حديث رقم (٢٦٧٣).

أما إذا كان المراد بالناس الجميع بمعنى أن الناس جميعاً اتخذوا الجهال، فإن هذا لن يكون إلا عند عدم بقاء عالم مطلقاً.

قوله: (رؤوساً) -بضم الهمزة والتنوين - جمع رأس، وفي رواية (رؤساء) - بالمد - جمع رئيس.

قوله: (جهالاً) ما المراد بالجهل؟ أهو الجهل البسيط، أم الجهل المركب؟
الجهل البسيط: هو عدم العلم بالشئ مع أن صاحبه يعرف جهله وقدر نفسه.
الجهل المركب: هو عدم العلم بالشئ مع اعتقاد العلم به؛ فالجاهل جهلاً مركباً يجهل جهل نفسه، وهذا أخطر من الجهل البسيط.

والمراد بالجهل في الحديث: هذا يختلف من إنسان لآخر، غير أن الجميع يجمعهم عدم المعرفة، وهذا هو القدر المشترك بين الاثنين.

قوله: (فضلوا)، أي: ضلوا في خاصة أنفسهم عن طريق الله المستقيم؛ لأنهم يسرون بغير هدى، والضلال يقابل الهداية، وهي الدلالة الموصلة إلى المقصود والغبية.
قوله: (وأضلوا)، أي: وأضلوا غيرهم من الناس عن طريق الله المستقيم بجهلهم، فإن الناس ينقادون لهم ويتبعونهم، فيضل الناس بضلال قادهم.
المعنى العام للحديث:

لقد تداركت رحمة الله تعالى الناس، فأرسل إليهم رسوله الخاتم محمدًا ﷺ فأخرج الله به من شاء من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام، وإذا كانت الأمة قد هُذيت بما جاء به النبي ﷺ من كتاب وسنة، فإن بقاءها مهدية مرهون بمحافظتها على العلم الذي جاء به النبي ﷺ يأخذه الخلف عن السلف، وتتناقله الأجيال عن بعضها.
فالمحافظة على العلم وتقديم أهله لقيادة الأمة والرجوع إليهم في أمور الدين والدنيا هو سبب هدايتها في الدنيا وفلاحها في الآخرة.

أما إذا قصرت الأمة في المحافظة على العلم، ولم تحافظ عليه، ولم تعبأ بأهلها، بل وُسِّد الأمر إلى الجهلة، فإن الجاهل لا يأنس إلا بمن على شاكلته، فإنه سيقدم الجهلة يقودون الأمة، بل ويجعلهم يتصدرون للإفتاء؛ ليحققوا له أطماعه، وعند ذلك تقع الكارثة، فتسقط قيمة العلم، ولا يعبأ الناس به ولا بأهلها، فيعزف الناس عن تعلم العلم وبذل الجهد في تحصيله، وعند ذلك يكون أمر العلماء في تناقص

مستمر إلى أن يصل الأمر بالناس إلى تولية الجهلة، وماذا ينتظر إذا قُدِّمَ الجهلة وكانوا في الصدارة، واحتقر العلم والعلماء العاملون بالكتاب والسنة، لن يكون إلا ما قاله الرسول ﷺ: «ستضل الأمة بموت العلماء العاملين»^(١).

فإن العلم الحقيقي الذي ينتفع به الناس ما حوته صدور لعلماء العاملين. أما بقاء العلم في الكتب بعد رفعه بموت العلماء لا يغني من ليس بعالم شيئاً. فيكون قبض العلم بتضييع التعلم، فلا يوجد فيمن يبقى من يخلف من مضى. عن أبي أمامة الباهلي قال: "لما كان في حجة الوداع، قام رسول الله ﷺ فقال: "يا أيها الناس خذوا من العلم قبل أن يُقبض العلم، وقبل أن يرفع العلم..."^(٢) (الحديث)؛ وفيه: فقال النبي ﷺ: "أَلَا وَإِنَّ مِنْ ذَهَابِ الْعِلْمِ أَنْ يَذْهَبَ حَمَلَتُهُ" ثلاث مرات^(٣). قال عبد الله بن مسعود ؓ: "تعلموا العلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب أهله"^(٤).

هل هذا الحديث خاص بالمفتين، أم يدخل في ذلك القضاة الجهلة؟ هذا الحديث لا يخص تخصصاً دون تخصص، بل يشمل جميع التخصصات؛ وذلك أن الجاهل إن أسند إليه عمل من الأعمال، فإن الخراب سيأتي على يديه، ويدخل في ذلك المفتي والقاضي دخولاً أولياً؛ وذلك لأن العوام - وهم السواد الأعظم في المجتمع - يتبعونهم وينقادون لهم ويعملون بقولهم.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٩٧/١) (رقم ٩٨٨)، عن ابن عمرو بلفظ قريب وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠١/١)، وقال فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف ووثقه عبد الملك بن شعيب بن الليث.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٥٦/٨) (رقم ٧٨٦٧)، عن أبي أمامة الباهلي وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٩/١)، وقال إسناده الطبراني أصح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده "جزء حديث"، (٢٢٦/٥).

(٤) أخرجه الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التطع والتدع، (٥٠/١).

خلاصة الوحدة العاشرة

- ١- الحث على حفظ العلم وتعليمه لمن لا يعلمه، فهو سر بقاء الأمة الإسلامية عزيزة مهدية بمداية الله لها، تعيش على علم وبصيرة.
- ٢- حضّ أهل العلم وطلبته على أن يأخذ بعضهم من بعض؛ لأن هذا من أسباب استدامة العلم وبقاء العلماء.
- ٣- التحذير من اتخاذ الجهال رؤساء؛ لأنه يلزم منه الحكم بالجهل، وذلك إنما يكون عندما يتغلب الجهلة فيقدم الجهلة من على شاكلتهم وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا».
- ٤- لا يلزم من هذا الحديث ترئيس بعض من لم يتصف بالجهل التام في آخر الزمان، كما لا يمتنع من ترئيس من ينسب إلى الجهل في زمن الاجتهاد، فالمراد الأعم الأغلب في الفريقين.
- ٥- جواز خلوّ الزمان من مجتهد؛ لأن الحديث صريح في رفع العلم بقبض العلماء، وهو قول جمهور العلماء؛ خلافاً لأكثر الحنابلة ومن وافقهم؛ لأنه إذا انتفى العلم ومن يحكم به استلزم انتفاء الاجتهاد والمجتهدين.
- ٦- منزلة الفتوى العظيمة من دين الله تعالى، وأن الفتوى هي الرياسة الحقيقية.
- ٧- ذم الفتوى بغير علم لما يترتب عليها من إضلال للناس في الدنيا وشقائهم في الآخرة.
- ٨- التثبت فيما يحدث به المحدث إذا قامت قرينة الذهول ومراعاة حال الفاضل في مخاطبته.
- ٩- العلم الحقيقي الذي ينتفع به الناس ما حوته صدور العلماء العاملين أما بقاء العلم في الكتب بعد رفعه بموت العلماء فلا يعني من ليس بعالم شيئاً.

اختبار الوحدة العاشرة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- روي قوله ﷺ: "لم يبق عالماً" بضم الياء، أي: لم يبق الله عالماً، وبفتح الياء ورفع عالم، أي: لم يبق عالم.

٢- المراد بالناس -في قوله ﷺ: "اتخذ الناس رؤوساً جهالاً" -جميع الناس.

٣- قال جمهور العلماء بجواز خلو الزمان من مجتهد وخالفهم في هذا أكثر الحنابلة.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر الإجابة الصحيحة من بين البدائل المطروحة فيما يلي:

١- روي قوله ﷺ: "لم يبق عالماً":

أ- بضم الياء. ب- بفتح الياء. ج- بالضم والفتح معاً.

٢- المراد بالناس في قوله ﷺ: "اتخذ لناس رؤوساً جهالاً":

أ- جميع الناس. ب- مجموع الناس. ج- كلاهما محتمل.

٣- جواز خلو الزمان من مجتهد: رأي قال به:

أ- جمهور العلماء خلافاً لأكثر الحنابلة.

ب- الحنابلة خلافاً للجمهور.

ثالثاً: الأسئلة المقالية: أجب عن الأسئلة الآتية:

١- ترجم لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

٢- ما المراد بالجهل في الحديث، أهو الجهل البسيط أم الجهل المركب؟ بين ذلك

في ضوء فهمك للحديث.

٣- "المحافظة على العلم وتقديم أهله لقيادة الأمة والرجوع إليهم في أمور الدين والدنيا هو سبب الهداية والفلاح في الدنيا والآخرة".

اشرح هذا المعنى في ضوء فهمك للحديث.

٤- وضح هل هذا الحديث خاص بالمفتين، أم يدخل في ذلك القضاة الجهلة وغيرهم؟

٥- هل يجوز خلو الزمان من مجتهد؟ اذكر أقوال العلماء في هذا، وما الدلالة من الحديث على جواز خلو الزمان من مجتهد؟



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادراً على أن:

- ١- تترجم لأبي سعيد الخدري راوي الحديث، وتعرف بفضله.
- ٢- تدلل على ضرورة حرص المرأة المسلمة على تعلم دينها.
- ٣- تبين مدى حرص النبي ﷺ على تعليم أمته رجالاً ونساءً، شباباً وشيوخاً.
- ٤- تبين جواز كلام النساء مع الرجال إذا توافرت الضوابط الشرعية.
- ٥- توضح جواز حضور النساء للمساجد وسؤالهن عن أمور الدين.
- ٦- تؤكد على حق المرأة في تعلم أمور دينها.
- ٧- تبين مدى شفقة النبي ﷺ على أمته رجالاً ونساءً.
- ٨- تذكر فضل الصبر على أقدار الله تعالى.
- ٩- تدلل على أن من يصبر على بلاء الدين يعوض عن ذلك بالآخرة.

الوحدة الحادية عشرة

حرص المرأة المسلمة على تعلم دينها

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: "غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرَّجَالَ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ؛ فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةَ مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ»؛ فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَأَتَيْنِ؟ فَقَالَ: «وَأَتَيْنِ»^(١).

ترجمة أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبرار الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري صحابي وابن صحابي -رضي الله عنهما- استصغره النبي ﷺ يوم أحد. قال أبو سعيد: عُرِضَتْ يوم أحد على النبي ﷺ وأنا ابن ثلاث عشرة، فجعل أبي يأخذ بيدي ويقول: يا رسول الله إنه عبل العظام. وجعل نبي الله ﷺ يصعد في النظر ويصوبه ثم قال: «رده» فردني^(٢).

واستشهد أبوه مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأحد وغزا أبو سعيد ما بعد أحد فشهد الخندق وبيعة الرضوان وغيرهما.

قال الإمام الذهبي: الإمام المجاهد مفتي المدينة حدث عن النبي ﷺ فكثر وأطاب^(٣). روى عن النبي ﷺ الكثير، وعن الخلفاء الأربعة، وغيرهم. روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وجابر، وغيرهم. وروى عنه من كبار التابعين سعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي، وغيرهم. كان أبو سعيد ممن بايعوا رسول الله ﷺ على أن لا تأخذهم في الله لومة لائم. عن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال: بايعت النبي ﷺ أنا وأبو ذر وعبادة بن الصامت ومحمد بن مسلمة وأبو سعيد الخدري وسادس، على أن لا

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم، (٣٦/١).

(٢) سير أعلام النبلاء، (١٦٩/٣).

(٣) سير أعلام النبلاء، (١٦٨/٣).

تأخذنا في لومة لائم فاستقال السادس فأقاله^(١).

كان ﷺ عفيف النفس شديد الامثال لأمر رسول الله ﷺ والأخذ بنصحه وإرشاده وثقته المطلقة بوعد الله ورسوله ﷺ لما سمع رسول الله ﷺ يعد المتعفين عن المسألة بأن الله ﷻ سيغنيهم من فضله وإحسانه وقد جاء يسأل الرسول ﷺ وقد بلغت به الحاجة مبلغاً عظيماً حتى إنه ربط على بطنه الحجر من شدة الجوع إلا أنه أثر الصبر والاحتمال رجاء ما عند الله ﷻ وقد تحقق له ما وعد به رسول الله ﷺ فأغناه الله من فضله.

كان أبو سعيد الخدري ﷺ قوالاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، وموقفه من الرجل الذي أنكر على مروان بن الحكم تقديم خطبة العيد على الصلاة، يشهد بذلك فلم يكتف أبو سعيد الخدري بتعزيده، بل أنكر بيده حيث جذب مروان محاولاً منعه من صعود المنبر لأداء الخطبة قبل الصلاة، غير أن مروان تغلب عليه وصعد المنبر وخطب قبل الصلاة، كما جاء ذلك في صحيح مسلم.

خرّج له الأئمة الستة، وهو من المكثرين من الحديث روى ألفاً ومائة وسبعين حديثاً، وكان من أفقه أحداث الصحابة.

توفي سنة أربع وسبعين من الهجرة ﷺ^(٢).

المباحث اللغوية:

قوله: (غلبنا عليك الرجال) يقال غلب فلان على الشيء أخذه كرهاً والمراد بقول النساء؛ (غلبنا عليك الرجال) أن الرجال أخذوا حظاً أوفر من النساء نظراً لقربهم من رسول الله ﷺ.

قوله: (فاجعل لنا يوماً من نفسك)، أي: عيّن لنا يوماً من أيام نفسك وعبر عنه بالجعل؛ لأنه لازمه، والمراد رد ذلك إلى اختياره ﷺ لا إلى اختيار النساء، والتقدير: فوفى بوعده فلقينهن فوعظهن.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، (٣٥/٢).

(٢) سير أعلام النبلاء، (١٦٨/٣) الإصابة في تمييز الصحابة، (٣٥/٢).

قوله: (وأمرهن)، أي: أمرهن بالصدقة أو حذف المأمور به لإرادة التعميم.
قوله: (الحجاب) الساتر أو ما حال بين شيئين، سواء كان حسياً أو معنوياً
قوله: (تُقدم ثلاثة من ولدها)، أي: تصير على فقد ثلاثة من ولدها، وعبر
عن ذلك بهذا القول مبالغة في الرضا، فكأن المرأة التي ابتليت بفقدان أبنائها هي
التي قدمتهم بنفس راضية لله تعالى.

المراد بالمرأة التي سألت رسول الله ﷺ: قيل: هي أم سليم الأنصارية والدة أنس
بن مالك، وقيل: أم مبشر الأنصارية، وقيل: أم أيمن، وقيل: عائشة. والله أعلم.
المعنى العام للحديث:

حرص النبي ﷺ كل الحرص على تعليم الأمة وتربيتها رجالاً ونساء، شباباً
وشيوخاً، ما تصلح به حياتهم في الدنيا، وما يكون سبباً لسعادتهم في الدار الآخرة.
ولم يخص ﷺ بالتعليم والتربية بعضهم دون بعض؛ وذلك لأن المجتمع لن
ينهض ولن تستقيم أموره، إلا إذا تعلم جميع أفرادهِ ورُبوا على تعاليم الإسلام
العالية الرفيعة، بغض النظر عن النوع أو السن، وكان من ثمار هذه التربية المباركة
أن رُبى المجتمع كله وصار الجميع رجالاً ونساءً شيوخاً وشباباً في اتجاه واحد نحو
مرضاة الله تعالى، وتعاون الجميع على البر والتقوى، وأقاموا المجتمع الفاضل في
المدينة المنورة الذي أمن كل إنسان فيه على نفسه وماله وعرضه، ووجدت
الأخوة الصادقة بين أفراد هذا المجتمع في أرقى صورة عرفتها الإنسانية، واختفت
الجريمة من المجتمع، ومرّ ذلك كله إلى سلامة المنهج الذي رُبى عليه هؤلاء
الصحابه رضي الله عنهم، وإلى صدق المُرِّي ﷺ.

وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، واحد من هذه الأحاديث التي
تثبت صدق ما نقول، فإن النساء -مع مشاركتهن الرجال في الأخذ والتلقي عن
رسول الله ﷺ- لم يكتفين بذلك، بل طلبن من الرسول ﷺ أن يخصهن بيوم دون
الرجال، وقد استجاب الرسول ﷺ لِرغبتهن، وجعل لهن يوماً خاصاً، وهذا يدل
على مدى اهتمام الإسلام بالمرأة؛ وذلك لأنها مُربية الرجال الذين تقوم على
أكتافهم الدولة، وبصلاحها يصلح الرجال.

فقه الحديث:

قوله: (غلبنا عليك الرجال)، أي: أن الرجال يلزمون النبي ﷺ في مجالس العلم كل يوم ليتعلموا منه أمور دينهم. وأن النساء لا يستطعن مزاحمة الرجال في تلك المجالس أدباً وحياء.

لهذا طلب النساء من الرسول ﷺ أن يجعل لهن يوماً خاصاً يخصصن فيه بالتعليم والتربية، بحيث لا يشاركن فيه الرجال، حتى تستطيع تلقي العلم مباشرة منه كما يتفقه الرجال.

قوله: (فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فرعظهن وأمرهن)، أي: فاجاب الرسول ﷺ طلب النساء أن يخصص لهن يوماً، فوفى بوعده لهن، فجاءهن فوعظهن فيه وأمرهن بما فيه الخير لهن في الدنيا والآخرة، أو أمرهن بالصدقة. وحذف المأمور به لإرادة التعميم. وقد جاء في رواية البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه، جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرَّجُلُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ نُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ؛ فَقَالَ: «اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا»، فَاجْتَمِعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ»، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاثْنَيْنِ؟ قَالَ: فَأَعَادَتْهُنَّ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ»^(١).

قوله: (فكان فيما قال لهن: ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار) لقد وعظ النبي ﷺ النساء، فكان من جملة مواعظه لهن تلك البشارة التي تخفف حزن الأمهات على أولادهن، وتجعلهن يصبرن على فقدهن، حيث قال لهن: إن المرأة التي يموت لها ثلاثة من أولادها -ذكوراً كانوا أو إناثاً- وتصبر على فقدهن حتى كأنها تقدمهم بنفسها إلى رها، فإن ذلك يكون لها وقاية من النار، فإن الصبر على فقد الولد أشق الأمور على النساء، فلهذا حصل لهن هذا الجزاء العظيم. وقد ضنت إحدى النساء أن هذا الجزاء لا يختص إلا بمن فقدت ثلاثة من

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي ﷺ أمته، (١٢٤/٩).

الأولاد، فقالت بأسلوب السؤال: واثنين؟ فقال: واثنين، أي: ومن فقدت اثنين من أولادها كانا لها حجاباً من النار.

وقد جاء في الحديث أن الجزاء على فقدان الواحد كالجزاء على فقدان الاثنين والثلاثة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا لِعِبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ﴾»^(١) فَإِنْ قُلْتُ: هل الرجل يؤجر على فقدان الأبناء كالمرأة؟

قلت: إن الرجل والمرأة في الأجر سواء على فقدان الأبناء، فإنه لا خصوصية للمرأة تقتضي انفرادها بهذا الأجر؛ لأن الرجل يحزن ويتألم على فقدان الأبناء كالمرأة سواء بسواء، فإذا صبر الرجل على فقدان ابنه أُجر كالمرأة الصابرة على فقدان ابنها.

وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»^(٢).

وإنما خص النبي ﷺ النساء بالذكر؛ لأن الموعدة كانت موجهة إلى النساء. ملحوظة هامة: ينبغي أن نعلم أن الأجر والثواب ليس على فقدان الأبناء أو الابتلاء في حد ذاته، ولكن الأجر والثواب إنما يكون على الصبر على قضاء الله وقدره، والتسليم له ﷻ، واحتساب الأجر عند الله تعالى، والصبر تتفاوت درجاته، والأجر يختلف باختلاف درجة الصبر.

وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ: «تُقَدَّمُ ثَلَاثَةٌ مِنْ وَلَدِهَا»، فكأن الأم تقدم أبنائها بنفسها إلى ربها بنفس راضية، مبالغة في الرضا والتسليم لله رب العالمين.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يُتَغْنَى به وجه الله، فتح الباري، (٢٤٦/١١).

المراد بالقبض: قبض روحه، وهو الموت. الصفي: هو الحبيب المصافي، كالولد والأخ، وكل من يحبه الإنسان. المراد باحتسابه: الصبر على فقده راجياً الأجر من الله تعالى على ذلك.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسبه، فتح الباري، (١٤٢/٣).

وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة حيث قال ﷺ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّةً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ﴾" (١).

فالأجر والثواب إنما يكون على الصبر والتسليم لله، والرضا بقضاء الله وقدره، واحتساب الأجر والثواب عند ﷻ، وهذا ظاهر واضح في القرآن الكريم والسنة المصهرة، وأدلته أظهر من أن تذكر، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

قال الحافظ ابن حجر: "قوله: (فاحتسب)، أي: صبر راضياً بقضاء الله، راجياً فضله، وقد عرف من القواعد الشرعية أن الثواب لا يترتب إلا على النية، فلا بد من قيد الاحتساب، والأحاديث المطلقة (أي: التي ليس فيها التقييد بالاحتساب) محمولة على المقيدة (أي التي ورد الأجر فيها مقيداً بالاحتساب)" (٢).

وقد ترجم لذلك الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: باب فضل من مات له ولد فاحتسبه، وقول الله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]: قال الحافظ ابن حجر: "وقد وصف الله الصابرين بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

فكان الإمام البخاري أراد تقييد ما أطلق في الحديث بهذه الآية الدالة على ترك القلق والجزع، ولفظ (المصيبة) في الآية وإن كان عاماً لكنه يتناول المصيبة بالولد، فهو من أفرادها.

(١) تقدم ترجمته.

(٢) فتح الباري، (٣/١٤٣).

خلاصة الوحدة الحادية عشرة

- ١- جواز كلام النساء مع الرجال، مع مراعاة الضوابط الشرعية.
- ٢- جواز حضور النساء المساجد، وسؤالهن عن أمور دينهن.
- ٣- حق المرأة في تعلم أمور دينها، مع مراعاة الآداب الإسلامية.
- ٤- شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمته رجالاً ونساء، حيث أجاب النساء إلى طلبهن، وإن كلفه ذلك بعض المشقة.
- ٥- فضل الصبر على أقدار الله تعالى، وأن الله وعد الصابرين الثواب العظيم.
- ٦- الأعمال الصالحة تكون وقاية لأصحابها من النار.
- ٧- من يصبر على بلاء الدنيا، يعوض عن ذلك في الآخرة.

اختبار الوحدة الحادية عشرة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- خرّج لأبي سعيد الخدري الأئمة الستة وقد روى ﷺ ألفاً ومائة وسبعين حديثاً، وكان من أفضقه الصحابة.

٢- المراد بما جاء في الحديث: "غلبنا عليك الرجال" أن الرجال قد أخذوا حظاً أوفر من النساء.

٣- توفي أبو سعيد الخدري سنة أربع وستين من الهجرة.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- خرّج لأبي سعيد الأئمة الستة وقد روى:

أ- ٦٢٠ حديثاً. ب- ١٢٢٠ حديثاً. ج- ١١٧٠ حديثاً.

٢- توفي أبو سعيد الخدري سنة:

أ- ٦٤هـ. ب- ٧٤هـ. ج- ٥٤هـ.

٣- الحجاب هو الساتر:

أ- الحسيّ. ب- الحجاب المعنوي. ج- كلاهما صحيح.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- ترجم لأبي سعيد الخدري ﷺ راوي الحديث.

٢- من هي المرأة التي سألت رسول الله ﷺ في هذا الحديث؟

٣- لن ينهض المجتمع ولن تستقيم أموره إلا إذا تعلم جميع أفراداه بغضّ النظر عن النوع أو السن. اشرح هذا القول في ضوء فهمك للحديث.

٤- لا يكون الأجر والثواب على مجرد فقد الأبناء ولكن يكون على الصبر على قضاء الله فيهم. أيد هذا المعنى بالأدلة التي درستها في شرح الحديث.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تترجم لأبي هريرة رضي الله عنه راوي الحديث.
- ٢- تبين عظم جريمة الكذب على رسول الله ﷺ.
- ٣- تدلل على أن الكذب من أخص صفات المنافقين.
- ٤- تذكر مذاهب العلماء في حكم التكني بأبي القاسم.
- ٥- تدلل على جواز رؤيا النبي ﷺ في النوم.
- ٦- تذكر بعض فوائد رؤيته ﷺ منامًا.
- ٧- توضح هل ثبت برؤيا النبي ﷺ أحكام شرعية؟
- ٨- تُرهب من الكذب على النبي ﷺ.
- ٩- تذكر مذاهب العلماء في الرضاعين هل يكفرون بإطلاق أم لا؟
- ١٠- تذكر حكم وضع أحاديث الترغيب والترهيب.
- ١١- تبين حكم رواية الحديث الموضوع.

الوحدة الثانية عشرة

إثم الكذب على رسول الله ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكْتُبُوا بِكُنْيَتِي، وَمَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ فِي صُورَتِي، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

المباحث اللغوية:

(الكنية) - بضم الكاف وسكون النون - مأخوذة من الكناية، تقول: كنى عن الأمر بكذا إذا ذكرته بغير ما يستدل به عليه صريحاً، وقد اشتهرت الكنى للعرب حتى ربما غلبت على الأسماء - كأبي طالب - وقد يكون للواحد كنية واحدة فأكثر، وقد يشتهر باسمه وكنيته جميعاً.

و(الكنية) ما صُدِّرت بأب أو أم.

وكان النبي ﷺ يكنى أبا القاسم بولده القاسم، وكان القاسم أكبر أولاده.

(اللقب) ما أشعر بمدح أو ذم.

المراد من قوله: (من رأى في المنام فقد رأى) أن رؤياه صحيحة لا تكون أضغاثاً، ولا من تشبيهات الشيطان.

ويلاحظ في قوله: (من رأى في المنام فقد رأى) اتحاد الشرط والجزاء، فدل على التناهي في المبالغة في التعظيم، أي من رأى فقد رأى حقيقتي على كمالها بغير شبهة ولا ارتياب فيما رأى، بل هي رؤيا كاملة، ويؤيده قوله في حديثي أبي قتادة وأبي سعيد (فقد رأى الحق)، أي: رؤية الحق لا الباطل.

قوله: (فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي) لا يصير كائناً في مثل صورتي،

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، (٣٨/١).

وأخرجه مسلم، كتاب الأدب، باب ما يستحب من الأسماء، حديث رقم (١٦٣٤).

وفي ذلك إشارة إلى أن رؤياه لا تكون أضغاثاً.

تعريف الكذب: هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، قاصداً الكذب، وهذا هو الكذب الذي يعاقب عليه الشرع، وتوعد مرتكبه بالعذاب الأليم. قوله: (فليتبوا مقعده من النار) قال العلماء: معناه فليُنزل وقيل: فليتخذ منزله من النار.

قال الخطابي: أصله من مباءة الإبل، وهي أعطانها، ثم قيل: إنه دعاء بلفظ الأمر، أي: بوأه الله ذلك، وكذا فليلج النار. وقيل: هو خبر بلفظ الأمر، أي: معناه فقد استوجب ذلك فليوطن نفسه عليه، ويدل عليه الرواية الأخرى: يلج النار، وجاء في رواية: «بني له بيت في النار».

المعنى العام للحديث:

من المعلوم أن الكذب من أكبر الذنوب؛ لما يترتب عليه من المفساد العظيمة فهو رافع للثقة بين الناس مضيع للحقائق، فالجتماع الذي ينتشر فيه الكذب لا تبقى فيه حقيقة تُعرف.

لذلك حذر الإسلام من الكذب غاية التحذير، وجعله من الأسباب المفضية إلى الانبعاث في المعاصي والاستكثار منها، وذلك يفضي بصاحبه إلى العذاب الأليم في نار جهنم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»^(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وما ينهى عن الكذب، (٣٠/٨). وأخرجه مسلم "واللفظ له"، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصديق، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦/١٦٠-١٦١).

وجعل النبي ﷺ الكذب من أخص خصال المنافقين التي يعرفون بها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اتُّمِّنَ خَانَ»^(١).

كما ورد أن الكذب لا يُجامع الإيمان.

عَنْ مَالِكٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»؛ فَقِيلَ لَهُ: أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»؛ فَقِيلَ لَهُ: أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَابًا؟ فَقَالَ: «لَا»^(٢).

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا النِّجَاةَ وَالْكَذِبَ»^(٣).

وإذا كان هذا الوعيد الشديد والتغليظ العظيم في الكذب على آحاد الناس - ومفسدة الكذب هنا لا تتعدى المكذوب عليه إلى غيره - فكيف بالكذب على رسول الله ﷺ ووضع الحديث عليه ﷺ؟، وحديثه ﷺ يدان لله به ويتقرب به إليه تعالى.

إن مفسدة وضع الحديث والكذب عليه ﷺ تظل سارية إلى يوم القيامة ويتضرر بها المسلمون جميعًا إلى يوم القيامة، ما لم يفتن إلى كذبه وافتراءه؛ ولذلك تُوعَّد بهذا الوعيد الشديد.

ثم إن وضع الحديث على رسول الله ﷺ يدل على ضعف دين الوضع،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (١٥/١). وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب خصال المنافقين، صحيح مسلم بشرح النووي، (٤٦/٢) وفي رواية أخرى عند مسلم في نفس الكتاب والباب السابق: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الكلام، باب ما جاء في الصدق والكذب - (٩٩٠/٢)، مرسلًا أو معضلًا؛ قال أبو عمر "أي: ابن عبد البر": لا أحفظه مسندًا من وجه ثابت وهو حديث مرسل، الموطأ (٩٩٠/٢).

(٣) أخرجه ابن عدي في كامله، باب الكذب يكون مجانبًا للإيمان - (٢٩/١-٣٠). وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وعزاه للبخاري، قال: وسنده قوي، وذكر الدارقطني في العلل أن الأشبه أنه موقوف، وشاهد المرفوع من مرسل صفوان بن سليم في الموطأ، فتح الباري، (٥٢٤/١٠).

وقلة خوفه من الله تعالى وجرأته على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ، وعدم مبالاته.
عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالَا:
الَّذِي رَأَيْتُهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ بِالْكَذْبَةِ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ
فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

لذلك كان جزاءه أن يعاقب في موضع كذبه وهو فمه بهذا العذاب الموجه
الأليم إلى قيام الساعة.

وإذا كان الله تعالى قد نهى المسلم أن يبيع شيئاً أو يجرم شيئاً بدون دليل
شرعي، وتوعد من يبيع أو يجرم -بمواه- بالخزي في الدنيا والعذاب الأليم في
الآخرة. وهذا الوعيد الشديد والقول منسوب إلى قائله لم ينسبه قائله إلى الله
تعالى ولا إلى رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا
حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ
مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحل: ١١٦-١١٧].

فكيف بمن يستبيح لنفسه أن ينسب كلاماً إلى رسول الله ﷺ لم يقله،
والرسول هو المبلّغ عن الله تعالى، والذي يجب على المسلمين أن ينزلوا على
حكمه وينصاعوا لأمره.

كما أن النبي ﷺ بَشَّرَ من يراه في النوم بأنه قد رأى الحق.

فقه الحديث:

اشتمل هذا الحديث على مسائل نبينها فيما يأتي:

أ- حكم التكني بكنيته ﷺ أي: بـ (أبي القاسم):

اختلف العلماء في التكني بـ (أبي القاسم)، وهذه مذاهبهم:

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وما ينهى عن الكذب (٨/٣٠-٣١).

- ١- مذهب الإمام الشافعي وأهل الظاهر: لا يحل التكني بـ (أبي القاسم) لأحد أصلاً، سواء كان اسمه محمداً أو أحمد، أم لم يكن، لظاهر هذا الحديث.
- ٢- مذهب الجمهور: يجوز التكني بـ (أبي القاسم) بعد وفاته لمن اسمه محمد أو غير محمد، ويختص النهي عن ذلك بحياته ﷺ.
- ٣- لا يجوز لمن اسمه محمد أن يكنى بـ (أبي القاسم) ويجوز لغير المسمى بمحمد أن يكنى بـ (أبي القاسم).
- ٤- ذهب ابن جرير إلى أن النهي عن التكني بـ (أبي القاسم) للتنزيه والأدب، وليس للتحريم.

ب- رؤيا النبي ﷺ في النوم، وهل يثبت بها أحكام شرعية؟

قال الحافظ ابن حجر -بعد أن ذكر أقوال العلماء في المراد بقوله: (من رآني في المنام فقد رآني)-: "والصحيح في تأويل هذا الحديث أن مقصوده أن رؤيته في كل حالة ليست باطلة ولا أضغاثاً؛ بل هي حق في نفسها ولو رؤي على غير صورته، فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان، بل هو من قبل الله ويؤيد ذلك التفسير قوله ﷺ: «مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ»^(١).

أي: رأى الحق الذي قصد إعلام الرائي به، فإن كانت على ظاهرها وإلا سعى في تأويلها، ولا يهمل أمرها؛ لأنها إما بشرى بخير أو إنذار من شر، إما ليخيف الرائي أو لينزجر عنه، وإما لينبه على حكم يقع له في دينه أو دينه^(٢). قال ابن بطال في قوله ﷺ «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»^(٣): "يريد تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق، وليس المراد أنه يراه في الآخرة؛ لأنه سيراه يوم القيامة في اليقظة فتراه

(١) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، فتح الباري، (٤٠٠/١٢)، عن أبي قتادة.

(٢) فتح الباري (٤٠١/١٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، فتح الباري- (٣٩٩/١٢).

جميع أمتة من رآه في النوم ومن لم يره منهم" (١).

قال الحافظ ابن حجر: "والذي يظهر لي أن المراد: من رآني في المنام على أي صفة كانت فليستبشر ويعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق التي هي من الله لا الباطل الذي هو الحلم، فإن الشيطان لا يتمثل بي".

فوائد رؤيته ﷺ:

تسكين شوق الرائي؛ لكونه صادقاً في محبته؛ ليعمل على مشاهدته، وإلى ذلك الإشارة بقوله: (فسيراني في اليقظة).

أي: من رآني رؤية معظم لحرمتي ومشتاق إلى مشاهدتي وصل إلى رؤية محبوبه وظفر بكل مطلوبه.

قال الحافظ ابن حجر: "قال محمد بن أبي حمزة: ومنهم من قال: إن الشيطان لا يتصور على صورته أصلاً، فمن رآه في صورة حسنة فذاك حسن في دين الرائي. وإن كان في جارحة من جوارحه شين أو نقص فذلك خلل في الرائي من جهة الدين، قال: وهذا هو الحق، وقد جرب ذلك فوجد على هذا الأسلوب، وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل أو لا؟ لأنه ﷺ نوراني مثل المرأة الصقيلة ما كان في الناظر إليها من حسن أو غيره تصور فيها، وهي في ذاتها على أحسن حال لا نقص فيها ولا شين.

وكذلك يقال في كلامه ﷺ في النوم إنه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق، وما خالفها فالخلل في سمع الرائي، فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل إنما هو في سمع الرائي أو بصره، قال: وهذا خير ما سمعته في ذلك" (٢).

ج- هل يثبت بالرؤيا أحكام شرعية؟

قال الحافظ ابن حجر: "صرح الأئمة أن الأحكام الشرعية لا تثبت بالرؤيا"

(١) فتح الباري (٤٠١/١٢).

(٢) فتح الباري (٤٠٣/١٢-٤٠٤).

خلافًا لبعض المبتدعة^(١).

قال أبو المظفر ابن السمعاني: "والذي عليه العمل، أنه لا يجوز العمل بالرؤيا إلا عند فقد الحجج الشرعية كلها في باب المباح، وعند بعض المبتدعة أنه حجة، وهذا باطل".

هل لو رأى النائم أن النبي ﷺ يأمره بشيء هل يجب عليه امتثال أمره أو لا بد أولاً أن يعرضه على الشرع؟

لا بد من عرض ما أمر به النبي ﷺ في الرؤيا على الشرع، فإن وافق الشرع عمل به، وتكون فائدة الرؤيا تثبيت الرائي وطمأنته أنه على الحق، أما إذا كانت الرؤيا مخالفة للشرع فلا يعمل بها مطلقاً، وتكون من تلبس الشيطان، فإن الشك ليس في الرؤيا، بل في الرائي فقد يكون الشيطان لبس عليه الأمر في الفترة ما بين الرؤيا واليقظة، والله أعلم.

د- حكم الكذب عليه ﷺ:

اختلف العلماء في الوضّاع، هل هو مرتكب لكبيرة من أكبر الكبائر يتناسب خطرها وإثمها مع الآثار المترتبة عليها كما ذهب إلى ذلك الجمهور، أم أنه يخرج بذلك من ملة الإسلام كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء؟ وهل لو تاب تقبل روايته كما ذهب إلى ذلك جماعة من العلماء، أم لا تقبل له رواية وإن تاب كما ذهب إلى ذلك الإمام أحمد وغيره؟

أولاً: مذهب الجمهور: ذهب جمهور العلماء إلى أن الكذب على رسول الله ﷺ كبيرة من أكبر الكبائر وصاحبها متوعد بالعذاب الأليم في الدار الآخرة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

(١) فتح الباري (٤٠٥/١٢).

(٢) تقدم تخريجه.

قال الإمام النووي: في هذا الحديث تعظيم تحريم الكذب عليه ﷺ وأنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة، ولكن لا يكفر بهذا الكذب إلا أن يستحله، هذا هو المشهور من مذاهب العلماء من الطوائف^(١).

ثانيًا: ذهب جماعة من العلماء، منهم: الشيخ أبو محمد الجويني وناصر الدين بن المنير وابن معين وغيرهم إلى كفر من كذب على رسول الله ﷺ متعمداً ككفر عقدياً^(٢)، ولعلمهم ذهبوا هذا المذهب؛ لأن الذي يكذب على رسول الله ﷺ يعطي نفسه حق التشريع وهذا حق لله تعالى لا يجوز أن ينازع فيه.

ويصير ما وضعه على رسول الله ﷺ شرعاً متبعاً مستمراً إلى يوم القيامة فيقترب الناس بما وضعه الكذاب على رسول الله ﷺ إلى الله تعالى إن لم يظن إلى كذبه وزيفه، فالكذب عليه ﷺ ليس كالكذب على آحاد الناس ومعلوم أن الكذب على آحاد الناس من كبائر الذنوب.

عَنِ الْمُغِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ كَذَبَ عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبِ عَلَيَّ أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٣).

قال العلامة الملا علي القاري: قال شيخ مشايخنا الحافظ جلال الدين السيوطي: لا أعلم شيئاً من الكبائر قال أحد من أهل السنة بتكفير مرتكبه إلا الكذب على رسول الله ﷺ فإن الشيخ أباً محمد الجويني من أصحابنا الشافعية وهو والد إمام الحرمين قال: إن من تعمد الكذب عليه ﷺ يكفر كفراً يخرج عنه الملة وتبعه على ذلك طائفة منهم الإمام ناصر الدين بن المنير من أئمة المالكية^(٤).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (١/٦٩).

(٢) الاسرار المرفوعة في الإخبار الموضوعة (ص ٦٨-٦٩).

(٣) أخرجه مسلم، مقدمة الصحيح، باب تغييض الكذب على رسول الله ﷺ، صحيح مسلم بشرح

النووي، (١/٦٩-٧٠). وأخرجه ابن عدي في كامله، باب أعظم الكذب هو الكذب على رسول الله

ﷺ ليس كالكذب الاسرار المرفوعة في الإخبار الموضوعة (ص ٦٨-٦٩). على غيره، (١/٩).

(٤) الاسرار المرفوعة في الإخبار الموضوعة (ص ٦٨-٦٩).

ثالثاً: ذهب جماعة من العلماء إلى التفرقة بين الكذب عليه ﷺ في التحليل والتحريم والكذب عليه ﷺ في الفضائل والترغيب والترهيب... وغير ذلك.
فقالوا: من كذب عليه ﷺ في الأحكام فأحل ما حرم الله ورسوله ﷺ أو حرم ما أحل الله ورسوله - فهذا كفرٌ يخرج من ملة الإسلام (أي: كفر عقدي) أما إذا كذب عليه ﷺ في الفضائل فإن ذلك لا يكفر.

قال الحافظ الذهبي: قال ابن الجوزي في تفسيره: ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ كفر ينقل عن الملة، ولا ريب أن الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض. وإنما الشأن في الكذب عليه فيما سوى ذلك^(١).

هـ- حكم وضع الأحاديث عليه ﷺ في المواعظ والترغيب والترهيب:

سبق أن ذكرنا أن الكذب من أكبر الذنوب ويزاد الإثم والجرم إذا كان على رسول الله ﷺ لعظم مفسدته ويستوي في ذلك الكذب عليه ﷺ في الأحكام وفي غيرها من الترغيب والترهيب وفي المواعظ.

قال الإمام النووي: لا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب والمواعظ... وغير ذلك، فكله حرام من أكبر الكبائر، وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الإجماع.
و- حكم رواية الحديث الموضوع:

يحرم رواية الحديث الموضوع على من علم أنه موضوع من غير تنبيه على

(١) الكبائر للإمام الذهبي، الكبيرة الرابعة عشرة، الكذب على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ، (ص ١٠٠).

ذلك، بل ويشارك واضعه في الإثم.

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ وَالْمُعِيزَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ»^(١).

قال الإمام النووي: "تحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً، أو غلب على ظنه وضعه، فمن روى حديثاً علم أو ظن وضعه ولم يبين حال روايته ووضعه فهو داخل في هذا الوعيد مندرج في جملة الكاذبين على رسول الله ﷺ.

ولهذا قال العلماء: ينبغي لمن أراد رواية حديث أو ذكره أن ينظر: فإن كان صحيحاً أو حسناً قال: قال رسول الله ﷺ كذا أو فعله... أو نحو ذلك من صيغ الجزم. وإن كان ضعيفاً فلا يقل: قال أو فعل أو أمر أو نهي وشبه ذلك من صيغ الجزم، بل يقول: روي عنه كذا أو جاء عنه كذا أو يروى أو يذكر أو يحكى أو يُقال أو بلغنا... وما أشبهه (أي: من صيغ التمريض)^(٢).

(١) أخرجه مسلم: مقدمة الصحيح، باب حال بعض الرواة، صحيح مسلم بشرح النووي، (٦٢/١).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، (٧١/١).

خلاصة الوحدة الثانية عشرة

- ١ - منزلة النبي ﷺ العالية الرفيعة.
- ٢ - من يراه ﷺ في النوم فقد رأى الحق؛ فإن الشيطان لا يتمثل في صورته ﷺ.
- ٣ - الكذب عليه ﷺ من أكبر الكبائر، وفاعله متوعد بأشد العقاب؛ وذلك لأن مفسدة الكذب عليه ﷺ تظل سارية المفعول إلى يوم القيامة، ويتضرر به المسلمون ما لم يفتنوا إلى كذبه وافترائه.

اختبار الوحدة الثانية عشرة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- "الكنية" بضم الكاف وسكون النون مأخوذة من الكناية، وقد اشتهرت الكنى للعرب حتى ربما غلبت على الأسماء.

٢- الكنية: ما صُدِّرت بأب أو أم.

٣- اللقب: ما صدر بأب أو أم.

٤- اللقب: ما أشعر بمدح أو بدم.

٥- الكنية: ما أشعرت بمدح أو بدم.

٦- قوله: "فليتبوأ مقعده من النار". قال العلماء: فليُنزل، وقيل: معناه: فليتخذ منزله من النار.

٧- "فليتبوأ" قيل: هي من مباءة الإبل، وقيل: إنه دعاء بلفظ الأمر.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- الكنية هي:

أ- ما أشعر بمدح أو بدم. ب- ما صُدِّرت بأب أو أم.

٢- "فليتبوأ مقعده من النار" معناه:

أ- فليُنزل. ب- فليتخذ منزله من النار. ج- كلاهما محتمل.

٣- "فليتبوأ" قيل هي:

أ- من مباءة الإبل. ب- دعاء بلفظ الأمر. ج- كلاهما محتمل.

٤- "الكنية" هي:

أ- بضم الكاف. ب- بفتح الكاف. ج- بكسر الكاف.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- اذكر حكم التكني بكنية "أبي القاسم" تفصيلاً.

٢- اذكر هل تثبت برؤية النبي ﷺ أحكام شرعية؟

٣- عَدَّدَ بعض فوائد رؤيته ﷺ.

٤- بين حكم الكذب على النبي ﷺ واذكر هل لو تاب تُقبل روايته؟ أم لا تقبل له رواية.

٥- اذكر حكم من كذب على النبي في الأحكام فحرم الحلال وأحل الحرام.

٦- اذكر حكم من كذب على النبي ﷺ في فضائل الأعمال.

٧- بين حكم وضع الأحاديث، وحكم رواية الحديث الموضوع.

٨- بين - في ضوء فهمك للحديث - معنى قوله ﷺ: "من رآني في المنام فقد رأى

الحق".



تمهيد حول الإيمان والإسلام

وما كانت أحاديث هذا الباب يدور موضوعها حول لإيمان والإسلام وما يتعلق بهما من قضايا، رأيت أن أكتب تمهيداً موجزاً في هذه المباحث قبل الشروع في شرح هذه الأحاديث، والله المستعان.

أولاً: الإيمان

أ- تعريف الإيمان:

الإيمان لغة: التصديق، سواء كان المصدق به حقاً أو باطلاً، ومنه قوله تعالى -حكاية لما قاله إخوة يوسف لأبيهم يعقوب-: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي بمصدق.

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فالمصدق به في هذه الآية الكريمة حق، وهو الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢] فالمصدق به هنا باطل.

ويلاحظ أن الله تعالى في هاتين الآيتين الكريمتين ربط بين الإيمان والكفر؛ وذلك لأن كل مؤمن بقضية كافر بنقيضها.

فالمؤمن بالإله الحق كافر بما يانقض ذلك من الآلهة المزعومة والمؤمن بالباطل كافر بالحق.

فجعل الله تعالى الإيمان به ﷻ موجباً للكفر بالطواغيت.

كما جعل الإيمان بالباطل موجباً للكفر بالإله الحق ﷻ.

وكما قال ﷻ: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

فالمؤمن بالله ﷻ وهو الإله الحق وبدينه الحق وهو الإسلام العظيم فإن هذا الإيمان يفرض عليه أن يكفر بما يناقض ذلك من التثليث وغيره.
وشرعاً: تصديق النبي ﷺ في كل ما علم بحجته به من الدين بالضرورة تصديقاً جازماً مطلقاً، سواء كان بدليل أو بغير دليل، مع النطق بالشهادتين.
والتقييد بالضرورة لإخراج ما لا يعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ جاء به كالاتجاهيات، كالتصديق بأن الله تعالى عالم بالعلم أو عالم بذاته... وغير ذلك من المسائل الخلافية؛ فلهذا لا يكفر منكر الاتجاهيات بالإجماع؛ لأنه من المعلوم أن القضايا الإسلامية تنقسم إلى قسمين:

١- قضايا ضرورية: وهي كل قضية ثبتت بدليل قطعي الثبوت قطعي الدلالة، وهي القضايا التي أجمع العلماء عليها ولم يقع بينهم خلاف فيها، وذلك كأركان الإيمان الستة، وأركان الإسلام الخمسة وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن... وغير ذلك، فهذه القضايا -المجمع عليها- لا يجوز لمسلم أن ينكرها، فإن أنكرها أو جحدتها صار كافراً؛ لإنكاره معلوماً من الدين بالضرورة.
وإنما كان منكر المعلوم من الدين بالضرورة كافراً؛ لأنه بإنكاره يصير مكذباً لرسول الله ﷺ فيما أخبر به -وهذا كفر لا خلاف فيه- كأن ينكر وجوب الصلاة، فيقول: إن الصلاة ليست واجبة، أو يستبيح شرب الخمر، ما لم يكن جاهلاً أن ما أنكره مجمع على وجوبه، وما استباحه مجمع على تحريمه، فمن حقه أن نبين له الأدلة، وأن نزيل عنه الشبهة؛ لنقيم عليه الحجة، فإن عاد تائباً فيها ونعمت، وإن أصر على ما هو عليه فهو الجاني على نفسه.
ملحوظة:

المعلوم من الدين بالضرورة يختلف من شخص لآخر، فما يعلمه فلان قد يجهله غيره، ومن مكان إلى آخر، فمن كان قريباً من العلماء؛ لأنه في بلاد

الإسلام ليس كمن هو في البوادي، أو في دول غير إسلامية.

لذلك شرط العلماء فيمن يحكم عليه بالكفر -لأنه أنكر المعلوم من الدين بالضرورة- أن يكون عالماً غير جاهل، وأن يكون مختاراً غير مكره، وألا يكون متأولاً.

٢- قضايا نظرية أو اجتهادية: وهي القضايا التي وقع فيها خلاف بين علماء الإسلام، فهذه القضايا الاجتهادية لا يكفر المسلم بإنكارها.

والتقييد بالجازم لإخراج التصديق الظني، فإنه غير كاف في حصول الإيمان.

والتقييد بالإطلاق لدفع وهم خروج اعتقاد المقلد، فإن إيمانه صحيح

وقد عرّف الرسول ﷺ الإيمان بقوله في حديث جبريل عليه السلام: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١).

فهذه هي أركان الإيمان الستة، التي لا يتحقق إيمان المرء إلا بالتصديق بها، كما دلت آيات القرآن الكريم الكثيرة على ذلك أيضاً.

ب- أنواع الإيمان:

إن الناظر في القرآن الكريم والسنة المطهرة يعلم أن الإيمان نوعان:

١- الإيمان الكامل. ٢- الإيمان غير الكامل.

١- الإيمان الكامل: هو عبارة عن التصديق بالقلب، والنطق بالشهادتين باللسان. والعمل بجميع الطاعات، وترك المعاصي جملة وتفصيلاً. فمن صدق بقلبه، ونطق بالشهادتين بلسانه، وفعل جميع المأمورات الشرعية على الوجه الأكمل قدر الاستطاعة وترك المعاصي جملة وتفصيلاً -فهذا إيمانه كامل، وينجيه الله تعالى بهذا الإيمان من دخول النار، فيدخل الجنة من أول الأمر من غير سابقة عذاب.

وهذا الإيمان الكامل متصور في حق الأنبياء والمرسين، وفي حق الموفقين من عباد الله الذين لم يبتلوا بمعصية أصلاً، وفي حق من أحدث توبة صادقة قبلت

(١) أخرجه مسلم "جزء حديث"، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام. (٣٦/١) عن عمر.

منه ثم قبض عليها.

فائدة الإيمان الكامل: أن الله ينجي به صاحبه من دخول النار فيدخل الجنة من أول الأمر؛ لذلك حين نرى آيات القرآن الكريم تقرن العمل الصالح بالإيمان، ثم ترتب على ذلك دخول الجنة، فالمراد بالإيمان في هذه الآيات هو الإيمان الكامل الذي صحب العمل الصالح فيه التصديق، من هذه الآيات التي قرن العمل الصالح فيها بالإيمان ثم رُتبت على ذلك دخول الجنة: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نَزْلاً خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوْلاً﴾ [الكهف: ١٠٧-١٨].

٢- الإيمان غير الكامل: وهو عبارة عن التصديق بالقلب والنطق بالشهادتين باللسان، غير أن صاحبه قصر في بعض المأمورات الشرعية أو ارتكب بعض المعاصي، وهو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ولم يتب. وصاحب هذا الإيمان في مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنه الله ﷻ وأدخله الجنة، وإن شاء عاقبه، ثم يكون مصيره إلى الجنة بعد العقوبة، فلا يتخلد في النار إلا الكافر.

فائدة الإيمان غير الكامل: ينجي الله تعالى به صاحبه من الخلود في نار جهنم، ولكنه لا ينجيه من دخول النار ابتداءً، إلا أن يعفو الله تعالى عنه، فدخول الجنة الذي علّق على النطق بالشهادتين مع تصديق القلب، ولم يذكر العمل -أعم من أن يكون دخولاً ابتدائياً، فقد يكون بعد المعاقبة.

ج- أركان الإيمان:

الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره.

د- حقيقة الإيمان المعبرة شرعاً عند الله تعالى:

من المعلوم أن الإيمان يثبت للمرء في الدنيا بنطقه بالشهادتين، وتجري عليه

أحكام المؤمنين كاملة، ما لم يظهر منه ما ينافي التوحيد من قول أو عمل، ولم يخالف في ذلك أحد؛ لأنه لا سبيل إلى معرفة ما في قلب العبد، فالأحكام إنما تجري بالنسبة للظاهر، والله تعالى وحده هو الذي يتولى السرائر.

ولكن الخلاف وقع بين أهل القبلة في حقيقة الإيمان المعتبرة شرعاً عند الله تعالى. والذي يثاب عليه صاحبه وينحيه الله تعالى به من الخلود في نار جهنم، وسنكتفي هنا بذكر قول أهل السنة، فهو القول الصحيح.

ذهب أهل السنة إلى أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص:
القضية الأولى: الإيمان قول وعمل:

قال الإمام النووي: قال عبد الرزاق: سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا: سفیان الثوري، ومالك بن أنس، وعبيد الله بن عمر، والأوزاعي، ومعمر بن راشد، وابن جريج، وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وهذا قول ابن مسعود وحذيفة والنخعي والحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وعبد الله بن المبارك.

قال الكرماني: قال ابن بطلان: "مذهب جميع أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والمعنى الذي يستحق به العبد المدح والمواودة من المؤمنين هو الإتيان بالأمور الثلاثة: التصديق، والإقرار، والعمل، ولا خلاف في أنه لو أقر وعمل بلا اعتقاد، أو اعتقد وعمل وجحد بلسانه لا يكون مؤمناً، فكذا لو أقر واعتقد ولم يعمل الفرائض، لا يسمى مؤمناً بالإطلاق.

قال الكرماني: "لعل مراده كمال الإيمان لا أصل الإيمان ونفسه، وإلا فكل من ترك فرضاً مرة لا يكون مؤمناً، وهو مشكل مع أنه ثبت أن كل من أقر باللسان سماه الرسول ﷺ مؤمناً على الإطلاق^(١).

(١) صحيح البخاري بشرح الكرماني، (١/٧٦-٧٧).

وإن كان في كلام العرب يسمى مؤمناً بالتصديق، فذلك غير مستحق في كلام الله تعالى؛ لقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤]، فأخبرنا ﷻ أن المؤمن من كانت هذه صفته.

قال ابن بطلال في باب من قال: الإيمان هو العمل: "فإن قيل: قد قدمتم أن الإيمان هو التصديق، قيل: التصديق هو أول منازل الإيمان، ويوجب للمصدق الدخول فيه، ولا يوجب له استكمال منزله، ولا يسمى مؤمناً مطلقاً، هذا مذهب جماعة أهل السنة أن الإيمان قول وعمل.

قال أبو عبيد: "وهو قول مالك والثوري والأوزاعي ومن بعدهم من أرباب العلم والسنة -الذين كانوا مصابيح الهدى وأئمة الدين- من أهل الحجاز والعراق والشام وغيرهم".

قال ابن بطلال: "وهذا المعنى أراد البخاري رحمه الله إثباته في كتاب الإيمان، وعليه بوب أبوابه كلها، فقال: باب أمور الإيمان، وباب الصلاة من الإيمان، وباب الزكاة من الإيمان، وباب الجهاد من الإيمان، وسائر أبوابه، وإنما أراد الرد على المرجئة -في قولهم: إن الإيمان قول بلا عمل- وتبيين غلطهم وسوء اعتقادهم ومخالفتهم للكتاب والسنة ومذاهب الأئمة، ثم قال ابن بطلال في باب آخر: قال المهلب: الإسلام على الحقيقة هو الإيمان الذي هو عقد القلب المصدق لإقرار اللسان الذي لا ينفع عند الله تعالى غيره^(١).

قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر أن الإمام عبد الرزاق نقل في مصنفه عن الأئمة قولهم: الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص: وهؤلاء فقهاء الأمصار في

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٤١/١).

عصرهم: وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتابه السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد. وغيرهم من الأئمة، وروى بسنده الصحيح عن البخاري قال: "لَقِيتُ أَكْثَرَ مِنْ لَفِّ رَجُلٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْصَارِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَخْتَلِفُ فِي أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَيَزِيدٌ وَيَنْقُصٌ، وَأَطْنَبَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَاللَّالِكَايْنِيُّ فِي نَقْلِ ذَلِكَ بِالْأَسَانِيدِ عَنْ جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَكُلٍّ مِنْ يَدُورُ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَحَكَاهُ فَضِيلُ بْنُ عِيَّاضَ وَوَكَيْعٌ عَنْ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وذكر الحاكم بإسناده عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وفي رواية عن الشافعي: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. ثم يبيِّن الحافظ ابن حجر المراد بقوله: الإيمان قول وعمل، فقال: "فأما القول، فالمراد به النطق بالشهادتين، وأما العمل، فالمراد ما هو أعم من عمل القلب واجوارح؛ ليدخل الاعتقاد وعبادات"^(١).

القضية الثانية: زيادة الإيمان ونقصانه

١- مذهب الجمهور: ذهب جمهور العلماء إلى أن الإيمان بمعنى التصديق يزيد وينقص، وبلى هذا ذهب السلف وأئمة الخلف والمحدثون وجماعة من المتكلمين.

٢- مذهب المحققين من المتكلمين: ذهب المحققون من المتكلمين إلى أن الإيمان بمعنى التصديق لا يزيد ولا ينقص، وأن الإيمان الشرعي يزيد بزيادة ثمراته وهي الأعمال، وينقص بنقصانها.

٣- مذهب أكثر المتكلمين: ذهب أكثر المتكلمين إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص. وقد بيَّنا أدلة كل فريق ووجهة نظره، وبيَّنا صحة ما ذهب إليه الجمهور من أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وأن ذلك هو المتبادر من أدلة القرآن

(١) فتح الباري، (١/٤٦-٤٧).

والسنة، وهذا ما فهمه الصحابة من القرآن والسنة، وهم أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسوله بعد نبيهم ﷺ.

بل إن التصديق نفسه تعرض له الزيادة والنقصان من أكثر من جهة:
أولاً: جهة الأدلة: يتفاوت الإيمان زيادة ونقصاناً، وقوة وضعفاً من جهة الأدلة، فإن الأدلة الكثيرة على الإيمان تكسب التصديق قوة ورسوخاً أكثر مما يفيد الدليل الواحد، وإن كان الدليل الواحد كافياً؛ لذلك أمرنا الله تعالى بالنظر والتدبر في خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان... وغير ذلك من المخلوقات، لنصل من وراء عظمة المخلوقات إلى عظمة خالقها ﷻ، وأنه الإله الحق الذي يستحق أن يُعبد وأن يُحب، وأن يُوالى، وأن يُقدّم حبه على حب كل من عداه.

ثم إن الأدلة نفسها تتفاوت من حيث نوع الدليل، فالدليل المتواتر ليس كدليل المشاهدة؛ لذلك كان إيمان الصحابة ﷺ أقوى من إيمان من جاء بعدهم؛ لأنهم شاهدوا الوحي والتنزيل، وشاهدوا المعجزات الحسية، والصحابة ليسوا سواء في ذلك أيضاً، فكل على قدره، وبقدر ما رأى وشاهد.

ثانياً: جهة العمل: فالأعمال الصالحة يزداد بها الإيمان قوة ورسوخاً، فمن كثرت طاعته لله تعالى ازداد إيمانه ويقينه، ومن كثرت مخالفته لأوامر الله تعالى ضعف إيمانه ويقينه، يشهد بصحة ما نقول القرآن الكريم والسنة المطهرة والواقع العملي.

هـ- اعتبر السلف الأعمال جزءاً من الإيمان:

فقد قالوا: "الإيمان هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان"، فما مرادهم بذلك؟

إن السلف ﷺ لا ينكرون وجود الإيمان بدون الأعمال الصالحة، ولكنهم يقولون: إن الأعمال شرط في كمال الإيمان، وليست شرطاً في صحته؛ لأنه قد يتوسع في معنى الإيمان في كثير من الاستعمالات، فيشمل الأعمال، ويراد به

حينئذ الإيمان الكامل شرعاً، أو ما يطلب من المكلف القيام به، والدليل على ذلك أن الله ﷻ سَمَّى الصلاة إيماناً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فالمراد بالإيمان في الآية الصلاة.

قال الإمام البخاري -باب الصلاة من الإيمان: "وقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني صلاتكم عند البيت" ثم روى بإسناده عن البراء قال: "إنه مات على القبلة -قبل أن تحول- رجالٌ وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]" (١).

وهذا ما يفهم من جعله ﷻ إمطة الأذى عن الطريق. وكذا الحياء من الإيمان، وهذه أعمال محضة لا دخل فيها للاعتقاد، وليست واجبة عن أبي هريرة ؓ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (٢).

قال الإمام النووي: "وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال، فمتفق عليه عند أهل الحق، ودلالته في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تشهر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أجمعوا على أن المراد صلاتكم" (٣). وبهذا يتضح أن الأعمال الصالحة شرط في كمال الإيمان وليست شرطاً (٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، (١٧/١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، (٦٣/١).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٤٩/١).

(٤) شرط الصحة هو ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لثاته؛ وذلك مثل: الطهارة بالنسبة للصلاة، فهي شرط لصحة الصلاة تبطل الصلاة بفقدائها، فإذا لم يكن المسلم متطهراً من الحدث الأكبر والأصغر فصلاته باطلة، ولا يلزم من كونه متطهراً أن يكون صلى أو لم يصل، فالإيمان لا يتحقق ولا يكون له وجود إلا مع العمل الصالح، عند من جعل العمل شرطاً في صحة الإيمان، وليس كذلك شرط الكمال، فلا يلزم من عدمه العدم، فالإيمان بدون أعمال صالحة غير متف عن صاحبه كما ستعرف ذلك بالتفصيل.

في صحته، وبالتالي فهي ليست داخلية في مسمى الإيمان، غير أن لها دخلاً كبيراً في رفعة الدرجات والنجاة من دخول النار، فمن مات مرتكباً لكبيرة ولم يتب منها، فهو في مشيئة الله ﷻ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه، ثم يكون مصيره النهائي إلى الجنة، فلا يخلد في النار إلا كافر؛ هذا إذا لم يستحل المعصية أو الكبيرة، وهذا هو المذهب الصحيح الذي تشهد له أدلة القرآن الكريم والسنة المطهرة، ويجمع بين الأدلة ولا يترتب عليه أدنى تعارض بين أدلة القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وسنذكر - إن شاء الله تعالى - قيمة العمل الصالح في نهاية التمهيد.

ثانياً: الإسلام

تعريف الإسلام:

الإسلام لغة: الخضوع والانقياد.

وشرعاً: إظهار الخضوع، وإظهار الشريعة، والتزام ما أتى به النبي ﷺ؛ وبذلك يحقن الدم ويستدفع المكروه.

يطلق الإسلام ويراد به:

١- الحقيقة الشرعية: وهو عبارة عن التصديق بالقلب والنطق بالشهادتين باللسان، وهذا هو الإسلام الشرعي المرادف للإيمان غير الكامل، وفائدة هذا الإسلام أن الله ينجي به صاحبه من الخلود في نار جهنم. فإن انضم إلى التصديق والنطق بالعمل بالطاعات وترك المنهيات كان مرادفاً للإيمان الكامل الذي ينجي الله به صاحبه من دخول النار.

وهذا الإسلام هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣١]، فالإسلام في الآية الكريمة على أتم وجهه، وهو المرادف للإيمان الكامل.

٢- الحقيقة اللغوية: وهو مجرد الاستسلام والانقياد الظاهر، وهو عبارة عن النطق بالشهادتين دون تصديق القلب، كإسلام المنافقين الذين نطقوا بالشهادتين وقلوبهم غير مصدقة، فهم يظنون الكفر ويظهرون الإسلام؛ وهذا الإسلام غير معتبر شرعاً عند الله تعالى، ولا ينفع صاحبه في الدار الآخرة - وإن كان ينفعه في الدنيا ويعامل معاملة المسلمين.

ثالثاً: علاقة الإسلام بالإيمان

إن الإسلام والإيمان أمران متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر بحال من الأحوال، فلا يتصور إسلام بلا إيمان، ولا إيمان بلا إسلام. فإذا اجتمع الإسلام والإيمان في نص واحد افترقا في المعنى، فيطلق الإسلام على الأعمال الظاهرة، ويطلق الإيمان على الأعمال الباطنة - كما في حديث جبريل عليه السلام - فقد سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان، فجعل النبي ﷺ الإسلام اسماً للأعمال الظاهرة، وجعل الإيمان اسماً للأعمال الباطنة، وهما لا ينفكان أبداً بحال من الأحوال.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ غَيْبًا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْتَدْرَكْتَنِي إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: " يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ "؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » قَالَ: " صَدَقْتَ "؛ قَالَ: فَعَجَّنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ؛ قَالَ: " فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ "؛ قَالَ: « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »؛ قَالَ: " صَدَقْتَ "؛ قَالَ: " فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ "؛ قَالَ:

«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»؛ قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ»؛ قَالَ: «مَا الْمَسْتُورُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»؛ قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا»؛ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تُرَى الْحَفَاةُ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبُتْيَانِ»؛ قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ؛ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟»؛ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» أخرجه مسلم.

أما إذا انفرد لفظ الإسلام أو الإيمان في نص، فيراد به ما يراد بالآخر، فلا يتصور إسلام بلا إيمان ولا إيمان بلا إسلام بحال من الأحوال.

قال الإمام النووي رحمه الله: قال الإمام بغوي رحمه الله في حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان والإسلام، وجوابه، قال: جعل النبي ﷺ الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال، وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد، وجماعها الدين، ولذلك قال ﷺ: «فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»، والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعاً، يدل عليه قوله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» [آل عمران: ١٩]، وقوله ﷺ: «وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة: ٣]، وقوله ﷺ: «وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» [آل عمران: ٨٥].

فأخبر ﷺ أن الدين الذي رضىه وقبله من عباده هو الإسلام، ولا يكون الدين في محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل^(١).

رابعاً: قيمة العمل الصالح

إذا كان أهل السنة جعلوا العمل الصالح شرطاً في كمال الإيمان، ولم يجعلوه

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٤٥).

شرطاً في صحة الإيمان أو جزءاً منه، حتى لا يلزمهم تكفير العاصي عند أول معصية، فهل للعمل عندهم قيمة، أم أنهم أسقطوا قيمة العمل؟

إن أهل السنة، وإن كانوا قد قالوا: إن العمل الصالح شرط في كمال الإيمان، إلا أنهم لم يسقطوا قيمة العمل، فللعمل الصالح عندهم منزلة عظيمة، فهو سبب السعادة في الدنيا، والفوز في الآخرة بالنعيم المقيم في الجنة، ونجس ذلك فيما يأتي:

١- صلاح الدنيا وسعادة الناس فيها متوقف على استمساك الناس بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، بمعنى أن يُحوَّل المسلمون الإسلام من منهج نظري إلى منهج عملي، فيجعلوا له واقعاً عملياً في حياتهم الخاصة والعامة، ويحتكموا إليه في كل كبيرة وصغيرة.

إن الحياة الصيبة لن تتحقق ولن يكون لها وجود حقيقي إلا إذا ألزم المسلمون أنفسهم بمنهج الله تعالى، فحاجة الناس إلى الإسلام لا تقل عن حاجتهم إلى الهواء الذي يتنفسونه، والماء الذي يشربونه، فهو مصدر عزهم وسعادتهم في الدارين.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالى في قصة آدم عليه السلام: ﴿فَمَنْ أَتَّبِعْ هَذَا لَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هَذَا لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]؛ فقدّم ربنا ضمانات تطبيق المنهج، فضمن الله تعالى لمن اتبع منهجه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

فالإسلام يربط صلاح الدنيا باستقامة الناس على منهج الله تعالى، ويربط صلاح الآخرة بصلاح الدنيا، فمن أصلح دنياه باستقامته على منهج الله تعالى

انصلحت آخرته، ومن أفسد دنياه بابتعاده عن منهج الله تعالى فسدت آخرته. ولقد تحقق وعد الله للمسلمين يوم أن استمسكوا بالإسلام، فسعد المسلمون في ظل منهج الله القويم سعادة لم يعرفوها من قبل، وذلك أن الإسلام ينظم العلاقة بين الروح والجسد، ويعطي كل ذي حق حقه دون إفراط أو تفريط، فالتزام المنهج الإسلامي ضرورة حتمية لسلامة الروح والبدن وإيجاد المسلم المتزن.

فوجدت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة بقيادة النبي ﷺ، وعاش كل إنسان فيها آمناً على نفسه وعرضه وماله، واختفت الجريمة تماماً، ووجدت الأخوة الصادقة بين أفراد المجتمع في أرقى صورة عرفتھا الإنسانية في تاريخها القديم والحديث، وعاش الناس جميعاً أخوة في الله تعالى متحابين متوادين متراحمين.

وإذا كانت قيمة الحضارة بما تقدمه للإنسان من أمن وأمان واستقرار نفسي، فإن التاريخ لم يعرف حضارة قَدَّمت للإنسانية مثل ما قدمه الإسلام؛ وذلك لأنه منهج الله تعالى السالم من النقائص المبرء من الأهواء البشرية.

وهؤلاء المسلمون الذين سعدوا في الدنيا نتيجة استمسكهم بمنهج الله تعالى، سيحقق الله لهم وعده الثاني فيدخلهم الجنة إن شاء الله تعالى كما حقق لهم وعده الأول.

٢- الأعمال الصالحة أسباب مفضية إلى دخول الجنة.

إن الناظر في القرآن الكريم والسنة المطهرة يجد النصوص الكثيرة التي علقت بدخول الجنة على الإيمان والعمل الصالح.

والإيمان إذا قرن بالعمل الصالح، فالمراد به الإيمان الكامل الذي يصحب التصديق فيه العمل الصالح، والإيمان الكامل ينجي الله تعالى به صاحبه من دخول النار، فيدخل الجنة من أول الأمر وآيات القرآن الكريم والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

فالمراد بالإيمان في الآية الكريمة هو الإيمان الكامل الذي يصحب التصديق فيه العمل الصالح.

وقال تعالى في سياق الحديث عن المتقين وما أعد الله تعالى لهم من النعيم المقيم: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزحرف: ٧٢]، أي: بسبب أعمالهم الصالحة دخلوا الجنة؛ وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي وعد الله فيها المؤمنين بالجنة.

٣- الأعمال الصالحة سبب مرافقة النبيين والصدّيقين والشهداء في أعلى الجنان. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩-٧٠].

٤- الأعمال الصالحة يزداد بها الإيمان قوة ورسوخاً، فمن كثرت طاعته لله تعالى ازداد إيمانه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فهؤلاء الذين جمعوا مع الإيمان العمل الصالح، فأدوا حق الله عليهم، وحق إخوانهم، هم أصحاب الإيمان الكامل. وإنما اكتمل إيمانهم بالعمل الصالح، إلى غير ذلك من الآيات ولأحاديث.

٥- سمي الله تعالى الطاعات إيماناً^(١).

٦- الطاعات الواجبة تورث العبد القرب من الله تعالى، والسنن تورث

(١) نظر فقرة رقم "هـ" من التمهيد.

العبد محبة الله تعالى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ﴾» (١).

٧- الثبات في الدنيا والآخرة والأمن من فتنة الحيا والممات، وتبشير الملائكة للمؤمنين بالنعيم المقيم في الجنة عند الموت وفي القبر وحين يبعثون، والنجاة من فتنة القبر وعذابه، وأحوال القيامة وشدها، ومن دخول جهنم.

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

فهذا وعد الله الذي لا يتخلف كرمًا منه ولطفًا لعباده المؤمنين الذين استقاموا على منهج الله تعالى، فأدوا الواجبات الشرعية على أكمل وجه قدر طاقتهم، وتركوا المعاصي رغبة في رضا الله تعالى وثوابه، وطمعًا في صلاح حالهم في الدنيا، وخوفًا من عقاب الله تعالى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.

ظُلَّ إِلَّا ظَلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابَّ نَشَأً فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

ففي هذا الحديث بيان قيمة لأعمال الصالحة، وأنها كانت سبباً لتظليل أصحابها في ظل عرش الرحمن الرحيم يوم القيامة، والنجاة من حر هذا اليوم.

٨- التمكين للمستمسين بالإسلام في الأرض، وجعلهم أعزة يحترم الناس إليهم، وفي ظلهم وظل منهج الله القويم يعيش الناس آمنين مطمئنين.

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

ولقد تحقق وعد الله للمسلمين، فمكَّن لهم في الأرض، وجعلهم أعزة، وصارت هم دولة ظلت هي الدولة الأولى قروناً طويلة، وما ظلم أحد في ظلهم، بل عاش الناس جميعاً في ظلهم آمنين مطمئنين، وإن خالفوهم في العقيدة.

وما ذلك إلا لأن المنهج الذي ربي عليه المسلمون ويحكمون إليه منهج رباني يأمر بالإنصاف حتى مع المخالفين، بل يأمر بإنصاف الآخرين من النفس وأقرب الأقربين، وإعطاء كل ذي حق حقه بغض النظر عن أي اعتبار آخر.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]؛ والمعنى: لا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، (١/٦٨).

فيهم، فالعدل أمر أوجبه الله تعالى مع العدو والحبيب.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

٩- لم يسو الله تعالى بين الصالحين والعصاة المذنبين، بل عاب الله تعالى على من يسوي بينهما؛ لأن مقتضى العدل أن يأخذ كل إنسان نتيجة عمله وما صنعت يده، فكيف نسوي بينهما، فنسقط قيمة العمل الصالح؟

قال الله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجن: ٢١-٢٢].

وفي هذا النص القرآني يُلاحظ أن الله تعالى ربط بين الجزاء على الأعمال وبين خلق السماوات والأرض.

فكما أن الله تعالى خلق السماوات والأرض بالحق، فلا بد أن يأخذ كل إنسان حقه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهذا هو مقتضى العدل الإلهي الذي يثيب المحسن ويعاقب المسيء.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وبذلك يصبح للتكليف فائدة.

إن التسوية بين الصالحين والعصاة المذنبين، وإبطال قيمة العمل الصالح، يؤدي إلى طيِّ بساط الشريعة، فلا يبقى واجب يؤتى ولا حرام يجتنب، ويصير الترغيب في فعل الطاعات والترهيب من فعل المعاصي والمحرمات لا قيمة له، كما أن ذلك يؤدي إلى إبطال الحدود وترك الناس سدى مهملين، وذلك يفضي إلى خراب الدنيا والآخرة معاً.

وهذا عبث نزه الله نفسه عنه، قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، والمعنى أن الإنسان لن يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا يُنهى، ولا يُترك في قبره سدى لا بيعث، بل هو مأمور منه في الدنيا، محشور إلى الله تعالى في الدار الآخرة.

١٠ - ابتعاد الناس عن منهج الله تعالى وتنحية الإسلام من حياتهم سبب

فساد الدنيا وشقاء الناس فيها والخزي العظيم في الآخرة بإدخالهم جهنم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٤-١٢٧].

ولقد تحقق ما توعد الله تعالى به المعرضين عن منهجه في الدنيا، فيوم أن بعد المسلمون عن منهج الله تعالى ونحوه من حياتهم واستبدلوه بالمناهج الوضعية، صاروا في مؤخرة الأمم والشعوب، وسقطت دولتهم، وضاعت هيبتهم، وتناقصت أرضهم وصاروا أذلة لا يملكون أمرهم، ولا ينتجون قوتهم، ولا يصنعون ما هم بحاجة ماسة إليه، وهذا كله نتيجة لابتعادهم عن منهج الله تعالى.

وإذا كان وعد الله تعالى الأول للمستمسكين بمنهجه قد تحقق في الدنيا (العزة والسيادة) وهم ينتظرون وعده الثاني إن شاء الله تعالى في الآخرة (دخول الجنة).

وإذا كان وعيد الله تعالى الأول للمعرضين عن منهجه في الدنيا قد تحقق (الذل والهوان)، فهل ينتظر المعرضون عن منهج الله تعالى الوعيد الثاني في الآخرة؟ إن تحقق ما وعد الله به المستمسكين بمنهجه، وما توعد به المعرضين عن منهجه، يوجب على المسلمين أن يسارعوا إلى العودة إلى الله ﷻ، أم أنهم ينتظرون الوعيد الثاني في الآخرة؟

١١ - المعاصي تؤثر سلباً في إيمان العاصي.

عَنْ أَبِي شَرِيحٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ»؛ قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَاقِيهِ»^(١).
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَزِيهِ الزَّانِي حِينَ يَزِيهِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»^(٢).

ففي هذين الحديثين انتفي الإيمان بفعل المعاصي والمحرمات، بغض النظر عن كون المنفي أصل الإيمان - كما ذهب إلى ذلك الخوارج - أم كمال الإيمان - كما ذهب إلى ذلك أهل السنة (وهو الصحيح) -، وعلى كل حال فلقد أثرت المعاصي في إيمان فاعلها، إلى غير ذلك من النصوص التي نفت الإيمان عن العصاة.

١٢ - المعاصي والمحرمات أسباب مفضية إلى دخول جهنم - أعادنا الله منها - لقد توعد الله تعالى العصاة المذنبين بالعذاب الأليم في نار جهنم جزاء جرمهم وإعراضهم عن منهج الله تعالى، فمن ذلك:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لم يأمن جاره بوائقه، (١٢/٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المحاريب من أهل الكفر والردة، باب إثم الزناة، (٢٠٤/٨). وأخرجه مسلم،

كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، (٧٧/١).

وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [آل عمران: ١٣٠-١٣٢].

ففي هذه الآيات توعده الله تعالى آكل الربا بالعذاب الأليم في نار جهنم التي أعدت للكافرين، ويلاحظ أن الخطاب هنا للمؤمنين
قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

فقد توعده الله تعالى آكل مال اليتامى بهذا العذاب الأليم.
قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

فقد توعده الله تعالى من لم يخرج زكاة ماله بهذا الوعيد الشديد.
عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُوَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُخِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ...» الحديث^(١).

فلقد توعده مانع الزكاة بهذا الوعيد الشديد، ثم كان مصيره بعد ذلك إما إلى الجنة وإما إلى النار، فدل ذلك على أن هذا وارد في المسلم الذي منع الزكاة، لأن الكافر ليس له مصير إلا إلى جهنم، أعادنا الله منها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) أخرجه مسلم "حزء حديث"، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، صحيح مسلم بشرح النووي، (٦٤/٧).

بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخِذْ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

فهذا الحديث ورد في حق مسلم أتى بالمأمورات الشرعية ثم ضيّع ثوابها بما ارتكب من مظالم في حق العباد، وإلا فالكافر لا يؤدي هذه الواجبات أصلاً فضلاً عن أن يوجر عليها.

ففي هذه الآيات والأحاديث وغيرها حذر الله تعالى عباده المؤمنين أن يوردوا أنفسهم موارد الكافرين بفعلهم لما حرّمه الله تعالى، وذلك أن الله تعالى خلق النار وأعدها للكافرين، ويؤدب فيها بعض عصاة الموحدين جزاء معصيتهم. وهذا يدل على بطلان قول المرجئة: "لا يضر مع الإيمان معصية"، حيث أضرّت المعاصي بأصحابها فأوردتهم جهنم.

ولقد انعقد إجماع المسلمين على أن طائفة من عصاة الموحدين سيدخلون النار حتماً، وقد تظاهرت بذلك نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، وإنما أدخل هؤلاء العصاة جهنم بسبب تقصيرهم في فعل المأمورات، أو ارتكابهم للمعاصي والمحرمات.

١٣- المعاصي تؤدي بأصحابها إلى الكفر، بغضّ النظر عن كون المراد به الكفر العقدي - كما ذهب إلى ذلك الخوارج - أم الكفر العملي - كما ذهب إلى ذلك أهل السنة (وهو الصحيح).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(٢).

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٣٥/١٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، حديث رقم (٢٥٧).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»^(١).

١٤- المعاصي تؤدي بأصحابها إلى النفاق بغض النظر عن كون المراد بالنفاق النفاق العَقْدِي المخرج من الملة - كما ذهب إلى ذلك الخوارج - أم النفاق العملي - كما ذهب إلى ذلك أهل السنة (وهو الصحيح).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٢).

وقد تؤدي المعاصي التي نص على أنها من خصال المنافقين إلى النفاق العَقْدِي إذا اجتمعت في الإنسان وكانت هي الغالبة على تصرفاته وسلوكياته.

خامساً: الإسلام هو دين الله تعالى الحق الذي ارتضاه لخلقه ولن يقبل غيره. لله علينا نعم كثيرة لا تحصى ولا تعد، وكم من نعمة أنعم الله بها علينا لم نفطن إليها - فضلاً عن أن نشكره عليها - وأجلّ نعمة أنعم الله بها علينا أن هدانا لدينه الحق، فجعلنا مسلمين، هذه النعمة التي - مع عظمتها - قلما يفتن إليها كثير من المسلمين وهي جابرة لغيرها من النعم، وغيرها من النعم لا يجبرها أبداً بحال من الأحوال.

فماذا لو عاش الإنسان في هذه الدنيا دهرًا طويلاً كما يحب ويشتهي، ثم لقي الله وهو عليه ساخط، وكان مصيره إلى الخلود الأبدي في نار جهنم؟!!

وإنما كان للإسلام هذه المنزلة العظيمة التي لا تعدلها النعم مجتمعة؛ لأن الإسلام هو دين الله الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، حديث رقم (٢٨٣٠).

قال الترمذي: وفي الباب عن أنس وابن عباس؛ قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح غريب".

(٢) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب الإيمان، باب علامة النفاق، (١٥/١). أخرجه مسلم، كتاب

الإيمان، باب خصال المنافقين، صحيح مسلم بشرح النووي، (٤٦/٢).

وهو الدين الذي ارتضاه الله لخلقه قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وأخبر الله تعالى أنه لن يقبل من خلقه غير الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. فكل من دان الله تعالى بغير الإسلام من الديانات المنسوخة المحرفة أو المذاهب الوضعية - فلن يقبل الله منه، وهو في الآخرة من الخاسرين، وإن عمل من الصالحات ما عمل، فمصيره إلى الخلود الأبدي في نار جهنم.

وإنما كانت الديانات الأخرى - غير الإسلام - لا يرضاها الله ﷻ ولا يقبلها من خلقه؛ لأن الإسلام ناسخ لهذه الديانات كلها والرسول محمد ﷺ قد أرسله الله لأهل الأرض قاطبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى - مبيناً عموم بعثة النبي محمد ﷺ إلى الناس جميعاً: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: ٢٨]... وغير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على عموم بعثته ﷺ إلى الخلق جميعاً إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية الكريمة: يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وهذا خطاب للأحر والأحرار والعجمي: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة. كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّذِينَ آمَنُوا أَسْلَمُوا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ قُلُوبٌ غَائِبَةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّمَا أَصْلَحَ بِتَقْوَاهُ فَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْعَمَلِ فَلْيَعْمَلْ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا نَّصِيرًا﴾ [آل عمران: ٢٠].

وصار مما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة أن محمداً ﷺ هو رسول الله إلى الناس جميعاً.

وكان مما خصَّ به النبي محمد ﷺ دون الأنبياء قبله، أن أرسله الله تعالى إلى الناس كافة، وكان كل نبي يُرسل إلى قومه خاصة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَتُصِرْتُ بِالرُّغْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»^(١).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا -فَإِنَّمَا رَجُلٌ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ- وَتُصِرْتُ بِالرُّغْبِ بَيْنَ يَدَيِ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»^(٢).

بل إن الله تعالى أخذ العهد والميثاق على الأنبياء السابقين جميعاً إن أدركهم النبي محمد ﷺ أحياء أن يؤمنوا به وبما جاء به.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١-٨٢]^(٣).

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب رقم (١)، صحيح مسلم بشرح النووي (٥/٥).

(٢) أخرجه مسلم، نفس الكتاب والباب السابق، (٤-٣/٤).

(٣) قال الحافظ ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند تفسير هذه الآية الكريمة: يُخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم ﷺ إلى عيسى ﷺ لهما أتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أي مبلغ ثم جاء رسول من بعده ليؤمن به ولينصره ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنوّة من أتباع من بعث بعده ونصرته.

قال علي بن أبي طالب وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حيٌّ ليؤمنن به ولنصرته، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولنصرته. =

فعموم بعثة النبي محمد ﷺ إلى الخلق جميعاً توجب على كل من بلغته رسالة الإسلام أن يؤمن بالنبي محمد ﷺ وبما جاء به، وإلا حكم على نفسه بالخلود الأبدي في نار جهنم لموته كافراً.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ - يَهُودِي وَلَا نَصْرَانِي - ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١).

وذلك لأن الإسلام ناسخٌ للديانات السابقة -على فرض أنها لم تحرف- فكيف وقد حرفها أهلها، وبدّلوها، كما شهد الله تعالى بذلك في كتابه الكريم - وكفى بالله شهيداً؟

ثم إن واقع هذه الكتب يشهد أنها ليست من عند الله تعالى.

لهذا فإن من يدين بغير الإسلام بعد بعثة النبي ﷺ فهو من الكافرين الخاسرين المخلدين في نار جهنم؛ لأنه يدين بدين باطل لا يرضاه الله ولا يقبله ممن دان له به؛ وكافر برسول الله ﷺ وبما جاء به من عند الله تعالى.

ولما كان المسلم على يقين من ذلك كله كان ولاؤه وحبه لدينه العظيم الذي هو الدين الحق الذي رضىه الله تعالى له ويقبله منه وأن الاستمساك بهذا الدين العظيم

= ثم قال الحافظ ابن كثير: فالرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة، المقدم على الأنبياء كلهم، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيق في المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له، والذي يجيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهي النوبة إليه فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ، صحيح مسلم بشرح النووي (١٨٦/٢). قال الإمام النووي: في هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا ﷺ، وفي مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور وهذا جار على ما تقدم في الأصول أنه لا حكم قبل ورود الشرع - على الصحيح - والله أعلم. صحيح مسلم بشرح النووي، (١٨٨/٢).

والاعتصام به هو سر السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة؛ فإن المسلم لن يفرط في دينه بل إنه يفتديه بنفسه وولده وماله لربه هذا الدين الحق وليضمن لنفسه السعادة الأبدية في ضيافة الرحمن الرحيم، وعند ذلك يكون الإلقاء في النار أهون على المسلم من أن يترك دينه الذي هو سر السعادة الأبدية، وهذا لا يتحقق إلا إذا دخل نور الإيمان القلب وخالط اللحم والدم وأصبح صاحبه لا يوالي إلا الله وأوليائه ودينه.

فلله الحمد والمآة أن هدانا لدينه الحق، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وجزى الله أصحاب رسوله محمد ﷺ عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، فهم الذين نصرنا دين الله ﷻ وافتدوه بأنفسهم وأبنائهم وأموالهم وأوطانهم، وهم الذين حملوا لنا هذا الإسلام العظيم، وأخرجنا الله بهم من ظلمات الكفر إلى نور التوحيد ومن ظلم الأديان المحرفة والنظم البشرية الظالمة إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ولولا فضل الله تعالى ثم ما بذله الصحابة من أنفس طاهرة في سبيل الله تعالى، ووقت وجهه ومال، وتضحية بكل ما يملكون، من أجل أن يصل إلينا هذا الإسلام العظيم -لمات أجدادنا وآباؤنا كفاراً.

فوجب علينا أن نعرف فضلهم، وأن نترضى ونترحم عليهم كلما ذكرناهم، وأن نحمل ما صدر منهم على أحسن المحامل إحساناً للظن بهم. وماذا نقول في قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وشرفهم بنصرة دينه، وعَدَّهم الله تعالى وزكاهم وأثنى عليهم وشهد لهم بصدق الإيمان وقوة اليقين بوعد الله لهم، وأخبر عن رضاه عنهم، وهو العليم بحقيقة أمرهم، وما انطوت عليه صدورهم، وما سيكون منهم في مستقبل أمرهم حتى الموت.

كما عرف النبي ﷺ للصحابة فضلهم ومنزلتهم وبنلهم في سبيل الله تعالى، فآثب عليهم الثناء الحسن الجميل، وأخبر أنهم خير الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فالصحابة هم أولياء الله وأحبائه، وخيرته من خلقه بعد رسوله وأنبيائه، وهم ليسوا بحاجة إلى تزكية من أحد بعد أن زكاهم العليم الخبير في كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ملحوظة:

أطلق بعض أهل الحديث على مرتكب الكبيرة أنه كافر، فهل هؤلاء موافقون للخوارج في تكفيرهم مرتكب الكبيرة؟

إذا كان بعض أهل الحديث قد أطلقوا على مرتكب الكبيرة أنه كافر فإنهم لم يوافقوا الخوارج فيما قالوا؛ لأن الخوارج قالوا: من ارتكب كبيرة فقد خرج من الإيمان وصار كافرًا مخلدًا في نار جهنم، فارتكاب الكبيرة عند الخوارج كفر يخرج به الإنسان من ملة الإسلام، فهو كفر عقائدي.

أما من أطلق كلمة كفر من أهل الحديث على من ارتكب الكبيرة، فإنهم لا يخرجونه بارتكابه الكبيرة من الإيمان إلى الكفر، بل يطلقون عليه اسم الإسلام، فيجعلون كفر مرتكب الكبيرة كفرًا عمليًا، والكفر العملي لا يخرج به الإنسان من الملة، فالكفر عندهم نوعان:

أ- كفر عقدي: يخرج به صاحبه من الإيمان إلى الكفر، وذلك إذا أنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة، أو أثبت أمرًا علم نفيه من الدين بالضرورة، كأن ينكر أصلًا من أصول الإيمان، أو يحدد ركنًا من أركان الإسلام.

ب- كفر عملي: لا يخرج به صاحبه من الإيمان إلى الكفر، كأن يرتكب كبيرة من الكبائر، فهو مع ارتكابه للكبيرة يسمونه مسلمًا، وتجري عليه أحكام الإسلام كاملة، غير أنهم لا يسمونه مؤمنًا، بل يقولون عن مرتكب الكبيرة إنه كافر كفرًا عمليًا، وهو ما يطلق عليه (كفر دون كفر)، وهذا الكفر لا يخرج به العبد من الإيمان إلى الكفر؛ فهو ليس كفرًا عقائديًا.

وإنما أطلق هؤلاء على مرتكب الكبيرة أنه كافر، وإن كانوا لا يخرجونه من الإسلام؛ لأنهم وجعلوا أن النبي ﷺ قد نفى الإيمان عمن ارتكب بعض المعاصي، من ذلك:

عَنْ أَبِي شَرِيحٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ» قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»^(١)

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، (١٢/٨).

قال الحافظ ابن حجر: "وفي الحديث نفي الإيمان عمن يؤدي جاره بالقول أو الفعل، والمراد بالإيمان في هذا الحديث الإيمان الكامل، ولا شك أن العاصي غير كامل الإيمان" (١).

قال الإمام المروزي مبيّناً وجهة نظر بعض المحدثين الذين أطلقوا على مرتكب الكبيرة أنه كافر قاصدين بذلك الكفر لعملي وليس الكفر الاعتقادي الذي يخرج به العبد من ملة الإسلام، فقال رَحِمَهُ اللهُ: "وقالت طائفة أخرى من أصحاب الحديث بكفر مرتكب الكبيرة، إلا أنهم سموه مسلماً لخروجه من ملل الكفر، وإقراره بالله وبما قال، ولم يسموه مؤمناً، وزعموا أنه -مع تسميته إياه بالإسلام- كافر لا كافر بالله ولكن كافر من طريق العمل، وقالوا كفر لا ينقله عن الملة".

وقال: "محال أن يقول النبي ﷺ: «لَا يَزِيهِ الزَّانِي حِينَ يَزِيهِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» (٢)، والكفر ضد الإيمان فيزيل عنه اسم الإيمان إلا واسم الكفر لازم له، وأن الكفر ضد الإيمان إلا أن الكفر كفران:

كفر هو جحد بالله وبما قال، فذلك ضده الإقرار بالله والتصديق به وبما قال. وكفر هو عمل ضد الإيمان الذي هو عمل ألا ترى ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» (٣). قالو: فإذا لم يؤمن فقد كفر، ولا يجوز غير ذلك، إلا أنه كفر من جهة العمل، لأنه لا يضيع المفترض عليه ويرتكب الكاثر إلا من قلة خوفه، وإنما يقل خوفه من قلة تعظيمه لله ووعيده، فقد ترك من الإيمان التعظيم الذي عنه الخوف والورع (٤)، وسبق أن ذكرنا ذلك في (مسائل التمهيد) بالتفصيل، وذكرنا أدلة كل قضية ورددنا على المخالفين لأهل السنة، والله الحمد والمنة.

(١) فتح الباري، (٤٤٣/١٠).

(٢) حديث «لَا يَزِيهِ الزَّانِي حِينَ يَزِيهِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ...» "الحديث"، يأتي تحريجه.

(٣) أخرجه البحاري "حريء حديث"، كتاب الأدب، باب إنهم من لا يأمن جاره بوائقه، (١٢/٨).

(٤) مسند الإمام محمد بن نصر المروزي (٩٧٧/٢)، بتحقيقنا.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادراً على أن:

- ١- ترجم لطلحة بن عبيدالله راوي الحديث ﷺ.
- ٢- تبين أهمية الرحلة في طلب العلم وسؤال الأكابر عن الأمور الهامة.
- ٣- توضح جواز وصف الإنسان بما ظاهره غير محمود إذا لم يكن على سبيل التنقص.
- ٤- تدلل على أن الصلاة عمود الدين وركنه الركين.
- ٥- تشرح أن الواجب على المسلم إنما هي الفرائض فحسب.
- ٦- تبين أن صلاة الليل منسوخ وجوبها في حق الأمة.
- ٧- توضح أنه ليس في المال حق سوى الزكاة لمن ملك النصاب وحال عليه الحول.
- ٨- تذكر أن من يحافظ على الواجبات الشرعية فقد أصاب الفلاح.
- ٩- تدلل على جواز رواية الحديث بالمعنى.
- ١٠- ترد على المرجئة الذين يقولون: 'لا يضر مع الإيمان معصية'.
- ١١- تبرهن على جواز الحلف بالله تعالى من غير استحلاف.

الوحدة الثالثة عشرة

إثبات الفلام لمن فعل الواجبات الشرعية

عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ - فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ - عَنْ أَبِي سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ يَقُولُ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»؛ فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطُوعٌ وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ»؛ فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطُوعٌ»؛ وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطُوعٌ»؛ قَالَ: فَأَذْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَتَقْصُصُ مِنْهُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»^(١).

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ - أَيِ: الْحَدِيثِ السَّابِقِ - غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ»؛ أَوْ «دَخَلَ الْجَنَّةَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ»^(٢).

ترجمة طلحة بن عبيد الله

أبو محمد، طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن النضر القرشي التيمي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، له عدة أحاديث عن النبي ﷺ، خرج له الأئمة الستة.

قال الحافظ الذهبي: كان ممن سبق إلى الإسلام، وأوذى في الله.

وكان ممن ثبت بجوار رسول الله ﷺ يوم أحد، وظل يدافع عنه بكل ما

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، (١٨/١).

وأخرجه مسلم "واللفظ له"، كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، (٤٠/١).

(٢) أخرجه مسلم، نفس الكتاب والباب السابق.

أوتي، حتى شئت يده الكريمة وهو يدافع عن رسول الله ﷺ.
 عَنْ أَبِي عُثْمَانَ (أبي: النهدي) قَالَ: لَمْ يَتَّقْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ
 الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ. عَنْ حَدِيثِهِمَا^(١)
 عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ الَّتِي وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ قَدْ شَلَّتْ^(٢).
 وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "تَوَفَّى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ"^(٣).

وأحبر النبي ﷺ أن طلحة سيموت شهيداً، وقد تحقق ما أخبر به النبي ﷺ
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ
 وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اهْدَأْ
 فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»^(٤).
 توفي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمل، سنة ست وثلاثين.

المباحث اللغوية:

قوله: (جاء رجل) لم يرد اسم هذا الرجل في شيء من روايات هذا
 الحديث، وقال القاضي عياض: هو ضمام بن ثعلبة السعدي، وقال: إن البخاري
 هو الذي سماه بذلك في حديث أنس بن مالك؛ قال أنس بن مالك: يَنِمَّا نَحْنُ
 جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى حَمَلٍ فَأَرَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب ذكر طلحة بن عبيد الله، فتح الباري (٤٤٨/٧).

وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير - رضي الله عنهما -
 (١٨٧٩/٤)، قوله "في بعض تلك الأيام" يريد يوم أحد.

قوله "عن حديثهما" يعني أن طلحة وسعيد هما اللذان حدثاه بذلك، كما جاء في فوائد أبي بكر بن المنقري.
 (٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر طلحة بن عبيد الله، فتح الباري،
 (٤٤٨/٧). وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير - رضي الله
 عنهما - (١٨٧٩/٤). قوله: "التي وقى بها النبي ﷺ" أي: يوم أحد.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر طلحة بن عبيد الله.

(٤) أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير - رضي الله عنهما - (١٨٨٠/٤).

عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَتَكَّى بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ... (الحديث)، وفيه أنه قال: وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ^(١).

فجعل حديث طلحة بن عبيد الله، وحديث أنس بن مالك حديثاً واحداً لهذا الرجل.

كما استدل على ذلك أيضاً بأن ابن إسحاق وابن سعد وابن عبد البر لم يذكروا لضمَام غير حديث أنس.

قال الحافظ ابن حجر: "وهذا الرجل جزم ابن بطلال وآخرون بأنه ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر، والحامل لهم على ذلك إيراد الإمام مسلم لقصته عقب حديث طلحة.

ولأن في حديث طلحة بن عبيد الله وحديث أنس بن مالك أن السائل بدوي، وأن كلا منهما قال في آخر حديثه: لا أزيد على هذا ولا أنقص.

ولكن القرطبي رد هذا الرأي وقال: "إن الرجل الذي سماه البخاري ضمَاماً إنما هو في حديث أنس الآتي وليس الحديثان سواء؛ لأن سياقهما مختلف وأسألتهما متباعدة؛ ولزيادة الحج في حديث أنس، ودعوى أنهما قصة واحدة، دعوى فرط وتكلف شطط من غير ضرورة، والله أعلم".

قوله: (من أهل نجد) النجد ما ارتفع من الأرض، والغور ما انخفض منها.

قوله: (ثائر الرأس) أي: منتفش شعر الرأس ومنتشره.

والمراد بقوله (ثائر الرأس) أن شعره متفرق من ترك الرفاهية، ففيه إشارة إلى قرب عهده بالرفادة.

قوله: (نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول) روي نسمع ونفقه بالنون المفتوحة فيهما للجمع على البناء للفاعل، وروي يسمع ويفقه بالياء المضمومة فيهما على البناء للمفعول أو المجهول، والأول هو الأشهر الأكثر الأعراف.

(١) أخرجه البخاري "جزء حديث"، كتاب العلم، باب القراءة والعرض على المحدث (٢٤/١).

قوله: (دوي صوته) قال العيني: دوي بفتح الدال وكسر الواو وتشديد الياء كذا هو في عامة الروايات؛ وقال القاضي عياض: جاء عندنا في البخاري بضم الدال، قال: والصواب الفتح؛ قال الخطابي: الدوي: صوت مرتفع متكرر لا يفهم، وإنما كان كذلك؛ لأنه نادى من بُعد؛ ويقال: الدوي بعد الصوت في الهواء وعلوه، ومعناه: صوت شديد لا يفهم منه شيء كدوي النحل، ومنه دوي الرعد.

قوله: (ولا نفقه) من الفقه وهو الفهم، قال الله تعالى -حاكياً دعاء موسى عليه السلام-: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٧-٢٨] -أي: يفهموا قولي. وعدم فهم الصحابة قول هذا الأعرجي، يرجع إلى أنه تكلم من بعد فلما قرب فهموا قوله.

قوله: (حتى دنا) حتى للغاية، أي: غاية لمجيئه وإقباله، والمعنى: أقبل إلى أن دنا. قوله: (فإذا هو يسأل عن الإسلام) إذا هي التي للمفاجأة، وتختص بالجمل الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء؛ وقيل: هي حرف، وقيل: ظرف مكان، وقيل: ظرف زمان للحال لا للاستقبال.

قوله: (خمس صلوات) يجوز في خمس الرفع والنصب والجر، فالرفع على أن "خمس" خبر مبتدأ محذوف والتقدير: هي خمس صلوات، وأما النصب فعلى تقدير خذ خمس صلوات أو فرض الله خمس صلوات، وأما الجر فعلى أن "خمس" بدل من الإسلام، وفيه حذف أيضاً تقديره: إقامة خمس صلوات؛ لأن عين الصلوات الخمس ليست عين الإسلام، بل إقامتها من شرائع الإسلام.

قوله: (فقال: هل علي غيرها؟) أي: قال الرجل المذكور: (هل) للاستفهام الحقيقي، و(علي) خبر مقدم، و(غيرها) مبتدأ مؤخر.

قوله: (قال: لا، إلا أن تطوع) القائل هو رسول الله ﷺ، والاستثناء قيل: متصل، ومعناه: لا يجب عليك شيء غير الصلوات الخمس، إلا ما شرعت فيه من

التطوع، فيجب عليك إتمامه.

وقيل: الاستثناء منقطع، ومعناه: لا يجب عليك شيء غيرهن، لكن يستحب لك التطوع -وسياقي لذلك مزيد إيضاح في فقه الحديث.

قوله: (تطوع) بتشديد الطاء والواو كليهما، وأصله تتطوع بتاءين فأدغمت إحدى التاءين في الطاء، ويجوز تخفيف الطاء على حذف إحدى التاءين، ويجوز إظهار التاءين أيضاً من غير إدغام (تطوع)؛ وقال النووي: المشهور فيه تطوع بتشديد الطاء على إدغام إحدى التاءين في الطاء؛ وقال ابن الصلاح: هو محتمل للتشديد والتخفيف على الحذف، والمعنى: إلا أن تفعله بطواعيتك^(١).

قوله: (وصيام شهر رمضان) فصيام معطوف على قوله (خمس صلوات) - وقد سبق بيان ما في خمس من الإعراب.

وفي رواية البخاري: (وصيام رمضان).

قوله في رواية البخاري: (قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة) القائل هو الراوي الأعلى للحديث وهو طلحة بن عبيد الله.

قوله: (فأدبر الرجل) من الإدبار وهو التولي، أي: تولى الرجل والإدبار نقيض الإقبال، والاستدبار خلاف الاستقبال.

قوله: (أفلح إن صدق) أفلح من الإفلاح وهو الفوز والبقاء، ومنه قوله في الأذان: "حي على الفلاح" أي: على العمل المؤدي إلى البقاء في الجنة، وقيل: هو الظفر وإدراك البغية، وقيل: إنه عبارة عن أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغناء بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل؛ قالوا: ولا كلمة في اللغة أجمع للخيرات منها، والعرب تقول لكل من أصاب خيراً مفلح.

قوله: (وهو يقول) جملة حالية.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٦٦).

قوله: (إن صدق) أي: في كلامه، وجواب (إن) الشرطية محذوف دل عليه ما قبله، والتقدير: إن صدق في قوله فقد أفلح.
المعنى العام للحديث:

لقد كان النبي ﷺ في غاية الحرص على هداية الناس وردهم إلى الله تبارك وتعالى بكل وسيلة، وأنه ﷺ ما ترك طريقاً إلا وسلكه إلى قلوبهم وعقولهم رجاء أن يشرح الله صدورهم للإسلام ويهديهم إليه، وأنه ﷺ بذل في سبيل ذلك كل ما يملك من وقت وجهد ومال؛ لذلك أثمرت دعوته هذه الثمار المباركة في هذه الفترة الزمنية الوجيزة، واستطاع -بتوفيق الله تبارك وتعالى- أن يربي هذا الجيل المبارك الذي غير وجه التاريخ، ونشر العدل في شرق الأرض وغربها، وحرر البشرية من عبادة العباد، وجعلهم عبيداً لله تبارك وتعالى وحده.

ومع أن الدعاة إلى الله في زمننا من الكثرة بحيث لا يحصيهم العاد، إلا أن ثمار عملهم قليلة، ومن أسباب ذلك أن الناس يفتقدون في عصرنا هذا الداعية الحريص على من يدعوهم، كما يفتقدون إلى القدوة العملية التي تنسجم أقواله مع أفعاله ليشاهدوا للإسلام واقعاً عملياً فيأنسوا به ويقبلوا على العمل به.

وهذا الحديث -الذي نحن بصدد دراسته -واحد من هذه الأحاديث التي تبين مدى حرص الرسول ﷺ على هداية الناس، وترغيبهم في الإسلام، مع أنه ﷺ كان يأخذ نفسه بالعزائم، وكان في عبادة مستمرة، حتى إنه أجهد نفسه من قيام الليل وصيام النوافل، وظهر أثر ذلك في جسمه، مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، إلا أنه ﷺ كان يفعل ذلك شكراً لله تعالى على نعمه.

عن زياد بن علاقة قال: سَمِعْتُ لُمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصَلِّي حَتَّى تَرِمَ -أَوْ تَنْتَفِخَ- قَدَمَاهُ، فَيَقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(١).

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب الرقاق، باب الصبر على محارم الله، فتح الباري، (٣٠٣/١١)؛ وأخرجه قبل ذلك. وأخرجه مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، (٢١٧٢/٤).

ومع أنه ﷺ أخذ نفسه بالعزائم وشدد على نفسه كل هذا التشديد، كان يأخذ الناس بالرفق، ولا يشدد عليهم، فكان يقتصر في دعوة الناس في أول أمرهم على أركان الإسلام مبيّناً أن المرء لو اقتصر على هذه الأركان كان فائزاً بالجنة، ولم يأمر أحداً سألته عن الإسلام أو دعاه إليه في أول الأمر إلى المندوبات، حتى لا يشق عليهم ويزهدهم في الإسلام؛ لأنه ﷺ قبل أن يكون معلماً فهو معلّم، فكان يعلم طبائع الناس، وأن الطاعات ثقيلة على النفس البشرية، فإذا ما التزم العبد بهذه الأركان وانشرح صدره للإسلام وباشر نور الإيمان قلبه -ضحّى بالنفس والنفيس، وتدرج في سلم الطاعات حتى إنه ليؤثر رضا الله على رضا نفسه.

وهكذا يبدأ الإنسان بالأهم فالمهم، ويتدرج في سلم الطاعات إلى أن يصل إلى الكمال -إن شاء الله تعالى.

فقه الحديث:

اشتمل هذا الحديث على عدة مسائل، نذكرها فيما يلي:

أ- ورد في حديث طلحة بن عبيد الله، أن الرجل سأل النبي ﷺ عن الإسلام، فأجاب بقوله ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ...» الحديث.

وفي حديث جبريل عليه السلام أنه سأل النبي ﷺ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ...» الحديث.

فاختلف جوابه ﷺ في الحديثين، مع أن المسئول عنه واحد وهو الإسلام.

كما أن ظاهر حديث طلحة ليس فيه تطابق بين السؤال والجواب؛ لأن الرجل سأل عن حقيقة الإسلام، وحقيقة الإسلام لا تتحقق بدون الشهادتين، وينبغي أن يكون الجواب مطابقاً للسؤال.

لذلك أجاب العلماء عن حديث طلحة بن عبيد الله لرفع هذا التعارض

الظاهر بما يأتي:

١- أن السؤال كان عن أركان الإسلام وشرائعه العملية، وأن هذا السائل كان مسلماً مقراً بالشهادتين؛ لذلك لم يذكر له رسول الله ﷺ الشهادتين، ولو كان السؤال عن نفس الإسلام لذكر له الشهادتين أولاً؛ لأن الجواب ينبغي أن يكون مطابقاً للسؤال، فلما أجاب النبي ﷺ بقوله: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ» عرف أن سؤاله كان عن أركان الإسلام وشرائعه، فأجاب مطابقاً لسؤاله.

قال الحافظ ابن حجر: "وفي رواية إسماعيل بن جعفر، أن الرجل قال في سؤاله: أَخْبِرْنِي مَاذَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ؟ فقال: «الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ»^(١) فتبين بهذا مطابقة الجواب للسؤال.

٢- أن السؤال كان عن حقيقة الإسلام، وإنما لم يذكر له الرسول ﷺ الشهادتين، لأنه علم أن السائل يعلمهما.

ب- حكم الشروع في تطوع: اختلف العلماء فيمن شرع في تطوع، هل يجب عليه أن يتمه أم لا؟ وهذه مذاهبهم:

أولاً: ذهب الإمام أبو حنيفة ومالك إلى أن من شرع في تطوع من صلاة أو صيام أو غير ذلك، وجب عليه أن يتمه، ولا يجوز له قطعه، ويأثم به، فإن قطعه بلا عذر وجب عليه أن يقضيه، ومن ذهب إلى ذلك الحسن البصري ومكحول الشامي والنخعي.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- حديث طلحة بن عبيد الله -وهو حديث الباب- ووجه استدلالهم بالحديث: قالوا: إن الاستثناء في قوله: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ» متصل؛ بمعنى أن المستثنى من جنس المستثنى منه، والمستثنى منه واجب، فوجب أن يكون المستثنى واجباً أيضاً.

(١) أخرجه البخاري "جزء حديث"، كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان، (٣/٣١).

وقالوا: إن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً، والمنفصل مجاز والأصل عدمه. قال الحافظ ابن حجر في استدلال الحنفية بحديث طلحة بن عبيد الله: "نظراً لأن الحنفية لا يقولون بفرضية الإتمام بل بوجوبه، واستثناء الواجب من الفرض منقطع لتباينهما"^(١).

وأيضاً فإن الاستثناء من النفي عندهم ليس للإثبات، بل مسكوت عنه، وقوله: «إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ» استثناء من قوله «لَا» أي: لا فرض عليك غيرها. ٢- كما استدلوا بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

قال الإمام القرطبي عند تفسير هذه الآية الكريمة: احتج علماؤنا (أي: المالكية) وغيرهم بهذه الآية على أن التحلل من التطوع - صلاة كانت أو صوماً - بعد التلبس به لا يجوز؛ لأن فيه إبطال العمل، وقد نهي الله تعالى عنه، يعني في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

وقال من أجاز ذلك - أي: أجاز التحلل من التطوع بعد التلبس به - وهو الإمام الشافعي وغيره: المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣] - النهي عن إبطال ثواب العمل المفروض، فنهى الرجل عن إحباط ثوابه، فأما ما كان نفلاً فلا؛ لأنه ليس واجباً عليه، فإن زعموا أن اللفظ عام، فالعام يجوز تخصيصه، ووجه تخصيصه أن النفل تطوع، والتطوع يقتضي تحييراً.

(١) فرّق الحنفية بين الفرض والواجب، فالفرض عندهم ما ثبت بدليل متواتر من القرآن الكريم أو السنة المتواترة، فهم لا يثبتون فرضاً بدليل آحاد، ولما كان حديث طلحة بن عبيد الله آحاداً، وقد اعتمدوا عليه في إثبات هذه المسألة، فإن إتمام ما شرع فيه المسلم من تطوع ليس فرضاً بل هو واجب عندهم، فكيف يستثنى الواجب من الفرض والواجب ليس من جنس الفرض عندهم، وقد بنوا هذه المسألة على أساس أن الاستثناء متصل، بمعنى أن المستثنى من جنس المستثنى منه، وبناء على مذهبهم لا يصح أن يستثنى الواجب من الفرض، وهذا رد لإرزامي للحنفية، ولكن لا يلزم المالكية؛ لأنهم لا يفرقون بين الفرض والواجب.

فالمالكية ومن وافقهم أبقوا الآية على عمومها في الفرض والتطوع على حد سواء، أما الشافعي ومن وافقه، فجعلوا الآية خاصة بالفرض دون التطوع، إبقاء للحكم على أصله، فجعلوا أصل الحكم مخصصاً لعموم الآية، والله أعلم.

٣- اتفق العلماء على أن حج لتطوع يلزم بالشروع فيه، فيقاس على ذلك بقية العبادات المتطوع بها.

قال الحافظ ابن حجر في التعقيب على هذا الدليل: 'إِنْ قِيلَ: يرد الحج، قلنا: لا؛ لأنه امتاز عن غيره بلزوم المضي في فاسده، فكيف في صحيحه؟! وكذلك امتاز بلزوم الكفارة في نفيه كفضه'.

ثانياً: ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق وسفيان الثوري وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ ومن وافقهم إلى أن من شرع في تطوع لا يجب عليه أن يتمه، بل يستحب له الإتمام فقط، فإذا شرع في تطوع ثم أسداه قبل أن يتمه لا يجب عليه أن يعيده. واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- حديث طلحة بن عبيد الله -وهو حديث الباب- وفيه أن السائل قال للرسول ﷺ: "هل عليّ غيرها" قال ﷺ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطُوعَ». ووجه استدلالهم بالحديث قالوا: إن الاستثناء في قوله: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطُوعَ» منقطع، بمعنى أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه.

قال الإمام النووي: قال أصحابنا -أي: الشافعية- وغيرهم من العلماء: قوله ﷺ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطُوعَ» استثناء منقطع، ومعناه: لكن يستحب لك أن تطوع، وجعله بعض العلماء استثناء متصلاً، واستدلوا به على أن من شرع في صلاة نفل أو صوم نفل وجب عليه إتمامه، ومذهبنا أنه يستحب الإتمام ولا يجب، والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر: وحرف المسألة دائر على الاستثناء -أي: الاستثناء الذي في حديث طلحة بن عبيد الله- فمن قال إنه متصل تمسك بالأصل -أي:

لأن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً.

ومن قال: إن الاستثناء منقطع، احتاج إلى دليل، والدليل على أن الاستثناء منقطع وأنه لا يجب على من شرع في تطوع أن يتمه ولا من أفسد تطوعاً شرع فيه أن يقضيه - حديث جويرية بنت الحارث وحديث عائشة^(١).

٢- عَنْ جَوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ فَقَالَ: «أَصُمْتَ أَمْسِ»، قَالَتْ: لَا؛ قَالَ: «تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا»، قَالَتْ: لَا؛ قَالَ: «فَأَفْطِرِي»

وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ الْجَعْدِ سَمِعَ قَتَادَةَ حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ أَنَّ جَوَيْرِيَةَ حَدَّثَتْهُ فَأَمَرَهَا فَأَفْطَرَتْ^(٢).

وليس في هذا الحديث أنها لم تقض، وكل ما فيه أنه ﷺ أمر جويرية بالإفطار؛ لما علم من النهي عن صيام يوم الجمعة مفرداً.

٣- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ»، فَقُلْنَا: لَا، قَالَ: «فَإِنِّي إِذَنْ صَائِمٌ»، ثُمَّ أَتَانَا يَوْمًا آخَرَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْدِي لَنَا حَيْسٌ، فَقَالَ «أَرَيْنِيهِ فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا» فَأَكَلَ^(٣).

وليس في هذا الحديث أنه لم يقض، وكل ما فيه أنه كان صائماً فأفطر. قال الإمام النووي: وفي هذه الرواية التصريح بالدلالة لمذهب الشافعي وموافقيه في أن صوم النافلة يجوز قطعه والأكل في أثناء النهار، ويبطل الصوم؛ لأنه نفل، فهو إلى خيرة الإنسان في الابتداء وكذا في الدوام، ومن قال بهذا جماعة

(١) فتح الباري (١/١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، (٣/٥٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب جواز فطر الصائم نفلاً من غير عذر، صحيح مسلم بشرح النووي، (٨/٣٤). والحيس يفتح الحاء هو التمر مع السم والأقط.

من الصحابة وأحمد وإسحاق وآخرون، ولكنهم كلهم والشافعي -متفقون على استحباب إتمامه.

وقال أبو حنيفة ومالك: لا يجوز قطعه ويأثم بذلك، وبه قال الحسن البصري ومكحول والنخعي وأوجبوا قضاءه على من أفطر بلا عذر. قال ابن عبد البر: وأجمعوا على أن لا قضاء على من أفطره بعذر، والله أعلم. وقال مجاهد: إن فطر المتطوع بعد الشروع فيه بمنزلة الرجل يخرج الصدقة من ماله، فإن شاء أمضاها وإن شاء أمسكها^(١).

عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَدَعَى بِشَرَابٍ فَشَرِبَ، ثُمَّ تَأَوَّلَهَا فَشَرِبَتْ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا إِنِّي كُنْتُ صَائِمَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصَّائِمُ الْمُتَطَوُّعُ آمِنٌ نَفْسِهِ إِنْ شَاءَ صَامَ وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ» وفي رواية: «أَمِيرُ نَفْسِهِ»^(٢).

قال الترمذي: وحديث أم هانئ في إسناده مقال، والعمل عليه عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن الصائم المتطوع إذا أفطر فلا قضاء عليه إلا أن يستحب أن يقضيه، وهو قول سفيان الثوري وأحمد وإسحاق والشافعي^(٣).

ج- لم يذكر في هذا الحديث لحج، وكذا لم يذكر في حديث جبريل من رواية أبي هريرة، وجاء ذكره في رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أن القصة واحدة لم تتكرر ولم يذكر في بعض هذه الأحاديث -المتحدثة عن خصال الإيمان- الصوم، ولم يذكر في بعضها الزكاة، وذكر في بعضها صلة الرحم، وفي بعضها

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في إفطار الصائم المتطوع، (٣/١٠٠-١٠١).

(٢) قلت: وإن كان إسناده الترمذي فيه أن سماك بن حرب قال: حدثني أحد بني أم هانئ على الإمام من غير تعيين، فقد تبين هذا المذهب فأخرج الترمذي أن شعبة قال لسماك بن حرب: أأنت سمعت هذا من أم هانئ؟ قال: لا، أخبرني أبو صالح وأهلنا عن أم هانئ.

وروي حماد بن سلمة هذا الحديث عن سماك بن حرب، فقال: عن هارون ابن بنت أم هانئ عن أم هانئ... راجع سنن الترمذي، (٣/١٠٠-١٠١).

(٣) المصدر السابق.

أداء الخمس من المغنم، ولم يقع في بعضها ذكر الإيمان، فتفاوتت هذه الأحاديث في عدد خصال الإيمان زيادة ونقصاً وإثباتاً وحذفاً.

وخير ما يجاب به على هذا التفاوت بين الروايات بالزيادة والنقصان، أن ذلك يرجع إلى تصرف الرواة، فبعضهم حفظ ما لم يحفظ البعض الآخر، فاقصر كل راو على رواية ما حفظ ولم يتعرض لما زاده غيره بنفي أو إثبات، وليس في ذلك تعارض؛ لأن هذه الروايات مكملّة ومتممة لبعضها، فهي في منزلة الحديث الواحد؛ لأن أحاديث الباب الواحد يجب أن ينظر إليها على أنها حديث واحد. والكل صحيح مقبول؛ لأن زيادة الثقة مقبولة.

ومن الأدلة على أن ذلك التفاوت بين الروايات راجع إلى تصرف الرواة - كما ذكرنا:

أخبرني بما فرض الله عليّ من الزكاة فقال: فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام؛ قال: والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً، ولا أنقص ممّا فرض الله عليّ شيئاً؛ فقال رسول الله ﷺ «أفّلع إن صدق» أو «دخل الجنة إن صدق».

قوله في الحديث: "وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة"، وفي رواية إسماعيل بن جعفر: "قال: أخبرني بما فرض الله عليّ من الزكاة، قال: فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام" (١).

قال الحافظ ابن حجر: فتضمنت هذه الرواية أن في القصة أشياء أجملت، منها: بيان نصب الزكاة، فإنها لم تفسر في الروایتين، وكذا أسماء الصلوات، وكان السبب فيه شهرة ذلك عندهم، أو القصد من القصة بيان أن المتمسك بالفرائض ناج وإن لم يفعل النوافل (٢).

(١) أخرجه البخاري " جزء حديث "، كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان، (٣/٣١).

(٢) فتح الباري (١/١٣٢).

وقيل: إن الحج لم يذكر في هذا الحديث؛ لأنه لم يكن فرض بعد.
ولكن كيف نجيب على حديث جبريل عليه السلام من رواية أبي هريرة رضي الله عنه حيث لم يذكر الحج وذكر الحج في رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه والقصة واحدة لم تتكرر.
إن اختلاف الروايات بالزيادة والنقصان أمر من الواضح بحيث لا يخفى على أحد، وذلك راجع إلى تصرف الرواة - كما ذكرنا - وليس في ذلك ضرر مادامنا سننظر إلى أحاديث الباب الواحد على أنها حديث واحد، وأن الدليل لا يفصل عن بابه، بل ينظر إليه في بابه.

د- فإن قيل: كيف أقر النبي صلى الله عليه وسلم هذا السائل على حلفه ألا يزيد على الفرائض، وقد ورد النكير على من حلف أن لا يفعل الخير؟
عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِمَا فَقَالَ: «أَيْنَ الْمَتَالِي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ»، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ^(١).

الجواب: أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي أحوال الناس وظروفهم، ويقدم الأهم فالمهم، مراعيًا مصلحتهم ومصلحة الدعوة، فالأعرابي جاء يسأل عن الإسلام، فاكفى منه صلى الله عليه وسلم بفعل الواجبات تأليفاً لقلبه، حتى يدخل لإسلام وحتى لا يشق عليه بفعل النوافل والمندوبات، فقد يكون ذلك سبباً لإعراضه عن الإسلام، وكان صلى الله عليه وسلم حريصاً على ترك ما فيه مشقة

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب هل يشتر الإمام بالصلح، فتح الباري، (٣٠٧/٥).

وأخرجه مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب استحباب الوضع من الدين، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٢٠-٢١٩/١٠).

قال النووي: في هذا الحديث كراهة الحلف على ترك الخير وإنكار ذلك، وأنه يستحب لمن حلف لا يفعل خيراً أن يبحث فيكفر عن عيبه، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٢٠/١٠).

مهما أمكن حتى لا يكون ذلك عائقاً بين الناس وبين دخولهم في الإسلام مع عدم الإخلال بالواجبات، وليس في ذلك تماون أو تنازل من جهته ﷺ؛ لأن المندوبات لا يجب على المسلم الإتيان بها، فإسلام المرء ليس متوقفاً عليها؛ لذلك أثبت النبي ﷺ له الفلاح وإن اقتصر على فعل الواجبات؛ لقرب عهده بالإسلام، حتى يأنس وينشرح صدره للإسلام، وهذا جار على الأصل بأنه لا إثم على غير تارك الفرض، فهو مفلح وإن كان غيره أكثر فلاحاً منه.

وهذا بخلاف من تمكن الإيمان من قلبه، وثبت في الإسلام، فإن النبي ﷺ كان يحضه على الازدياد من النوافل والمندوبات، ولم يقتصر منه على فعل الواجبات؛ لذلك أنكر على من أقسم أن لا يفعل المعروف وإن كان مندوباً.

هـ- كيف أثبت النبي ﷺ لهذا السائل الفلاح إن صدق فيما التزم به، وقد التزم عدم الزيادة على الواجبات، وفي هذا تسويغ ترك السنن؟ وكيف يسوغ له ترك السنن والتماذي على تركها مذمومٌ يوجب الأدب عند بعضهم؟

وقد أجاب العلماء على هذا الإشكال بعدة أجوبة، نذكرها فيما يلي:

١- أن المراد بقوله: "لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ" الأمانة في التبليغ، كما سمع، ويكون ذلك بعدم تغيير حقيقة الفرض أو المأمور به، فلا يجعل الظهر مثلاً خمس ركعات، ولا يجعل المغرب ركعتين، ولا يجعل الصيام عشرين يوماً.

٢- أن كلام الرجل السائل خرج على جهة المبالغة في التصديق والقبول، وكأنه قال: قبلت قولك فيما سألتك عنه قبولاً لا مزيد عليه من جهة السؤال ولا نقصان فيه من طريق القبول.

قال الحافظ ابن حجر: والاحتمالان مردودان برواية إسماعيل بن جعفر، فإن نصها: "وَالَّذِي أَكْرَمَكَ لَا أَطْوَعُ شَيْئاً، وَلَا أَنْقُصُ مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ شَيْئاً" (١) فإن

(١) أخرجه البخاري "جزء حديث"، كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان، (٣١/٣) عن طلحة

بن عبيد الله، وهو حديث الباب.

هذه الرواية صرحت بأن هذا الرجل أخذ على نفسه ألا يقصر في الفرائض وألا يتطوع بشيء أبداً.

٣- أن هذا السائل كان رسول قومه، أوفدوه إلى رسول الله ﷺ ليتعلم منه، ثم يقوم بتبليغهم ما تعلم من رسول الله ﷺ.

ومراده: لا أزيد ولا أنقص فيما أبلغه عنك إلى قومي، فقال رسول الله ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» ولكن يرد على هذا الجواب بما رد به على الجوابين قبله.

٤- أن هذا الرجل السائل كان قريب عهد بالإسلام، فاكفني منه النبي ﷺ بفعل الواجبات، وأخر ذكر السنن والمنسوبات حتى يأنس بالإسلام وينشرح صدره، ويحرص على الخير فتسهل عليه المنسوبات، وليس في الحديث ترخيص في ترك المنسوبات ولكن النبي ﷺ كان يرعى أحوال السائلين وظروفهم.

٥- قال الإمام النووي: قيل: هذا الفلاح راجع إلى قوله: "ولا أنقص" خاصة، والأظهر أنه عائد إلى المجموع، بمعنى أنه إذا لم يزد ولم ينقص كان مفلحاً؛ لأنه أتى بما عليه، ومن أتى بما عليه فهو مفلح، وليس في هذا أنه إذا أتى بزائد لا يكون مفلحاً؛ لأن هذا مما يعرف بالضرورة، فإنه إذا أفلح بالواجب، فلأن يفلح بالواجب والمندوب أولى^(١).

٦- قيل: يحتمل أنه أراد أن لا يأتي بالنوافل مع أنه لا يخل بشيء من الفرائض، وهذا مفلح بلا شك وإن كانت مواظبته على ترك السنن مذمومة وترد بها الشهادة، إلا أنه ليس بعاص بل مفلح ناج - إن شاء الله تعالى.

٧- قيل: يحتمل أن سؤال هذا الرجل كان قبل شروع النوافل؛ وقيل: إن السنن داخلية في قوله: «إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ»، فالمعنى: لا أزيد فيما ذكرت من فرض أو تطوع.

و- كيف أثبت له الرسول ﷺ الفلاح بمجرد ما ذكر، مع أنه لم يذكر

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٦٧).

جميع الواجبات، ولم يذكر المنهيات الشرعية ولا السنن؟

الجواب: أنه جاء في رواية البخاري في آخر هذا الحديث زيادة توضح المقصود، قال: " فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، قَالَ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ بِالْحَقِّ لَا أَتَطَوَّعُ شَيْئًا، وَلَا أَتَقْصُ مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى شَيْئًا^(١) .

فعلى عموم قوله: (بشرائع الإسلام)، وقوله: (مما فرض الله علي) يزول الإشكال في الفرائض؛ لأن بقية الواجبات والمنهيات داخلية في عموم قوله: (فأخبره بشرائع الإسلام) فتضمنت هذه الرواية أن في القصة أشياء أجملت، منها بيان نصب الزكاة، فإنها لم تفسر في الروايتين، وكذا أسماء الصلوات، وكان السبب فيه شهرة ذلك عندهم -أو القصد من القصة بيان أن المتمسك بالفرائض ناج وإن لم يفعل النوافل - كما أن عموم قوله: (فأخبره بشرائع الإسلام) يشمل السنن التي سقط ذكرها من الحديث.

قال الأبي: لا يرتفع الإشكال بزيادة البخاري، أي بقوله: (فأخبره بشرائع الإسلام)؛ لأن لفظ (شرائع الإسلام) يرجع إلى ما قبله من المذكورات؛ لأن العام المذكور عقب خاص يرجع إلى ذلك الخاص على الصحيح عند قائله.

ز - جاء في الرواية الثانية أن النبي ﷺ قال: «أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ» فكيف نوفق بين هذه الرواية وبين ما جاء في الأحاديث الصحيحة من النهي عن الحلف بغير الله تعالى من الآباء وغير ذلك؟

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»؛ قَالَ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان، (٣١/٣) عن طلحة بن عبيد الله، وهو نفس حديث الباب.

عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مِنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهَا ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا^(١).
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ، وَعُمَرُ
يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَتَادَاهُمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْهَاكُمُ أَنْ تَحْلِفُوا
بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»^(٢).

وقد أجاب العلماء عن هذا التعارض الظاهر بين هذه الروايات بما يأتي:

- ١- أن حلفه ﷺ بأبي السائل كان قبل النهي عن الحلف بغير الله تعالى.
 - ٢- أن في الكلام مضافاً محذوفاً، والتقدير: "أفلح ورب أبيه"، فأضمر ذلك فيه.
 - ٣- في الحديث تصحيف، وأصل الحديث: "أفلح والله" فقصر الكاتب اللامين، ولم يكن نَقْطُ فقرئت وأبيه.
- وهذا الاحتمال مردود؛ لأن اعتماد النقل والرواية لم يكن على الخط، بل

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم، فتح الباري، (٥٣/١١).
وأخرجه مسلم، كتاب الأيمان والنذور، باب النهي عن الحلف بغير الله، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٠٤-١٠٥/١١).
والمراد بقول عمر "ذاكراً" أي: عامداً، و"لا آثراً" أي: حاكياً عن الغير، والمعنى ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها ولا تكلمت بها، فتح الباري، (٥٢٣/١١).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من لم ير يكفر من قال ذلك متولواً أو جاهلاً، فتح الباري، (٥١٦/١٠).
وأخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بآبائكم، فتح الباري، (٥٣٠/١١). وأخرجه مسلم، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٠٦-١٠٥/١١).
قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث إباحة الحلف بالله تعالى وصفاته كلها، وهذا مجمع عليه، وفيه النهي عن الحلف بغير أسمائه تعالى وصفاته، وهو عند أصحابنا، أي: الشافعية، مكروه ليس بحرام.
فإن قيل: قد أقسم الله تعالى بمخلوقاته، كقوله تعالى: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًا﴾، ﴿وَالذَّارِيَّاتِ ذُرًوًا﴾، ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾، وغير ذلك، فالجواب: أن الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيهاً على شرفها.
كما أن الله ﷻ لا يُسأل عما يفعل أو يقول ﷻ؛ قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

كان على النطق والسماع؛ وأين كلمة وأيه من كلمة والله؟! فالكلمتان بعيدتان نطقاً؛ ولو تطرق هذا الاحتمال إلى الروايات لزلزلت الثقة بالروايات الصحيحة؛ لأن فيه نسبة الثقات إلى الوهم.

٤- قال الحافظ ابن حجر: غفل القرافي فادعى أن الرواية بلفظ: (أفلح وأيه) لم تصح؛ لأنها ليست في الموطأ، وكأنه لم يرتض الجواب فعدل إلى رد الخبر مع أنه صحيح لا مرية فيه.

٥- أن قوله ﷺ: «أَفْلَحَ وَأَيُّهُ» ليس حلفاً، إنما هو كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها غير قاصدة بما حقيقة الحلف، والنهي إنما ورد فيمن قصد حقيقة الحلف؛ لما فيه من إعظام المحلوف به ومضاهاته به ﷺ، فهي مثل قولهم: تربت يمينك، وقولهم: ثكلتك أمك، فهذه الكلمات وأشباهها تقولها العرب ولا تقصد معناها الأصلي، وهذا الجواب الأخير هو أولى الأجوبة بالقبول وأحسنها.

خلاصة الوحدة الثالثة عشرة

١- الرحلة من أجل طلب العلم وسؤال الأكابر عن الأمور الهامة أمر مندوب
بمحمد فاعله ويثاب عليه الثواب العظيم.

٢- يجوز وصف الإنسان بما ظاهره غير محمود، إذا لم يكن ذلك على وجه
التنقيص، وأن ذلك لا يعد من الغيبة المحرمة، خاصة إذا أراد أن يعرف بحاله
- كما جاء في وصف الرجل السائل بأنه نائر الرأس - وكذلك إذا عرف بما
وصف به - كالأعمش والأعرج، وغير ذلك.

٣- إن الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام التي أطلقت في باقي نصوص
القرآن الكريم والسنة المطهرة، إنما هي الصلوات الخمس، وأما تجب على كل
مكلف في كل يوم وليلة.

٤- إنه لا يجب على المسلم غير هذه الصلوات الخمس، وأن صلاة الوتر ليست
بواجبة، وكذا صلاة العيدين - وهذا مذهب الجمهور - وذهب أبو حنيفة
وطائفة من العلماء إلى وجوب صلاة الوتر، وقال أبو سعيد الإصطخري -
من أصحاب الشافعي -: إن صلاة العيدين فرض كفاية.

٥- إن وجوب صلاة الليل منسوخ في حق الأمة الإسلامية - وهذا مجمع عليه -
واختلف قول الشافعي رحمته الله في نسخه في حق الرسول ﷺ، والأصح
نسخه في حقه ﷺ.

٦- إن صيام شهر رمضان ركن من أركان الإسلام، وهو شهر واحد في كل
سنة، لا يجب غيره إلا ما أوجبه المسلم على نفسه بنذر.

أما صوم عاشوراء وغيره فلا يجب -وهذا مجمع عليه- واختلفوا أن صوم عاشوراء كان واجباً قبل رمضان أم لا؟ فعند أبي حنيفة رحمته الله أنه كان واجباً -وهو وجه للشافعي- وفي الأظهر عند الشافعي أنه لم يكن واجباً.

٧- جواز رواية الحديث بالمعنى -كما هو مقرر في علوم الحديث- لأن الراوي لما نسي عين لفظ الحديث الذي سمعه من الرسول ﷺ قال: "وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة".

٨- ليس في المال حق سوى الزكاة على من ملك النصاب وحال عليه الحول- وسيأتي تفصيل هذه المسألة في كتاب الزكاة -إن شاء الله تعالى.

٩- من يحافظ على الواجبات الشرعية، يصير مفلحاً بلا شك.

١٠- في الحديث رد صريح على المرجئة وإبطال مذهبهم؛ حيث علق الرسول ﷺ فلاح الرجل على محافظته على فعل الواجبات الشرعية، ومفهوم هذا أنه إذا لم يحافظ على الواجبات لا يكون مفلحاً.

وقد بنى المرجئة مذهبهم على إحباط قيمة العمل، وأنه يكفي الإنسان أن ينطق بالشهادتين، ولا يضره بعد ذلك ترك الأعمال الواجبة أو فعل المحرمات، وهذا مذهب في غاية البطلان.

١١- جواز الحلف بالله تعالى من غير استحلاف ولا ضرورة؛ لأن الرجل حلف بالله تعالى بحضرة النبي ﷺ ولم ينكر عليه.

١٢- جواز قول رمضان من غير ذكر شهر.

١٣- جواز استعمال الصدق في الخبر المستقبل؛ خلافاً لابن قتيبة، حيث خص الصدق والكذب بالخبر الماضي، وسمى المطابقة في المستقبل وفاءً لا صدقاً، وعدمها خلفاً -والحديث يرد عليه.

اختبار الوحدة الثالثة عشرة

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- توفي طلحة بن عبيدالله يوم الجمل سنة ست وثلاثين.
- ٢- توفي طلحة بن عبيدالله يوم الجمل سنة أربع وثلاثين.
- ٣- المراد بقوله: "نائر الرأس" أي: منتفش الشعر ومنتشره.
- ٤- "دوي" رويت بفتح الدال وضمها، والصواب الفتح.
- ٥- قوله: "خمس صلوات" يجوز في خمس الرفع والنصب والجر.
- ٦- ورد هذا الحديث بعدة روايات في بعضها زيادة، والكل صحيح مقبول، فزيادة الثقة مقبولة.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- توفي طلحة بن عبيدالله يوم الجمل سنة:

- أ- ٣٣هـ. ب- ٣٤هـ. ج- ٣٦هـ.

٢- "دوي" رويت:

- أ- بفتح الدال. ب- بضم الدال. ج- بالفتح والضم والصواب الفتح.

٣- قوله: "خمس صلوات" يجوز في خمس:

- أ- الرفع. ب- النصب. ج- الجر. د- جميع ما سبق.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- ترجم لطلحة بن عبيدالله راوي الحديث ﷺ.

- ٢- كيف أثبت النبي للسائل الفلاح إن صدق فيما التزم به، وقد التزم عدم الزيادة على الواجبات، وفي هذا تسويق ترك السنن والتمادي في تركها مذموم. كيف أجاب العلماء عن هذا الإشكال؟ اذكر آراءهم تفصيلاً.
- ٣- جاء في بعض الروايات لهذا الحديث: "أفلح وأبيه إن صدق"، فكيف توفق بين هذه الرواية وبين ما صح عنه ﷺ من النهي عن الحلف بغير الله تعالى من الآباء وغير ذلك؟
- ٤- في الحديث دلالة على جواز وصف الإنسان بما ظاهره غير محمود إذا لم يكن على وجه التنقيص، وأن ذلك لا يعد من الغيبة المحرمة. اذكر الدليل على ذلك من خلال فهمك لما درست.
- ٥- في الحديث دلالة على جواز رواية الحديث بالمعنى - كما هو مقرر في علوم الحديث - اذكر موضع الشاهد فيه - على ما ذكرنا.
- ٦- في الحديث رد صريح على اعتقاد المرجئة وإبطال مذهبهم، اذكر موضع الرد المشار إليه هنا، في ضوء فهمك لما درست.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادراً على أن:

- ١- تترجم لأبي أيوب الأنصاري راوي الحديث رضي الله عنه.
- ٢- تبين أن فعل الواجبات من الأسباب المفضية إلى الجنة.
- ٣- تعلق باختلاف الرواة في هذا الحديث بالزيادة والنقصان برغم كون القصة واحدة.
- ٤- توجه اختلاف أجوبته ﷺ عن ما يقرب إلى الجنة وما يبعد من النار.
- ٥- تبين استحباب الرحلة لطلب العلم والسؤال عما ينفع المسلم.
- ٦- تؤكد على ثقة الصحابة المطلقة برسولهم ﷺ فيما أخبر به.
- ٧- تبرهن على حرص الرسول ﷺ على تربية أصحابه وتعليمهم، مهما تحمل في سبيل ذلك.
- ٨- تراعي حال السائل وتجيبه بقدر ما يفهم.
- ٩- تُثني على من قال قولاً طيباً، أو فعل فعلاً حسناً.
- ١٠- تدلل على أن التسديد والتوفيق في الأمر كله منة من الله على من يشاء من عباده.
- ١١- تشرح أن الأعمال الصالحة ليست في درجة واحدة، بل تتفاوت.
- ١٢- تكرر الأمر الهام في حديثك لينتبه الحضور إليه، فيعم بذلك الخير.

الوحدة الرابعة عشرة

فعل الواجبات من الأسباب المفضية إلى دخول الجنة

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ؛ فَأَخَذَ بِخَطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِرِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ -أَوْ يَا مُحَمَّدَ- أَخْبِرْنِي بِمَا يَقْرِبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا يَبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؛ قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وَفَّقَ -أَوْ لَقَدْ هَدَى- قَالَ: كَيْفَ قُلْتُ؟» قَالَ: فَأَعَادَ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ. دَعِ النَّاقَةَ»^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَلْنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ»، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ؛ فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»^(٢).

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: دَلْنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يَدِينُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيَبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ» فَلَمَّا أَذْبَرَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أَمَرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وَفِي رِوَايَةٍ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: «إِنْ تَمَسَّكَ بِهِ»^(٣).

ترجمة أبي أيوب الأنصاري ؓ

خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن مالك أبو أيوب الخزرجي النخاري الأنصاري البصري، الذي خصّه الرسول ﷺ بالنزول عليه في بيته إلى أن بنيت

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٧٢/١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٧٣/١).

له حجرة أم المؤمنين سودة، وبني المسجد الشريف، شهد أبو أيوب المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقدم مصر سنة ست وأربعين.

معرفة أبي أيوب الأنصاري وأهل بيته لقدر النبي ﷺ:

عرف أبو أيوب الأنصاري وأهل بيته قدر النبي ﷺ، فلما شرفهم النبي ﷺ بنزوله في منزلهم، أراد أبو أيوب أن يكون النبي ﷺ في الطابق العلوي حباً له وتقديراً لمكانته، غير أن النبي ﷺ آثر أن يكون في الطابق السفلي حتى لا يشق على زواره، غير أن أبا أيوب لم تقر له عين ولم يهدأ له بال حتى نزل الرسول بالطابق العلوي، وكان يتبرك بآثار الرسول ﷺ لحبه إياه.

عَنْ أَبِي رُحَيْمٍ السَّمْعِيِّ أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ حَدَّثَهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ فِي بَيْتِنَا الْأَسْفَلِ، وَكُنْتُ فِي الْعُرْفَةِ، فَأَهْرَيْقَ مَاءً فِي الْعُرْفَةِ، فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقُطِيفَةٍ لَنَا تَتَّبِعُ الْمَاءَ شَفَقَةً يَخْلُصُ الْمَاءُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مُشْفِقٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ فَوْقَكَ، انْتَقِلْ إِلَيَّ الْعُرْفَةِ؛ فَامَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِمَتَاعِهِ فَتَقَلَّ وَمَتَاعُهُ قَلِيلٌ؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنْتُ تُرْسِلُ إِلَيَّ بِالطَّعَامِ فَأَنْظُرُ فَإِذَا رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِكَ وَضَعْتُ يَدِي فِيهِ حَتَّى إِذَا كَانَ هَذَا الطَّعَامُ الَّذِي أَرْسَلْتَ بِهِ إِلَيَّ فَتَطَرْتُ فِيهِ فَلَمْ أَرَ فِيهِ أَثَرَ أَصَابِعِكَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَجَلٌ إِنَّ فِيهِ بَصَلاً فَكْرِهْتُ أَنْ أَكُلَهُ مِنْ أَجْلِ الْمَلِكِ الَّذِي يَأْتِينِي وَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ»^(١).

خرَّج له الأئمة الستة، له في مسند بقي بن مخلد مائة وخمسة وخمسون حديثاً.

توفي أبو أيوب في سنة خمسين، وقيل: غير ذلك.

المباحث اللغوية:

قونه: (أن أعرايياً) الأعراي هو البدوي الذي يسكن البادية، وأهل البادية

(١) أخرجه أحمد في مسنده، (٤٢٠/٥).

هم الأعراب، يغلب عليهم الجفاء والغلظة.

قوله: (عرض لرسول الله ﷺ) ظهر له وتعرض له.

قوله: (فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها): الخطام والزمام بمعنى واحد، وهو الخيط الذي تشد فيه الحلقة التي تسمى بالبرّة في أنف البعير.

(أو بزمامها) الشك من الراوي: هل الرجل أخذ بخطام الناقة أم بزمامها، وهذا يدل على مدى تثبت الرواة في الرواية، وأن الراوي إذا لم يكن متبثاً مما سمع أو مما رأى: فإنه يبين ذلك، مع أن الخلاف هنا -هل أخذ الرجل بخطام الناقة أو بزمامها- لا يترتب عليه أدنى فائدة فقهية، إلا أن الأمانة العلمية أوجبت عليهم ذلك، وإذا كان هذا فيما لا يترتب عليه خلل أو فائدة، فكيف إذا كان يترتب على ذلك خلل في الرواية؟!!

وإنما أمسك الرجل بالخطام أو الزمام ليوقف الناقة عن السير، فيتمكن من سؤال الرسول ﷺ ويفهم الجواب من غير مشقة.

قوله: (بما يقربني من الجنة)، أي: أخبرني بالعمل الذي إذا عملته قربني من الجنة، وليس المراد مجرد القرب من الجنة، بل المراد دخولها؛ لما جاء في حديث أبي هريرة: أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَلِّي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ.

قوله: (وما يباعدني من النار) مما لا شك فيه أن الأعمال الصالحة من الأسباب المفضية إلى دخول الجنة والنجاة من النار، فكل عمل يقرب من الجنة يباعد من النار حتماً، إلا أن السائل -لشدة حرصه ولأنه يريد النجاة- لم يكتف بالدلالة الالتزامية، فسأل عن اللازم.

قوله: (فكف النبي ﷺ) يحتمل أن يكون المراد أنه كف عن الكلام ولم يسرع بالجواب؛ ليلفت أنظار السامعين إلى سؤال الرجل، فيحفظوا عنه السؤال والجواب،

فيتفعوا بذلك؛ أو أن يكون المراد فكفَّ النبي ﷺ عن السير واستسلم للرجل، فلم يدفع الناقة للسير، ولأقرب أن النبي ﷺ أمسك عن الكلام والسير معاً.

قوله: (ثم نظر في أصحابه) وإنما نظر النبي ﷺ في أصحابه بعد سؤال الرجل، لشد انتباههم إلى سماع الجواب، فيتفعوا بما يقول الرسول ﷺ وإمعاناً في جذب انتباههم، قال النبي ﷺ: «لَقَدْ وَفَّقَ - أَوْ لَقَدْ هَدَى» قبل الجواب عن السؤال، ليعلموا أن الجواب عن هذا السؤال من الأهمية بمكان عظيم، فيتجهوا إلى جوابه ﷺ ويتفعوا بما يقول.

قوله: (لقد وفق أو لقد هدي)، أي: لقد وفق هذا السائل إلى الخير في سؤاله، أو لقد هدي بسؤاله إلى الصواب.

قال الإمام النووي: قال أصحابنا المتكلمون: التوفيق خلق قدرة الطاعة، والخذلان خلق قدرة المعصية.

(و) للشك، شك الراوي في أي اللفظين صدر عن الرسول ﷺ، وهذا يدخل في باب الثبوت والاحتياط في الرواية، وسبق الحديث عن ذلك.

قوله (كيف قلت؟) إنما سأل النبي ﷺ الرجل أن يعيد سؤاله، لا لأنه لم يسمع السؤال أو لم يفهمه - بدليل ثناء النبي ﷺ على سؤاله - ولكن رغبة في أن يعيد الرجل السؤال بحالته وهيئته فيسمعه الحضور لأهميته.

وكان الظاهر أن يقول له الرسول ﷺ: "ماذا قلت؟" سؤالاً عن سؤاله، ولكنه عدل عن هذا الظاهر إلى السؤال بـ: «كَيْفَ قُلْتَ»، وكيف إنما يُسأل بها عن الأحوال العامة، ولكنه أراد هنا السؤال عن ذات السؤال لإعادته، فأعاد الرجل السؤال.

قوله: (فأعاد)، أي: فأعاد الرجل السؤال الذي سألته من قبل.

قوله: (تعبد الله لا تشرك به شيئاً) العبادة هي الطاعة مع الخضوع فيحتمل

أن يكون المراد بالعبادة معرفة الله تعالى والإقرار بوحدانيته، فعلى هذا يكون عطف الصلاة وما بعدها على معرفة الله تعالى لإدخالها في الإسلام؛ حيث لم تدخل في العبادة بمعنى المعرفة.

وإذا كان المراد من العبادة الطاعة مطلقاً دخلت جميع وظائف الإسلام في العبادة، ويكون عطف الصلاة وما بعدها على العبادة من باب عطف الخاص على العام، تنبيهاً على شرفه ومنزلته الرفيعة، كقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر:٤] على أن المراد بالروح هو جبريل عليه السلام.

وإنما ذكر قوله: (لا تشرك به شيئاً) بعد العبادة، لأن الكفار كانوا يعبدون الله تعالى في الصورة، ويعبدون معه أوثاناً يزعمون أنها شركاء لله تعالى، فنهى عما كان عليه الكفار، والمراد بقوله: (تعبد الله لا تشرك به شيئاً): تعبد الله تعالى موحداً له توحيداً كاملاً لا تشوبه شائبة شرك.

قوله: (وتقيم الصلاة) المراد من إقامة الصلاة أداؤها في أوقاتها، والمحافظة عليها على الوجه الأكمل ما استطاع المسلم إلى ذلك سبيلاً، من أقام على كذا بمعنى داوم عليه، أو المراد فعلها تامة مستوفاة الأركان والشروط من أقام العود إذا قومه وجعله معتداً.

قال القرطبي: جاء قوله: (وتقيم الصلاة) على عرف القرآن الكريم في التعبير عن الصلاة بلفظ الإقامة، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة:٣] دون أخواتها؛ وذلك لما خصت به من كثرة ما تنوقف عليه من الشرائط والفرائض والسنن والفضائل؛ ولما فيها من التكرار، بخلاف بقية العبادات.

وقيدت الصلاة في الرواية الثانية بـ (المكتوبة)؛ لأن من الصلاة ما ليس بواجب كالسنن، وهي كثيرة.

قوله: (وتؤتي الزكاة) أي: تعطيتها لمن يستحقها من الفقراء والمساكين وغيرهم ممن ذكروا في الآية الكريمة.

وقيدت الزكاة في الرواية الثانية بـ (المفروضة)؛ لأن من الزكاة ما ليس بواجب كالصدقة.

وقيدت الصلاة بـ (المكتوبة) والزكاة بـ (المفروضة)، وإن كان الفرض والكتب بمعنى واحد، إلا أنه غير بينهما كراهية تكرير اللفظ بعينه.

كما أن هذا هو عرف الشرع؛ حيث خصص الصلاة بـ (المكتوبة)، والزكاة بـ (المفروضة)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وخص الزكاة بلفظ الفرض؛ لأن الفرض التقدير، وفي الزكاة تقديرات كثيرة، كتقدير النصاب، والقدر المخرج... وغير ذلك.

قوله (وتصوم رمضان) الصيام لغة: الإمساك. وشرعاً: الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. (رمضان) الرمز والرمضاء: شدة الحر.

وإنما سمي (رمضان)؛ لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي هي فيها، فوافق رمضان أيام رمض الحر وشدته، فسمي به.

قوله: (وتصل الرحم) رحم الإنسان قرابته من جهة أبويه، المراد بصلة الرحم: الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة باخدمة، وتارة بالزيارة والسلام، أو طاعتهم فيما يحبون في غير معصية، وغير ذلك.

قوله: (دع الناقة) أمره بترك الناقة؛ حيث لم تعد هناك حاجة لحبسها عن السير، فقد أوجب إلى سؤاله.

المعنى العام للحديث:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم في غاية الحرص على مرضاة الله تعالى، ومعرفة ما يقرّبهم من الجنة وما يباعدهم عن النار، ليحملوا أنفسهم على العمل به، فيفوزوا برضا الله تعالى والجنة، ولشدة حرصهم لم يكتفوا بالسؤال عما يقرّب من الجنة، بل سألوا أيضًا عما يباعد عن النار، مع أن ما يقرب من الجنة يباعد عن النار حتمًا، إلا أنهم لم يكتفوا بالدلالة الالتزامية، بل أرادوا أن يعرفوا ذلك صراحة. ومرد ذلك الحرص إلى ثقتهم المطلقة بصدق الرسول ﷺ وأن ما أخبر به حق وصدق ولو لم يشاهدوه بأعينهم.

فحمد النبي ﷺ لهذا السائل ذلك وأثنى على سؤاله مبينًا أنه وفق وهدي إلى الصواب، فليس هناك أنبل وأعظم من أن يبحث المسلم عن أسباب نجاته في الدنيا والآخرة، ولإعجاب النبي ﷺ بهذا السؤال وعلمه بمدى حاجة المسلمين إلى معرفة هذا السؤال وجوابه، طلب منه أن يعيد السؤال، ولم يجب النبي ﷺ على التوّ والفور، بل نظر في أصحابه رغبة في أن يشد انتباههم إلى سؤال الرجل وجوابه ﷺ، فينتفعوا به، فيتمكن الجواب من نفوسهم أيما تمكن فلا ينسونه، فليس هناك من غاية أعظم من أن يعرف المسلم أسباب نجاته في الدنيا والآخرة.

ولأهمية هذا السؤال، ومع أن الرجل حبس النبي ﷺ عن السير وناداه باسمه المجرد -على عادة الأعراب في الجفوة والغلظة- إلا أن النبي ﷺ لم يشغل نفسه بذلك كله، بل شغل بما هو أهم، وترفق بالرجل وأجابه إلى سؤاله، وقد اقتصر ﷺ في جواب هذا الرجل على بعض الواجبات، مراعيًا حال هذا الأعراي؛ لأنه حديث عهد بالإسلام، فلو ذكر له الرسول ﷺ كل الواجبات الشرعية والسنن والمنهيات لشق عليه، وما استطاع القيام بذلك كله، بل قد يكون ذلك سببًا في تنفيره.

ولكن النبي ﷺ ذكر بعض الواجبات، ليهون الأمر على الرجل، فإذا ما

زاوّل هذه الواجبات واعتادها وسهلت عليه وانشرح صدره للإسلام، فإنه سيأخذ نفسه بالواجبات كلها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وسيترك المنهيات، بل وسيفعل المندوبات.

وكان النبي ﷺ يراعي أحوال السائلين، ويحب كل سائل بحسب ما يتناسب مع حاله، رغبة في أن يُقبل الناس على الإسلام ويهديهم رحم تبارك وتعالى؛ لأنه ﷺ كان يعلم طبائع النفوس، وما جبل عليه الإنسان، فهو ﷺ قبل أن يكون مُعلِّماً هو مُعلِّم، علّمه ربه وعرفه كيف يدعو الناس ويصلحهم ويرتّبهم.

فقه الحديث:

اشتمل هذا الحديث على عدة مسائل:

أ- لم يذكر في حديث أبي ثيوب الحج والصوم، وذكر صلة الرحم؛ وذكر في حديث أبي هريرة الصوم، ولم يذكر الحج وصلة الرحم

فاختلفت الروايات بالزيادة والنقصان، والقصة واحدة لم تتكرر، فكيف نوفق بين هذه الروايات؟

إن هذا الاختلاف الواقع بين الروايات بالزيادة والنقصان يرجع إلى تصرف الرواة، فحفظ بعضهم ما لم يحفظ البعض الآخر، فاقصر كل راوٍ على رواية ما حفظ، ولم يتعرض لما زاده غيره بنفي أو إثبات، وليس في ذلك تعارض؛ لأن هذه الروايات مكملّة ومتممة لبعضها، فهي في منزلة الحديث الواحد؛ لأن أحاديث الباب الواحد يجب أن ينظر إليها على أنّها حديث واحد، باعتبار أن مصدرها جميعاً واحد وهو رسول الله ﷺ، والمخاطبون بها إنما هم المسمون، والكل صحيح مقبول؛ لأن زيادة الثقة مقبولة.

أو أن مرد ذلك يرجع إلى الاقتصار على رواية جزء من الحديث بحسب المناسبة التي ذكر فيها الحديث، ولاقتصار على رواية جزء من الحديث أمر جائز

بشرط أن لا يكون للجزء الذي اقتصر عليه تعلّق بما قبله أو بعده، وقد فعله الإمام البخاري في صحيحه، حيث قطع الأحاديث في الأبواب بسبب استنباط الأحكام منها، كما فعله غيره وخاصة الفقهاء.

ب- لماذا لم يذكر الحج في حديث أبي أيوب، وكذا في حديث أبي هريرة؟
لعل ذلك يرجع إلى أن هذا السائل كان حاجًا، وأن القصة وقعت بعرفات، فاكتمى النبي ﷺ بفعله ولم يذكر الحج؛ وكان النبي ﷺ يراعي حال السائل في جوابه، ويذكر ما الحاجة إليه داعية.

ج- اختلفت أجوبته ﷺ عن ما يقرب من الجنة وما يباعد من النار، كما اختلفت أجوبته ﷺ عن أفضل الأعمال مع أن المسئول عنه واحد، فكيف توجه ذلك؟
وتوجيه ذلك كما يلي:

- ١- أن النبي ﷺ راعى أحوال السائلين، فأجاب كل إنسان بحسب حاله وما يناسبه.
- ٢- أن النبي ﷺ أجاب بحسب احتياج المخاطبين، فذكر ما لم يعلمه السائل والسامعون، وترك ما علموه.
- ٣- أن اختلاف جوابه ﷺ يرجع إلى اختلاف الأحوال والأوقات، فكان النبي ﷺ يراعي في أجوبته حال السائلين، وما يتطلبه الوقت، أو ما يسمى بحق الوقت. والله أعلم.

د- كيف حكم النبي ﷺ لهذا الرجل أنه من أهل الجنة، وقد لا يلتزم بما أمر به؟
ينبغي أن ينظر إلى نصوص الباب الواحد عند استنباط الأحكام نظرة كلية، فالحكم الشرعي إنما يستنبط من مجموع نصوص الباب لا من نص واحد، فنصوص الباب الواحد منها المطلق ومنها المقيد، ومنها العام ومنها المخصص.
كما ينبغي أن ينظر إلى روايات الحديث الواحد نظرة تكامل أيضًا، فبعضها يكمل بعضًا ويتممه، فالحكم إنما يؤخذ من مجموع الروايات لا من رواية واحدة.

وهذا الحكم الذي أطلق في رواية أبي هريرة وهو: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْظَرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِ هَذَا» قد قُيدَ في الرواية الثالثة فقال النبي ﷺ: «إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أَمَرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» فقيد دخوله الجنة بالتزامه بما أمره به النبي ﷺ، فالنبي ﷺ لم يحكم له بهذا الحكم على الإطلاق، ولكن قيده بفعل ما أمر به.

هـ- كيف رتب النبي ﷺ دخول الجنة على فعل المأمورات، مع أن دخول الجنة متوقف على ترك المنهيات أيضاً؟

سبق أن ذكرنا أن أحاديث الباب الواحد يجب أن يُنظر إليها على أنها حديث واحد؛ لأن الحكم الشرعي إنما يستنبط من مجموع نصوص الباب لا من بعضها، وقد جاء في حديث جابر بن عبد الله ﷺ ما يدل على أن فعل الواجبات وترك المنهيات شرط لدخول الجنة، وأن الأمر ليس متوقفاً على فعل الواجبات فقط.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ التُّعْمَانُ بْنُ قَوْقِلٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَةَ وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ وَأَحَلَّلْتُ الْحَلَالَ أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ»^(١)

و- كيف أقر النبي ﷺ هذا السائل على حلفه ألا يزيد على الفرائض وقد ورد النكير على من حلف ألا يفعل الخير؟

سبق الجواب عن ذلك في حديث طلحة بن عبيد الله.

ز- كيف بشر النبي ﷺ هذا الرجل بالجنة إن التزم بما أمره به، وقد التزم عدم الزيادة على الواجبات، وفي ذلك تسويغ ترك السنن؟ وكيف يسوغ ترك السنن والتمادي على تركها مذموم؟

سبق الجواب عن ذلك في حديث طلحة بن عبيد الله.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، صحيح مسلم بشرح النووي، (١/١٧٤).

خلاصة الوحدة الرابعة عشرة

- ١- الرحلة من أجل طلب العلم والسؤال عما ينفع المسلم في دينه ودنياه.
- ٢- حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أمور دينهم ومعرفة ما يدخلهم الجنة ويأعددهم من النار، ليأخذوا أنفسهم به، فيسعدوا في الدنيا والآخرة.
- ٣- ثقة الصحابة المطلقة برسولهم صلى الله عليه وسلم، وإنزالهم ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم المنزلة اللائقة به من التصديق بأن ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم - سواء كان في القرآن الكريم أو السنة المطهرة - حق وصدق؛ لأنهم يوقنون أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يصدر عن هواه ورأيه، بل هو مُبلَّغ عن الله تعالى.
- ٤- شفقة النبي صلى الله عليه وسلم وحرصه المنقطع النظير على تربية أصحابه وتعليمهم مهما تحمّل في سبيل ذلك، وصبره على جفوة الأعراب وغلظتهم.
- ٥- مراعاة حال السائل.
- ٦- لفت أنظار الحضور إلى الأمور الهامة مع استخدام الوسائل المعينة على ذلك لجذب انتباههم إلى ما يقال أو يحدث، فيعم النفع والخير الجميع.
- ٧- الشاء على من قال قولاً طيباً، أو فعل فعلاً حسناً، تنشيطاً له ولغيره، ومعرفة لفضله ومكانته، وأن ذلك مستثنى من المدح المنهي عنه.
- ٨- التسديد والتوفيق في الأمر كله، منّة يمن الله بها على من يشاء من عباده، بغضّ النظر عن قدراتهم العقلية ومكانتهم العلمية.
- ٩- تكرار الأمر الهام لينتبه الحضور إليه، فيعم الخير الجميع.

- ١٠- لا يُكفي في الأمور الهامة بالدلالة الالتزامية، بل لابد من النص عليها صراحة.
- ١١- الطاعات أسباب مفضية إلى دخول الجنة، والنجاة من النار -بعد توفيق الله ورعايته.
- ١٢- الأعمال الصالحة ليست في درجة واحدة، بل تتفاوت درجاتها بحسب ما ينشأ عنها من مصالح تعود على الفاعل والآخرين بالخير؛ وأيضاً تتفاوت بحسب مشقتها على نفس العامل، وعلى المسلم أن يقدم الأهم فالهم، وما الحاجة إليه داعية.
- ١٣- لا يجب على المسلم في اليوم والليلة أكثر من خمس صلوات، وهي الصلاة التي أطلقت في نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة.
- ١٤- الوتر ليس بواجب -خلافًا لأبي حنيفة- وقد سبق ذلك في حديث طلحة بن عبيد الله.
- ١٥- ليس في المال حق سوى الزكاة على من ملك نصاباً، وحال عليه الحال.
- ١٦- صيام شهر رمضان، ركن من أركان الإسلام، وهو شهر واحد في كل سنة، لا يجب غيره إلا ما أوجبه المسلم على نفسه بنذر.

اختبار الوحدة الرابعة عشرة

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١ - الخطام والزمَام بمعنى واحد، وهو الخيط الذي تشد فيه الحلقة في أنف البعير.
- ٢ - رحم الإنسان أقاربه من جهة والديه جميعًا.
- ٣ - رحم الإنسان أقاربه من جهة والده فقط.
- ٤ - رحم الإنسان أقاربه من جهة أمه فقط.
- ٥ - لم يذكر في حديث أبي أيوب الحج والصوم وذكر صلة الرحم.
- ٦ - ذكر في حديث أبي هريرة الصوم ولم يذكر الحج وصلة الرحم.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١ - الخطام والزمَام:

أ - كلاهما بمعنى واحد. ب - متغايران في المعنى.

٢ - رحم الإنسان:

أ - قرابته من جهة والديه جميعًا.

ب - قرابته من جهة أبيه فقط.

ج - قرابته من جهة أمه فحسب.

٣ - لم يذكر في حديث أبي أيوب:

أ - الحج والصوم.

ب - الزكاة وصلة الرحم.

ج - الحج وصلة الرحم.

٤- لم يذكر في حديث أبي هريرة:

أ- الصوم. ب- الحج وصلة الرحم. ج- الزكاة وصلة الرحم.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- ترجم لأبي أيوب الأنصاري راوي الحديث رضي الله عنه.

٢- لماذا قيدت الصلاة في الرواية الثانية بالمكتوبة، ولماذا قيدت الزكاة فيها بالمفروضة؟ وضح في ضوء فهمك لمحدث.

٣- لم يذكر في حديث أبي أيوب الحج والصوم وذكرت صلة الرحم، وذكر في حديث أبي هريرة الصوم، ولم يذكر الحج وصلة الرحم، فاختلقت الروايات بالزيادة والنقصان والقصة واحدة لم تتكرر، فكيف توفق بين هذه الروايات؟

٤- لماذا لم يذكر الحج في حديث أبي هريرة؟

٥- اختلفت أحوبته رضي الله عنه عن ما يقرب من الجنة وما يباعد من النار، كما اختلفت أحوبته عن أفضل الأعمال مع أن المسئول عنه واحد، فكيف توجه ذلك؟

٦- كيف حكم النبي ﷺ للسائل في هذا الحديث أنه من أهل الجنة وقد لا يلتزم بما أمر به؟

٧- كيف رتب النبي ﷺ دخول الجنة على فعل المأمورات، مع أن دخول الجنة متوقف على ترك المنهيات أيضاً؟

٨- كيف أقر النبي ﷺ هذا السائل على حلفه ألا يزيد على الفرائض، وقد ورد النكير على من حلف ألا يفعل الخير؟

٩- كيف بشر النبي ﷺ السائل بالجنة إن التزم بما أمره به وقد التزم عدم الزيادة على الواجبات، وفي ذلك تسويق لترك السنن؟



الأهداف التعليمية للوحدة:

- عزیزی الدارس: یرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:
 - ١- تترجم لابن عباس رضي الله عنهما.
 - ٢- تذكر دعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما.
 - ٣- توضح منزلة ابن عباس العلمية وثناء العلماء عليه.
 - ٤- تبين كيف كان ابن عباس حريصًا على تحصيل العلم.
 - ٥- تترجم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، وتذكر دليلاً على حب النبي ﷺ له.
 - ٦- تبين حكم النطق بالشهادتين، وحكم من اقتصر على قول: "لا إله إلا الله" ولم يقل: "محمد رسول الله".
 - ٧- توضح: هل يجوز نقل الزكاة من بلد إلى أخرى.
 - ٨- تذكر: هل يجوز إعطاء غير المسلم من الزكاة.
 - ٩- تدلل على أن دعوة المظلوم مستجابة ولو كان كافرًا فاجرًا.
 - ١٠- تعلل لقبول خبر الواحد ووجوب العمل به.
 - ١١- تستنتج من الحديث أن الوتر ليس بواجب.
 - ١٢- تدلل على وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون.
 - ١٣- تبرهن على وجوب قهر الممتنع عن بذل الزكاة ولو لم يكن جاحدًا لها.
 - ١٤- تدلل من الحديث على جواز صرف الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية.
 - ١٥- توضح كيف أن الشريعة اهتمت بترتيب الأولويات وتقدم الأهم فالهم.

الوحدة الخامسة عشرة

التدرج في دعوة الناس إلى الإسلام والرفق بهم

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرُدُّوا عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَأَتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا الصَّلَاةَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، فتح الباري، (٣/٣٥٧).

وأخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع فتح الباري، (٨/٦٤) واللفظ للبخاري.

وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، صحيح مسلم بشرح النووي، (١/١٩٦-١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، فتح الباري، (٣/٣٢٢) واللفظ للبخاري. وأخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، إلا أنه قال: «أول ما تدعوهم إلى أن يوحّدوا الله تعالى»، فتح الباري، (١٢/٣٤٧).

وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، صحيح مسلم بشرح النووي، (١/١٩٩-٢٠٠).

ترجمة ابن عباس رضي الله عنه:

أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الحلالية، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنوات وقيل: بخمس -والأول أثبت- وذلك حين حاصرت قريش بني هاشم بشعب أبي طالب وقاطعتهم.

دعاء النبي ﷺ لابن عباس: لقد دعا النبي ﷺ لابن عباس أن يفقهه الله في الدين ويعلمه تفسير القرآن الكريم، وقد استجاب الله دعاء رسوله ﷺ فزرق فهم القرآن الكريم، وكان من المكثرين من رواية الحديث وأحد العبادة من فقهاء الصحابة.

فكان إليه المرجع في تفسير القرآن الكريم والفقه... وغير ذلك.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ضَمِنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ»^(١).
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ضَمِنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْحِكْمَةَ»^(٢).
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْخَلَاءَ، فَوَضَعَتْ لَهُ وَضُوءًا، قَالَ: «مَنْ

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ "اللهم علمه الكتاب"، (٢٩/١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس، (٣٤/٥).

قال الحافظ ابن حجر: "والمراد بالكتاب: القرآن الكريم؛ لأن العرف الشرعي عليه (أي: إذا أطلق الكتاب انصرف إلى القرآن الكريم)"، والمراد بالتعليم ما هو أعم من حفظه والتفهم فيه.

وفي الرواية الثالثة «اللهم علمه الحكمة».

قال الحافظ: "المراد بالحكمة -أيضاً- القرآن، فيكون بعض الرواة رَوَاهُ بالمعنى، وهذا بناء على أن النبي ﷺ دعا له مرة واحدة.

وأخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن عباس، قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث عطاء وقد رواه عكرمة عن ابن عباس"، (٦٧٩/٥-٦٨٠).

وأخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب المنقب، باب عبد الله بن العباس بن عبد المطلب حبر الأمة وعالمها وترجمان القرآن، (٥٢/٥)، فيكون المراد بالكتاب: القرآن الكريم وبالحكمة: السنة المنطهرة،

فتح الباري، (٢٠٤/١-٢٠٥).

وَضَعَ هَذَا؟»، فَأَجَبَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١)

روى ابن عباس عن الرسول ﷺ كما روى عن كبار الصحابة.

روى عنه عكرمة وطاوس وسعيد بن جبير، وغيرهم.

منزلة ابن عباس عليه العلمية وثناء العلماء عليه:

لقد علم المسلمون لابن عباس -رضي الله عنهما- فضله ومكانته العلمية وأنزلوه المنزلة العلمية اللاتقة به والتي تتناسب وتبحره في علم التفسير والحديث والفقه وأثنى عليه الصحابة والتابعون والأئمة من بعدهم.

فهذا عمر رضي الله عنه يقربه ويشاوره مع كبار الصحابة مع صغر سنه.

قال عبد الله بن مسعود: أما أن ابن عباس لو أدرك أسناننا ما عاشه منا

رجل. وكان يقول: نعم. ترجمان القرآن ابن عباس^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: أخرج ابن سعد بسند صحيح عن يحيى بن سعيد

الأنصاري قال: قال أبو هريرة حين مات زيد بن ثابت: اليوم مات حبر هذه

الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً^(٣).

أمره عثمان على الحج في العام الخامس والثلاثين وهي السنة التي استشهد فيها

عثمان رضي الله عنه، ولأه على البصرة وظل بها إلى أن استشهد علي رضي الله عنه.

قال الحافظ الذهبي: البحر حبر الأمة وفقه العصر وإمام التفسير ابن عم

رسول الله ﷺ^(٤).

حرص ابن عباس على تحصيل العلم:

حَرَصَ ابن عباس على تحصيل العلم منذ نعومة أظفاره، وتحمل في سبيل ذلك

العناء الشديد مع شدة تواضعه. إن طالباً اجتمعت فيه هذه الخصال مع شدة فهم

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، (٤٨/١).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات، (٣٦٦/٢).

(٣) المصدر السابق، (٣٦٢/٢)؛ الإصابة في تمييز الصحابة، (٣٣٣/٢).

(٤) سير أعلام النبلاء، (٣٣١/٣-٣٣٢).

وذكاء وتوفيق من الله ﷻ بسبب دعاء النبي ﷺ له لحري أن يصل إلى ما وصل إليه ابن عباس وأن يتبوأ هذه المنزلة العالية بين كبار أصحاب رسول الله ﷺ.

قال الذهبي: قال أبو سعيد بن يونس: غزا ابن عباس إفريقية مع ابن أبي سرح وروى عنه من أهل مصر خمسة عشر نفساً^(١).

توفي ابن عباس -رضي الله عنهما- سنة ثمان وستين بالطائف بالاتفاق واختلفوا في سنه فقيل: إحدى وسبعون. وقيل: اثنتان وسبعون. وقيل: أربع وسبعون. والأول هو الأقوى، وصلى عليه محمد بن الحنفية وكبر عليه أربعا.

ترجمة معاذ بن جبل ؓ:

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البصري، شهد بيعة العقبة شأباً أمرد، السيد الإمام رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن، كان ممن جمع القرآن في زمن النبي ﷺ.

عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ؛ قَالَ قَتَادَةُ: قُتِلَ لِأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَخَذَ عُمُومِي^(٢).

كان ممن أمر النبي ﷺ أن يؤخذ عنه القرآن الكريم.

عن عبد الله بن عمرو قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ وَمُعَاذِ بْنِ كَعْبٍ»^(٣).

كان من فقهاء الصحابة، بل من أئمة الصحابة ؓ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو

(١) المصدر السابق، (٣/٣٣٦).

(٢) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، فتح الباري، (٨/٦٦٤).

وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بن كعب، (٤/١٩١٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ.

بَكَرَ، وَأَشَدَّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَأُهُمْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ. وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»^(١).

مدحه رسول الله ﷺ، وأثنى عليه، وأنزله المنزلة اللاتقة به.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ. نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ. نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ. نِعْمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ. نِعْمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ. نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ»^(٢).

حب النبي ﷺ لمعاذ:

إذا كان النبي ﷺ قد أحب أصحابه حباً شديداً حتى كان كل واحد منهم يظن أنه أحب الناس إلى قلبه، بل اتسع صدره ﷺ لمحبة من لم يرههم، غير أن النبي ﷺ قد صرح معاذاً ﷺ بمحبته؛ وذلك لمنزلة معاذ العظيمة عند النبي ﷺ.

عَنِ الصَّنَابِجِيِّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ يَدَهُ وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنِي فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذُ الصَّنَابِجِيُّ وَأَوْصَى بِهِ الصَّنَابِجِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٣).
خَرَجَ لَهُ الْأُئِمَّةُ السِّتَةُ.

توفي سنة ثمان عشرة، عن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة.

المباحث اللغوية:

بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن سنة عشر قبل حج النبي ﷺ - كما

(١) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل... إلخ، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، (٦٦٥/٥).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل... إلخ، (٦٦٦-٦٦٧/٥).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، (٨٦/٢).

ذكر ذلك البخاري في كتاب المغازي في ترجمة الباب حيث قال: باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع - وقيل غير ذلك.

واتفق العلماء على أن معاذًا لم يزل على اليمن إلى أن قدم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم توجه إلى الشام فمات بها سنة ثمان عشرة من الهجرة.

قوله: (إنك ستأتي قومًا أهل كتاب) هذه الجملة كالتوطئة للوصية ليستجمع همته عليها؛ لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان، وليس في هذا أن جميع من يقدم عليهم من أهل الكتاب، بل يجوز أن يكون فيهم من غيرهم.

قوله: (فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) وفي الرواية الثانية: (فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله) وفي رواية البخاري في كتاب التوحيد: (فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى)، ويجمع بين هذه الروايات بأن المراد بعبادة الله تعالى توحيده، وبتوحيده الشهادة له بذلك ولنبيه بالرسالة؛ وهذا الاختلاف الواقع بين روايات الحديث - وإن كانت القصة واحدة لم تتكرر - إنما يرجع إلى الرواية بالمعنى؛ والرواية بالمعنى أحازها جمهور العلماء بشروطها المعروفة.

وإنما بدأ بالدعوة إلى الشهادتين لألها أصل الدين الذي لا يصح شيء من الأعمال إلا بهما، فمن كان منهم غير موحد، فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين، ومن كان موحدًا، فالمطالبة له بالجمع بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة. وسيأتي لذلك مزيد بيان.

قوله: (فإن هم أطاعوا لك بذلك) وفي رواية مسلم: (فإن هم أطاعوا لذلك)، أي: شهدوا وانقادوا، وعُدِّي أطاع باللام وإن كان يتعدى بنفسه لتضمنه معنى انقاد.

قوله بعد الدعوة إلى الصلاة: (فإن هم أطاعوا لك بذلك):

يحمل هذا القول وجهين:

أ- أن يكون المراد إقرارهم بوجوبها عليهم والتزامهم لها.

ب- أن يكون المراد الطاعة بالفعل، ويرجح هذا الوجه بأنهم لو أخبروا بالفريضة فبادروا إلى الامتثال بالفعل لكفى، ولم يشترط التلفظ بخلاف الشهادتين، فالشرط عدم الإنكار والإذعان للوجوب، والذي ظهر أن المراد القدر المشترك بين الأمرين، فمن امتثل بالإقرار أو بالفعل كفاه، أو بما فأولى.

والمراد (بالصدقة) في الحديث الزكاة الواجبة، وقد جاء التعبير عن الزكاة الواجبة بالصدقة في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]؛ وفي قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، فالمراد بالصدقة في الآيتين: الزكاة الواجبة.

قوله: (فترد على فقرائهم) خص الحديث الفقراء بالذكر مع أن الزكاة تصرف للأصناف الثمانية المذكورين في آية: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ...﴾، وذلك إما للمطابقة بينه وبين الأغنياء، وإما لأن الغالب فيهم هم الفقراء.

قوله: (إياك وكرائم أموالهم) الكرائم جمع كريمة، أي: نفيسة، والمراد بكرائم الأموال نفائس الأموال من أي صنف كان، وإنما قيل له: نفيس؛ لأن نفس صاحبة تتعلق به.

وأصل الكريمة كثيرة الخير، وقيل للمال النفيس: كريم؛ لكثرة منفعته، والنهي عن أخذ كرائم الأموال، إنما هو في الصدقة، وهذا ما يفهم من سياق الحديث؛ لأنه ورد في شأن الصدقة، غير أن لفظ الحديث مطلق، فلم يقيد ذلك بالصدقة، وهذا هو الذي جعل البخاري يجعل ترجمة الباب مقيدة لمطلق الحديث، حيث قال: باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة.

وكرائم منصوب بفعل مضمّر لا يجوز إظهاره؛ قال ابن قتيبة: ولا يجوز حذف الواو، فلا يجوز أن تقول: "إياك كرائم أموالهم"، وإن كان ابن مالك نقل (إياك الأسد) بحذف الواو، ولكنه شاذ في الضرورة.

قوله: (واتق دعوة المظلوم)، أي: تجنب الظلم؛ لئلا يدعو عليك المظلوم، وفي هذا تنبيه على المنع من جميع أنواع الظلم، والحكمة من التحذير من الظلم عقب المنع من أخذ كرائم الأموال - الإشارة إلى أن أخذ الكرائم في الزكاة ظلم. قوله: (ليس بينه وبين الله حجاب)، أي: ليس بين دعاء المظلوم وبين الله حجاب، وفي رواية مسلم: (واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)، أي: ليس بين دعوة المظلوم وبين الله حجاب، والحجاب: الساتر أو ما حال بين شيئين، سواء كان حسياً أو معنوياً، والمراد: ليس لدعوة المظلوم صارف يصرفها، ولا مانع يمنعها من القبول، فهي مسموعة مقبولة لا ترد وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه، وسيأتي ذلك - إن شاء الله تعالى.

المعنى العام للحديث:

من مقومات صلاحية الإسلام لقيادة الحياة إلى آخر الدهر، أنه نظراً إلى الإنسان نظرة موضوعية تتناسب مع طبيعته التي خلقه الله عليها، فنظر إليه على أنه أسير لمعتقداته، ينتصر لها ويدود عنها بكل وسيلة، ولا يفرط فيها أو يتنازل عنها بسهولة حتى ولو كانت باطلة. فإنه ما اعتقدها إلا لأنه يعلم أنها صواب، ولا أدل على ذلك من أنه يضحي بنفسه وماله من أجل ما يعتقد أنه الصواب، وما ورثه عن آبائه وأجداده؛ لذلك احترم الإسلام مشاعر الناس، وترفق بهم غاية الترفق وهو يدعوهم إلى الحق ويُبذّرهم عليه من باطل، حتى لا تكون الخصومة ورغبة كل فريق في الانتصار لنفسه حائلاً بين الناس وبين قبول الحق؛ لأن غاية الإسلام العظمى أن يستجيب الناس للحق بعد ظهوره ووضوحه بالأدلة، وليس

من هدفه أن يوقع الناس في الجدل بدافع الانتصار للنفس، فينصرفوا عن الحق عنادًا ومكابرة؛ لأن الخصومة أو الجدل تدفع كل فريق إلى الانتصار لنفسه - حتى ولو رأى الحق مع خصمه واضحًا جليًا - لذلك ترفق الإسلام بالناس إلى أبعد الحدود في إخراجهم مما ألفوا واعتادوا - مع أنهم على الباطل.

حتى وجدنا القرآن الكريم يناقش عبدة الأصنام والأوثان هذه المناقشة المتجردة، ويتبسط معهم إلى حد أن يقول لهم في تجرد مطلق إن أحد الفريقين مهتدٍ والآخر ضالٌّ، فإما أن يكون المسلمون على الحق والكافرون على الباطل أو العكس، وهذه قسمة عقلية؛ لأن الفريقين مختلفان ويستحيل أن يكونا على الحق أو على الباطل معًا، وترك القرآن الكريم تحديد المهتدي منهما والضال إلى الله تعالى مع أن الكافرين حكموا على أعمال المسلمين بأنها إجماع وضلال، وكل هذا حتى لا يوجد حائل يحول بينهم وبين قبول الحق والإذعان له بعد ظهوره؛ انتصارًا لأنفسهم، بل إن هذا الحائل النفسي قد يحول بينهم وبين النظر والتدبر أصلاً.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبا: ٢٤-٢٦].

وهذه النظرة الموضوعية التي امتاز بها الإسلام، ترجع إلى أن مُشرَّعه إنما هو الله تعالى الذي خلق الإنسان ويعرف حقيقة النفس البشرية، والنيي ﷺ قبل أن يكون مُعلِّمًا فهو مُعلِّمٌ، علِّمه ربه تبارك وتعالى، وأدبه فأحسن تأديبه، وعلِّمه كيف يربي الناس، وكيف يعالج طباعهم ويقومها؛ لذلك وجدناه ﷺ خبيرًا بطباع النفوس، عالمًا بكيفية تهذيبها وتأديبها.

وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، واحد من هذه الأحاديث التي تشهد ببراعته ﷺ في التربية والتهذيب ودعوة الناس إلى الله تعالى فكان يعلم طباع

كل قوم، بل طباع كل شخص، وهذا أمر لا بد من معرفته لمن يريد إصلاح الناس، فتراهم ﷺ يعالج كل إنسان بما يتناسب وحاله، فدعوة الإنسان الأمي الذي يعبد الأصنام - وليس له ثقافة - ليست كدعوة الكتابي الذي له كتاب وفكر وثقافة، وإن كان كتابه محرفاً وثقافته بظلمة، إلا أنه يعتقد صحة ما هو عليه ويتقرب إلى الله تعالى به ويعتقد أن نجاحه في الآخرة متوقفة على استمساكه به، ولا أدل على ذلك من أنه يذود عنه ويفتديه بنفسه وماله.

لذلك كان إصلاح هذا الصنف من الناس يحتاج إلى جهد وعناء أكثر مما يحتاجه البدوي الأمي عابد الأصنام والأوثان؛ وذلك لأن صاحب الكتاب والثقافة يحتاج أولاً إلى أن يعرف أن ما هو عليه باطل ليتشأن له تركه، وهذا أمر يحتاج من الداعية إلى علم وفطنة ومهارة عالية في الدعوة ومناقشة فكر المدعو، ثم إن هذا المدعو يحتاج بعد أن يثبت له الداعية ضلال ما هو عليه، أن يثبت له صحة ما يدعوه إليه، ولا يتركه حائرًا لا يهتدي إلى طريق النجاة؛ لذلك نبّه ﷺ معاذًا إلى هذه القضية حتى يأخذها في اعتباره، ولا يصدم بواقع لم يعد له العدة. وهكذا كان النبي ﷺ يراعى حال المدعويين والسائلين دائماً وأبداً؛ لذلك اختلفت أجوبته ﷺ على السؤال الواحد، وذلك راجع إلى اختلاف حال السائلين، فكان يجيب كل سائل بما يتناسب مع حاله.

كما كان ﷺ يراعى حق الوقت وما يتطلبه من أعمال.

ثم نبّه ﷺ بعد أن نبّه معاذًا إلى هذه القضية الهامة، علّمه كيف يدعو الناس إلى الإسلام، فأمره أن يرتب الأولويات، فيبدأ بالأهم فالهم، ولا يتنقل من قضية إلى أخرى إلا بعد الاستجابة لقضية الأولى، وأنه لا يصح أن يفاجئ الناس بتعاليم الإسلام مجتمعة، فإن ذلك يدعوهم إلى نبذ الإسلام كله، بل عليه أن يترفق بهم، وأن يتدرج معهم.

لذلك أمر النبي ﷺ معاذًا أن يدعوهم أولاً إلى الشهادتين، فإذا ما قبلوا ذلك

وأقروا به دعاهم إلى الصلاة، فإن قبلوا الصلاة دعاهم إلى الزكاة، وإنما أمر النبي ﷺ معاذًا أن يترفق بهم ويتدرج في دعوتهم؛ لأن النصيحة ثقيل على النفس البشرية؛ لأن النفس تبغض ترك ما ألفت وما اعتادت، والقوم أهل دين وأصحاب كتاب سماوي نزل من عند الله تعالى، وإن كان قد نسخ -بل وحرّف- إلا أن القوم يعتقدون صحة ما في كتابهم، ويتقربون بما فيه إلى الله تعالى، ويرتبون على التمسك به نجاحهم في الدار الآخرة.

وإذا كان النصيحة ثقيلًا على نفس المنصوح، فلا يصح للناصح أن يرسل النصيحة جبالًا ثقيلًا على نفس المنصوح، ولا أن يجعله جدلاً حتى لا يدفع ذلك المنصوح إلى رد الحق -وإن ظهر واضحًا أبلج- انتصارًا للنفس.

ولا يصح للداعية أن يجمع على المدعوين بين إخراجهم مما ألفوا واعتادوا مع إرهابهم وإعنائهم.

وإذا كان مجرد النصيحة ثقيلًا على نفس المنصوح فكيف بالدعوة إلى تغيير الدين وما ورثه المرء عن آبائه وأجداده، وشب وترعرع فيه فمما لا شك فيه أن هذا الأمر أشق على النفس.

وهذه النصائح وتلك التوجيهات من النبي ﷺ لمعاذ ؓ مع أنه كان من أفقه الصحابة وأعلمهم بالحلال والحرام ومعالجة أمور الناس، غير أن الإنسان بحاجة إلى النصيحة والتوجيه مهما كان عالمًا خبيرًا بأحوال من يدعوهم، لا يصح أن يستأثر برأيه، خاصة إذا كان سيلقي قومًا لم يعرفهم وليس له بهم سابق عهد.

فقه الحديث:

اشتمل حديث معاذ بن جبل ؓ على عدة مباحث:

أ- حكم النطق بالشهادتين.

ب- هل يجوز نقل الزكاة من بلد إلى بلد أخرى؟

ج- هل يعطى غير المسلم من الزكاة؟

د- إجابة دعوة المظلوم.

أولاً: حكم النطق بالشهادتين:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن النطق بالشهادتين شرط لصحة الإيمان أو شطر الإيمان، فلا يصح عندهم إيمان مَنْ لم ينطق بالشهادتين، ويكون كافراً عند الله تعالى وعند الناس؛ لأنه لم يأت بما هو شرط لصحة الإيمان أو شطر له، وهذا في حق غير العاجز عن النطق.

أما من نطقَ بالشهادتين بلسانه فقط وقلبه جاحدٌ غير مصدق - كما هو حال المنافقين - فهو مؤمن عند الناس كافر عند الله تعالى، غير أنه يعامل في الدنيا معاملة لمسلمين؛ لأن الأحكام إنما تبني على الظاهر، ولما كان الإيمان أمراً قلبياً لا يعرفه من العبد إلا الله تعالى فالله وحده هو الذي يتولى السرائر أما الإنسان فلا يعرف من أخيه الإنسان إلا الظاهر.

حكم الاختصار على قول: "لا إله إلا الله":

ذهب جمهور العلماء إلى أن من اقتصر على قول: "لا إله إلا الله" ولم يقل: "محمد رسول الله"، لا يصير بذلك مسلماً، فلا بد من النطق بالشهادتين، وأنه لا يجوز الاختصار على أحدهما.

وذهب بعض الشافعية إلى أن من اقتصر على قول: "لا إله إلا الله" ولم يقل: "محمد رسول الله" فإنه يصير بذلك مسلماً، ويطلب بالشهادة للنبي ﷺ بالرسالة، فإن أبي جعل مرتداً وأقيم عليه حد الردة.

هل يشترط مع النطق بالشهادتين أن يتبرأ من كل دين يخالف الإسلام؟
إذا نطق العبد بالشهادتين فإنه لا يشترط مع ذلك أن يتبرأ من كل دين خالف الإسلام إلا إذا كان من الكفار الذين يعتقدون اختصاص رسالة النبي محمد

ﷺ بالعرب، فإن كان منهم وجب عليه أن يترأ من كل دين يخالف الإسلام.

ثانيًا: هل يجوز نقل الزكاة من بلد إلى بلد أخرى؟

اختلف العلماء في جواز نقل الزكاة من بلد إلى بلد أخرى، وهذه مذاهبهم:

١ - المذهب الأول: ذهب أبو حنيفة والليث وأصحابهما، ومالك والشافعي والبخاري إلى جواز نقل الزكاة من بلد إلى بلد أخرى، واختار هذا الرأي ابن المنذر، ورجحه ابن دقيق العيد، واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أ- قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ...﴾ [التوبة: ٦٠] حيث أطلق القرآن الكريم ولم يقيد ذلك بفقر بلد من أخذت الصدقة من أغنيائهم، فلم يفصل القرآن الكريم بين فقير بلد وفقير آخر.

ب- حديث الباب؛ وذلك لأن الضمير في قوله: «فَتَرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ» عائد على المسلمين، فالزكاة تؤخذ من أغنياء المسلمين وترد على فقراء المسلمين، فأَيُّ فقير من المسلمين ردت عليه الصدقة في أي بلد كان جاز ذلك، وهذا ما يفهم من ترجمة البخاري للباب؛ حيث قال: باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا.

ج- قَالَ طَاوُسٌ: قَالَ مُعَاذٌ ﷺ لِأَهْلِ الْيَمَنِ: "اتَّوْنِي بِعَرَضِ ثِيَابٍ خَمِيصٍ أَوْ لَيْسَ فِي الصَّدَقَةِ مَكَانَ الشَّعِيرِ وَالذَّرَّةِ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ، وَخَيْرٌ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ" (١).

فهذا الحديث دليل صريح في جواز نقل الزكاة من بلد إلى بلد أخرى.

ولقد كان معاذ ﷺ من أفقه الصحابة وأعلمهم بالحلال والحرام وقد بين له النبي ﷺ لما أرسله إلى اليمن ما يصنع.

قال الحافظ ابن حجر عقب حديث معاذ: "وقد احتج به من يميز نقل الزكاة من بلد إلى بلد، وهي مسألة خلافية".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب العرض في الزكاة، فتح الباري، (٣/٣١١).

٢- المذهب الثاني: ذهب سحنون وابن القاسم والمالكية والشافعية، إلى عدم جواز نقل الزكاة من بلد إلى بلد أخرى، وصحح هذا المذهب القرطبي؛ قال القرطبي -وهو مالكي المذهب-: "وقد اختلف العلماء في نقل الزكاة عن موضعها على ثلاثة أقوال لا تنقل -قاله سحنون وابن القاسم وهو الصحيح لما ذكرناه.

قلت: إذا كان حديث الباب قد استدل به من أجاز نقل الزكاة ومن منع النقل، وذلك راجع إلى اختلافهم في مرجع الضمير في قوله (فقرائهم) هل الضمير يرجع إلى فقراء المسلمين أم إلى فقراء هذه البلد - كما سبق - فإن حديث معاذ الذي استدل به من يجيز النقل يرفع هذا الاحتمال في مرجع الضمير، ويجعل الضمير عائداً إلى فقراء المسلمين في أي مكان كانوا؛ لأن حديث معاذ جاء فيه نقل الزكاة صريحاً من اليمن إلى المدينة وإنما أرسله النبي ﷺ، وعلمه ما يفعل، وكان ﷺ من أفعه الصحابة وأعلمهم بالحلال والحرام.

ثم إن هذا الرأي فيه سعة وتوسيع على عباد الله تعالى ورفع للخرج عنهم، فقد يكون للإنسان أقارب يقطنون بلد غير البلد التي يقيم فيها، وهم بحاجة شديدة إلى الزكاة، غير أنهم من المستورين الذين لا يفتن إليهم أحد، بل وإن أعطاهم أحد فلن يأخذوا منه، ففي هذه الحالة يكون هؤلاء الأقارب أولى بالزكاة من غيرهم، بل ونقلها إليهم يكون جائزاً، بل قد يكون واجباً؛ بل وإخراج الزكاة إلى القريب الفقير تكون زكاة وصلة رحم.

ويرتفع هذا الخلاف في جواز نقل الزكاة من بلد إلى بلد أخرى إذا لم يوجد في بلد المخرجين فقراء، عند ذلك يكون نقل الزكاة جائزاً بالاتفاق.

ثالثاً: هل يُعطى غير المسلم من الزكاة؟

ظاهر حديث معاذ، أن الزكاة إنما تؤخذ من أغنياء المسلمين فتصرف إلى فقرائهم، سواء كانوا فقراء بلد من أخذت منهم الزكاة، أو فقراء المسلمين في أي

مكان كانوا - كما تقدم ذلك.

غير أن الآية الكريمة التي بيّن الله فيها مصارف الزكاة، لم تخص ذلك بالمسلمين دون غيرهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ...﴾ [التوبة: ٦٠].

وقد فرق العلماء بين الزكاة الواجبة وصدقة التطوع فقالوا: "إنما يعطى أهل الكتاب من صدقة التطوع، أما الزكاة الواجبة فلا تعطى إلا للمسلمين".

قال ابن المنذر: "أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أن الذمي لا يعطى من زكاة الأموال شيئاً"، ثم ذكر جماعة ممن نصوا على ذلك ولم يذكر خلافاً.

رابعاً: إجابة دعوة المظلوم:

ورد في هذا الحديث وغيره من الأحاديث الأخرى، أن دعوة المظلوم مستجابة ولو كان هذا المظلوم كافراً أو فاجراً؛ لأن الله تعالى حرّم الظلم لذاته ونهى عنه، بغض النظر عن كون المظلوم صالحاً أو كافراً، وإن كان كافراً أو فاجراً فكفره وفجوره على نفسه؛ لأن الله تعالى لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية. ولكن لا يلزم من إجابة دعوة المظلوم أن تكون الإجابة على الفور، فدعوة المظلوم مستجابة، ولكن في الوقت الذي يحدده الله تعالى بحكمته.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: لماذا لا يجيب الله دعوة المظلوم على الفور؟
أليس في تأجيل إجابة دعوة المظلوم تقوية لشوكة الظالم وتحفيز لغيره على الظلم؟

من مقومات صلاحية الإسلام لقيادة الحياة إلى آخر الدهر أنه نظر إلى الإنسان نظرة موضوعية تتناسب مع طبيعته التي خلقه الله عليها، فالإنسان بطبيعته ينسى ويخطئ؛ لذلك كان من رحمة الله تعالى بخلقه -الذين هذه طبيعتهم- ألا يعاجلهم بالعقوبة فور ارتكابهم للمعاصي والمحرمات، أو انتهاكهم لحرّمات بعض. ولو أن الله تعالى بادر كل عبد بالعقوبة فور وقوعه في المعاصي، أو انتهاكه

لحرمة أحياه الإنسان، ما ترك على ظهر الأرض من دابة، فمن يسلم من الخطأ أو الظلم؟! كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الحل: ٦١].

وفي تأجيل إجابة دعوة المظلوم وإنزال العقوبة بالظالم، إغذار من الله تعالى للظالم، لعله يتوب ويرجع إلى الله تعالى نادماً على ما ارتكب من مظالم، وراداً للحقوق إلى أصحابها.

أو يكون تأجيل إجابة دعاء لمظلوم من باب الإملاء والمكر بالظالم ليتماذى في ظلمه وضيغانه، فيأخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر، وينزل به عقابه الذي لا يرد، كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ»؛ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] (١)، ولكن هذا لا يكون إلا بعد الإنذار والتذكير.

وقد يؤجل الله تعالى عقوبة الظالم إلى الآخرة؛ فالدنيا ليست هي نهاية المطاف، بل بعدها دار الجزاء التي يأخذ كل إنسان فيها جزء ما عمل في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

لماذا لم يذكر في هذا الحديث الصوم والحج، مع أن بعث معاذ إلى اليمن كان في آخر حياته ﷺ، وكان الصوم قد فرض وكذا الحج؟ وقد أجاب العلماء على هذا السؤال بعدة أجوبة، وهي كما يلي:

لم يذكر الصوم والحج؛ لأن الكلام إذا كان في بيان الأركان لم يخل الشارع منه بشيء (أي: لا بد من ذكر الأركان الخمسة) كحديث ابن عمر أن رسول الله

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب التفسير، باب وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن

أخذه أليم شديد، فتح الباري، (٨ ٣٥٤)، عن أبي موسى. وأخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب

تحريم الظلم، صحيح مسلم بشرح النووي. (١٦/١٣٧)، عن أبي موسى.

ﷺ قال: «بني الإسلام على خمسٍ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان»^(١).

أما إذا كان في الدعاء إلى الإسلام، اكتفي بالأركان الثلاثة: الشهادة والصلاة والزكاة -ولو كان بعد فرض الصوم والحج- كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِذُوا أَمْوَالَكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، في موضعين من براءة، مع أن نزولها بعد فرض الصوم والحج قطعاً. وغير ذلك من الأحاديث، قال: "والحكمة في ذلك أن أركان الإسلام الخمسة: اعتقادي (وهو الشهادة)، وبدني (وهو الصلاة)، ومالي (وهو الزكاة)، فاقتصر في الدعاء إلى الإسلام عليها لتفرع الركنين الآخرين عليها، فإن الصوم بدني محض، والحج بدني مالي.

وأيضاً، فكلمة الإسلام -وهي تعني: الشهادتين- هي الأصل، وهي شاقة على الكفار، والصلوات شاقة لتكررها في اليوم واللييلة خمس مرات، والزكاة شاقة لما في جبلة الإنسان من حب المال؛ فإذا أذعن المرء لهذه الثلاثة، كان ما سواها أسهل عليه بالنسبة إليها، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمان، (٩/١).

وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، (٤٥/١).

خلاصة الوحدة الخامسة عشرة

- ١- قبول خير الواحد، ووجوب العمل به؛ لأن النبي ﷺ أرسل معاذ بن جبل إلى أهل اليمن ليسيغهم أمور الإسلام، وكان العمل بخبره واجباً عليهم.
- ٢- الدعوة إلى التوحيد قبل القتال.

- ٣- النطق بالشهادتين شرط للحكم بالإسلام، وإجراء الأحكام الدنيوية.
- ٤- من عرف الله تعالى بغير ما وصف به نفسه، فلم يعرف الإله الحق؛ لذلك كان أهل الكتاب غير عارفين الله تعالى، لأن معبودهم الذي عبدوه وأظهروا معرفته ليس هو الله تعالى - وإن سموه بالله- لأنهم شبهوا معبودهم الذي عبدوه بالخلق، وأضافوا إليه صاحبة والولد، فلم يصفوه بصفات الإله الواجبة له -تعالى الله وتقدس عن قولهم الباطل علواً كبيراً- فإن ما نسبوه إلى الله تعالى يستحيل عليه عقلاً ونقلاً.

قال الحافظ ابن حجر: "واستدل بهذا الحديث على أن أهل الكتاب ليسوا بعارفين، وإن كانوا يعبدون الله ويظهرون معرفته"^(١).

- ٥- الصلوات الخمس تجب في كل يوم وليلة، وأنه لا يجب غيرها إلا ما أوجبه المرء على نفسه بنذر.

- ٦- الوتر ليس بواجب؛ لأن بعث معاذ بن جبل إلى اليمن كان في آخر حياته ﷺ وبعد الأمر بالوتر والعمل به؛ خلافاً للحنفية حيث قالوا بوجوب الوتر، وقد أجاب الحنفية عن ذلك فقالوا: "لا يستدل بهذا الحديث على عدم وجوب الوتر؛ لأن هذا

(١) فتح الباري (٣/٤٢٠).

الحديث لم يذكر جميع المفروضات، ألا ترى أنه لم يذكر الصوم والحج؟".

٧- بعث السعاة لأخذ الزكاة من أرباب الأموال.

٨- الحاكم هو الذي يتولى قبض الزكاة وصرفها، إما بنفسه أو من ينييه؛ صيانة لكرامة الفقير، وحفظاً لماء وجهه.

قال ابن المنذر: "أجمع أهل العلم على أن الزكاة كانت ترفع إلى رسول الله ﷺ، وإلى رسله وعُلمائه، وإلى من أمر بدفعها إليه واختلفوا في دفع الزكاة إلى الأمراء، قال جماعة من الصحابة والتابعين والشافعي: تدفع الزكاة إلى الأمراء."

ذهب ابن عمر وعطاء وطاوس والثوري إلى أن الزكاة لا تعطى إلى الأمراء إلا إذا أعطوها لأصحابها المستحقين لها.

قال سفيان الثوري: "احلف لهم وعدهم واكذبهم ولا تعطهم شيئاً إذا لم يضعوها مواضعها"^(١).

وقد أطبق الفقهاء على أن لأرباب الأموال الباطنة مباشرة الإخراج، وشذ من قال بوجوب الدفع إلى الإمام، وهو رواية عن مالك، وفي القلم للشافعي نحوه^(٢).

٩- تجب الزكاة في مال الصبي والمجنون؛ لعموم قوله ﷺ: «تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ»، ويؤديها عنهما الولي؛ وذلك لأن الزكاة متعلقة بأموالهم لا بأشخاصهم، وهذا هو الصحيح.

١٠- من ملك النصاب لا يعطى من الزكاة، حيث إنه جعل المأخوذ منه غنياً وقابله بالفقير، ومن ملك النصاب فالزكاة مأخوذة منه، فهو غني، والغني

(١) عمدة القارى (١٦٤/٧).

(٢) فتح الباري (٣٦٨/١٣).

مانع من إعطاء الزكاة.

١١- الفقير لا زكاة عليه.

١٢- وجوب أخذ الزكاة ممن وجبت عليه، وقهر الممتنع على بذلها ولو لم يكن جاحداً وجوبها، فإن كان مع امتناعه ذا شوكة قوتل قتال البغاة، وإلا فإن أمكن تعزيره على الامتناع عزز بما يليق به.

١٣- في هذا الحديث دليل على جواز صرف الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية الذين تصرف إليهم الزكاة غير العاملين الذين يجمعونها إن رأى الإمام في ذلك مصلحة؛ لاقتصار الحديث على الفقراء، وهذه مسألة خلافية.

١٤- ينبغي أن يعظ الإمام ولاته، ويأمرهم بتقوى الله تعالى، وينهاهم عن الظلم ويحذرهم من عاقبته.

١٥- تحريم الظلم بكل أنواعه وأشكاله، لما يجره على الفرد والأمة من شرور ومفاسد عظيمة.

١٦- يجب إخراج الزكاة من وسط المال، ويحرم على الساعي أن يأخذ كرائم الأموال، كما يحرم على رب المال أن يخرج شر المال في الزكاة.

١٧- إذا تلف المال قبل إخراج الزكاة، سقطت الزكاة، لإضافة الصدقة إلى المال.

١٨- ترتيب الأولويات، وتقدم الأهم فالمهم.

اختبار الوحدة الخامسة عشرة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١ - يحتمل قوله ﷺ: "فإن هم أطاعوا لك بذلك". وجهين من المعنى.
- ٢ - قوله: "إياك وكرائم أموالهم"، كرائم منصوبة بفعل مضمر لا يجوز إظهاره.
- ٣ - لا يحتمل قوله ﷺ: "فإن هم أطاعوا لك بذلك" إلا وجهًا واحدًا من المعنى.
- ٤ - قوله: "إياك وكرائم أموالهم" منصوبة بفعل مضمر يجوز إظهاره.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

- ١ - يحتمل قوله ﷺ: "فإن هم أطاعوا لك بذلك":
 - أ - وجهًا واحدًا للمعنى.
 - ب - وجهين اثنين من المعنى.
- ٢ - قوله: "إياك وكرائم أموالهم":
 - أ - يجوز في كلمة "كرائم" النصب والرفع.
 - ب - يجب في كلمة "كرائم": النصب.
 - ج - يجب فيها الرفع.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

- ١ - ترجم لعبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - راوي الحديث، مبيّنًا منزلته العلمية وثناء العلماء عليه وحرصه على تحصيل العلم.

- ٢- ترجم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، مبيِّناً حب النبي ﷺ له.
- ٣- يحتمل قوله ﷺ: "فإن هم أطاعوا لك بذلك" وجهين من المعنى بيئتهما.
- ٤- هذا لحديث واحد من الأحاديث التي تشهد ببراعته ﷺ في التربية والتهذيب ودعوة الناس إلى الله تعالى، بين ذلك في ضوء دراستك له.
- ٥- أمر النبي ﷺ معاذًا بترتيب الأولويات -وهو مبدأ هام في الدعوة إلى الله- وضح هذا في ضوء دراستك للحديث.
- ٦- بين حكم النطق بالشهادتين، وهل هو شرط لصحة الإيمان؟
- ٧- اذكر حكم الاختصار على قول: "لا إله إلا الله" دون قول: "محمد رسول الله".
- ٨- هل يجوز نقل الزكاة من بلد إلى أخرى؟ أحب تفصيلاً.
- ٩- هل يعطى غير المسلم من الزكاة؟ فصلّ القول في هذا.
- ١٠- هل يجوز قبول خير الواحد؟ وهل يجب العمل به؟
- ١١- بين حكم صلاة الوتر من حيث الوجوب وعدمه.
- ١٢- هل تجب الزكاة في مال الصبي والمجنون.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادراً على أن:

- ١- تبين أن الحكم الشرعي إنما يؤخذ من مجموع أدلة الباب لا من بعضها.
- ٢- تبين أن مذهب أهل السنة والجماعة أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعاً على كل حال، ومن مات على كبيرة من غير توبة فهو في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، ولكنه على كل حال لا يخلد في النار.
- ٣- تدلل على حسن خلق النبي ﷺ وسعة صدره.
- ٤- توصل لمبدأ الإيجابية في نفوس المسلمين.
- ٥- تؤكد على المسؤولية العامة عن مصلحة الأمة، فليست المسؤولية على الحاكم وحده، بل على مجموع الأمة كل بقدره.
- ٦- تؤكد على مبدأ التناصح في الله تعالى.
- ٧- تدلل على جواز عرض المفضول على الفاضل ما يراه مصلحة.
- ٨- تستنتج من الحديث ما يؤكد على القاعدة الأصولية: "ارتكاب أخف الضررين دفعا لأشدّهما".
- ٩- تبرهن على جواز الإشارة على الأئمة والرؤساء وأن للمفضول أن يشير عليهم بخلاف ما رأوه.
- ١٠- تتأدب بأدب الصحابة في مخاطبة الكبار والمستولين.
- ١١- تدلل على تأييد الله لنبيه بالمعجزات الحسية الكثيرة التي بلغت مبلغ التواتر.
- ١٢- تبين أن أحاديث الرخص لا تشاع في العامة حتى لا يقصر فهمهم عن المراد بها فيتكلموا.

الوحدة السادسة عشرة

من مات على التوحيد دخل الجنة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ، قَالَ: فَفَنَدَّتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ، قَالَ: حَتَّى هَمَّ بِنَحْرٍ بَعْضُ حِمَائِلِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ فَدَعَوْتَ اللَّهَ عَلَيْهَا؛ قَالَ: فَفَعَلَ - قَالَ: - فَجَاءَ ذُو الْبَرِّ يُبْرِهُ وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ، قَالَ: وَقَالَ مُحَاهِدٌ وَذُو النَّوَاةِ بَنَوَاهُ - قُلْتُ: وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى قَالَ: كَانُوا يَمْصُونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ؛ قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهَا - قَالَ: - حَتَّى مَلَأَ الْقَوْمُ أَزْوَادَتَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ -عِنْدَ ذَلِكَ-: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ -شَكَّ الْأَعْمَشُ- قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ ثُبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَحَاةٌ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَذْنُتَ لَنَا فَنَحْرَتَنَا نَوَاضِحَنَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْعَلُوا» قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ فَعَلْتَ قُلَّ الظَّهْرُ وَلَكِنْ أَدْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»؛ قَالَ: فَدَعَا بِنَطْعٍ فَبَسَطَهُ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفٍّ ذَرَّةً، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفٍّ تَمْرًا، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ»؛ قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وَغَاءَ إِلَّا مَلَأُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَلَتْ فَضْلَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ»^(٢).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، صحيح

مسلم بشرح النووي، (١/٢٢١، ٢٢٤).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، صحيح

مسلم بشرح النووي، (١/٢٢١، ٢٢٤).

المباحث اللغوية:

قوله: (في مسير)، أي: في سفر، وقد جاء في الرواية الثانية أن السفر كان في غزوة تبوك، وهي غزوة العسرة في شهر رجب في العام التاسع من الهجرة. وكان النبي ﷺ قد علم أن الروم قد جمعوا أمرهم لقتال المسلمين، فأمر النبي ﷺ بالخروج لملاقاة الروم، حتى نزلوا بتبوك، وكان الوقت شديد الحرارة مع بُعد المسافة والثمار تجمع في هذا الوقت، والذي لا يجمع ثماره في هذا الوقت يبقى وأهله جياً طول العام؛ لذلك تحف بعض المسلمين الصادقين -مثل الثلاثة الذين ذكروا في سورة التوبة.

قوله: (فنفدت أزواد القوم) انزاد: طعام السفر والحضر، والمراد بهذا القول: أي: نفدت أزواد أكثر القوم أو كادت تنفذ، بدليل أنهم جمعوا ما تبقى من أزودهم ولو كانت نفدت بالكلية فما الذي جمع؟ قوله: (حتى هم بنحر بعض حمائلهم) روي حمائلهم بالحاء المهملة وحمائلهم بالجيم، وكلاهما صحيح، واختلفوا في الراجح منهما، والحمائل بالحاء جمع حمولة بفتح الحاء وهي الإبل التي يحمل عليها؛ والجمائل بالجيم جمع جمالة بكسر الجيم جمع جمل، والجمل الذكر دون الناقة. وفاعل (هم) ضمير يعود إلى النبي ﷺ.

قوله: (لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها) لو هنا للعرض، يعرض عمر على النبي ﷺ بدلاً عن نحر الجمال التي تحملهم. قوله: (ففعل)، أي: فوافق النبي ﷺ على ما عرضه عمر، ولم يباشر هو العمل بنفسه، يؤيد ذلك قوله في الرواية الثانية: فقال رسول الله ﷺ: «نعم». قوله: (صاحب البر بيره) البر: القمح.

قوله: (حتى ملأ القوم أزودهم) الأزودة جمع زاد، وهي لا تملأ وإنما تملأ بها

أوعيتها، والمراد: حتى ملأ القوم أوعية أزودتهم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، ويحتمل أنه سمي الأوعية أزوادًا باسم ما فيها، والله أعلم.

قوله: (عبد غير شاك) الشك نقيض اليقين، والمراد: أن من لقي الله تعالى مقرًا بكلمتي التوحيد وهو موقن بذلك يقينًا لا يخالطه شك كان مصيره إلى الجنة.

قوله في الرواية الثانية (عن أبي هريرة أو أبي سعيد) على الشك من الأعمش هل سمع الحديث من أبي هريرة أو من أبي سعيد، وهذا لا يضر بصحة الحديث من قريب أو بعيد؛ لأن من القواعد المقررة المعلومة أن الراوي إذا قال حدثني فلان أو فلان، وهما ثقتان، فإن ذلك لا يضر بصحة الحديث؛ لأن المقصود الرواية عن ثقة مسمى وقد حصل، وإذا كان هذا في غير الصحابة، ففي الصحابة من باب أولى، فإن الصحابي لا يسأل عن عدالته؛ لأن الصحابة جميعًا عدول بتعديل الله تعالى ورسوله ﷺ لهم.

قوله: (لما كان يوم غزوة تبوك) المراد باليوم هنا الوقت والزمان لا اليوم الذي هو ما بين طلوع الفجر وغروب الشمس.

قال الإمام النووي: وليس في كثير من الأصول أو أكثرها ذكر اليوم هنا.

قوله: (أصاب الناس مجاعة) المجاعة بفتح الميم: الجوع الشديد.

قوله: (فقالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرن نواضحنا فأكلنا وادهننا) النواضح من الإبل التي يسقى عليها -الذكر منها ناضح والأنثى ناضحة.

قوله: (فأكلنا وادهنا) ليس المراد بالادهان المعروف بطلاء الجسم، وإنما المراد اتخذنا دهنًا من شحومها.

قوله: (إن فعلت قل الظهر) المراد بالظهر الدواب سميت ظهرًا لكونها يُركب على ظهرها، أو لكونها يُستظهر بها ويستعان بها على السفر.

قوله: (ثم ادع الله تعالى عليها بالبركة) البركة كثرة الخير وثبوته

قوله: (لعل الله يجعل في ذلك) أي: يجعل الله في ذلك البركة والخير، فحذف المفعول به.

قوله: (فدعا بنطع) النطع بفتح النون وسكون الطاء، وقيل غير ذلك في ضبطه، وانطع هو ما يبسط لوضع الصعام عليه.

قوله: (ثم دعا بفضل أزوادهم)، أي: بقايا طعامهم.

قوله: (بكف ذرة.. بكف تمر)، أي: بما يملأ الكف من الذرة أو التمر.

قوله: (وفضلت فضلة) بكسر الضاد وفتحها لغتان مشهورتان، وفضلة الشيء ما بقي منه.

المعنى العام للحديث:

أيد الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بالمعجزة العظمى الخالدة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي القرآن الكريم، وهي معجزة عقلية؛ لأن هذا ما يتناسب مع عموم بعثته ﷺ إلى الناس جميعًا إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها؛ وذلك لأن المعجزة العقلية غير مرتبطة بشخص الرسول ﷺ فتظل بعد وفاته شاهدة على صدقه.

إلا أن الله تعالى أيد رسوله محمدًا ﷺ أيضًا بالمعجزات الحسية التي تشهد بنبوته ﷺ، وأنه رسول رب العالمين حقًا وصدقًا؛ ليزداد بها المؤمنون إيمانًا مع إيمانهم ويقينًا إلى يقينهم، خاصة أولئك الذين شاهدوها؛ لأن المعجزة الحسية تثمر إيمانًا قويًا لا يخالطه شك عند من يراها؛ لأنها تبهر العقول وتستحوذ عليها، إلا أن المعجزة الحسية مرتبطة بشخص الرسول، فلا تبقى بعد موته، بل تصير خبرًا.

وبذلك يكون قد اجتمع للنبي محمد ﷺ نوعان من المعجزات: المعجزة العقلية العظمى الباقية، وهي القرآن الكريم؛ والمعجزات الحسية، وبذلك تزداد أدلة صدقه ﷺ.

وقد شاهد الصحابة رضوان الله عليهم هذه المعجزات الحسية، فازدادوا إيمانًا مع إيمانهم،

ويقيناً إلى يقينهم، وتميزوا عن غيرهم ممن لم يشاهد هذه المعجزات بقوة الإيمان وصدق اليقين. بما وعدهم الله تعالى ورسوله ﷺ حتى صاروا يشاهدون ما وعدهم الله ببصائرهم، وإن لم يشهدوه بأبصارهم.

وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، واحد من الأحاديث التي تدل على أن الله تعالى أيد رسوله محمداً ﷺ بالمعجزات الحسية، فازداد الطعام القليل زيادة عظيمة ملحوظة لحظها الصحابة جميعاً ببركة دعائه ﷺ، ودفع الله عنهم الفاقة الشديدة التي كادوا ينحرون الإبل التي تحملهم بسببها، وليست هذه واقعة لم تتكرر، بل تكررت كثيراً.

ففي غزوة تبوك نزل الصحابة على عين تبوك وليس بها إلا القليل من الماء، فجمع الصحابة من مائها للنبي ﷺ القليل في إناء، فغسل رسول الله ﷺ في هذا الماء القليل يديه ووجهه الشريف، ثم أعاد هذا الماء في العين، فجرت العين بماء غزير حتى شرب القوم جميعاً وكانوا أكثر من ثلاثين ألفاً^(١).

قال الإمام النووي -في التعقيب على أحاديث نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ، وتكثير الطعام ببركة دعائه ﷺ-: هذه كلها معجزات ظاهرات وجدت من رسول الله ﷺ في مواطن مختلفة، وعلى أحوال متغيرة، وبلغ مجموعها التواتر.

وأما تكثير الماء، فقد صح من رواية أنس وابن مسعود وجابر وعمران بن الحصين، وكذا تكثير الطعام ووجد منه ﷺ في مواطن مختلفة وعلى أحوال كثيرة وصفات متنوعة.

ثم ساق النبي ﷺ للصحابة وللمسلمين جميعاً هذه البشارة العظيمة عقب رؤية الصحابة لهذه المعجزة الحسية الباهرة (تكثير الطعام ببركة دعائه ﷺ) أن من لقي الله تعالى بكلمتي التوحيد مستيقناً بما قلبه، فإن مصيره سيكون إلى الجنة -إن شاء الله تعالى.

فقه الحديث:

١- هذا الحديث علق دخول الجنة على مجرد النطق بكلمتي التوحيد مع يقين القلب.

(١) راجع حديث معاذ بن جبل في صحيح مسلم بشرح النووي، (٤١/٤٠-٤١).

٢- علق حديث أبي هريرة رضي الله عنه دخول الجنة على مجرد النطق بكلمتي التوحيد مع يقين القلب، وفيه أن النبي ﷺ قال لأبي هريرة رضي الله عنه: «اذْهَبْ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِئًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»^(١).

٣- وعلق حديث معاذ النجاة من النار على مجرد النطق بكلمتي التوحيد مع تصديق القلب، وفيه أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(٢).

٤- وعلق حديث عبادة بن الصامت دخول الجنة على أنطق بكلمتي التوحيد، والاعتقاد الصحيح في عيسى بن مريم، والإيمان بالجنة والنار، والعمل الصالح. عن عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمِّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»^(٣).

ثم ساق الإمام مسلم رحمته الله عقب الحديث السابق إسناداً آخر يلتقي فيه بعمير بن هاني (أحد رواة الإسناد الأول)، ثم قال بمثله، غير أنه قال: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ»، وَلَمْ يَذْكُرْ: «مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم "جزء حديث"، كتاب الإيمان، باب من شهد أن لا إله إلا الله مستقيماً بها قلبه دخل الجنة، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٣٤/١-٢٤٠).

(٢) أخرجه البخاري "جزء حديث"، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهة ألا يفهموا، فتح الباري، (٢٢٦/١).

وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: من شهد أن لا إله إلا الله مستقيماً بها قلبه دخل الجنة، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٤٠/١-٢٤١).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالشهادتين لم يحجب عن الجنة، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٢٦/١-٢٢٧).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالشهادتين لم يحجب عن الجنة، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٢٦/١-٢٢٧).

٥- علق حديث عبادة بن الصامت تحريم النار على مجرد النطق بكلمتي التوحيد. عَنْ الصَّنَابِجِيِّ عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَبَكَيْتُ فَقَالَ: مَهْلًا لَمْ تَبْكِي فَوَاللَّهِ لَئِنْ اسْتَشْهَدْتُ لِأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ شَفَعْتُ لِأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لِأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمْ بِهِ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمْ بِهِ الْيَوْمَ وَقَدْ أَحِيطَ بِنَفْسِي: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ»^(١).

٦- وعلق حديث عتيان بن مالك النجاة من النار على مجرد النطق بكلمتي التوحيد، وفيه: أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ دَخَلَ النَّارَ أَوْ تَطَعَّمَهُ»^(٢).

٧- علق حديث أبي ذر دخول الجنة على مجرد ترك الشرك وإن ارتكب العبد المعاصي.

عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ -جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ- مَنْ تُكَلِّمُ فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ؟ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرْجِعُ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ: «ذَاكَ جَبْرِيلُ عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ فَقَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من شهد بالشهادتين حرم الله عليه النار، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٢٩/١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب قصة عتيان بن مالك، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٤٢/١-٢٤٣).

(٣) أخرجه البخاري "جزء حديث"، كتاب الرقاق، باب المكثرون هم المفلون بدون قوله: "وإن شرب الخمر"، فتح الباري، (٢٦٠/١١-٢٦١).

وأخرجه مسلم "جزء حديث واللفظ له"، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، صحيح مسلم بشرح النووي، (٧٤/٧-٧٥).

٨- علق حديث معاذ بن جبل النجاة من العذاب على عبادة الله وعدم الشرك.
عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ
قَالَ: فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قَالَ:
قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا
يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»؛
قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا»^(١).

٩- علق حديث عثمان رضي الله عنه دخول الجنة على مجرد العلم (بأن لا إله إلا
الله)، ولم يشترط النطق بكلمتي التوحيد.
عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

هذه الأحاديث السابقة بعضها علق دخول الجنة على مجرد معرفة القلب،
ولم يشترط النطق بكلمتي التوحيد مع تصديق القلب ولا العمل، كما جاء في
حديث عثمان رضي الله عنه - الحديث التاسع.
وبعضها علق النجاة من النار على مجرد النطق بكلمتي التوحيد، كما في حديث
عبادة بن الصامت - الحديث الخامس - وحديث عتبان بن مالك - الحديث السادس.
وبعضها علق دخول الجنة على مجرد النطق بكلمتي التوحيد مع يقين
القلب، ولم يشترط العمل، كما جاء في حديث الباب وحديث أبي هريرة رضي الله عنه -
الحديث الثاني - وحديث معاذ - الحديث الثالث.

وبعضها علق دخول الجنة على النطق بكلمتي التوحيد والاعتقاد الصحيح
في عيسى بن مريم وأمه - عليهما السلام - والتصديق بالجنة والنار، والعمل، كما
في حديث عبادة بن الصامت - الحديث الرابع.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب حق العباد على الله، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٣٢/١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات على التوحيد دخل الجنة، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢١٨/١).

وبعضها علّق النجاة من العذاب على عبادة الله تعالى وترك الإشراك، كما في حديث معاذ بن جبل -الحديث الثامن-

وبعضها علّق دخول الجنة على مجرد ترك الشرك، وإن ارتكب العبد المعاصي، كما في حديث أبي ذر -الحديث السابع-

ظاهر هذه الأحاديث يوهم التعارض مع بعضها، حيث جاء في بعضها أن المعرفة وحدها كافية في دخول الجنة، كما في حديث عثمان رضي الله عنه، وهذا يتعارض مع الأحاديث التي علّقت دخول الجنة على النطق بالشهادتين مع تصديق القلب. والمعرفة وحدها غير كافية، فلم تنفع المعرفة أبا طالب، ولم تنجّه من الخلود في نار جهنم، مع أن أبا طالب كان يعرف صدق النبي صلى الله عليه وآله كمعرفته بنفسه، ومع ذلك نهي الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله أن يستغفر له لأنه؛ من أصحاب الجحيم.

والمعرفة لم تنفع أهل الكتاب الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٠]، فمع أن أهل الكتاب كانوا يعرفون صدق النبي صلى الله عليه وآله بهذه الدرجة؛ لأنه لم يصحب المعرفة تصديق القلب وإقراراً باللسان؛ كذلك لم تنفع المعرفة إبليس، حيث لم يصحبها إذعان وخضوع لله رب العالمين.

وجاء في بعضها أن مجرد النطق بكلمتي التوحيد كاف في دخول الجنة، ولم تذكر تصديق القلب، وهذا يتعارض مع الأحاديث التي علّقت دخول الجنة على تصديق القلب مع النطق بالشهادتين.

والنطق بالشهادتين مع عدم تصديق القلب، غير كاف في دخول الجنة، فالمنافقون مع أنهم أقرّوا بالشهادتين بألسنتهم مع تكذيب قلوبهم لم ينفعهم ذلك ولم ينجم من الخلود في نار جهنم، ومع نطقهم بالشهادتين كذبهم الله تعالى، وقال عنهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، وما قاله المنافقون

بالسنتهم حق وصدق، والتكذيب إنما هو بالنسبة إلى ما استقر في قلوبهم، وما استقر في قلوبهم إنما هو تكذيب النبي ﷺ.

ثم إن الأحاديث التي علقت دخول الجنة على مجرد تصديق القلب والنطق بالشهادتين باللسان، تتعارض مع نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة التي تُوعَد فيها عصاة الموحدين بالعذاب الأليم في نار جهنم، ولقد تواترت نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة بأن طائفة من عصاة الموحدين سيدخلون النار حتمًا بذنوب أصابوها، وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة.

قال الحافظ ابن حجر: تواترت نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة أن بعض عصاة الموحدين يدخلون النار^(١)، ومن أجل ذلك التعارض الظاهر لجأ العلماء إلى التوفيق بين هذه النصوص التي يوهم ظاهرها التعارض، وقبل أن نذكر أقوال أهل العلم في ذلك نريد أن ننبّه إلى أمرين في غاية الأهمية:

أ- الحكم الشرعي إنما يؤخذ من مجموع أدلة الباب لا من بعضها: يجب على من يستنبط الأحكام الشرعية من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة -إن كان متأهلاً لذلك- أن ينظر إلى الدليل في بابه، بمعنى أن يجمع أدلة القرآن الكريم والسنة المطهرة المتعلقة بالمسألة الواحدة، ثم يستنبط الحكم من مجموع الأدلة ليصل إلى حكم صحيح في المسألة، ولا يصح بحال من الأحوال أن يستنبط الحكم الشرعي من دليل واحد؛ وذلك لأن هذه الأدلة مصدرها واحد، والمسلم مخاطب بها جميعاً. وقد يكون في الموضوع نصوص مطلقة وأخرى مقيدة، أو نصوص عامة وأخرى مخصصة، وقد يكون فيها نص مجمل وآخر مفسر... إلى غير ذلك مما هو معلوم في بابه.

وقد رأينا في مرويات الراوي الواحد للحديث الواحد هذا الأمر، وقد يقتصر الراوي على رواية جزء من الحديث الذي سمعه؛ لحاجته إلى الاستشهاد بما اقتطعه من الحديث، ولا يذكر بقية الحديث.

(١) فتح الباري، (١١/٣٤٠).

وفي هذه الأحاديث التي تتعلق بموضوعنا رأينا حديث عبادة ابن الصامت - الحديث الرابع- يعلّق دخول الجنة على النطق بكلمتي التوحيد والاعتقاد الصحيح في عيسى بن مريم عليه السلام والإيمان بالجنة والنار، والعمل الصالح. وفي حديث عبادة بن الصامت -الحديث الخامس- يعلّق النجاة من النار على مجرد النطق بكلمتي التوحيد فقط.

بل بين روايتي حديث عبادة بن الصامت -الرابعة- تفاوت بالزيادة والنقصان كما هو واضح.

وهذا هو منهج أهل السنة في استنباط الأحكام، يأخذونها من مجموع نصوص الموضوع؛ لذلك كانت أحكامهم صحيحة موفقة -بإذن الله تعالى.

أما الذين خالفوا أهل السنة، فإن آفتهم تكمن في عيب منهجي حيث استنبطوا الأحكام من بعض النصوص؛ لذلك لم يوفقوا إلى الصواب ووجدناهم على طريفي النقيض، فالخوارج يكفّرون مرتكب الكبيرة؛ لأنهم تعلقوا بأدلة الوعيد تاركين أدلة الوعد، فرفعوا العمل إلى درجة الاعتقاد.

وعلى النقيض من الخوارج المرجئة أحبطوا قيمة العمل؛ لأنهم تعلقوا بأدلة الوعد تاركين أدلة الوعد.

أما أهل السنة، فإنهم جمعوا بين أدلة الوعد والوعيد، وأخذوا الأحكام من مجموع النصوص ولم يهملوا جانباً منها؛ لأنهم مخاطبون بها جميعاً؛ لذلك وفقوا وهدوا إلى الحق، والله الحمد والمنة.

وعلى ذلك فالأحاديث التي علّقت دخول الجنة على مجرد المعرفة مقيّدة بالأحاديث التي علّقت دخول الجنة على النطق بكلمتي التوحيد مع تصديق القلب.

والأحاديث التي علّقت دخول الجنة على مجرد النطق بكلمتي التوحيد مقيّدة بالأحاديث التي علّقت دخول الجنة على النطق بكلمتي التوحيد مع التصديق... وهكذا.

والأحاديث التي علّقت دخول الجنة على تصديق القلب مع النطق بالشهادتين باللسان، فهذا الدخول أعم من أن يكون دخولاً ابتدائياً، فقد يكون بعد الجحازة.

وبهذا تلتقي النصوص وتتعاقد ويكمل بعضها بعضاً ولا تتعارض.

ب- دخول الجنة أعم من أن يكون دخولاً ابتدائياً: وذلك أن قوماً سيدخلون الجنة من أول الأمر من غير سابقة عذاب، وهم أصحاب الإيمان الكامل والذين غفر الله لهم، وقوم سيدخلون الجنة بعد المجازاة وهم أصحاب الإيمان غير الكامل الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً؛ وذلك لأن الإيمان نوعان - كما سبق.

ونأتي الآن لذكر أقوال أهل العلم في الجمع بين الأحاديث التي علقت دخول الجنة على مجرد النطق بكلمتي التوحيد، أو الأحاديث التي علقت دخول الجنة والنجاة من النار على مجرد النطق بكلمتي التوحيد مع تصديق القلب، والنصوص الأخرى التي توعد فيها عصاة الموحدين بالعذاب الأليم، وبالله التوفيق.

١- قال الإمام النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال، فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يتل بمعصية أصلاً، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلاً، لكنهم يردونها - على الخلاف المعروف في الورود - والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم - أعادنا الله منها ومن سائر المكروه - وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده ﷻ ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل، هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي، فإذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من أحاديث الباب وغيره، فإذا ورد حديث في ظاهرة مخالفة وجب تأويله عليها ليُجمع بين نصوص الشرع، والله أعلم^(١).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (١/٢١٧).

٢- حمل البخاري حديث أبي ذر رضي الله عنه على من تاب عند الموت، وهذا وفق ما فهمه أبو ذر رضي الله عنه وعلى ذلك يكون المعنى وإن زنى وإن سرق دخل الجنة؛ لكنه قبل ذلك إن مات مصرّاً على المعصية - في مشيئة الله تعالى.

لذلك قال البخاري عقب قوله رضي الله عنه: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»... الحديث^(١)، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ قَبْلَهُ، إِذَا تَابَ وَتَدَمَّ وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، غُفِرَ لَهُ^(٢)

قال الحافظ ابن حجر: ويشهد لهذا حديث أبي الدرداء عند الطبراني "أن ذلك في حق من عمل سوءاً أو ظلم نفسه ثم استغفر"، قال الحافظ: وسنده جيد.

٣- وحمله غير البخاري على أن المراد بدخول الجنة أعم من أن يكون ابتداءً أو بعد المجازاة على المعصية، وهذا أولى للجمع بين الأدلة.

وعلى ذلك يكون المعنى: حرمه الله على النار إلا أن يشاء الله، أو حرمه على نار الخلود، والله أعلم^(٣).

قال الحافظ ابن حجر: وقد عارضه أي: (حديث معاذ بن جبل)، ما تواتر من نصوص الكتاب والسنة أن بعض عصاة الموحدين يدخلون النار، فعلى هذا يجب الجمع بين الأمرين، وقد سلكوا في ذلك مسالك^(٤).

٤- ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الأخبار منسوخة.

قال الحافظ ابن حجر: قال الزهري: إن هذه الرخصة كانت قبل نزول الفرائض والحدود.

قال النووي: حكى عن جماعة من السلف - رحمهم الله - منهم ابن المسيب، أن هذا كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي.

قال الحافظ ابن حجر: واستبعد غير الزهري أن تكون هذه الأخبار

(١) أخرجه البخاري "جزء حديث"، كتاب اللباس، باب الثياب البيض، ١٩٣/٧ عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري، (١٩٣/٧).

(٣) فتح الباري، (٢٦٩/١١ - ٢٧٠).

(٤) أي: الأخبار التي رتب دخول الجنة على مجرد النطق بالشهادتين بدون عمل.

منسوخة للآتي:

أ- أن النسخ لا يدخل الأخبار.

ب- أن سماع معاذ لهذه الأخبار متأخر عن أكثر نزول الفرائض.

ج- قال الإمام النووي: وأما ما حكاه عن ابن المسيب وغيره فضعيف باطل؛ وذلك لأن راوي أحد هذه الأحاديث أبو هريرة رضي الله عنه ^(١) وهو متأخر الإسلام أسلم عام خبير سنة سبع بالاتفاق، وكانت أحكام الشريعة مستقرة، وأكثر هذه الواجبات كانت فروضها مستقرة، وكانت الصلاة والصيام والزكاة وغيرها من الأحكام قد تقرر فرضها، وكذا الحج على قول من قال فرض سنة خمس أو ست، وهما أرجح من قول من قال سنة تسع، والله أعلم ^(٢).

هـ - ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الأخبار ليست منسوخة، بل هي على عمومها لكنها مقيدة.

قال ابن حجر: وقيل: لا نسخ، بل هو على عموميه ولكنه مقيد بشرائط، كما ترتب الأحكام على أسبابها المقتضية المتوقفة على انتفاء الموانع، فإذا تكامل ذلك عمل المقتضى عمله.

وإلى ذلك أشد وهب بن منبه بقوله المتقدم في كتاب الجنائز في شرح أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة ليس من مفتاح إلا وله أسنان ونص حديث وهب، قال البخاري: وقيل: لو هب بن منبه: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك ^(٣). وقيل: المراد ترك دخول نار الشرك، وقيل: ترك تعذيب جميع بدن الموحدين؛ لأن النار لا تحرق مواضع السجود، وقيل: ليس ذلك لكل من وحّد وعبد، بل يختص بمن أخلص، والإخلاص يقتضي تحقيق القلب بمعناها، ولا يتصور

(١) وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «أذهب بنعلي هاتين فمَن لَقِيَتْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ قَبْشُورَةٌ بِالْجَنَّةِ»، تقدم تخريجه.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، (١/٢٢٠)؛ وفتح الباري، (١/٢٢٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، فتح الباري، (٣/١٠٩).

حصول التحقيق مع الإصرار على المعصية لامتلاء القلب بمحبة الله تعالى وخشيته، فتنبعث الجوارح إلى الطاعة وتنكف عن المعصية^(١).

قال الحافظ ابن حجر: والحق أن من قال: لا إله إلا الله مخلصاً أتى بمفتاح وله أسنان، لكن من خلط ذلك بالكبائر حتى مات مُصرّاً عليها لم تكن أسنانه قوية، وربما طال علاجه، وقال: ابن رشيد: يحتمل أن يكون مراد البخاري الإشارة إلى أن من قال لا إله إلا الله مخلصاً عند الموت كان ذلك مسقطاً لما تقدم له، والإخلاص يستلزم التوبة والندم، ويكون النطق علماً على ذلك، وأدخل حديث أبي ذر رضي الله عنه ليبين أنه لا بد من الاعتقاد، ولهذا قال عقب حديث أبي ذر رضي الله عنه في كتاب اللباس: قال أبو عبد الله: هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم، ومعنى قول وهب: إن جئت بمفتاح له أسنان جواد فهو من باب حذف النعت إذا دل عليه السياق؛ لأن مسمى المفتاح لا يعقل إلا بالأسنان، وإلا فهو عودٌ أو حديدة^(٢).

وحمله بعضهم على ظاهره، وخص به هذه الأمة؛ لقوله فيه: «بَشِّرْ أُمَّتَكَ»^(٣)، وأن «مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ»^(٤).

وتعقب هذا بالأخبار الصحيحة الواردة في أن بعض عصاة هذه الأمة يعذبون، وقد سبق ذلك.

(١) فتح الباري، (٣٤٠/١١).

(٢) فتح الباري، (١١٠/٣).

(٣) يشير إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه ولفظه: «بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَلَّا مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ» وهذا جزء حديث تقدم تخريجه.

(٤) يشير إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه أيضاً، وفيه أنه ﷺ قال: «ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ»، تقدم تخريجه.

خلاصة الوحدة السادسة عشرة

١- حسن خلق النبي ﷺ وسعة صدره، فمع أنه رسول رب العالمين لم يضيق صدره برأي أصحابه - وإن خافوه- ما لم ينزل به وحي، وكان ينزل على رأيهم إن رأى في ذلك المصلحة، وقد تكرر هذا في مواقف كثيرة لا تكاد تحصى، منها ما حدث يوم بدر... وغير ذلك.

٢- تأصيل مبدأ الإيجابية في نفوس المسلمين، فمن يرى منهم أمر رشد، عليه أن يشير به، ولو كان مخالفاً لرأي الرسول ﷺ مادام أنه صر عن اجتهاد منه ﷺ وليس وحيًا، مع مراعاة الأدب.

٣- استلال مبدأ الدكتاتورية والانفراد بالرأي من نفوس المسلمين، وتعليمهم أن الأمر قائم على الناصح والشورى، وليس على الانفراد بالرأي الذي تشقى به الأمم والشعوب أفرادًا وجماعات.

٤- الكل مسئول عن مصلحة لأمة -وليس الحاكم وحده- كل على قدره، وبحسب الإمكانيات المتاحة له.

٥- على الحاكم أن يستمع إلى نصيح الناصحين وينظر فيه ليرى أين المصلحة فيأخذ بها، وعند ذلك تكون الأمة كلها معينة للحاكم على مهامه متحملة للمسئولية معه، وينظر بأعين الناصحين جميعًا وليس بعينه وحده، ويفكر بعقولهم جميعًا وليس بعقله وحده، ومن أجل ذلك أمر الله تعالى نبيه أن يستشير أصحابه فيما لم ينزل بشأنه وحي.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَضًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٦- تأكيد مبدأ التناصح في الله تعالى القائم على مبدأ مراعاة مصلحة الفرد والأمة، فالكل بحاجة إلى النصيحة، سواء كانوا حكاماً أو محكومين.

عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

٧- حسن تربية النبي ﷺ لأصحابه، فلم يهملهم، ولم يجعلهم عالة عليه، بل ربّاهم على مبدأ التناصح والشورى وجعلهم يعتمدون على أنفسهم بعد اعتمادهم على الله تعالى.

وكان من ثمار هذه التربية المباركة التي لم تعرفها الإنسانية آنذاك أن استمرت الدولة الإسلامية بعد وفاته ﷺ ولم تنقوض أركانها، بل اتسعت رقعتها ودخل الناس في دين الله أفواجا.

فالرسول ﷺ انتقل إلى الدار الآخرة، والإسلام لم يبرح الجزيرة العربية، فمن الذي شرق وغرب بالإسلام؟ إنهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين ربّاهم وأعد منهم الكوادر العظيمة لقيادة الأمة.

٨- جواز عرض المفضل على الفاضل ما يراه مصلحة لينظر فيه الفاضل - وإن لم يطلب ذلك - فإن ظهرت له المصلحة عمل بها.

٩- مراعاة المصالح وتقديم الأهم فالمهم.

١٠- ارتكاب أخف الضررين لدفع أشدهما، فالرسول ﷺ حين عرض عليه أن تُنحر النواضح إبقاء على أصحابه حيث نفذ الماء - قبل ذلك.

١١- قد يفطن المفضل إلى ما لم يفطن إليه الفاضل، وهذا لا يضر الفاضل ولا ينقص من قدره بحال من الأحوال.

١٢- جواز الإشارة على الأئمة الرؤساء، وأن للمفضل أن يشير عليهم

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة، صحيح مسلم بشرح النووي، (٣٦-٣٧).

بخلاف ما رأوه إذا ظهرت المصلحة عنده، وأن يشير عليهم بإبطال ما أمروا بفعله.

١٣- التأدب في مخاطبة الكبار والمسؤولين، فلا يفرض الناصح رأيه عليهم مبيتاً أن رأيه صواب وأن رأيهم خطأ، بل على الناصح أن يترفق في نصحه، فيقول لمن يشير عليه - بعد أن يثني عليه بما هو فيه - لو فعلت كذا أو أمرت بكذا لكان خيراً أو مصلحة للأمة، والله أعلم بالصواب.

١٤- لا يجوز للإنسان أن يتصرف في الأمور العامة أو الأمور التي تخصه - إن ترتب على التصرف فيها ضرر يلحق بالآخرين - تصرفاً من تلقاء نفسه إلا بعد الرجوع إلى القائم على الأمر المسئول عنه، حتى لا يتسبب في وقوع مفساد قد لا يفتن إليها إلا بعد التصرف لقصر نظره.

قال الإمام النووي: لا ينبغي لأهل العسكر من الغزاة أن يضيعوا دوابهم التي يستعينون بها في القتال بغير إذن الإمام، ولا يأذن لهم إلا إذا رأى مصلحة أو خاف مفسدة ظاهرة، والله أعلم.

١٥- تأييد الله تعالى لنبيه ﷺ بالمعجزات الحسية الكثيرة التي بلغت مبلغ التواتر والتي تنطق بصدقه ﷺ بعد المعجزة الكبرى الباقية، وهي القرآن الكريم.

١٦- من مات على التوحيد الخالص من الشرك فمصيره النهائي إلى الجنة، بغض النظر عن كون دخوله الجنة دخولاً ابتدائياً أو بعد المجازاة.

١٧- أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس، حتى لا يقصر فهمهم عن المراد بها، فيتكلموا على أن مجرد النطق بالشهادتين كاف في دخول الجنة والنجاة من النار، وهذا يفضي إلى طي بساط الشريعة، فلا يبقى واجب يؤتى ولا حرام يجتنب، وعند ذلك تفسد أحوال الناس وتضطرب الأمور، وهذا يفضي إلى خراب الدنيا والآخرة معاً؛ لذلك منع الرسول ﷺ معاذ بن جبل وأبا هريرة من تبشير الناس خشية الاتكال على هذه الأحاديث وترك التكاليف الشرعية، وقد سمع هذه الأحاديث فضلاء الصحابة فلم يزدادوا إلا اجتهاداً في العمل وخشية لله تعالى.

اختبار الوحدة السادسة عشرة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- المقصود بقوله: "فنفتت أزواد القوم" أي: كادت تنفذ.
- ٢- قوله: "حتى هم بنحر بعض حمائلهم" روي حمائلهم بالخاء المهملة والجيم المعجمة، وكلاهما صحيح.
- ٣- الحمائل بالخاء جمع حمولة، وهي الإبل التي يحمل عليها، والجمائل بالجيم جمع جمالة بكسر الجيم جمع جمل وهو ذكر الناقة.
- ٤- قوله: "حتى ملأ القوم أزودتهم" الأزودة جمع زاد، وهي لا تملأ ولكن تملأ بما أوعيتها، والمراد حتى ملأ القوم أوعية أزودتهم.
- ٥- قوله في الرواية الثانية: "عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد" على الشك من الأعمش وهو يضر بصحة الحديث.
- ٦- "أذهنا" معناه: دهننا أجسامنا.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- المقصود بقوله: "فنفتت أزواد القوم"، أي:

أ- نفذ جميعها. ب- نفذ معظمها.

٢- الحمائل، جمع:

أ- حمل. ب- حميلة. ج- حمولة.

٣- الجمائل، جمع:

أ- جمل. ب- جمل. ج- جمالة.

٤- الأزودة، جمع:

أ- زاد. ب- زود. ج- زيد.

٥- الشك من الراوي إذا قال: عن فلان أو فلان وهما ثقتان:

أ- يضر بصحة الحديث. ب- لا يضر بصحة الحديث.

٦- "أدهنا" معناه:

أ- دهنا جسومنا بالدهن. ب- اتخذنا دهناً من شحومهما.

٧- الظَّهر، المراد به الدواب وسميت كذلك:

أ- لكونها يُركب على ظهرها.

ب- لكونها يستظهر بها ويستعدن على السفر.

ج- كلاهما صحيح.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- أيد الله رسوله محمداً ﷺ بالمعجزات الحسية والعقلية؛ ليزداد الصحابة إيماناً مع إيمانهم، اذكر عدداً من المعجزات الحسية التي أيد الله بها محمداً ﷺ.

٢- جاءت كثير من أحاديث النبي ﷺ ظاهراً يوهم التعارض، وذلك نحو الأحاديث التي علقت دخول الجنة على شرطٍ ما، فكيف تجمع بين هذه الأحاديث بما يأتي على شبهة التعارض.

٣- "الحكم الشرعي إنما يؤخذ من مجموع أدلة الباب، لا من بعضها": اشرح هذه لقاعدة في ضوء دراستك لشرح الحديث.

٤- هذا الحديث يساهم في تأصيل مبدأ الإيجابية في نفوس المسلمين، فمن يرى منهم أمر رشد عليه أن يشير به ولو كان مخالفاً لرأي الرسول ﷺ ما دام قد صدر عن اجتهاد منه وليس وحياً. وضّح هذا المعنى -في ضوء دراستك للحديث.

٥- الكل مسئول عن مصلحة الأمة وليس الحاكم وحده، كل على حسب قدره: وبحسب الإمكانيات المتاحة له اشرح هذا في ضوء دراستك للحديث.

٦- في الحديث دلالة على جواز عرض المفضل على الفاضل ما يراه مصلحة لينظر فيه الفاضل، وإن لم يطلب ذلك. وضّح ذلك في ضوء دراستك للحديث.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تترحم لعبادة بن الصامت راوي الحديث رضي الله عنه.
- ٢- تبين أن الاعتقاد الصحيح شرط لدخول الجنة.
- ٣- تدلل من الحديث على كُفر من زعم أن عيسى ابن الله.
- ٤- تعلق لماذا خص الحديث عيسى عليه السلام من بين سائر المرسلين.
- ٥- تدلل -من الحديث- على وجوب الإيمان بالجنة والنار.
- ٦- تستنتج من الحديث وجوب الإيمان بكل ما علم من الدين بالضرورة.
- ٧- تؤكد على أن من دان بغير الإسلام فمصيره إلى الخلود الأبدي في النار.
- ٨- تكشف الغموض الذي أحاط بنبي الله عيسى عليه السلام كما ستفهم من الحديث.
- ٩- ترد على النصارى في زعمهم بنوة عيسى لله تعالى.
- ١٠- ترد على اليهود في زعمهم أن عيسى عليه السلام ابن سِفاح.
- ١١- ترد على الدهريين الذين ينكرون البعث والحساب بعد الموت.
- ١٢- ترد على من أنكر الميعاد البدني وتبطل مذهبه.
- ١٣- تدلل على أن القرآن الكريم والسنة المطهرة يخرجان من مشكاة واحدة فليس بينهما تعارض بل تعاوض.

الوحدة السابعة عشرة

الاعتقاد الصحيح شرط لدخول الجنة

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»^(١).

عَنْ عُبَادَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ - أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»^(٢).

ترجمة عبادة بن الصامت رضي الله عنه:

عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم أبو الوليد الأنصاري الخزرجي، الإمام القدوة، أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدرين، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وشهد بيعة الرضوان، سكن بيت المقدس. خَرَجَ لَهُ الْأُئِمَّةُ السِّتَةُ.

توفي سنة أربع وثلاثين، وقيل: سنة خمس وأربعين بالرملة.

المعنى العام للحديث:

إن الناظر في القرآن الكريم والسنة المطهرة بتجرّد يعلم أن مصدرهما واحد

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: "يا أهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق، فتح الباري، (٥٤٦/٦). وأخرجه مسلم "واللفظ له"، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالشهادتين لم يُحجب من الجنة، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٢٦/١-٢٢٧).

(٢) نفس المصدرين السابقين "واللفظ للبخاري".

وهو الله تعالى رب العالمين المنزه عن الأهواء، فما ذكر القرآن الكريم والسنة المطهرة نبياً من أنبياء الله تعالى -عليهم السلام- بنقيصة، بل ذكرهم القرآن والسنة موصوفين بكل كمال بشري، منزهين عن كل نقص بشري، وأهم قاموا بواجبهم على خير وجه، فبلغوا أقوامهم، وتحملوا في سبيل ذلك المشقات؛ وما ذلك إلا لأن الله تعالى يختار لحمل الرسالة من يكون أهلاً لذلك، ولا يختار لها من يكون سبباً في إغراض الناس عنها.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال ﷺ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وأوجب الإسلام على أتباعه أن يؤمنوا برسول الله جميعاً وألا يفرقوا بينهم في أصل الإيمان به.

قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

كما جعل الإسلام الكفر برسول منهم أو انتقاصه مخرجاً من ملة الإسلام. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

وذلك لأن المرسل جميعاً أرسلهم الله تعالى لدعوة الناس إلى توحيد الله تعالى وعبادته، ودعوة الناس إلى مكارم الأخلاق، وتنظيم علاقة الناس ببعضهم؛ ليعيش

الناس حياة طيبة سعيدة، ويفوزوا في الآخرة برضا الله والجنة، فالهدف من إرسالهم جميعاً واحد.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

كما دافع القرآن الكريم والسنة المطهرة عن رسل الله تعالى، وبين كذب وضلال أولئك الذين اتهموهم بما لا يليق بهم، وبما لم يصدر عنهم.

وهذا التجرد المطلق يستحيل أن يصدر من البشر؛ لأن الإنسان -بحكم بشريته- مهما سمى نفسه وتجرد لا يمكن أن ينصف غيره بهذه الدرجة، فالإنسان يحب أن يتميز، وقد يدفعه ذلك إلى انتقاص الآخرين، أو لَمَزهم من قريب أو بعيد.

وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، واحد من هذه الأحاديث التي بين الرسول ﷺ فيها أن الاعتقاد الصحيح شرط لدخول الجنة، فمن لقي الله تعالى بكلمتي التوحيد والاعتقاد الصحيح في رسل الله تعالى -ومنهم عيسى بن مريم ﷺ- فإن مصيره إلى الجنة.

وإنما خص عيسى ﷺ بالذكر من بين سائر المرسلين مع أن الإيمان بالنبي محمد ﷺ يوجب على المؤمنين به أن يؤمنوا بكل ما جاء عن نبي الله عيسى ﷺ وغيره من الأنبياء في القرآن الكريم، وما ذكر في هذا الحديث إنما ذكر في القرآن الكريم -لأن أمر عيسى ﷺ مشكل، حيث ولد من غير أب، وتكلم في المهد، ورفع إلى السماء.

وقال عنه النصارى: إنه ابن الله تعالى أو جزء منه: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، ولقد دافع القرآن الكريم عن نبي الله عيسى ﷺ وأمه، وبرأها من اتهم اليهود، حيث اتهموها بالزنا، وأنها أتت

بعيسى عليه السلام من سفاح، وأنكروا رسالة عيسى عليه السلام، وهموا بقتله، فحاء القرآن الكريم فقال القول الحق في عيسى عليه السلام وأمه وأنه عبد الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرَهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٨]، كما قرّب القرآن الكريم قضية عيسى عليه السلام من العقل، وضرب لها الأمثال، وقاس أمر عيسى عليه السلام على ما هو أعجب منه، وهو أمر آدم عليه السلام، حيث وجد آدم بلا أب ولا أم، وإنما خلقه الله من ترب، ثم قال له كن فكان على مراد الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، فحاجة النصارى إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة في بيان قضية السيد المسيح وتقريبها إلى العقل ليصدق أنه ولد بلا أب على خلاف ما عرفه البشر، وتربته وأمه من اتهام اليهود لها بالزنا -ماسةً وشديدة، وبدون القرآن الكريم والسنة المطهرة لا يبقى لهم سند من عقل أو نقل يدفع عن المسيح وأمه ما قاله اليهود.

غير أن النصارى -مع ذلك كله- كان لهم موقف من الإسلام ونبئه، يتعجب منه العقلاء، فكذبوا النبي محمدًا ﷺ ووقفوا منه ومن دعوته بالمرصاد على مر العصور إلى زمننا هذا، وسيظل عداؤهم للإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لأنه صراع بين الحق -وهو الإسلام- والباطل -وهو ما عدا الإسلام.

وفي هذا الحديث رد على النصارى، حيث زعموا أن عيسى ابن الله وكذبوا -تعالى الله عن قولهم الباطل علواً كبيراً- فقال الرسول ﷺ مؤكداً ما قاله القرآن الكريم إنه عبد الله ورسوله وليس ابنه.

وفي الحديث رد على اليهود وتعريض بهم، حيث كذبوا نبي الله عيسى عليه السلام، ولم يؤمنوا به، واتهموا أمه بالزنا، فقال الرسول ﷺ مؤكداً ما قاله القرآن الكريم أن عيسى عبد الله ورسوله.

فقه الحديث:

اشتمل هذا الحديث على عدة مسائل نبينها فيما يلي:

أ- الجمع بين الأحاديث.

ب- قضية السيد المسيح.

ج- الإيمان بالجنة والنار.

أولاً: الجمع بين الأحاديث:

هذا الحديث علّق دخول الجنة على النطق بكلمتي التوحيد، مع الاعتقاد الصحيح في عيسى بن مريم وأمه، والإيمان بالجزاء بعد الموت، إلا أنه زاد في الرواية الثانية: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» فما المراد بهذه الزيادة؟

سبق أن ذكرنا في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه حديث رقم (١٦) الجمع بين الروايات التي علّقت دخول الجنة على مجرد المعرفة، والروايات التي علّقت دخول الجنة على مجرد النطق بكلمتي التوحيد، والأحاديث التي علّقت دخول الجنة على النطق بكلمتي التوحيد مع تصديق القلب، والنصوص التي توعدّ فيها عصاة الموحدين بالعذاب الأليم في نار جهنم، وذكرنا أقوال أهل العلم في ذلك.

وقلنا: لا بد عند استنباط الأحكام الشرعية من النظر إلى الدليل في بابه، فلا تؤخذ آية قرآنية أو حديث، ثم نستنبط منه الحكم دون نظر إلى بقية النصوص في بابها، بل لا بد من جمع الأدلة المتعلقة بالموضوع من القرآن والسنة، حتى نخرج بنتيجة صحيحة.

كما قلنا: إنه لا بد من تخريج الحديث وجمع طرقه وألفاظ متونه إذا كانت الطرق صالحة للاحتجاج بها، وتشرح ألفاظ المتن على ألفاظ متن واحد أو حديث

واحد؛ لأن الراوي قد يقتصر على رواية جزء من الحديث، أو ينسى جزءاً من الحديث يكون له تعلق بما رواه، وهذه هي الطريقة الصحيحة لاستنباط الأحكام، حتى لا تتعارض النصوص، بل تتعاضد ويفسر بعضها بعضاً.

كما قلنا: من لقي الله تعالى على التوحيد الخالص فمصيره إلى الجنة، فإن كان من أهل الإيمان الكامل دخل الجنة من أول الأمر بدون سابقة عذاب؛ وإن لم يكن من أهل الإيمان الكامل فأمره إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول الأمر، أو عوقب بما يتناسب مع تقصيره ثم يكون مصيره الأخير إلى الجنة إن شاء الله تعالى، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، وإنما التخليد للكافرين.

ثانياً: قضية السيد المسيح:

خص الحديث عيسى عليه السلام بالذكر من بين سائر المرسلين، لما ذكرنا في المعنى العام.

قوله: (وابن أمته) هذه إضافة تشريف لأم عيسى: مريم كما يقال بيت الله. قوله: (وكلمته) سمي عيسى عليه السلام (كلمة الله)؛ لأنه خلق بكلمة الله تعالى، فالله تعالى أوجده بقوله: كن، فخلقه من غير أب، بخلاف غيره من بني آدم، فلما خلق بكلمة سمي بها كما يقال للمطر رحمة.

وقيل: المراد بـ (الكلمة) هي الكلمة التي بشر الملك بها مريم -عليها السلام- قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ.....﴾ [النساء: ١٧١].

ومعنى (ألقاها إلى مريم): أعلمها، وقيل: سمي بالكلمة لأنه؛ قال في صغره: "إني عبد الله".

وفي قوله: (وكلمته ألقاها إلى مريم) إشارة إلى أن عيسى عليه السلام حجة الله على

عباده، خلقه الله من غير أب، على خلاف عادة البشر، وأنطقه في صغره بعد ولادته في غير أوانه، وأبرأ الله على يديه الأكمه والأبرص، وأحيا الموتى بإذن الله. قوله: (وروح منه) سمي عيسى عليه السلام بـ (روح الله تعالى)؛ لأنه ولد بغير أب، بل نفخت فيه الروح كما نفخ الله تعالى الروح في آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١-٧٢]، وقيل: رحمة مخلوقة من عند الله تعالى، وعلى هذا تكون إضافة الروح إلى الله تعالى إضافة تشريف كـ (ناقة الله، وبيت الله) وإلا فالعالم كله له سبحانه ومن عنده.

أو سمي: (روح الله)؛ لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في درع مريم بإذن الله تعالى، فنسبه الله إلى جبريل عليه السلام، فهو الملقب بروح الله كما جاء ذلك في صريح القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقال: ﴿نَزَلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]، فالمراد بالروح هو جبريل عليه السلام، وقيل: المراد بكونه (روحاً) أنه حياة، وقيل: رحمة، وقيل: برهان لمن اتبعه.

ملحوظة هامة:

يجب ألا يفهم من قوله (وروح منه) أن عيسى عليه السلام جزء من الله تعالى، وإنما المراد أن عيسى من خلق الله تعالى وإيجاده، خلقه الله تعالى كأبي مخلوق من المخلوقات، غير أنه ولد من غير أب، وإذا كان أمر عيسى عليه السلام عجيب، فإن أمر آدم عليه السلام أعجب، حيث وجد من غير أب وأم.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الحاثية: ١٣]، فكل المخلوقات مخلوقة لله تعالى، صادرة عنه تعالى، ولو كان المراد أن عيسى عليه السلام جزء من الله -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- لكان ما في السماوات وما في الأرض جزءاً من الله -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثالثاً: الإيمان بالجنة والنار:

قوله: (وأن الجنة حق وأن النار حق) وإنما ذكر النبي ﷺ الإيمان بالجنة والنار - وإن كان هذا داخلاً في الإيمان بما جاء به النبي محمد ﷺ؛ فالمؤمن بالنبي محمد يوقن بالجنة والنار - لأن النبي ﷺ أراد أن يبطل عقائد الدهريين الذين لا يؤمنون بالبعث بعد الموت، ومن يقول بنفي الميعاد البدني.

وعطف الحديث جملة: (وأن عيسى عبد الله.... وأن النار حق) على ما قبله، من باب عطف الخاص على العام؛ اعتناءً بشأنه لما عرض في هذه المسألة من الجهالات، ولأن استحضار الجزئيات ضمن كلياتها، واللوازم الخفية عند حضور ملزوماتها، مما يحتاج إلى زيادة تنبيه ودقة نظر، وإلا فذكر كلمتي الشهادة مع تحقق معناهما على ما يجب يتضمن الإيمان بكل ما ذكر في هذا الحديث.

قوله: (أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء) دخول الجنة هنا أعم من أن يكون دخولاً ابتدائياً، فإن كان قائل هذا الكلام من أهل الإيمان الكامل دخل الجنة من أول الأمر بدون سابقة عذاب؛ وإن لم يكن من أهل الإيمان الكامل فأمره إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول الأمر، أو عاقبه بما يتناسب مع حاله، ثم يكون مصيره إلى الجنة بعد المجازاة، ويحتمل أن يكون فاعل "شاء" هو: الله تعالى لا العبد، والمعنى: أن الله يوفقه لعمل يدخله برحمة الله من الباب المعدّ لعامل ذلك العمل.

قد يقول قائل: ما فائدة ذكر الإيمان الصحيح بعيسى والجنة والنار إذا كان صاحب هذا الإيمان في المشيئة وليس له فضل على غيره؟

إن الإيمان بعيسى بن مريم والجنة والنار داخل ضمن الإيمان بما جاء به النبي محمد ﷺ، فهذا من باب عطف الخاص على العام اعتناءً به وتنبيهاً عليه - كما سبق - فمن لم يؤمن بذلك يكون كافراً ومصيره إلى الخلود الأبدي في نار جهنم وليس في المشيئة.

وإنما قلنا: إن المصدق بما ذكر في الحديث في المشيئة؛ لأنه لم ينضم إلى هذا التصديق عمل، ولقد توعد القرآن الكريم والسنة المطهرة عصاة الموحدين بالعذاب الأليم إن لم يغفر لهم ربهم الرحمن الرحيم - كما سبق شرحه في حديث أبي هريرة.

قوله: (أدخله الله الجنة على ما كان من عمل) في هذا القول إشارة إلى أن من كان هذا اعتقاده، فإنه يرى من الكفر المحبط للأعمال، وكل ما دون الكفر من المعاصي لا يحبط العمل، ثم هو بعد ذلك إن كان من أهل الإيمان الكامل دخل الجنة من أول الأمر دون سابقة عذاب وإن لم يكن من أهل الإيمان الكامل فهو في المشيئة، إن شاء عفا الله عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عاقبه ثم بعد قضاء العقوبة يكون مصيره إلى الجنة - إن شاء الله - فلا يخلد في النار إلا الكافر.

قال الإمام النووي: هذا حديث عظيم الموقع وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها، فاختصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يبين به جميعهم^(١).

خلاصة الوحدة السابعة عشرة

- ١- عظم الشهادتين، وأن قبول الأعمال والإثابة عليها متوقف على الشهادتين.
- ٢- دخول الجنة متوقف على الإيمان بالنبي محمد ﷺ، وبكل ما علم بحقيقته به من الدين بالضرورة.
- ٣- وجوب الإيمان بكل ما علم من الدين بالضرورة، وأنه من لوازم النطق بالشهادتين.
- ٤- من كان من أهل التوحيد، فمصيره النهائي إلى الجنة وإن ارتكب من المعاصي ما ارتكب فهو في مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة وإن شاء عذبه بما يتناسب مع جُرمه ثم يكون مصيره بعد العقوبة إلى الجنة.
- ٥- من دان بغير الإسلام من الديانات المنسوخة المحرفة، أو المذاهب الباطلة، فمصيره إلى الخلود الأبدي في جهنم وإن عمل من الطاعات ما عمل.
- ٦- الإسلام هو دين الله الحق، فإنه أنصف الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- وأعطى كل ذي حق حقه.
- ٧- كشف الإسلام الغموض الذي أحاط بنبي الله عيسى عليه السلام وأنزله المنزلة اللائقة به، فهو عبد الله ورسوله: ودافع عن أمه وبرأها مما اتهمها به اليهود.
- ٨- الرد على النصراني والتعريض بهم، حيث زعموا أن عيسى ابن الله أو جزء منه، قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

٩- الرد على اليهود والتعريض بهم، حيث كذبوا نبي الله عيسى عليه السلام وزعموا أنه جاء من سفاح، واتهموا أمه بالزنا: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥].

١٠- الرد على الدهريين الذين أنكروا البعث والجزاء بعد الموت، وقالوا: ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، وقد ذكر الله مذهبهم الباطل متوعداً إياهم بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَافاً أَنَّا مُخْرِجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون:٣٥-٣٧].

١١- الرد على من أنكر الميعاد البدني وبيان بطلان مذهبهم.

١٢- القرآن الكريم والسنة المطهرة يخرجان من مشكاة واحدة، فليس بينهما تعارض بل بينهما تعاضد؛ فالسنة المطهرة تؤكد ما جاء في القرآن الكريم بشأن عيسى وأمه -عليهما السلام- وهذا التأكيد مرده إلى أن القرآن والسنة مصدرهما واحد، وهو الله تعالى.

اختبار الوحدة السابعة عشرة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- خرَّج لعبادة بن الصامت رضي الله عنه البخاري ومسلم فقط.
- ٢- خرَّج لعبادة بن الصامت الأئمة الستة.
- ٣- علق هذا الحديث دخول الجنة على النطق بكلمتي التوحيد مع الاعتقاد الصحيح في عيسى ابن مريم وأمه فقط.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- خرَّج لعبادة بن الصامت رضي الله عنه:

أ- البخاري ومسلم فقط. ب- الأئمة الستة.

٢- علق هذا الحديث دخول الجنة على:

- أ- النطق بكلمتي التوحيد فقط.
 ب- الإيمان بعيسى ابن مريم وأمه فقط.
 ج- الإيمان بالجزاء بعد الموت.

د- جميع ما سبق.

٣- توفي عبادة بن الصامت رضي الله عنه سنة:

- أ- ٣٤هـ. ب- ٤٥هـ. ج- قولان.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- ترجم لعبادة بن الصامت راوي الحديث رضي الله عنه.

- ٢- أوجب الإسلام على أتباعه أن يؤمنوا برسل الله جميعاً وألا يفرقوا بينهم في أصل الإيمان بهم. أيد هذا المعنى بما تحفظ من قرآن وسنة.
- ٣- جعل الإسلام الكفر برسول واحد من الرسل أو انتقاصه مخرجاً من الملة -أيذ هذا المعنى بالأدلة القرآنية والحديثية.
- ٤- لماذا خصّ النبي ﷺ عيسى -عليه السلام- بالذكر من بين سائر المرسلين في هذا الحديث؟
- ٥- علق هذا الحديث دخول الجنة على النطق بالشهادتين مع الاعتقاد الصحيح في عيسى ابن مريم وأمه والإيمان بالجزاء بعد الموت، إلا أنه زاد في الرواية الثانية: "على ما كان من العمل" فما المراد بهذه الزيادة؟
- ٦- ما الذي يفهم من قوله: "وروح منه"؟ وكيف تدفع المعنى المغلوط أن المقصود بما أنه جزء من الله؟
- ٧- ما الذي يمكن أن يستخلص من قوله ﷺ: "أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"؟
- ٨- من بين القضايا التي تضمنها هذا الحديث: الرد على الدهريين، الذين أنكروا البعث والجزاء بعد الموت، بين موضع الرد مع الشرح.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصح قادرًا على أن:

١- تدلل على أن الحياء لا يأتي إلا بخير.

٢- تدلل على أن الحياء يبعث على اجتناب القبيح.

٣- تعدد بعض شعب الإيمان.

٤- تجمع بين الروايات في هذا الحديث.

٥- تبين: هل تدرم معرفة أعيان شعب الإيمان على التفصيل أم يكفي معرفتها على سبيل الإجمال؟

٦- تذكر نوعي الحياء.

٧- تبين أن من الحياء ما هو واجب ومنه ما هو مندوب ومنه ما هو مباح ومنه ما هو حرام.

٨- تدلل على أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

٩- تستنتج جواز إطلاق مسمى "الإيمان" على الأعمال.

١٠- تبرهن على أن الحياء يعمل عمل الإيمان في وقاية المجتمع من الشرور.

١١- تذكر بعض المصنّفات في شعب الإيمان.

الوحدة الثامنة عشرة

الحياء وأثره في المجتمع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١).

المباحث اللغوية:

قوله: (الإيمان) سبق تعريف الإيمان لغة وشرعاً.

قوله: (بضع وسبعون) البضع والبضعة - بكسر الباء فيهما - القطعة من الشيء. والبضع في العدد ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: من ثلاثة إلى تسعة، وقيل غير ذلك.

ويجري عليه حكم العدد، فيذكر مع المعدود المؤنث، ويؤنث مع المعدود المذكر؛ ولذلك قال في هذا الحديث: «بِضْعٌ» بالتذكير؛ لأن المعدود مؤنث، ويبنى مع العشرة كما يُبنى سائر الآحاد، فيقال: "بضعة عشر رجلاً، وبضع عشرة امرأة"، ويعطف عليه العشرون والثلاثون إلى التسعين، فيقال: "بضع وعشرون"، ولا يقال: "بضع ومائة ولا بضع وألف".

قوله: (شعبة) الشعبة - بضم الشين - الفرقة والطائفة من الشيء، والمراد بما في الحديث الخصلة، فمعنى الحديث: بضع وسبعون خصلة.

قوله: (إماطة الأذى) تنحيته وإبعاده، (الأذى) كل ما يؤدي كالشوك والنجاسة والحجارة، إلى غير ذلك.

قوله: (الحياء) الحياء لغة تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها.

وشرعاً: خُلِقَ يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

المعنى العام للحديث:

حرص الإسلام على سلامة المجتمع وطهارته من الشرور والآثام؛ ليظل المجتمع طاهراً نظيفاً عفيفاً لا ترى فيه المعاصي والمنكرات؛ بل ولا تشم لها رائحة. ومن أجل تحقيق هذه الغاية العظيمة، عمل الإسلام على تنمية كل وسيلة تؤدي إلى هذه الغاية، حتى ولو كانت فطرية، وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته واحد من هذه الأحاديث التي بين النبي ﷺ فيها منزلة الحياء، وجعله النبي ﷺ شعبة من شعب الإيمان، ومع أنه أمر فطري إلا أنه يعمل عمل الإيمان، فكما أن الإيمان يمنع المؤمن من فعل الفاحشة، فإن الحياء يمنع المستحي من فعل الفاحشة وإن لم يكن مؤمناً بالفعل؛ لذلك قال رسول الله ﷺ: «إِنْ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَأَصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(١).

والمعنى من لم يستح صنع ما شاء على جهة الذم لترك الحياء، وقال ﷺ لمن رآه يعظ أخاه في الحياء: «دَعَهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢)، وقال ﷺ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(٣)، وقال أيضاً: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»^(٤).

وإنما كان الحياء عاملاً لعمل الإيمان، لأن الذي يحول دون وقوع الفاحشة أو المعصية أمورٌ على رأسها الخوف من الله تعالى الناتج عن مراقبة الله تعالى واستحضار

(١) أخرجه البخاري "جزء حديث"، كتاب الأنبياء، باب رقم ٥٤، ٢١٥/٤ عن أبي مسعود، قال الحافظ ابن حجر: "معنى قوله: «فَأَصْنَعْ مَا شِئْتَ» هو أمر بمعنى الخير، أي: من لم يستح صنع ما شاء على جهة الذم لترك الحياء، أو هو للتهديد، أي: اصنع ما شئت، فإن الله يجزيك، أو المراد الحث على الحياء والتبويه بفضله، فتح الباري (٥٢٣/٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، (١٢/١)، عن ابن عمر.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، (٦٣/١)، عن عمران بن حصين.

(٤) أخرجه مسلم، نفس الكتاب والباب السابق، عن عمران بن حصين.

عظمته تعالى في السر والعلن، فالمؤمن يعلم أنه لا يغيب عن سمع الله تعالى وبصره أبداً بحال من الأحوال، فالله تعالى يراه في كل أحواله ويسمع أقواله وسيحاسبه على كل ما يعمل وما يقول وأنه لا يستطيع التحايل على الله تعالى بحال من الأحوال.

هذا الإيمان هو الذي يمنع المؤمن من فعل المعصية في السر والعلن، وهو الذي يجعل المسلم منضبطاً في كل أحواله وتصرفاته.

فإذا ما انعدم الخوف من الله تبارك وتعالى أو قلّ في القلب، كان الحائل الذي يلي الإيمان ويحول بين الإنسان وفعل الفاحشة أو المعصية هو الحياء من الناس؛ لذلك عدّ النبي ﷺ الحياء من شعب الإيمان وجعله عاملاً لعمل الإيمان وأثنى عليه.

فقه الحديث:

اشتمل هذا الحديث على ما يأتي:

أ- شعب الإيمان. ب- الحياء.

شعب الإيمان:

اختلفت الأحاديث في عدّ شعب الإيمان، ففي صحيح البخاري: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١).

وفي رواية الإمام مسلم: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢) على الجزم بدون شك.

وفي حديث الباب الذي أخرجه مسلم: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً...» على الشك.

وقد حاول العلماء التوفيق بين هذه الروايات:

١- ذهب بعض العلماء -ومنهم القاضي عياض وابن الصلاح- إلى ترجيح رواية: «بِضْعٌ وَسِتُّونَ» على رواية: «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ»؛ لأنهم نظروا إلى الروایتين

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، (٩/١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، (٦٣/١).

على أنهما متعارضتان، وعند التعارض يقدم ما في صحيح الإمام البخاري على ما في صحيح الإمام مسلم؛ ولأن الأخذ بالأقل هو الأحوط.

ولكن لا نلجأ إلى الترجيح إلا إذا لم يمكن الجمع بين الروايتين المتعارضتين، والجمع هنا ممكن كما ذهب إلى ذلك ابن حبان.

لعل النبي ﷺ أخر بحسب الواقع ومن المعلوم أن الواجبات والسنن لم تفرض دفعة واحدة، بل فرضت بالتدرج، فلما قال الرسول ﷺ الإيمان بضع وستون شعبة كان الذي فرض وسنّ فعلاً - بضعاً وستين، ولما قال الإيمان "بضع وسبعون" كان الذي فرض وسنّ فعلاً بضعاً وسبعين شعبة. وهو الذي استقر الأمر عليه.

٢- ذهب أبو عبد الله الحليمي إلى ترجيح رواية: «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ» على الجزم، لأن الحكم لمن حفظ الزيادة جازماً بها من غير تردد.

٣- ذهب ابن حبان إلى الجمع بين الروايتين، فقال إنه تَتَبَعَ شعب الإيمان في الكتاب والسنة فوجدها تسعاً وسبعين شعبة، فعلم أن مراد النبي ﷺ أن هذا العدد في الكتاب والسنة، ثم قال: "إن رواية من روى «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً» أيضاً صحيحة، فإن العرب تذكر الشيء عدداً ولا تريد نفي ما سواه.

والشك الواقع في رواية: «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً» إنما هو من سهيل بن أبي صالح أحد رواة الإسناد.

هل يلزم معرفة أعيان شعب الإيمان على التفصيل، أم يكفي معرفتها على سبيل الإجمال؟

أصل الإيمان في اللغة التصديق، وفي الشرع تصديق القلب واللسان، وظواهر الشرع تطلقه على الأعمال كما وقع هنا؛ أفضلها لا إله إلا الله، وآخرها إمطة الأذى عن الطريق؛ فكمال الإيمان بالأعمال وتماؤه بالطاعات، وإن التزام الطاعات وضم هذه الشعب من جملة التصديق ودلائل عليه، وأما خلق أهل التصديق،

فليست خارجة عن اسم الإيمان الشرعي ولا اللغوي؛ وقد تبّه النبي ﷺ أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته، وأدناها ما يتوقع ضرره بالمسلمين من إمالة الأذى عن طريقهم، وبقي بين هذين الطرفين أعداد لو تكلف المجتهد تحصيلها بغلبة الظن وشدة التبع لأمكنه، وقد فعل ذلك بعض من تقدم، وفي الحكم بأن ذلك مراد النبي ﷺ صعوبة.

ثم إنه لا يلزم معرفة أعيانها، ولا يقدر جهل ذلك في الإيمان؛ إذ أصول الإيمان وفروعه معلومة محققة، والإيمان بأن هذا العدد واجب في الجملة.

قال العيني: "فإن قيل: إذا كان الإيمان بضْعاً وسبعين شعبة، فهل يمكنكم أن تسموها بأسمائها؟ وإن عجزتم عن تفصيلها فهل يصح إيمانكم بما هو مجهول؟".

قلنا: "إيماننا بما كلفناه صحيح، والعلم به حاصل، وذلك من وجهين: الأول: أنه قد نص على أعلى الإيمان وأدناه باسم أعلى الطاعات وأدناها، فدخل فيه جميع ما يقع بينهما من جنس الطاعات كلها، وجنس الطاعات معلوم. والثاني: أنه لم يوجب علينا معرفة هذه الشعب بخواص أسمائها حتى يلزمنا تسميتها في عقد الإيمان، وكلفنا التصديق بجمليتها كما كلفنا الإيمان بملائكته وإن كنا لا نعلم أسماء أكثرهم ولا أعيانهم.

قال الخطابي: "هذه (أي الشعب) منحصرة في علم الله تعالى وعلم رسوله ﷺ موجودة في الشريعة، غير أن الشرع لم يوقفنا عليها، وذلك لا يضرنا في علمنا بتفاصيل ما كلفنا به فما أمرنا بالعمل به عملنا وما نهانا عنه انتهينا وإن لم نخط بحصر أعداده.

أنواع الحياء:

الحياء نوعان:

١- الحياء من الله تعالى: والدافع إلى هذا النوع من الحياء أمران:

أ- مراقبة العبد لربه في السر والعلن، ومعرفة العبد أن الله تعالى يراه ومطلع

عليه في كل أحواله وأوقاته، وأنه لا يغيب عن سمع الله وبصره بحال من الأحوال، وأنه لا يستطيع التحايل على الله تعالى.

وهذا هو مقام الإحسان أو المراقبة لله رب العالمين، وهو المراد بقوله ﷺ: «الإِحْسَانُ أَنْ تُعْبَدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١).

والمراد أن المسلم يُحْسِنُ عمله؛ لأن الله تعالى يراه، لا لأنه يرى الله تعالى. فالمسلم يستحي من ربه ووليه أن يراه مخالفاً لأمره متتهكاً لحرماته، ثم هو في نفس الوقت يستحضر وقوفه بين يدي الله تعالى يوم الحساب، وأنه سوف يرى أعماله معروضة عليه فيستحي أن يرى بين الخلائق مقصراً في حق مولاه.

ب- معرفة العبد أن النعم التي يعيش فيها -وهي لا تحصى ولا تعد كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، نعم في الأنفس، ونعم في تسخير الله تعالى للإنسان كل ما في الكون.

هذه النعم إنما هي من الله تعالى بدءاً ونهاية، وليس للعبد فيها مدخل، وأن العبد عاجز تمام العجز عن شكر نعمة واحدة من هذه النعم فكيف بالنعم مجتمعة، فيدفعه إحسان مولاه إليه إلى الحياء منه تعالى، فيستحي العبد من ربه أن يراه مقصراً في حقه تعالى مخالفاً لأمره مقابلاً نعمه وإحسانه بالجحود والعصيان، وهذا أمر مغروس في الفطر.

قال الحافظ ابن حجر: "قال بعض السلف: خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه على قدر قربك منك"^(٢).

٢- الحياء من الناس: وهذا النوع وإن كان خيراً؛ لأنه يمنع صاحبه من فعل المعاصي والمحرمات، كما قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَأْنُهُ

(١) أخرجه البخاري "جزء حديث"، (١٩/١) عن أبي هريرة.

وأخرجه مسلم، واللفظ له، "جزء حديث"، (٣٦/١) عن عمر.

(٢) فتح الباري، (٧٥/١).

وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ»^(١). -إلا أنه ليس كالحياء من الله تعالى؛ لأن الحياء من الله تعالى يمنع العبد من فعل المعاصي والمحرمات في السر والعلن على حد سواء؛ لأن المسلم كما ذكرنا يراقب الله تعالى، ويعلم أنه لا يغيب عن سمع الله وبصره، وأنه لا يستطيع التحايل على الله تعالى بحال من الأحوال.

ولولا أن الله تعالى جعل الحياء من خلقه خلقاً كريماً لما كان أحد غير الله يستوجب أن يستحي منه؛ إذ لا مالك لنفع ولا ضرر غيره تعالى، ولكن الله تعالى أحب أن يستحي خلقه بعضهم من بعض فيستروا عيوبهم فلا يفتضح بعضهم عند بعض. أما المستحي من الناس، فإن حيائه يمنعه من ارتكاب المعاصي أمام الناس، فإذا ما خلا بنفسه فعل ما شاء، وإذا استطاع التحايل على الناس لم يمنعه مانع؛ لأن رقابة البشر للبشر رقابة قاصرة وعاجزة.

كما أن المستحي من الناس سيمتنع من فعل ما تعارف الناس على قبحه فقط، وقد يستحسن الناس أمراً قبيحاً، كما استحسن الناس في زماننا السفور والتبرج وأصبح لا يعدّ منكراً محرماً، وكما استحسن الغرب الزنا فجلب عليهم شراً عظيماً وظهرت فيهم الأمراض التي لا يعرف لها علاج نتيجة لإباحتهم الزنا واللواط. أما المستحي من الله تبارك وتعالى، فإنه سيكون منضبطاً وفق منهج قوم لا ينشأ عنه إلا كل خير في الدنيا والآخرة.

ثم إن الحياء وإن كان كله خيراً -سواء كان من الله أو من الناس- إلا أنه قد يكون واجباً، وقد يكون مندوباً، وقد يكون مباحاً، وقد يكون حراماً -كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

هل الحياء يحمد على إطلاقه؟

(١) أخرجه الترمذي "واللفظ له"، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش، قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق"، (٣٤٩/٤) عن أنس. وأخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحياء، (١٤٠٠/٢). وأخرجه أحمد، (١٦٥/٣).

الحياء كله خير، ولا يأتي إلا بالخير، سواء كان من الله تعالى أو من الناس، كما جاء في الحديث: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعْظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)، إلا أنه قد يكون واجباً إذا كان الحياء من فعل حرام، وقد يكون مندوباً، وقد يكون مباحاً، وقد يكون حراماً إذا ترتب على الحياء ضياع الحقوق والواجبات، كالامتناع عن الشهادة بالحق، وقد يكون مكروهاً.

والحياء الذي يمنع صاحبه من قول الحق أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليس بحياء شرعيٍّ على الحقيقة، بل هو عجز وخَوَرٌ ومهانة وضعف، وإنما سُمِّيَ هذا النوع بالحياء لمشابهته الحياء الحقيقي الشرعي.

وحقيقة احياء - كما ذكرنا - خُلِقَ يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

كيف جعل النبي ﷺ الحياء (وهو غريزي) من الإيمان (وهو مكتسب)؟
لأن الحياء يمنع صاحبه من فعل المعاصي كما يمنع الإيمان المؤمن من فعل المعاصي، فسمي الشيء باسم ما قام مقامه.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، (١٢/١) عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما. قال الحافظ ابن حجر: " والمراد بوعظه أنه يذكر له ما يترتب على ملازمته من المفسدة، و(في) سببه فكان الرجل كان كثير الحياء فكان ذلك يمنعه من استيفاء حقوقه، فعاتبه أخوه على ذلك فقال له النبي ﷺ: «دَعُهُ» (أي: اتركه على هذا الخلق السني) ثم زاده في ذلك ترغيباً لحكمه بأنه «مِنَ الْإِيمَانِ»، هذا عن الحياء الذي يبعث على ترك الأعمال القبيحة وَيَحْمِلُ على فعل الواجبات الشرعية". قال الحافظ ابن حجر: "إن كان الحياء في محرم فهو واجب، وإن كان في مكروه فهو مندوب، وإن كان في مباح فهو العري، وهو المراد بقوله ﷺ في هذا الحديث، ويجمع كل ذلك أن الحياء المباح ما يقع على وفق الشرع إثباتاً ونفيًا، فتح الباري، (٥٢/١)، (٧٥، ٧٤)، (١٠/٥٢١، ٥٢٣).

خلاصة الوحدة الثامنة عشرة

- ١- حرص الإسلام على سلامة المجتمع وطهارته من الشرور والآثام.
- ٢- الإيمان مكوّن من شعب وأجزاء، وهذه الشعب ليست في درجة واحدة، بل هي في درجات متفاوتة، فمنها ما هو واجب لا يصح إسلام العبد إلا به كالشهادتين، ومنها ما هو مندوب وذلك كإمالة الأذى عن الطريق.
- ٣- الإيمان يزيد وينقص؛ لأنه كلما زاد جزء الإيمان العملي بفعل الطاعات زاد الإيمان، وكلما نقص جزء الإيمان العملي بترك الطاعات أو بفعل المحرمات نقص الإيمان.
- ٤- فضيلة الحياء وأنه يعمل عمل الإيمان، حيث يقي المجتمع من الشرور والآثام ما لم يؤدّ الحياء إلى ترك واجب كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطه المعروفة في باب.

٥- إطلاق الإيمان على الأعمال.

المصنفات في شعب الإيمان:

- صنف جماعة من الأئمة كتباً في تعيين شعب الإيمان، منهم:
- ١- الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان البستي - المتوفى سنة ٣٥٤هـ، صنف كتاباً سماه (وصف الإيمان وشعبه).
 - ٢- الإمام الجليل أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد الحلبي الشافعي - المتوفى سنة ٤٠٣هـ، صنف كتاباً سماه (فوائد المنهاج).
 - ٣- الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي - المتوفى سنة ٤٥٨هـ، صنف كتاباً سماه (شعب الإيمان) ... وغير هؤلاء.

اختبار الوحدة الثامنة عشرة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- البضع في العدد ما بين الثلاثة إلى العشرة.
- ٢- الشعبة بضم الشين هي: الفرقة والطائفة من الشيء.
- ٣- الحياء لغة: خلق يبعث على اجتناب القبيح.
- ٤- الحياء شرعاً: تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

- ١- البضع في العدد ما بين:
 - أ- ثلاثة إلى تسعة.
 - ب- ثلاثة إلى عشرة.
 - ج- كلاهما صحيح.
- ٢- الشعبة: الفرقة والطائفة من الشيء، وهي:
 - أ- بضم الشين، بفتح الشين.
 - ب- بكسر الشين.
- ٣- الحياء لغة:
 - أ- خلق يبعث على اجتناب القبيح.
 - ب- تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به.
 - ج- كلاهما صحيح.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

- ١- اختلفت الأحاديث في عدد شعب الإيمان. اذكر عددها في رواية البخاري

وعدها في رواية مسلم.

٢- كيف وفق العلماء بين الروايات التي عدَّتْ شعب الإيمان ستين والتي عدَّتْها سبعين؟

٣- هل يلزم معرفة أعيان شعب الإيمان على التفصيل، أم يكفي معرفتها على سبيل الإجمال؟ فصلُّ القول - كما درست.

٤- للحياء نوعان اذكرهما بأدلتهم؟

٥- هل يحمد الحياء على إطلاقه؟

٦- كيف جعل النبي ﷺ الحياء - وهو غريزي - من الإيمان - وهو مكتسب؟

٧- هل شعب الإيمان جميعها في درجة واحدة أم تتفاوت؟ مثلٌ لما تقول.

٨- للحياء فضيلة؛ حيث يعمل عمل الإيمان فيقي المجتمع من الشرور والآثام، ما لم يؤد إلى ترك واجب. فصل القول في هذا في ضوء دراستك للحديث.

٩- اذكر ثلاثة من الكتب التي صُنِّفت في شعب الإيمان مع ذكر أسماء مؤلفيها.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تترجم لأنس بن مالك رضي الله عنه راوي الحديث.
- ٢- تعدد خصال الإيمان المذكورة في الحديث.
- ٣- تذكر بعض ثمار الإيمان الصادق.
- ٤- تدلل على وجوب موالة المؤمنين ومعاداة الكافرين.
- ٥- تذكر بعض دوافع محبة الله سبحانه، ومحبة رسوله ﷺ.
- ٦- تدلل على اجتماع الكمالات البشرية في شخص الرسول.
- ٧- تبين نوعي المحبة الواجبة والمندوبة لله ولرسوله.
- ٨- تستنتج من الحديث أن الإيمان والكفر نقيضان لا يجتمعان في قلب إنسان.
- ٩- تذكر بعض علامات محبة الله ومحبة رسوله ﷺ.
- ١٠- تبين هل المراد بحلاوة الإيمان الحلاوة الحسية أم المعنوية؟
- ١١- تذكر نوعي الحب: الفطري ولعقلي.
- ١٢- تبين فضل من أكرهه على الكفر فترك التقية إلى أن قتل.

الوحدة التاسعة عشرة

خصال الإيمان

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَلْقَاهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ" ^(١).

ترجمة أنس بن مالك رضي الله عنه:

أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي.

خادم رسول الله ﷺ، كان له عند قدوم النبي ﷺ المدينة عشرُ سنين فأثت به أمه أم سليم النبي ﷺ فقالت له: هذا أنس غلام يخدمك، فقبله النبي ﷺ وكنّاه بأبي حمزة لبقلة كان يجتنيها وكان لطعم هذه البقلة لذوعة، ولقبه بذئ الأذنين.

خدم النبي ﷺ عشر سنين، واتصل به اتصال الخادم بالمخدوم، ولازمه في الحضر والسفر منذ نعومة أظفاره، واطّلع على ما لم يطلع عليه كثير من الصحابة الذين لم يظفروا بشرف خدمته ﷺ وهذه الصلة القرية من الرسول ﷺ أتاحت لأنس أن يتعلم من أدب النبي ﷺ وخلقه.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي فَأَنْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيْسٌ فَلْيَخْذُمَكَ؛ قَالَ: فَخَدَّمْتُهُ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَوَاللَّهِ مَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا، وَلَا لَشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا ^(٢).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (١/١٠، ١١).

وأخرجه مسلم "واللفظ له"، كتاب الإيمان، باب خصال الإيمان، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢/١٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب استخدام اليتيم في السفر والحضر إذا كان صالحاً له ونظر الأم

أو زوجها لليتيم، (٤/١٣).

دعاء النبي ﷺ لأنس واستجابة الله تعالى له:

عَنْ أَنَسٍ عَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ أَنَّهَا قَالَتْ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ خَادِمُكَ أَنَسٌ اذْغُ اللَّهُ لَهُ فَقَالَ «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَتْهُ»^(١).

وفي رواية عند مسلم أن أنسًا قال: فَدَعَا لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ قَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَرْجُو الثَّالِثَةَ فِي الْآخِرَةِ^(٢).

كان أنس كئوساً لأسرار النبي ﷺ حتى وهو صغير، وهذا من آثار القدوة العملية وشفقة المربي على من يربيهم فقد أحبوه ﷺ حباً شديداً حملهم هذا الحب على الاقتداء به ﷺ في كل كبيرة وصغيرة والتعلم من أدبه وخلقه والمحافظة عليه ﷺ واقتدائه بالنفس والولد والمال والمحافظة على أسرارهم فربى منهم رجالاً وإن لم يبلغوا مبلغ الرجال.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: أتى علي رسول الله ﷺ وأنا أَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ قَالَ: فَسَلِّمْ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا حُتُّ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ؛ قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ؛ قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا؛ قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ذَابِتُ^(٣).

فانظر كيف كان أنس ينظر إلى نفسه وهو حدث صغير نظرته إلى نفسه بعد أن صار شيخاً كبيراً، وكيف احتفظ بسر رسول الله ﷺ إلى أن مات؛ إن ذلك ليرجع في المقام الأول إلى صحة المنهج الذي ربى عليه الصحابة وإلى صدق

(١) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، صحيح مسلم بشرح النووي، (٤٠/١٦).

(٢) المصدر السابق، والمراد من قوله: وأنا أرجو الثالثة في الآخرة -أي: دخول الجنة.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، صحيح مسلم بشرح النووي، (٤١/١٦).

المرتبى ﷺ وحرصه المنقطع النظير على من يرييهم إلى أن تمكن حبه من قلوبهم هذا التمكن الذي لا يوصف.

قال الإمام الذهبي: أنس بن مالك الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ، وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه؛ روى عن الرسول ﷺ علماً جماً وعن أبي بكر وعمر، وغيرهم.

روى عن أنس الحسن وابن سيرين وعمر بن عبد العزيز... وغيرهم كثير. خرج له الأئمة الستة، وهو من المكثرين من الرواية، روى ألفين ومائتين وستاً وثمانين حديثاً؛ وكان آخر الصحابة موتاً بالبصرة، توفي سنة اثنتين وقيل: ثلاث وتسعين، وقد جاوز المائة.

المباحث اللغوية:

قوله: (ثلاثٌ) مبتدأ وجاز الابتداء بالنكرة؛ لأن التنوين عوض عن المضاف إليه المحذوف، والتقدير: ثلاث خصال.

قوله: (من كُنَّ فيه)، أي: حصلن فيه -وكان هنا تامة.

قوله: (وجد) بمعنى أصاب.

قوله: (حلاوة الإيمان) استعارة تخيلية حيث شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلوا وأثبت له لازم ذلك الشيء وأضافه إليه.

قوله: (أحبُّ) منصوب لأنه خبر يكون.

قوله: (مما سواهما) قال الرسول ﷺ: (مما) ولم يقل: (ممن سواهما)؛ ليشمل ذلك العاقل من الأبناء والآباء والأهل والعشيرة، وغير العاقل من المال وغير ذلك.

قوله: (يعود في الكفر) وجاء في رواية: (يرجع في الكفر) عند الإمام مسلم أيضاً في نفس الكتاب والباب السابق.

فيحمل قوله: (يعود) على معنى الصيرورة ويكون هذا في حق من ولد

مسلمًا واستمر على الإسلام، ويكون معنى يعود (يصير).

وقد ورد العود بمعنى الصيرورة، وذلك في قوله: تعالى -حكاية لردّ نبي الله شبيب على الكافرين من قومه ﷺ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] أي نصير.

قوله: (وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه).

قال الراغب: الإنقاذ التخليص من ورطة^(١)، قال تعالى: ﴿وَكُتِّمَ عَلَى شَقَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال الحافظ ابن حجر: الإنقاذ أعم من أن يكون بالعصمة منه (أي: من الكفر) ابتداء بأن يولد على الإسلام ويستمر، وعلى هذا يحمل قوله: (يعود) على معنى (الصيرورة).

أو بالإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان كما وقع لكثير من الصحابة، وعلى هذا فالعود على ظاهره بمعنى الرجوع^(٢).

وفي رواية لمسلم في نفس الكتاب والباب عن أنس أنه قال: «... مِنْ أَنْ يَرْجِعَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا».

قوله: (كما يكره أن يقذف في النار)، أي: مثل كرهه القذف في النار.

المعنى العام للحديث:

حرص الإسلام كل الحرص على أن يتميز المؤمنون الصادقون في إيمانهم من المنافقين أصحاب الإيمان الكاذب الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، الذين يُظهرون الإيمان ويطنون الكفر بالله تعالى، بل وحذر المؤمنين من التشبه بالمنافقين والاتصاف بصفاتهم الذميمة، ولما كان الإيمان أمرًا قلبيًا لا يعرفه من العبد إلا الله

(١) مفردات ألفاظ القرآن، (ص ٨٢٠).

(٢) فتح الباري، (١/٧٩).

تعالى وقد يدعيه المنافق بل قد يتظاهر المنافق بما لا يستطيع صاحب الإيمان الصادق أن يتظاهر به فقد جعل الله تعالى للمؤمنين الصادقين في إيمانهم علامات يمتازون بها عن غيرهم، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في مواطن كثيرة فمن ذلك ما ورد في صدر سورة البقرة قال تعالى: ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١-٤].

وأيضاً ما ورد في صدر سورة المؤمنون قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِآمَانَائِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١]... وغير ذلك من الآيات التي جاءت في وصف المؤمنين وهي كثيرة.

وفي هذا الحديث الشريف يذكر النبي ﷺ ثمار الإيمان الصادق، فمن كان ولاؤه لربه ﷻ ولأوليائه المؤمنين ولدينه الذي ارتضاه الله له فقد ذاق طعم الإيمان واستشعر حلاوته.

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؓ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»^(١).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً... إلخ، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢/٢).

قوله: ﷺ «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا...» "الحديث"، وإنما توقف ذوق طعم الإيمان على الرضا بالله رباً... إلخ، وذلك لأن الإنسان إذا رضي أمراً واستحسنه سهل عليه أمره ولم يشق عليه شيء منه، فكذلك المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهلت عليه طاعات ربه ولذت له، ولم يشق عليه معاناتها.

وإنما ذكر الله ﷻ ورسوله ﷺ خصال المؤمنين الصادقين للآتي:

١ - ليتعهد كل مسلم نفسه ويعمل جاهدًا على تحقيق هذه الصفات في نفسه فهي صفات تُكتسب بمجاهدة النفس وتربيتها وفق منهج الله ﷻ.
قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

والمراد جاهدوا أنفسهم بتربيتها وفق منهج الله ﷻ فإن الآية مكية ولم يكن الجهاد بمعنى قتال الكافرين قد فرض بعد والله أعلم.

فإذا أراد المسلم أن يعلم أين هو؟ فليقس نفسه على صفات المؤمنين الصادقين في إيمانهم فإن وجد خللاً في نفسه أصلحه، وإن وجد أن هذه الصفات قد تحققت فيه فليرتق في سلم الطاعات مجاهدًا نفسه وحامدًا ربه أن وفقه لطاعته وأعانته عليها، ولولا توفيقه ما كان منه إلا كل شرّ ويسأل ربه مزيدًا من الهداية والثبات.

٢ - مودة المؤمنين أصحاب هذه الصفات فموالاتهم واجبة.
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

وقد ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف خصالاً إن تحققت في الإنسان وجد هذه الثمار الطيبة المباركة، وسعد بها العبد ونعم في الدنيا والآخرة - وهي:
أولاً: حب الله تعالى:

يجب على المسلم أن يحب الله تعالى حباً صادقاً يفوق حبه لكل شيء، حتى حبه لنفسه وولده ووالده وماله، حتى إنه ليضحّي بنفسه الغالية ليرضي ربه ﷻ إن كان في ذلك رضاء.

والذي يحمل العبد على أن يحب الله تعالى هذا الحب الذي يتضاءل أمامه

كل حب أمور، منها:

الدافع الأول لحب الله معرفة المؤمن لربه فمن عرف الله ﷻ بصفاته أورثته معرفته حب الله تعالى؛ لأن الإنسان خلق وفي فطرته حب الكمال؛ لذلك عرفنا الله ﷻ بذاته المقدسة وبصفاته العلا بقدر ما تطيق عقولنا رحمة بنا؛ لنحب صاحب الكمال المطلق في ذاته وصفاته، ولنعلم أنه يستحق أن يعبد، وأن يُتقرب إليه ﷻ، وأن يضحي من أجل مرضاته بالنفس والنفيس. قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ٨-١٠].

فمن قرأ هذه الآيات وغيرها في باها وأمعن النظر فيها وتدبرها وتحقق منها لا يملك إلا أن يحب هذا الإله الكبير المتعال الذي أحاط علمه بجميع المخلوقات على كثرتها وأحصاها عدداً وانكشفت له انكشافاً واحداً فلا يشغل بشيء عن شيء ولا يغيب عن علمه شيء فالسر والجهر والنور والظلمة والبر والبحر بالنسبة إلى علمه سواء.

قال تعالى -حكاية لما قاله إبراهيم لقومه في مجادلته وتعريفهم بالله-
تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠].

لقد وصف القرآن الكريم وكذلك السنة المطهرة الله ﷻ بصفات الجلال والكمال التي تشهد بعظمته وأنه هو الإله الكبير المتعال الذي ليس له ند ولا شريك وأنه هو الذي خلق هذا الكون من عرشه إلى فرشه وأحكم صنعه، وأنه هو الذي يتعهد جميع المخلوقات برعايته وتدبيره.

لذلك فهو الذي يجب أن يحب وأن يوالى وأن يطاع وأن نبذل النفس

والنفس من أجل مرضاته تعالى.

الدافع الثاني لحب الله تعالى: رؤية العبد لنعم الله ﷻ عليه، ورؤيته لعجزه وتقصيره عن شكر الله ﷻ على هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى، نعم في النفس ونعم في تسخير كل شيء في هذا الكون للإنسان.

إذا علم العبد أن هذه النعم التي لا تحصى ولا تعد من الله بدءاً ونهاية، وليس للعبد فيها مدخل، وأنه عاجز تمام العجز عن شكر نعمة واحدة من هذه النعم، فكيف بالنعم مجتمعة، فيدفعه إحسان الله ﷻ إليه إلى محبته وهذا أمر فطري.

فالمخلوقات جميعاً، وليس الإنسان فقط، خلقت وفي فطرتها حب من يحسن إليها فالأسد ليس أسداً مع من يطعمه ويسقيه ويحسن إليه.
قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحساناً

لذلك ذكرنا الله ﷻ في كتابه لكرم بنعمه علينا؛ لنعرف أنه صاحب النعم التي لا تحصى ولا تعد، ولا حياة للإنسان إلا بما فحبه ﷻ حباً صادقاً يتضاءل معه كل حب.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَإِنَّا أَنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

وفي سورة النحل يعدد ربنا ﷻ نعمه على خلقه من الآية الثانية حتى نهاية الآية السابعة عشرة ثم بعد ذلك قال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

ويلاحظ أن الله ﷻ في سورة إبراهيم ذيل ذكر نعمه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ببيان حال الإنسان وأنه قابل نعم الله التي لا تحصى ولا تعد بالجحود والنكران، ف- (ظلوم) صيغة مبالغة على وزن فَعُول، و (كفَّار) كذلك صيغة مبالغة على وزن فَعَال.

أي أن الإنسان كثير الجحود والتنكر لنعم الله ﷻ التي لا تحصى ولا تعد ولا تغيب عن علم أحد.

أما في سورة النحل فالله تعالى ذيل ذكر نعمه على خلقه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

فبين حاله ﷻ مع خلقه وأنه لكونه غفوراً رحيمًا لم يقابل جحود خلقه وتنكرهم لنعمه عليهم بالعذاب والاستئصال كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١].

وفي أسلوب عتاب رائع يعاتب ربنا ﷻ أولئك المعرضين عنه مبينا أنه ﷻ صاحب النعم كلها فلماذا الإعراض عنه ﷻ وما صدر منه إلا كل خير وإحسان إلى خلقه؟! قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٨].

بل إن الله ﷻ في خمس سور من سور القرآن الكريم يبدأها بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾ معللاً استحقاقه للحمد بأنه صاحب النعم التي لا تحصى ولا تعد على خلقه.

وغير ذلك من الآيات التي ذكر الله فيها عباده بنعمه عليهم ليعلموا أنه مصدر كل خير فيتجهون إليه بالحب والولاء.

ويتبع هذا الحب امتثال أوامره واجتناب نواهيه حتى ولو كان في ذلك إغضاب للنفس لثقة العبد بربه ووليه وأنه لا يأمر إلا بما يصلحه في الدنيا والآخرة

ولا ينهأه إلا عما يفسد عليه دنياه وتتكدر به آخرته.

ثانياً: حب الرسول ﷺ:

يجب على المسلم أن يحب رسول الله ﷺ حباً صادقاً يفوق كل حب حتى حبه لنفسه وولده ووالده وماله والناس أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقد قال النبي ﷺ وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١).

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي"؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»؛ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «الْآنَ يَا عُمَرُ»^(٢).

والذي يحمل المسلم على أن يحب رسول الله ﷺ هذا الحب الذي يفوق حبه حتى لنفسه أمور، منها:

أ- حب الله تعالى لرسوله ﷺ، إذا كان المسلم يحب الله ﷻ حباً صادقاً؛ لمعرفته إياه، ولأنه صاحب النعم الظاهرة والباطنة فإنه لا بد أن يحب أولياء الله ﷻ وأحباءه، وعلى رأس هؤلاء الأولياء جميعاً رسول الله ﷺ.

لذلك جعل النبي ﷺ حبه ثمرة حب الله تعالى ومتفرعاً عنه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَحِبُّوا اللَّهَ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، (١/١٠) عن أنس.

وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٥/٢) عن أنس بن مالك.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، (١٦١/٨).

لَمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعْمِهِ وَأُحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»^(١).

ب- أوجب الله علينا حبه ﷺ أكثر من كل ما عداه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

ج- عرفنا الرسول ﷺ بالله تعالى وحمل إلينا وحيه وهو القرآن الكريم وبينه لنا غاية البيان وتركنا على المحجة البيضاء، وتحمل في سبيل ذلك الصعاب الجسام التي لا تقوى على حملها الجبال الراوسي، فكم صبر على إيذاء الكافرين بمكة هو وأتباعه، وأخرج من بلده أم القرى فهاجر إلى المدينة المنورة وكم جاهد وصبر ﷺ وكم لاقى.

د- اجتماع الكمالات البشرية في شخصه ﷺ وكما قلنا سابقاً إن الإنسان خلق وفي فطرته حب الكمال وإذا كان الكمال الإلهي من الدوافع القوية إلى حب الله تعالى، فإن النبي ﷺ قد اجتمعت فيه الكمالات البشرية في أعلى صورها منذ اللحظات الأولى.

وكيف الظن بمن اختاره الله ﷻ لحمل رسالته والبلاغ عنه وهداية البشرية. قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فلقد فطره الله تعالى على مكارم الأخلاق، فلا غرابة أن نقرأ في القرآن الكريم وصف خلق رسول الله ﷺ وأنه قد بلغ ذروة الكمال؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا"^(٢)

(١) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، (٦٢٢/٥).

(٢) أخرجه مسلم "جزء حديث"، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الجماعة في النافلة والصلاة على الحصى، (٤٥٧/١).

فخلق رسول الله ﷺ ليس عظيمًا فقط بل هو فوق الخلق العظيم - وكان الخلق العظيم قد تجسم واعتلاه رسول الله ﷺ وهذا الوصف لخلق رسول الله ﷺ جاء في آية مكية من أوائل ما نزل من القرآن الكريم وهذا يدل على أن الله فطره على مكارم الأخلاق من الصدق والأمانة والحلم والحياء والكرم والصفح والشجاعة والإحسان وغير ذلك وتعهده في جميع مراحل حياته بالتربية والتهديب فلم يتركه الله ليد البشر تعبت بأخلاقه ﷺ.

لذلك أدخل العلماء تاريخه ﷺ قبل البعثة في سيرته، مثل حُسن سيرته وكرام أفعاله قبل البعثة؛ لأن تاريخه ﷺ قبل البعثة كان له دخل كبير في الإيمان به وتصديقه في دعوى الرسالة - وقد سبق ذلك في الحديث الأول.

إن الإنسان المنصف بحق، المتجرد عن الهوى حين يقرأ سيرته ﷺ ويقف على ما وصف به من مكارم الأخلاق يرى أن الكمالات البشرية قد اجتمعت في شخصه الكريم لا يملك نفسه إلا أن يحب هذا الرجل حبًا يتضاءل معه كل حب.

د- لقد أنقذ الله تعالى المؤمنين بالرسول محمد ﷺ من الضلال، إن الناظر إلى البشرية قبل بعثة النبي محمد ﷺ يجد أن أهل الأرض قاطبة قد فسدت عقائدهم وتبع الفساد العقدي فسادًا أخلاقيًا واجتماعيًا وأن لسان العالم آنذاك كان يستصرخ منقذًا ينقذه مما تردى إليه حاله والتاريخ يشهد أن الذي أنقذ الله به البشرية من هذا الضلال إنما هو رسول الله محمد ﷺ، والعرب كغيرهم من الأمم فسدت عقائدهم وتبع الفساد العقدي فسادًا أخلاقيًا واجتماعيًا وإن كان العرب أحسن حالًا من غيرهم من الأمم الأخرى كالأمة الفارسية والأمة الرومانية والهندية واليونانية وأصدق ما يُصور حال الأمة العربية قبل بعثة النبي محمد ﷺ هو القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

فالمؤمن يعلم أن الله تعالى أنقذه بالنبي محمد ﷺ من الضلالة وهداه به من الحيرة، وأخرجه به من الظلمات إلى النور ونجّاه به من الخلود في نار جهنم إذا تيقن المسلم من ذلك فإنه لابد أن يحب من كانت نجاته في الدنيا والآخرة على يديه وبسببه وهو رسول الله ﷺ.

و- حرص الرسول محمد ﷺ المنقطع النظر على هداية الناس وإرشادهم، مع كمال الشفقة عليهم مع ما لاقاه من إيذاء، فلم يزد جهل الجاهلين إلا حلمًا وصفحًا. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وغير ذلك من الآيات الدالة على مدى حرصه ﷺ على البشر جميعًا.

ولقد صور النبي ﷺ حاله مع من يدعوهم ومدى حرصه عليهم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا»^(١)

وإنما أوقد هذا الرجل النار ليتنفع الناس بضوئها وحرارتها، غير أن هذه الدواب ريزتها فهي منبهة بالضوء غافلة عن الهلاك الذي ينتظرها؛ وذلك لأنها لا عقل لها.

وكذلك الإنسان لغفلته عن عواقب الأمور وما يصير إليه أمر العصاة المذنبين الدنيا والآخرة ينساق خلف شهواته المحببة إلى قلبه المزينة لنفسه ظنًا منه أن سلاته من التعاليم الشرعية يحقق له المتعة واللذة والسعادة معطلًا عقله عن النظر وتدبر في عواقب الأمور غافلاً عما وراء ذلك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

(أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، (١٢٧/٨).

إن رجلاً جمع هذه الفضائل وتلك المحاسن لحريٍّ أن يُحَبَّ أكثر من النفس والولد والوالد والمال.

ولو أن رجلاً وُجِدَتْ فيه صفة من هذه الصفات لصار محبوباً عند الناس مهابةً لديهم ينزلون على رأيه ولا يتقدمون بين يديه، فكيف بمن جمع هذه الخصال كلها؟!

أعانا الله على أتباعه ورزقنا حبه في الدنيا ومرافقته في آخرة كرمًا منه ولطفًا.

أنواع محبة الله تعالى ورسوله ﷺ:

محبة الله تعالى ورسوله ﷺ نوعان:

أ- المحبة الواجبة. ب- المحبة المندوبة.

أ- المحبة الواجبة: هي المحبة التي تبعث على امتثال أوامر الشرع والانتهاز عما نهي عنه والرضا بما قدره الله تعالى.

فمن وقع في معصية الله تعالى ففعل محرماً أو ترك واجباً فلتقصيره في محبة الله تعالى الواجبة حيث قدم هوى نفسه على ما يرضي الله تعالى.

ب- المحبة المندوبة: وهي المحبة التي تبعث على فعل النوافل وترك الوقوع في الشبهات.

ثالثاً: حب المؤمنين وموالاتهم:

وانطلاقاً من ولاء المسلم لله تعالى ورسوله ﷺ فإنه يوالي أولياء الله تعالى ورسوله ﷺ -الصالحين الذين التزموا الإسلام قولاً وعملاً وظهر عليهم أثر ذلك في سلوكهم وتصرفاتهم، فيحبهم لطاعتهم لله تعالى وموالاتهم له تعالى.

فالحب في الله تعالى إنما هو ثمرة طبيعية من ثمار الإيمان الصادق.

فالمسلم لا يحب أحداً لذاته ولا يبغض أحداً لذاته.

فالمسلم يحب أولياء الله الصالحين وإن لم تربطه بهم علاقة نسب أو مصاهرة

فيحبهم الله تعالى، يفرح المؤمن لفرح إخوانه المؤمنين ويحزن ويتألم لما ينزل بهم من بلاء ومحنة، فالإسلام بتعاليمه الرشيدة يجعل المؤمنين كالجسد الواحد إذا مرض منه عضو تألم الجسد كله لما أصاب هذا العضو فالمؤمنون كيان واحد غير قابل للتجزئة، والاعتداء على مؤمن إنما هو اعتداء على المؤمنين جميعاً.

لقد قرر القرآن الكريم أن المؤمنين إخوة في الله تعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

والمراد بالأخوة في الآية الكريمة الأخوة الصادقة القائمة على الإحساس المتبادل بين أفراد الأمة المسلمة.

بل قرر الإسلام أن المسلمين - وإن تباعدت أوطانهم - أمة واحدة من دون الناس يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من عداهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

فنرى أن الآية الكريمة قد تكررت في سورة الأنبياء وفي سورة المؤمنون وكان الله تعالى يقول: كونوا أمة واحدة مؤمنة على طريق الأنبياء، وطريق الأنبياء حدده الله تعالى بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»^(١).

وإمعاناً في تحقيق الأخوة الصادقة بين المسلمين؛ لما لها من أهمية عظيمة تعود

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، صحيح مسلم

شرح النووي، (١٤٠/١٦).

على الفرد والمجتمع بالخير العظيم فإن النبي ﷺ ينفي الإيمان الكامل عمن لا يحب لإخوانه في الله ما يحب لنفسه من الخير.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

والرسول ﷺ يريد بذلك أن يربي أتباعه هذه التربية العالية الرفيعة وأن يسمو بالمسلم في سُلَم الكمالات الإنسانية.

فيجعل الإسلام من المسلم إنساناً ربانياً، يحب لإخوانه في الله من الخير مثل ما يحب لنفسه، ويرى النعم التي تساق إليهم كأنها مسوقة إليه يفرح لفرحهم ويحزن ويتألم لألمهم.

فمن ثمار محبة الله تعالى أن يحب المرء من يحب الله تعالى ورسوله ﷺ ويواليهم وينصرهم.

ولقد أوجب الله ذلك على المؤمنين ووعدهم النصر والتمكين ما وفوا الله بذلك.
قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

رابعاً: بغض الكافرين، لا لذواتهم بل لكفرهم بالله تعالى:

وإذا كان حب المسلم وولاؤه لله تعالى، فهذا الولاء لله تعالى فَرَضَ على المسلم أن يبغض أعداء الله الكافرين، لا لذواتهم بل لكفرهم بالله تعالى حتى ولو

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من إيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (١٠/١).

وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان: أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، (٦٧/١).

قال الإمام النووي: قال العلماء: معناه لا يؤمن الإيمان التام، وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦٢).

كانوا من أقرب الناس إليه نسباً؛ لأنهم أعداء الله تعالى ورسوله ﷺ وللمؤمنين، ولسخرتهم من الإسلام، وهو دين الله الحق الذي ارتضاه لخلقهم؛ ولأنهم متوعدون بالخلود في نار جهنم - أعاذنا الله منها.

فإذا ذاق المؤمن طعم الإيمان واستشعر حلاوته عند ذلك ينقطع ولاؤه لغير الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين ودينه فلا يجد في قلبه ميلاً أو حباً لكافر حتى ولو كان من أقرب الناس إليه نسباً.

وليس للمؤمن الصادق في إيمانه اختيار في ذلك بل هو أمر فرضه عليه إيمانه، فالإيمان نور والكفر ظلمة فكيف يجتمعان في قلب واحد؟!.

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

إن الإيمان والكفر ضدان لا يجتمعان في قلب واحد أبداً، فما دام أن الإيمان قد استقر في القلب فهيئات أن يجد الكفر وأهله مكاناً، حتى ولو كانوا آباء أو أبناء في هذا القلب العامر بالإيمان ومحبة الله تعالى ورسوله ﷺ؛ لأن الله نهي عن موالاة الكفار إن اختاروا الكفر على الإيمان، بل عد الله تعالى من يوالي الكافرين من الظالمين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وفي هذه الآية الكريمة تهديد شديد ووعيد أكيد من الله تعالى لمن وإلى أعداء الكافرين من اليهود والنصارى ثم أخبر الله تعالى أن الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم هدد من وإلى هؤلاء الكافرين من المؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وغير ذلك من الآيات التي حذر الله فيها المؤمنين من موالاة أعداء الله الكافرين الذين يسخرون من الإسلام وشرائعه أو أن يجد المؤمن في قلبه ميلاً أو حباً لكافر حتى ولو كان من أقرب الناس إليه نسباً.

هل لحب الله تعالى ورسوله ﷺ من علامات يعرف بها المسلم مدى صدقه في حبه لله تعالى ورسوله ﷺ ليكون على بينة من أمره؟

الحب وإن كان من أعمال القلب التي لا يعرف حقيقتها إلا الله تعالى إلا أن للحب الصادق علامات يعرف بها المسلم مدى حبه لله تعالى ورسوله ﷺ، من هذه العلامات:

١- الانقياد التام والتسليم المطلق لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ مهما كلفه ذلك، حتى وإن تكدرت النفس بهذا الانقياد وكان ضد ما تهوى. قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جنت به»^(١).

وكلما زاد الإيمان وقوي اليقين بالله تعالى الناشئ عن المعرفة كلما خفت التكاليف الشرعية وسهلت على نفس المسلم؛ لثقتة بمن يشرع له، وأن ثمرة

(١) ذكره الإمام النووي في كتاب الأربعين النووية، الحديث الحادي والأربعون وقال: حديث حسن صحيح رواه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

التشريع عائدة على المسلم في دنياه وآخرته. فطاعة العباد لله لا تحقق لله كمالاً ولا تدفع عن الله نقصاً.

٢- التخلق بأخلاق النبي ﷺ والتأدب بآدابه الفاضلة والافتداء به ﷺ في جميع أحواله وترويض النفس على ذلك لتزكو وتسمو بالافتداء به ﷺ وليؤجر المسلم على ما يقدم من أعمال صالحة.

وليقدم المسلم واقعاً عملياً للإسلام يرى الناس فيه أثر الإسلام في سلوك الفرد وما أثمره الالتزام بالإسلام من ثمار طيبة مباركة عادت على جميع أفراد المجتمع بالخير العظيم، وبهذا تتحقق القدوة العملية فكما كان النبي ﷺ قدوة لأصحابه فكذلك المسلم المقتدي به ﷺ قدوة عملية للمسلمين يقتدون به وقدوة لغير المسلمين ليروا فيه واقعاً عملياً للإسلام العظيم.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

٣- بذل النفس والمال والتضحية بكل شيء من أجل مرضاة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

٤- تبليغ الإسلام إلى الناس وتعليمهم إياه، مهما تحمل المسلم في سبيل ذلك من مشقات.

٥- نصره الإسلام والدفاع عنه مهما كلف ذلك المسلم من جهد ومشقة، سواء كان ذلك الدفاع بالجهاد بالنفس والمال أم بالقلم.

٦- نصره السنة المطهرة والدفاع عنها والتمسك بها ودعوة الناس إلى ذلك.

والمؤمن يؤجر على حبه الصادق لله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين -الأجر العظيم، ويصل بصاحبه إلى أعلى المنازل التي قد لا يصل إليها بالأعمال الصالحة وإن عظمت وكلفته فوق طاقته فضلاً من الله تعالى ورحمة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَا أَعْدَدْتُ لِّلْسَاعَةِ؟» قَالَ: حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»؛ قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرَحْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»؟ قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ^(١).

نسأل الله تعالى أن يجمعنا مع حبيبنا محمد ﷺ وسائر الصالحين في دار كرامته -فضلاً منه وكرماً.

خامساً: الولاء للإسلام العظيم وافتدائه بالنفس والنفيس: لما كان المسلم على يقين من أن الإسلام هو الدين الحق قال تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» [آل عمران: ١٩]. وهو الدين الذي ارتضاه الله لخلقه قال تعالى: «وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة: ٣].

وأخبر الله تعالى أنه لن يقبل من خلقه غير الإسلام وأن من لقي الله تعالى بدين غير الإسلام فهو مردود عليه ولا ينحيه عملٌ - وإن عظم - من الخلود الأبدي في نار جهنم قال الله تعالى: «وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [آل عمران: ٨٥].

ولما كان المسلم على يقين من كل ذلك فإنه يفتدي دين الله تعالى بنفسه، يطلب بذلك السعادة الأبدية في ضيافة الرحمن الرحيم، وعند ذلك يكون الإلقاء في النار أحب إليه من أن يتحول عن دينه الذي ارتضاه الله له، والذي هو سر سعادته في الدنيا والآخرة؛ لثقة المسلم أن التحول عن الإسلام يؤدي به إلى خزي

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٥/١٤٠)، كما أخرجه في غير هذا الموضع.

وأخرجه مسلم "واللفظ له"، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٨٧/١٦).

الدنيا والخلود الأبدي في نار جهنم في الآخرة، ولأن نار الدنيا مؤقتة لا يلبث من يلقى فيها أن يموت بعد فترة وجيزة جدًا.

وإنما كانت الديانات الأخرى غير الإسلام لا يرضاها الله تعالى ولا يقبلها من خلقه؛ لأن الإسلام ناسخ لهذه الديانات كلها والرسول محمد ﷺ قد أرسله الله لأهل الأرض قاطبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى مبينًا عموم بعثة النبي محمد ﷺ إلى الناس جميعًا: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وغير ذلك من الآيات التي تدل على عموم بعثته ﷺ للناس جميعًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَتُصِرْتُ بِالرُّغْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ»^(١)
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِي وَلَا نَصْرَانِي ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(٢).

هذا فضلاً على أن هذه الديانات السابقة على الإسلام سبقاً زمنياً قد حرفها أهلها وبدلوها وأدخلوا فيها ما ليس منها، وواقعها يشهد بصحة ذلك. لهذا فإن من يدين بغير الإسلام بعد بعثة النبي ﷺ وبلوغ الدعوة إليه فهو من الكافرين الخاسرين المخلدين في نار جهنم؛ لأنه يدين بدين باطل لا يرضاه الله ولا يقبله ممن دان له به، وكافر برسول الله ﷺ وبما جاء به من عند الله تعالى.

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب رقم ١ صحيح مسلم بشرح النووي، (٥/٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٨٦/٢).

ولما كان المسلم على يقين من ذلك كله كان ولاؤه وحبه لدينه العظيم الذي هو الدين الحق الذي رضى الله تعالى له ويقبله منه، وأن الاستمسك بهذا الدين العظيم والاعتصام به هو سر السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة فإن المسلم لن يفرط في دينه بل إنه يفتديه بنفسه وولده وماله؛ لحبه لهذا الدين الحق وليضمن لنفسه السعادة الأبدية في ضيافة الرحمن الرحيم وعند ذلك يكون الإلقاء في النار أهون على المسلم من أن يترك دينه الذي هو سر السعادة الأبدية، وهذا لا يتحقق إلا إذا دخل نور الإيمان القلب وخالط اللحم والدم وأصبح صاحبه لا يوالى إلا الله وأولياءه ودينه، كما حدث من سحرة فرعون حين مس الإيمان قلوبهم، استصغروا فرعون وحنده، وهان عليهم بطشه وانتقامه، وآثروا رضا الله على كل شيء.

وكلما قوي اليقين وخالط نور الإيمان القلب استلذ العبد الطاعات، وتحمل في أمر الدين المشقات، وهانت عليه الدنيا وما فيها، حتى تصير الشهوات المحبة إلى نفسه من أبغض الأشياء، بل إنه ليستعذب العذاب إن كان في ذلك رضا الله تعالى فلا يبقى للمسلم هدف إلا أن يرضي ربه ويدود عن دينه.

ويشهد حديث الباب من القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وفي هذه الآية الكريمة توعده الله تعالى من أثر أهله وقرباته وعشيرته وماله على الله تعالى ورسوله ﷺ والجهاد في سبيل الله بالعقاب الشديد والعذاب الأليم - ولم يحدد نوع العقاب هنا لتذهب النفس في تصويره كل مذهب، بل جعل الله تعالى من فعل ذلك في عداد الفاسقين الخارجين عن منهجه، المتوعددين بسلب الهداية عنهم.

وهكذا نرى أن المؤمن إنما يطلق في جميع أموره من ولائه لربه ودينه فهو

لا يحب أحدًا لذاته ولا يبغض أحدًا لذاته وإنما ولاؤه المطلق لله تعالى صاحب الكمال المطلق في ذاته وصفاته وصاحب النعم التي لا تحصى ولا تعدّ الذي فرض عليه أن يوالى أولياء الله تعالى وإن كان لم يرههم فيفرح لفرحهم ويحزن ويتألم لما ينزل بهم من بلاء وشدة، راجيًا الله لهم السلامة والصلاح، وأن يفتدي دينه الذي ارتضاه الله بالنفس والنفيس، وأن يعادي أعداء الله الكافرين حتى ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسبًا؛ لكفرهم بالله تعالى ورسوله محمد ﷺ.

ما المراد بحلاوة الإيمان، أهى حلاوة حسية أم حلاوة معنوية؟

أ- ذهب بعض العلماء إلى أنها حلاوة معنوية، وهذا من باب الاستعارة والمجاز.
ب- وذهب البعض الآخر إلى أنها حلاوة حسية، غير أن هذه الحلاوة وإن كانت حسية لا يشعر بها كل أحد، فذوق هذه الحلاوة متوقف على وجود الأسباب وانتفاء الموانع، فإذا وجدت الأسباب وانتفت الموانع ذاق المؤمن حلاوة الإيمان ووجد لذته.

فللإيمان حلاوة يشعر بها المؤمنون ويتنعم بها الصادقون في إيمانهم ولا يشعر بها غيرهم، وهى لا توصف بل أمر يحس، يعجز صاحبه عن وصفه وصفًا حقيقيًا كما أحسه.

فكما أن الإنسان حين يتناول طعامًا طيبًا شهياً يستطيعه، ويجد حلاوته في فمه ورائحته الطيبة، فمهما وصفه لغيره فلن يستطيع التعبير عما وجد وأحس، ولن يجد السامع حلاوة هذا الطعام الذي وصف له ولذته في فمه.

فالقلب السليم من الغفلة والهوى يذوق طعم الإيمان ويتنعم به كما يذوق الإنسان الصحيح من الأمراض طعم العسل على حقيقته حلواً وغيره من الأطعمة الطيبة ويتنعم بها، أما المريض بمرض معين فإنه يجد طعم العسل مرًا، وهذا ليس لعيب في العسل ولكن لفساد في صحة متعاطيه، وكلما ازداد هذا المرض كلما اشتدت مرارة العسل في فم هذا المريض.

والأمراض بصفة عامة تفسد مزاج الشخص فلا يتنعم بالحياة، وكذلك فإن تعاطي الشبهات والمعاصي يفسد على الإنسان التنعم بحلاوة الإيمان.
ولا يذوق حلاوة الإيمان ويتنعم بها إلا من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ من نفس وولد ووالد وأهل ومال.
وكلما ضعف الإيمان كلما قل هذا الذوق والإحساس بحلاوة الإيمان، وكلُّ
يجد على قدر إيمانه و يقينه.

وكما قال من مارس أسباب الإيمان من النظر والتدبر في القرآن الكريم وفي ملكوت السماوات والأرض وما بينهما، ومارس الشعائر التعبدية - من ذاق عرف ومن حُرِّم نحرف، أو كما قال: جرب تجد.
ما المراد بالحب أهو حبٌّ فطري أم حب عقلي؟

الحب نوعان: أ- حب فطري. ب- حب عقلي.

أ- الحب الفطري: كحب الإنسان لنفسه وأولاده وحبه للمال... وغير ذلك مما فطر عليه، فالله خلق الإنسان وفي فطرته وتكوينه حب هذه الأشياء، وهذا الحب ليس مذمومًا بل هو سر عمار الكون واستمرار الحياة؛ فالإنسان لأنه يحب نفسه يتخير لها الأفضل ويدافع عنها ولا يُسلمها للتهلكة.

ولأنه يحب أبناءه يصبر على تربيته ويحمل في سبيل ذلك كثيرًا من المصاعب والمشاق ولولا الحب الفطري - هذا - ما صبر على شيء من ذلك؛ بل قد يبذل نفسه من أجل الدفاع عنهم إن اقتضى الأمر ذلك، وهذا الحب الفطري من آثار رحمة الله تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَأَّحُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا

خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ»^(١).

والإسلام كما هو معلوم لا يبيّن نظمه على قتل الغرائز الفطرية الأصلية في الإنسان بل يعمل الإسلام على تهذيب الغرائز التي لو لم تهذب لجرت على صاحبها الشرور، بل لجرت على الإنسانية الدمار والخراب.

والإسلام يقول للمسلم: أحب من شئت ولكن إياك أن يطغى حبك لشيء ما على حبك لله تعالى، اجعل حبك الأكبر لله تعالى، وإياك أن تُسخط الله تعالى لترضي نفسك أو أبنائك أو أي مخلوق كائنًا من كان.

ب- الحب العقلي: هو الحب الناشئ عن النظر والتدبر في عواقب الأمور وما يجلب للعبد من منفعة عاجلة أو آجلة.

أو هو ما يقتضي العقل رجحانه ويستدعي اختياره، وإن كان على خلاف ما تموى نفسه.

فالمرضى يعاف الدواء وينفر عنه بطبعه، ولكنه يميل إليه باختياره ويهوى تناوله بمقتضى عقله؛ لما يعلم أن صلاحه في تعاطي الدواء.

فإذا تأمل العبد أن الشرع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل، أو خلاص آجل والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك تمرّن المسلم على الاتّمار بأمر الشرع بحيث يصير هواه تبعًا لما جاء به الشرع فيفرح حين يأتمر بأمر الشرع وينتهي عما هوى عنه لثقة المسلم المطلقة بمن يشرع له.

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي"؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء، (٩/٨). وأخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى وأما تغلب غضبه، صحيح مسلم بشرح النووي، (٦٨/١٧).

نَفْسِكَ»؛ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ -وَاللَّهِ- لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَى مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْآنَ يَا عُمَرُ»^(١)

قال الحافظ ابن حجر قال الخطابي -رحمه الله-: حُبُّ الإنسان نفسه طَبْعٌ وَحُبُّ غَيْرِهِ اخْتِيَارٌ بتوسط الأسباب، وإنما أراد ﷺ بقوله: لعمر بن الخطاب: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» حب الاختيار؛ إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جُبِلَتْ عليه.

قال الحافظ: فعلى هذا فجواب عمر -أولاً- كان بحسب الطبع ثم تأملَ فَعَرَفَ -بالاستدلال- أن النبي ﷺ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ؛ لكونه السبب في نجاحها من المهلكات في الدنيا والآخرة فأخبر بما اقتضاه الاختيار؛ ولذلك حصل الجواب بقوله: «الْآنَ يَا عُمَرُ» أي: الْآنَ عَرَفْتُ فَنَطَقْتُ بما يجب^(٢).

قلت: لو كان حب المذكورات في الحديث (حب الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين والدين) -حباً فطرياً لاستوى الناس جميعاً فيه فأحبوا الله تعالى بدرجة واحدة، والأمر ليس كذلك، فلا يُحِبُّ الله ورسوله ﷺ والمؤمنين والدين الحق إلا من نظر وتدبر في عواقب الأمور.

ثم إن المؤمنين يتميزون في حب الله تعالى بحسب قوة النظر أو ضعفه، وبحسب ممارستهم للشعائر التي أمرهم الله بها... وغير ذلك.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فتح الباري، (١١/٥٣٦).

خلاصة الوحدة التاسعة عشرة

- ١- بيان علامات الإيمان الصادق ليتعهد المسلم نفسه ويعمل جاهداً على اكتساب هذه الخصال، وذلك بمجاهدة نفسه وتربيتها وفق منهج الله تعالى فهي خصال تُكتسب فتزكو بها النفس ويعود ذلك بالخير على المجتمع.
- ٢- فضيلة حب الله تعالى وأن ذلك من علامات الإيمان الكامل، وهذا لا يتحقق إلا إذا عَرَفَ المسلم ربه بصفاته وعرفَ الله تعالى عليه.
- ٣- فضيلة حب الرسول ﷺ وأنه من ثمار حب الله تعالى.
- ٤- فضيلة الحب في الله تعالى وإنه من أوثق عرى الإيمان، وثمره من ثمار الإيمان الكامل.
- ٥- يجب على المؤمن الصادق في إيمانه أن يفتدي دينه بالنفس والنفيس، يطلب بذلك رضا الله تعالى في الدنيا والآخرة، واستبقاءً للخير في البشرية.
- ٦- فضل من أكره على الكفر فترك التقية إلى أن قتل.
- ٧- المؤمن إنما ينطلق في جميع أموره من ولائه لربه ﷻ ودينه.
- ٨- للإيمان الصادق أثر في سلوك المؤمن وتصرفاته؛ فهو اعتقاد يتبعه عمل.
- ٩- الهداية إلى الإسلام من أجل النعم التي ينعم الله تعالى بها على عباده؛ لذلك امتنَّ الله عليهم بهذه النعمة في قوله تعالى: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

اختبار الوحدة التاسعة عشرة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- خرَّجَ لأنس بن مالك رضي الله عنه البخاري ومسلم فقط.
- ٢- كان أنس من المكثرين من الرواية؛ فقد روى ثلاثة آلاف ومائتين وستين حديثاً.
- ٣- كان أنس آخر الصحابة موتاً بالكوفة، وقد جاوز المائة.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- خرَّجَ لأنس بن مالك:

أ- البخاري ومسلم فقط. ب- البخاري فقط. ج- الأئمة الستة.

٢- روى أنس رضي الله عنه:

أ- ٢٣٥٠ حديثاً. ب- ٢٢٨٦ حديثاً. ج- ٣٤٢٠ حديثاً.

٣- مات أنس رضي الله عنه وقد جاوز المائة.

أ- بالكوفة. ب- بالبصرة. ج- ببغداد.

٤- توفي أنس رضي الله عنه سنة:

أ- ٩٢هـ. ب- ٩٣هـ. ج- قولان.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- تَرَجَّمْ لأنس بن مالك راوي الحديث رضي الله عنه، واذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له.

- ٢- جعل الله للمؤمنين الصادقين في إيمانهم علامات يمتازون بها عن غيرهم. اذكر الأدلة على هذا من القرآن والسنة في ضوء دراستك لهذا الحديث.
- ٣- اذكر ثمار الإيمان الصادق التي ذكرها النبي ﷺ في هذا الحديث كما فهمت.
- ٤- ذكر الله ورسوله نضال المؤمنين الصادقين لأسباب. اذكرها كما فهمت من الحديث.
- ٥- اذكر دوافع حب المؤمن لربه تعالى ولرسوله ﷺ - كما جاء بشرح الحديث.
- ٦- تتنوع محبة الله تعالى ومحبة رسول الله ﷺ إلى نوعين، اذكر النوعين تفصيلاً.
- ٧- قرر الإسلام أن المسلمين وإن تباعدت أوطانهم أمة واحدة من دون الناس، يسعى بدمتهم أديانهم وهم يد على من عداهم. اذكر الأدلة على هذا من القرآن والسنة.
- ٨- الإيمان والكفر ضدان لا يجتمعان في قلب واحد أبداً فما دام قد استقرَّ الإيمان في القلب فهيئات أن يجد الكفر وأهله مكاناً فيه، ولو كانوا أولى قربى. وضح هذا المعنى مؤيداً إياه بالأدلة.
- ٩- اذكر العلامات الدالة على صدق محبة الإنسان لله ولرسوله ﷺ تفصيلاً.
- ١٠- ما المراد بحلاوة الإيمان، أهى حلاوة حسية أم حلاوة معنوية؟
- ١١- ما المراد بالحب، أهو الحب الفطري أم الحب العقلي؟



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تدلل على أن الإيمان بالله تعالى وبنبيه ﷺ شرط لدخول الجنة.
- ٢- تحث المسلمين على إفشاء السلام - طاعة لله وطلبًا لثوابه.
- ٣- تدلل على أن السلام سبب من أسباب التعارف وغرس المودة بين المسلمين.
- ٤- تبرهن على أن السلام من شعائر المسلمين التي تميزهم عن غيرهم.
- ٥- تعلق لحرص الإسلام على تقوية أواصر المحبة بين المسلمين.

الوحدة العشرون

إفشاء السلام وسيلة لغرس المودة والمحبة بين المسلمين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَّلًا أَذْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(١).

المباحث اللغوية:

قوله: (أفشوا السلام بينكم) الإفشاء هو الإظهار، ومنه إفشاء السر -أي: إظهاره وإطلاع الناس عليه- والمراد بقوله: (أفشوا السلام بينكم) نشر السلام بين الناس.

المعنى العام للحديث:

حرص الإسلام كل الحرص على أن يقيم العلاقة بين المسلمين على أساس من الحب والتراحم والتعاطف، حتى يصير المسلمون كالجسد الواحد، وهو يعمد من وراء ذلك إلى إيجاد المجتمع المسلم المتحاب المتراحم المتعاطف، الذي يحنو فيه الكبير على الصغير، ويحترم الصغير الكبير، ويرحم القوي الضعيف والصحيح المريض، ويعطف الغني على الفقير.

لذلك عمد الإسلام إلى الوسائل المؤدية لهذه الغاية العظيمة، فعمل على تحقيقها وتنميتها بكل وسيلة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، بدأ بالكلمة الطيبة وصنائع المعروف، كما عمد الإسلام إلى كل ما من شأنه أن يحول دون تحقيق هذا الهدف النبيل، فعمل على القضاء عليه بكل وسيلة ليتثنى له الوصول إلى غايته ومراده.

ولما كان إفشاء السلام بين المسلمين من الأسباب القوية المؤدية والمحقة لهذا الهدف العظيم؛ فهو من أسباب التعارف بين المسلمين، بل ومن أسباب غرس

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمن، (٧٤/١).

المحبة والمودة بينهم - رغب الإسلام فيه، وحض عليه، ووعد عليه الأجر والثواب العظيم، مع أنه لا يكلف المسلم كبير عناء أو مشقة، ولا يرهقه مادياً؛ بل هو سهل ميسور، غير أن ثماره عظيمة تعود على الفرد والمجتمع بأسره؛ لذلك جعله الإسلام حقاً للمسلم على أخيه المسلم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»؛ قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(١).

ومع ما يثمره إفشاء السلام من تعارف وحب وتراحم ومودة بين المسلمين - فهو في نفس الوقت وسيلة من وسائل تربية النفس وهضمها؛ وذلك أن المسلم حين يسلم على من يعرف ومن لا يعرف، ومن هم في مستواه الاجتماعي ومن هم دونه - عند ذلك تذوب الفوارق بين المسلمين، ولا يتميز أحد على أحد بمنصب أو مال، بل لجميع إخوة في الله تعالى، مع الاحتفاظ لكل فرد بمكانته ومنزلته التي أنزله الله إياها، وعند ذلك يتحقق معنى الأخوة الإسلامية بين أفراد المجتمع، وتُستل الضغائن من النفوس، فلا عجب بالنفس ولا استعلاء على الآخرين، ولا حقد ولا حسد ولا تباغض، بل للجميع إخوة في الله تعالى، والله فوق الجميع.

وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، واحد من هذه الأحاديث التي تحض المسلم على إفشاء السلام، حيث جعله النبي ﷺ من أسباب غرس المودة والمحبة بين المسلمين، بل من الأسباب المفضية إلى دخول الجنة والنجاة من النار.

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، (١٤/١٤٣، ١٤٤).

فقه الحديث:

قوله: (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا) هذا القول على ظاهره فلا يدخل الجنة إلا من لقي الله تعالى مؤمناً، وإن لم يكن كامل الإيمان، والمراد بالإيمان في الحديث: الإسلام، أما من لقي الله تعالى وهو يدين بغير الإسلام من الديانات المنسوخة المحرّفة أو المذاهب الباطلة -فمصيره إلى الخلود الأبدي في نار جهنم، كما جاء ذلك في صريح القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعلى هذا إجماع المسلمين سلفاً وخلفاً.

قوله: (ولا تؤمنوا حتى تحابوا) المراد بالإيمان المنفي هو الإيمان الكامل، لأن العرب ينفون الشيء لانتفاء كماله، فتراهم يقولون: فلان ليس بإنسان، ويقولون لمن يعق والديه ويُدخل عليهما الأذى: هذا ليس بولد بل هو عدوٌّ، وهم يعلمون أنه ابنه لصلبه، إلا أنه لما لم يحم بحق أبيه وبرّه أنزلوه منزلة العدو لا الابن. وبلغتهم نزل القرآن الكريم، وجاء الحديث الشريف، وهذا الحديث له نظائر كثيرة في السنة المطهرة.

أما عن الأحكام التي تتعلق بالسلم، فليس هذا موضعها، والله أعلم.

خلاصة الوحدة العشرين

- ١- الإيمان بالله تعالى ونبيه محمد ﷺ شرط لدخول الجنة والنجاة من النار.
- ٢- الحث على إفشاء السلام بين المسلمين، ولا يجعل المسلم السلام خاصاً بأصحابه أو أحبابه أو بمن يعرفهم، بل يذنه للجميع طاعة لله تعالى وطلباً لثوابه.
- ٣- السلام سبب من أسباب التعارف وغرس المودة والمحبة بين المسلمين.
- ٤- السلام من عوامل تمذيب النفس واستئلال الكبر والعجب، وغرس التواضع في نفس المسلم.
- ٥- السلام من شعائر المسلمين التي تميزهم عن غيرهم من أهل الملل الأخرى.
- ٦- حرص الإسلام على تقوية روابط المودة والمحبة بين المسلمين.
- ٧- حرص الرسول ﷺ على تعليم المسلمين ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وتقوية الروابط بين أفراد الأمة المسلمة.

اختبار الوحدة العشرين

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ - "أفشوا السلام بينكم": الإفشاء هو الإظهار.

٢ - درج العرب على نفي الشيء إذا انتفى كماله.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١ - "أفشوا السلام بينكم"، معنى أفشوا:

أ - أظهروا. ب - ابدأوا.

٢ - إفشاء السلام:

أ - وسيلة من وسائل تربية النفس وهضمها.

ب - يثمر الحب والتراحم. ج - كلاهما معاً.

٣ - جعل النبي ﷺ إفشاء السلام من الأسباب:

أ - المقضية إلى دخول الجنة.

ب - التي تؤدي إلى غرس المحبة والمودة. ج - كلاهما معاً.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١ - قوله ﷺ: "ولا تؤمنوا حتى تحابوا" ما المراد بنفي الإيمان هنا؟ فصلّ القول.

٢ - السلام سبب من أسباب التعارف وغرس المودة والمحبة بين المسلمين، اشرح هذا المعنى.

٣ - السلام من شعائر المسلمين التي تميزهم عن غيرهم من أهل الملل الأخرى، وضح ذلك في ضوء دراستك للحديث.

٤ - السلام من عوامل تهذيب النفس واستئلال الكبر والعجب وغرس التواضع في نفس المسلم. وضح ذلك في ضوء ما درست.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تبرهن على نظرة الإسلام الموسوعية للإنسان.
- ٢- تؤكد على أن باب التوبة مفتوح للمذنبين ولو كانت لمعاصي كبارًا.
- ٣- تفسّر المراد بنفي الإيمان عن الراني وشارب الخمر... إلخ.
- ٤- تثبت بالأدلة الشرعية شفاعة محمد ﷺ لأهل الكبائر من الأمة.
- ٥- تحذّر من الوقوع في المعاصي وتعلم أنها تُنقص الإيمان.
- ٦- تبطل مذهب المرجئة الذي يقضي بالخطّ من قيمة العمل.
- ٧- تعظّم حقوق الناس وتحرم الاعتداء عليها.
- ٨- تعرف مدى رحمة الله تعالى بخنقه حيث فتح لهم باب التوبة.

الوحدة الحادية والعشرون

نقصان الإيمان بالمعاصي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نَهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»^(٢).

المباحث اللغوية:

النهبة: المال المنهوب، والمراد به المال المأخوذ جهراً قهراً.

وأشار برفع البصر إلى حالة المنهوين، فإنهم ينظرون إلى من ينهبهم ولا يقدرّون على دفعه ولو تضرعوا إليه.

ويحتمل أن يكون كناية عن عدم التستر بذلك، فيكون صفة لازمة للنهب، فالنهب لا يكون إلا على هذه الحالة، بخلاف السرقة والاختلاس، فإنه يكون خفية.

والانتهاب أشد من السرقة والاختلاس؛ لما فيه من مزيد الجرأة وعدم المبالاة بالآخرين.

قوله في رواية مسلم: (ذات شرف)، أي: ذات قدر، حيث يشرف الناس لها ناظرين إليها، ولهذا وصفها بقوله: «يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ»

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب ما يحذر من الحدود، فتح الباري، (٥٩/١٢)، وأخرجه مسلم،

كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي، صحيح مسلم بشرح النووي، (٤٢، ٤١/٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب إثم الزناة، فتح الباري، (١١٦/١٢). وأخرجه مسلم، كتاب

الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي، صحيح مسلم بشرح النووي، (٤٥/٢).

المعنى العام للحديث:

من مقومات صلاحية الإسلام لقيادة الحياة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، أنه نظر إلى الإنسان نظرة موضوعية تتناسب مع طبيعته وتكوينه، فنظر إليه على أنه بشر يصيب ويخطئ، ولم ينظر إليه على أنه ملاك معصوم من الخطأ، ومادام أنه كذلك، فلم يحكم عليه بالكفر إذا ارتكب معصية حتى ولو كانت كبيرة، مادام أنه لم يستحلها؛ بل فتح له باب التوبة؛ ليعود إلى ربه تائباً مستغفراً نادماً على ما فعل، والله تعالى لم يعد التائبين بالمغفرة فقط، بل وعدهم أن يبذل سيئاتهم حسناً.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وإذا لم يتب المسلم من ذنبه، فهو في مشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه، ثم يكون مصيره الأخير إلى الجنة، فلا يخلد في النار إلا كافر.

وهذا ما فهمه أهل السنة من مجموع أدلة القرآن الكريم والسنة المطهرة، وإن كان بعض أهل الحديث أطلق على العاصي أنه كافر، فهذا من باب الردع والزجر عن فعل المعصية، وإلا فهم يقولون إنه كُفِّرَ عملي وليس كُفراً عقدياً يخرج به المرء من ملة الإسلام ويصير كافراً.

فقه الحديث:

المراد من نفي الإيمان في هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث التي ورد فيها نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة أو عن العصاة عامة -إنما هو نفي كمال الإيمان وتمامه، لا نفي أصله؛ لأن ذهاب أصل الإيمان وانتفائه بالكلية كُفْرٌ؛ والعرب قد ينفون الشيء لا تنفاه كماله، وبلغتهم نزل القرآن الكريم وورد الحديث الشريف.

وإنما قلنا: إن المراد بالنفي إنما هو نفي الكمال لا نفي أصل الإيمان؛ لأن الأدلة من القرآن والسنة هي التي ساقنا إلى القول بذلك، وهذا وارد في لغة العرب مستساغ عندهم، ولو قلنا: إن المراد بالنفي أصل الإيمان لاضطررنا إلى رد الأدلة الصحيحة التي لا يصح لمسلم أن يردها، ومن هذه الأدلة ما لا يحتمل التأويل، بل هو نص صريح في بابه، فمن ذلك:

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فهذه الآية الكريمة قسمت الذنوب إلى قسمين:
أ- الشرك. ب- غير الشرك.

وحكم الله على المشركين بعدم المغفرة إن ماتوا على شركهم. ووكّل غير المشركين إلى مشيئته تعالى، فمن ارتكب معصية دون الشرك كأن يرتكب كبيرة من الكبائر وهو غير مستحل لها، ثم مات من غير أن يتوب منها، فأمره إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، ولا يوكل إلى المشيئة إلا مؤمن؛ لأنه إن غفر له أدخله الجنة ولا يدخل الجنة إلا مؤمن؛ وإن عذبه على معصيته فإنه لا يخلد في نار جهنم، بل يكون مصيره النهائي إلى الجنة؛ لأدلة كثيرة ذكرناها في التمهيد السابق عن موضوع الإيمان.

٢- عَنْ عَبْدِ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «تَعَالَوْا بَايعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُونَ بِيَهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَاقِبَةُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ»^(١).

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ، (٧٠/٥)؛ وأخرجه في كتاب الإيمان، باب رقم (١١). وأخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، (١٣٣٣/٣).

قال الإمام محمد بن نصر المروزي: ففي حديث عبادة بن الصامت دلالتان على أن السارق والزاني ومن ذكر في هذا الحديث غير خارجين من الإيمان بأسره: الدلالة الأولى: قوله ﷺ: «وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ». والحدود لا تكون كفارات إلا للمؤمنين.

الدلالة الثانية: قوله ﷺ: «وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ. إِنْ شَاءَ عَاقِبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ» فإذا عفا عنه أدخله الجنة، ولا يدخل الجنة من البالغين المكلفين إلا مؤمن، وقوله ﷺ: «إِنْ شَاءَ عَاقِبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ» هو نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فحكم الله بأن الشرك غير مغفور للمشرك إذا مات غير تائب منه. وأخير أنه تعالى يغفر ما دون الشرك من الكبائر والمعاصي لمن يشاء إذا لم يتب منها^(١).

قال النووي: حديث عبادة بن الصامت دليل لأهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها، بل هو بمشيئة الله تعالى، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه؛ خلافاً للخوارج والمعتزلة^(٢).

٣ - عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ - مَنْ تَكَلَّمَ فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ؟ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرْجِعُ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ: «ذَلِكَ جَبْرِيلُ عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ فَقَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ؟»^(٣).

(١) مسند المروزي، (١٠٩٢/٢).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، (٢٢٣/١١).

(٣) أخرجه البخاري "جزء حديث"، كتاب الرقاق، باب المكثرون هم المقلون بدون قوله: "وإن شرب الخمر"، فتح الباري، (٢٦١/١١، ٢٦٠).

وأخرجه مسلم "جزء حديث واللفظ له"، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، صحيح مسلم

بشرح النووي، (٧٥، ٧٤/٧).

فدل حديث أبي در على أن مرتكب الكبائر ليس بكافر كفراً عقدياً ينقله عن ملة الإسلام؛ لأن الكافر لا يدخل الجنة.

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً»^(١).

٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»^(٢).
دل حديث أبي هريرة الماضي على أن شفاعته النبي ﷺ تشمل كل من مات موحداً لله تعالى لا يشرك به شيئاً، ويدخل في الموحدين أصحاب الكبائر الذين ارتكبوا كبائر دون الشرك وماتوا ولم يتوبوا من كبائرهم.

ودل حديث أنس على أن شفاعته النبي ﷺ تشمل أهل الكبائر، وهذا نص صريح في أن شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وهم الذين ارتكبوا كبائر دون الشرك بالله تعالى.

وهذان الحديثان يدلان على أن أصحاب الكبائر لم يخرجوا بارتكابهم للكبائر من الإسلام؛ لأن شفاعته النبي ﷺ تشملهم، والكافر لا نصيب له في شفاعته النبي ﷺ، ولا شفاعته غيره، لقول الله تعالى عن الكافرين: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [الذثر: ٤٨]، فدل ذلك على أن أصحاب الكبائر ليسوا بكفار، بل مؤمنين وإن كان إيمانهم ناقصاً، إلا أنهم حصلوا الحد الأدنى للإيمان الذي ينجيهم الله به من الخلود في نار جهنم.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الشفاعة، صحيح مسلم بشرح النووي، (٧٤/٣).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في الشفاعة، (٢٣٦/٤).

وأخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب رقم (١١)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، (٦٢٥/٤). وأخرجه الترمذي في نفس الكتاب والباب السابق عن جابر بن عبد الله، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

قال الإمام النووي: هذا الحديث -حديث الباب- مما اختلف العلماء في معناه، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تُطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره. كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل؛ ولا عيش إلا عيش الآخرة، وإنما تأولناه على ما ذكرناه؛ لحديث أبي ذر: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق»^(١)، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور^(٢) أنهم بايعوه ﷺ على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا... إلخ، ثم قال لهم ﷺ: «فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَاقِبَتُهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ»، فهذان الحديثان مع نظائرها في الصحيح، مع قول الله ﷻ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» [النساء: ٤٨]، مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان، إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مُصرّين على الكبائر كانوا في مشيئة الله تعالى، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة، أولاً؛ وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة، وكل هذه لأدلة تضطرنا إلى تأويل هذا الحديث وشبهه، ثم إن هذا التأويل ظاهر سائغ في اللغة مستعمل فيها كثيراً، وإذا ورد حديثان مختلفان ظاهراً وجب الجمع بينهما، وقد وردا هنا فيجب الجمع، وقد جمعناه.

وتأويل بعض العلماء: هذا الحديث على من فعل ذلك مستحلاً له مع علمه بورود الشرع بتحريمه.

وقال الحس وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري: معناه: ينزع منه اسم المدح الذي يُسمى به أولياء الله المؤمنين، ويستحق اسم الدم، فيقال: سارق،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وزان، وفاجر، وفاسق.

وحكي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن معناه: ينزع منه نور الإيمان قال ابن عباس: ينزع منه نور الإيمان في الزنا^(١).

عن مجاهد قال: كان ابن عباس يسمي غلمانهم أسماء العرب، وكان يقول لهم: تزوجوا فإن الرجل إذا زنى نُزع منه نور الإيمان، فإن شاء الله أعطاه بعد، وإن شاء منعه^(٢).

وقال المهلب: ينزع منه بصيرته في طاعة الله تعالى.

وذهب الزهري إلى أن هذا الحديث وما أشبهه، يؤمن بها ويمر على ما جاءت، ولا يخاض في معناها، وإنما لا نعلم معناها، وقال: أمروها كما أمرها من قبلكم.

وعن الأوزاعي عن مكحول والزهري، قالوا: "اقرأوا أحاديث رسول الله ﷺ وأمروها على ما جاءت"^(٣).

قال الإمام النووي: "وأما قوله ﷺ: «وَالْتَوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ» فظاهر، وقد أجمع العلماء رحمهم الله على قبول التوبة ما لم يغرغر العبد، كما جاء في الحديث، وللتوبة ثلاثة أركان: أن يقلع عن المعصية، ويندم على فعلها، ويعزم ألا يعود إليها، فإن تاب من ذنب ثم عاد إليه لم تبطل توبته، وإن تاب من ذنب وهو متلبس بآخر صحت توبته، هذا مذهب أهل الحق، وخالفت المعتزلة في المسألتين، والله أعلم"^(٤).

قال القاضي عياض رحمه الله: "أشار بعض العلماء إلى أن ما في هذا الحديث تنبيه على جميع أنواع المعاصي والتحذير منها، فنبه بالزنا على جميع الشهوات، وبالسرقة على الرغبة في الدنيا والحرص على الحرام، وبالخمر على جميع ما يصد عن الله تعالى ويوجب الغفلة عن حقوقه، وبالانتهاك الموصوف عن الاستخفاف بعباد الله تعالى، وترك توقيرهم، والحياء منهم، وجمع الدنيا من غير وجهها، والله أعلم".

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب لا يشرب الخمر، (١٩٥/٨) معلقاً بصيغة الجزم.

(٢) أخرجه المروزي في مسنده بإسناد صحيح، (٩٦١/٢)، أثر رقم (٤٨٥).

(٣) مسند المروزي، أثر رقم (٤٦٩)، (٩٣٩/٢).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٤٥/٢).

خلاصة الوحدة الحادية والعشرين

- ١- التحذير من المعاصي، وأنها تُنقص الإيمان.
- ٢- إبطال مذهب المرجئة، حيث أحبطوا قيمة العمل، وقالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وسبق بيان فساد هذا القياس، حيث أضرت المعاصي بأصحابها، فنفى الرسول ﷺ الإيمان عن العصاة، بغض النظر عن كون المنفي أصل الإيمان - كما ذهب إلى ذلك الخوارج - أو أن المنفي كما الإيمان - كما ذهب إلى ذلك أهل السنة والجماعة وهو الصحيح.
- ٣- الإيمان الكامل يمنع صاحبه عن فعل المعاصي والمحرمات.
- ٤- تعظيم حقوق الناس، وأنه لا يجوز الاعتداء عليها.
- ٥- رحمة الله بخلقه، حيث فتح لهم باب التوبة.
- ٦- واقعية الإسلام، حيث نظر إلى الإنسان نظرة موضوعية، تتناسب مع طبيعته وتكوينه، فلم ينظر إليه على أنه معصوم من الخطأ، بل نظر إليه على أنه يصيب ويخطئ؛ لذلك فتح له باب التوبة، حتى يقي المجتمع من شروره؛ وماذا لو عم الإنسان المخطئ أن مصيره إلى الخلود الأبدي في نار جهنم وليست له توبة؟ سيعرّد في المجتمع ويعمل جاهداً على إيقاع غيره فيما وقع هو فيه.

اختبار الوحدة الحادية والعشرين

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

- ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:
- ١- "التهبة" بضم النون المال المنهوب المأخوذ قهراً وجهرًا.
 - ٢- المال المنهوب بخلاف السرقة والاختلاس فإنهما يكونان خفية.
 - ٣- الانتهاب أشد من السرقة والاختلاس؛ لما فيه من مزيد الجرأة وعدم المبالاة بالآخرين.
 - ٤- إذا لم يتب المسلم من ذنبه فهو في مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه.
 - ٥- أطلق بعض أهل الحديث على العاصي كافرًا، من باب الترويع والزجر عن فعل المعصية.

٦- المراد من نفي الإيمان في الحديث هو نفي كمال الإيمان لا نفي أصله.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- "التهبة":

أ- بفتح النون. ب- بضم النون. ج- كلاهما صحيح.

٢- المال المنهوب هو:

أ- السرقة. ب- الاختلاس. ج- الرشوة. د- جميع ما ذكر خطأ.

٣- الانتهاب:

أ- أشد من السرقة. ب- أخف من السرقة. ج- يساوي السرقة.

٤- المراد من نفي الإيمان في الحديث:

أ- نفي كماله. ب- نفي أصله. ج- كلاهما محتمل.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

- ١- تناول قضية نفي الإيمان في الحديث عن السارق والزاني بالتحليل والدراسة - في ضوء ما فهمت من شرح الحديث، مؤيداً ما تقول بالأدلة من الكتاب والسنة.
 - ٢- تناول بالرد والدحض شبهات الخوارج والمعتزلة حول قضية نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة.
 - ٣- تشمل شفاعة النبي ﷺ كل من مات موحدًا ولو كان من أهل الكبائر، أيد هذا القول بالدليل مما درست.
 - ٤- قال الإمام النووي: هذا الحديث - حديث الباب - مما اختلف العلماء في معناه... وقد رجع هو قولاً من أقوالهم اذكر هذا القول.
 - ٥- لبعض العلماء حول هذا الحديث وأمثاله قول هو: "أمرها على ما جاءت ولا تحوضوا في معناها" فهل تقبل هذا القول أو ترده، أيد ما تقول بالدليل.
 - ٦- اكتب ردًا على المرجئة الذين أحبطوا قيمة العمل بقولهم: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.
 - ٧- الإسلام دين واقعي، نظر إلى الإنسان نظرة موضوعية تتناسب مع طبيعة وتكوينه فلم ينظر إليه على أنه معصوم من الخطأ.
- ناقش هذا القول في ضوء ما فهمت من شرح الحديث.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي المدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تعرف السب لغة واصطلاحًا.
- ٢- تعرف الفسوق لغة واصطلاحًا.
- ٣- تحدد العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للسب والفسوق.
- ٤- تعرف الكفر لغةً وشرعًا.
- ٥- تحدد العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للكفر.
- ٦- تفرق بين نوعي الفسق: العقدي والعملي.
- ٧- تفرق بين نوعي الكفر: العقدي و لعملي.
- ٨- تفرق بين فاعل المعصية ومستحلها.
- ٩- تحذر من الوقوع في الأعمال المؤدية بصاحبها إلى الفسق أو الكفر.
- ١٠- تبين أن إطلاق مسمى الكفر على بعض المعاصي إنما هو من باب التغليظ.

الوحدة الثانية والعشرون

تعظيم حق المسلم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(١).

المباحث اللغوية:

قوله: (سباب المسلم فسوق):

السب لغة: الشتم والتكلم في عرض الإنسان بما يعيبه.

الفسق لغة: الخروج عن الأمر؛ وأصل الفسق: الخروج عن الاستقامة، والجور،

تقول العرب: فسقت الرطبة، إذا خرجت من قشرها.

وشرعاً: يطلق ويراد به العصيان والترك لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، فإذا

ارتكب المسلم كبيرة، أو أصرَّ على صغيرة ولم يتب - صار فاسقاً.

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي:

إذا كان الشرع قد سمى الخروج عن أمر الله تعالى ورسوله ﷺ فسقاً

والعرب أطلقته بمعنى الخروج، فيقولون: فسقت الرطبة، إذا خرجت من قشرها،

فإن الرطبة مادامت في قشرها فهي محفوظة من التلف، أما إذا خرجت من قشرها

أصابها العطب والتلف، كذلك الخارج عن أمر الله تعالى ورسوله ﷺ قد عرض

نفسه للهلاك في الدنيا والآخرة.

قوله: (وقتاله كفر) المراد بالقتال: المقاتلة والمشادة والمدافعة المعروفة، وليس القتل

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، فتح الباري، (١٩/١)؛ وأخرجه في غير هذا الموضع أيضاً.

وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، صحيح مسلم بشرح النووي، (٨١/١).

بمعنى إزهاق الروح، فالقتل ليس من المقاتلة بسبيل.

تعريف الكفر لغة: التغطية والستر.

تعريف الكفر شرعاً: الكفر بفيض الإيمان.

علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الشرعي:

وإنما أطلق على من يمحذ وجود الله، أو يشرك معه غيره، أو ينكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو يثبت أمراً علم نفيه من الدين بالضرورة - كافرًا؛ لأنه ستر نعم الله ﷻ ونعم آياته الدالة على توحيده، والتي أبانت لذوي التمييز والنظر أن خالقها واحد لا شريك له.

وكذلك إرساله الرسل بالآيات المعجزة، والكتب المنزلة، والبراهين الواضحة نعمة منه ظاهرة، فمن لم يصدق بها وردّها فقد كفر نعمة الله، -أي: سترها وحجبها عن نفسه.

ولأن الكافر لما دعاه الله تعالى إلى توحيده، فقد دعاه إلى نعمة وأحجها له إذا أجابه إلى ما دعاه إليه، فلما أبى ما دعاه إليه من توحيده كان كافرًا نعمة الله، أي: مغطياً لها بإبائه، حاجباً لها عنه^(١).

المعنى العام للحديث:

وكما حرص الإسلام على تقوية كل ما من شأنه أن يقوي رابطة الأخوة بين المسلمين وينمي المحبة والمودة فيما بينهم - فإنه في نفس الوقت عمل بشئ الطرق والوسائل على القضاء على كل ما من شأنه أن يفرق بينهم، ويغرس بينهم العداوة والبغضاء.

ولكم حذر القرآن الكريم من الأسباب المؤدية إلى الفرقة والتنازع بين المسلمين، مبيناً أن ذلك من أسباب ضياع الأمة وهوانها على عدوّها بعد هوانها على الله تعالى.

(١) لسان العرب، مادة كفر "بتصرف".

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وما حذر القرآن الكريم من شيء بعد الكفر أكثر من تحذيره من الفرقة، فبعد أن ذكر الله تعالى المسلمين بنعمته وفضله عليهم، وأنه أَلَفَ بين قلوبهم بعد أن كانوا أعداء - حذر المسلمين من الفرقة، وتوعد المفرقين بالعذاب الأليم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وفي هذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، يحذر النبي ﷺ من السباب والتقاتل بين المسلمين؛ لما يثمره من عداوة وبغضاء فيما بينهم كما أنه يؤدي إلى ضعف الأمة وهوانها على أعدائها المتربصين بها.

فقه الحديث:

اشتمل هذا الحديث على مسألتين:

أ- أنواع الفسق: المراد بالفسق في هذا الحديث.

ب- أنواع الكفر: المراد بالكفر في هذا الحديث.

أولاً: أنواع الفسق:

الفسق نوعان:

أ- فسق عَقْدِي وهو الذي ينقل عن الملة.

ب- فسق عملي وهو الذي لا ينقل عن الملة.

أ- الفسق العقدي: الذي ينقل صاحبه عن الملة ويصير به كافرًا، وذلك إذا أنكر أو جحد أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة، أو أثبت شيئًا علم نفيه من الدين بالضرورة، وهذا الفسق هو وكفر العقيدة نوع واحد، ومن الأدلة على أن الفسق يطلق ويراد به كفر العقيدة الذي يُخرج من الملة أن الله تعالى سَمَّى الكافر فاسقًا.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

فكان ذلك الفسق من إبليس كفرًا بالله ﷻ؛ حيث ردَّ الأمر على الله ولم يُدعن ولم يستسلم لأمره تعالى.

قال تعالى -بعد أن تحدَّث عن المؤمنين وما أعد لهم-: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠].

فالمراد بالفاسقين في الآية الكريمة الكفار؛ يدل على ذلك قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠]؛ حيث أخبر الله تعالى أنهم كانوا مكذِّبين بالجزء ويوم الدين، وهذا كفر عقدي لا خلاف فيه؛ لأنهم أنكروا أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة.

ب- الفسق العملي: الذي لا ينقل صاحبه عن الملة ولا يصير به كافرًا وإنما يصير المسلم فاسقًا فسقًا عمليًا إذا ارتكب كبيرة أو أصرَّ على صغيرة ولم يتب، ومن الأدلة على ذلك أن الله تعالى سمَّى العاصي من المسلمين فاسقًا، ولم يخرجهُ بمعصيته من ملة الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

فتبيّن من ذلك أن الفسق قد يطلق ويراد به كفر العقيدة، فيسمى الكافر فاسقًا، وقد يطلق الفسق على المعاصي فيسمى العاصي من المسلمين فاسقًا إذا ارتكب كبيرة من الكبائر؛ والذي يحدد المراد إنما هو سياق النص.

المراد بالفسق في الحديث: الفسق العملي الذي لا يخرج به المسلم من ملة الإسلام.

قال ابن حجر: الفسق في الشرع: الخروج عن طاعة الله ورسوله وهو في

عرف الشرع أشد من العصيان، قال تعالى: ﴿وَكُرْهُ إِلَى كُفْرٍ وَآلِ الْفُسُوقِ وَآلِ الْعِصْيَانِ﴾ [الحجرات: ٧]، وقد يطلق الفسق ويراد به الخروج عن الدين^(١).

حكم السب: قال الإمام النووي: سب المسلم بغير حق حرام بإجماع الأمة، وفاعله فاسق كما أخبر النبي ﷺ^(٢).

ثانيًا: أنواع الكفر:

الكفر نوعان:

أ- كفر عقدي.

ب- كفر عملي.

أ- الكفر العقدي: هو الكفر الذي ينقل صاحبه عن ملة الإسلام ويصير به المرء كافرًا مخلدًا في نار جهنم؛ وذلك بأن ينكر العبد وجود الله تعالى، أو يجحده، أو يشرك معه إلها آخر، أو ينكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة، أو يثبت أمرًا غُلم نفيه من الدين بالضرورة.

ب - الكفر العملي: هو الكفر الذي لا ينقل صاحبه عن ملة الإسلام، ولا يصير المرء به كافرًا كافرًا عقديًا، ولا يخلد بسببه في نار جهنم، وهو كفر النعمة، وهو نقيض الشكر، فإذا ما ارتكب المرء ما هو دون كفر العقيدة المخرج من الملة بأن يعمل المرء أعمالاً بغير ما أنزل الله تعالى من غير جحود ولا نكران لأحكام الله تعالى، كأن يقتل نفسًا محرمة بغير حق مع عدم استحلاله للقتل، أو يسعى في الأرض فسادًا، فإنه يطلق عليه: كافر كفر نعمة.

ويطلق على هذا النوع من الكفر: كفر دون كفر، أو الكفر العملي.

ومن الأدلة على أن الكفر يطلق ويراد به كفر النعمة الذي لا يخرج به المرء

(١) لسان العرب، مادة فسق؛ فتح الباري، (١/١١٢).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٥٤).

من ملة الإسلام ما يأتي:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ»؛ قِيلَ: أَيْكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»^(١).

في هذا الحديث أن الكفر يطلق على غير الكفر بالله تعالى المخرج من الملة، فيطلق الكفر على بعض المعاصي ككفران العشير والإحسان والنعمة والحق... وغير ذلك. قال الإمام النووي: أما قتال المسلم بغير حق فلا يكفر به عند أهل الحق كفرًا يخرج به من الملة، إلا إذا استحله^(٢).

المراد بالكفر في الحديث:

إذا قاتل المسلم أخاه المسلم بغير حق مستحلًا القتل، فيكون المقاتل كفرًا كفرًا يخرج به من ملة الإسلام.

أما إذا قاتل المسلم أخاه المسلم بغير حق ولم يستحل المقاتلة، لا يكون

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون كفر، فتح الباري، (١/٨٣).

قال الحافظ ابن حجر: قال القاضي أبو بكر بن العربي عقب قول البخاري، باب كفران العشير وكفر دون كفر: مراد البخاري أن يبين أن الطاعات كما تسمى إيمانًا كذلك المعاصي تسمى كفرًا، لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد الكفر المخرج من الملة.

وخص كفران العشير من بين أنواع الذنوب للقيقة بديعة، وهي قوله: ﷺ: «لو كنت امرأة أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»، أخرجه الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، قال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه، (٢/٥٦٦) عن أبي هريرة. وأخرجه أبو داود "جزء حديث"، كتاب النكاح، باب في حق الزوج على المرأة، وفي حديث أبي داود: "لما جعل الله لهم عليهن من الحق"، (٢/٢٤٤) عن قيس بن سعد.

فقرن حق الزوج على الزوجة بحق الله تعالى فإذا كفرت المرأة حق زوجها وقد بلغ من حقه عليها هذه العناية، كان ذلك دليلًا على تجاوزها بحق الله تعالى، فلذلك يطلق عليها الكفر لكنه كفر لا يخرج من الملة.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٥٤).

كافراً كافراً يخرج به من ملة الإسلام، بل يكون مرتكباً لكبيرة من أكبر الكبائر، وإن أطلق عليه كافر فيكون المراد بالكفر الكفر العملي الذي لا يخرج من ملة الإسلام، ويكون المراد بالكفر في الحديث كفر الإحسان والنعمة وأخوة الإسلام.

وذلك لأن الله تعالى ألف بين قلوب المؤمنين فصاروا بنعمته إخواناً، ومن حق المسلم على أخيه المسلم ألا يظلمه، فإذا لم يرع المسلم هذا الحق وقتل أخاه المسلم ولم يعرف هذه النعمة فقد كفرها؛ ولقد امتنَّ الله تعالى على عباده المؤمنين بأن جعلهم إخواناً متحابين متوادين بعد أن كانوا أعداء متحاربين، وذكرهم الله بهذه النعمة العظمى حتى يتجنبوا الأسباب المؤدية إلى الفرقة والعداوة.

قال الله تعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ومن الأدلة على أن المراد بالكفر في الحديث ليس هو الكفر المخرج عن الملة في حق غير المستحل، بل هو كفر نعمة أو كفر دون كفر.

أن الله تعالى سمَّى المتقاتلين باسم الإيمان مع وجود الاقتتال ومع أن إحدى الطائفتين المتقاتلتين باغية ظالمة.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] إلى أن قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

فدل ذلك على أن المراد بالكفر في الحديث ليس هو الكفر المخرج من الملة، بل هو كفر النعمة؛ وأن المؤمن إذا ارتكب معصية لا يكفر؛ لأن الله تعالى أبقى عليه اسم المؤمن.

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا التَّقَى

الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»^(١)

فسمى النبي ﷺ المتقاتلين بالمسلمين، مع التوعّد بالنار، فدلّ ذلك على أن المراد بالكفر في الحديث ليس الكفر المخرج من الملة، بل هو كفر النعمة.

والتوعّد بالنار إذا كان القتال بغير تأويل سائغ، أما إذا كان بتأويل سائغ فلا وعيد، والمراد بكونه في النار -أي: مستحقاً لها- وقد يجازى بذلك، وقد يعفو الله تعالى عنه^(٢).

أطلق بعض أهل الحديث على مرتكب الكبيرة أنه كافر، ومرادهم أنه كافر كفراً عملياً أو كفراً نعمة، ولا يخرجونه بذلك من الإسلام إلى الكفر، مادام لم يستحلّ الكبيرة.

إذا كان المسلم لا يخرج بقتاله لأخيه المسلم بغير حق من الإسلام فلماذا وصفه النبي ﷺ بالكفر ولم يصفه بالفسق؟

لأن القتال أشد من السباب؛ إذ أنه يفضي إلى إزهاق الأرواح؛ لذلك عبّر عنه بنفط أشد من افسق وهو الكفر مبالغة في التحذير، معتمداً على ما تقرر من القواعد أن مثل ذلك لا يخرج من الملة.

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له"، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك؛ لقول النبي ﷺ: «إِنَّكَ أَمْرٌ فَبَيْنَكَ جَاهِلِيَّةٌ»، فتح الباري، (١/٨٤، ٨٥). وأخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعة، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٨/١١٠).

(٢) فتح الباري، (١/٨٥)؛ صحيح مسلم بشرح النووي، (١٨/١١) "بتصرف".

خلاصة الوحدة الثانية والعشرين

- ١- تحذير المسلمين من الوقوع في الأعمال المؤدية إلى الفسق أو الكفر، وإن كان المراد به الفسق العملي أو الكفر العملي.
- ٢- المعاصي تتفاوت درجاتها بحسب المفاسد الناتجة عنها.
- ٣- تعظيم حق المسلم والحكم على من سبّه بغير حق بالفسق، ومن قاتله بالكفر.
- ٤- الفسق نوعان: فسق ينقل عن الملة، ويسمى بالفسق العقدي؛ وفسق لا ينقل عن الملة، ويسمى بالفسق العملي.
- ٥- الكفر نوعان: كفر ينقل عن الملة، ويسمى بالكفر العقدي؛ وكفر لا ينقل عن الملة، ويسمى بالكفر العملي.
- ٦- يطلق على بعض الأعمال أنها كفر، وذلك من باب التغليظ.
- ٧- إبطال قول المرجئة، حيث أحبطوا قيمة العمل، وقالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهذا قياس باطل - كما تقدم - حيث أضرت المعاصي بأصحابها فيصير المسلم بارتكاب المعاصي فاسقاً أو كافراً، وإن كان المراد بالفسق الفسق العملي وبالكفر الكفر العملي دون الاعتقادي.

اختبار الوحدة الثانية والعشرين

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- السب هو: الخروج عن الأمر.
- ٢- الفسق هو: الشتم أو التكلم في عرض الإنسان بما يعيبه.
- ٣- الكفر لغة: نقيض الإيمان، وشرعاً: التغطية والستر.
- ٤- ليس بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للفسق آصرة قرى.
- ٥- ليس بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للكفر آصرة قرى.
- ٦- الفسق العقدي ينقل عن الملة.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

- ١- يعرف السب لغة بأنه:
 - أ- الخروج عن الأمر.
 - ب- التغطية والستر.
 - ج- الشتم والتكلم في عرض الإنسان بما يعيبه.
- ٢- يعرف الفسق لغة بأنه:
 - أ- الخروج عن الأمر.
 - ب- الشتم أو التكلم في عرض الإنسان بما يعيبه.
 - ج- كلاهما صحيح.
- ٣- يعرف الكفر لغة بأنه:
 - أ- نقيض الإيمان.
 - ب- التغطية والستر.

٤- يعرف الكفر لغة بأنه:

أ- نقيض الإيمان. ب- التغطية والستر. ج- كلاهما صحيح.

٥- الفسق العقدي:

أ- ينقل عن الملة. ب- يساوي الفسق العملي. ج- كلاهما صحيح.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للفسق علاقة كبيرة. وضح ذلك - في ضوء دراستك للحديث.

٢- بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للكفر علاقة كبيرة. وضح ذلك - في ضوء دراستك للحديث.

٣- بين الفرق بين نوعي الفسق: العقدي والعملي، مؤيداً ما تقول بالأدلة، ثم اذكر المراد بالفسق في الحديث.

٤- للكفر نوعان: عقدي، وعملي، بين النوعين بالشرح، مدعماً ما تقول بالأدلة من الكتاب والسنة، ثم اذكر المراد بالكفر في الحديث.

٥- إذا كان المسلم لا يخرج بقتاله لأخيه بغير حق من الإسلام، فلماذا وصفه النبي ﷺ بالكفر، ولم يصفه بالفسق؟



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تبين مدى حرص النبي ﷺ على تربية أمته ونصحه لهم.
- ٢- توضح أن على الإمام النصح للأمة وتذكيرهم بالله وحثهم على فعل الطاعات وترك المنكرات.
- ٣- تحث الناس ونفسك على الاستكثار من الطاعات والصدقات والاستغفار.
- ٤- تراجع العالم فيما لا يدركه فهمك.
- ٥- تدلل على جواز الاستفهام عن علة الحكم.
- ٦- تبين أنه على الحاكم والعالم أن يبين ما يحتاج إليه تلميذه.
- ٧- تبرهن على تحريم كفران الحقوق.
- ٨- تدلل على أن على الإنسان ألا ينظر إلى سيئات الآخرين ويتناسى معروفهم، وإنما يقاس الإنسان بحسناته وسيئاته.
- ٩- تعرف الفضل لأهله وتشكر أهل المعروف على إحسانهم.
- ١٠- تحض الزوجات على حسن العشرة بأزواجهن، وتبتغي بذلك رضا الله ﷻ.
- ١١- تذكر أنه يحرم على الزوجة الإساءة إلى زوجها.
- ١٢- توضح أن على المسلم أن ينصره لسانه عما يجلب له الشر.
- ١٣- تدلل من الحديث على وجود الجنة والنار الآن.
- ١٤- تفرق بين الكفر العقدي والكفر العملي.
- ١٥- ترد على الخوارج الذين يكفرون بالذنب.

الوحدة الثالثة والعشرون

المعاصي أسباب مفضية إلى دخول جهنم إن لم يغفر ربنا ويرحم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الْإِسْتِغْفَارَ فَإِنِ رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»؛ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزَلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَغْلَبَ لَدِي لُبٍّ مِنْكُنَّ»؛ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالَّذِينَ؟ قَالَ: «أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تُعَدُّ شَهَادَةً رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَتَمَكُّتُ اللَّيَالِي مَا تَصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ»^(١).

عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُرَيْتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ»؛ قِيلَ: أَيْكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»^(٢).

المباحث اللغوية:

(المعشر): هم الجماعة يجمعهم أمر واحد مشترك، فالإنس معشر، والجن معشر، والأنبياء معشر، والشباب معشر، والنساء معشر. وجمعه معاشر؛ وإنما أطلق على من يجمعهم أمر واحد معشر؛ لأن بينهم أنسًا وحسن عشرة.

(الصدقة): تطلق على ما يُخرجه المسلم من ماله متطوعًا به على سبيل النذب، لا على سبيل الوجوب، والمراد بالصدقة في حديث الباب صدقة التطوع. وقد تطلق الصدقة ويراد بها الزكاة الواجبة، وقد ورد ذلك في القرآن

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بنقص الطاعات، صحيح مسلم بشرح النووي، (٢/٦٥-٦٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب كفران العشير وكفر دون كفر، (١/١٤).

الكريم والسنة المطهرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَنِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

فالمراد بالصدقة في الآيتين الكريمتين الزكاة الواجبة.

قوله: (وقالت امرأة منهن جزلة) أي: امرأة ذات عقل ورأي، أو امرأة تامة الخلق، ويجوز أن تكون ذات كلام جزل أي: قوي شديد.

(اللعن) في اللغة: الإبعاد والضرد.

وفي الشرع: الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى على سبيل السخط، وذلك من الله في الآخرة عقوبة وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره.

(العشير): الزوج، وقيل للزوج: عشير بمعنى معاشر، مثل: أكيل بمعنى مؤاكل.

(اللب) العقل، والمراد به في الحديث: كمال العقل.

قوله: (فهذا نقصان العقل) أي: علامة نقصانه: أن شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين.

قوله: (ويكفرن الإحسان) هذا تفسير وبيان لقوله: (يكفرن العشير) في الرواية الثانية؛ لأن المراد بكفر إحسان العشير لا كفر ذاته.

والمراد بكفر الإحسان تغطيته أو حجبته؛ يدل على ذلك قوله ﷺ: في آخر الحديث: «لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ».

ليس المراد بقوله: (أحسنست) مخاطبة رجل بعينه، بل كل من يتأتى منه أن يكون مخاطباً فهو خاص لفظاً عام معنى.

المراد بـ (الدهر) مدة عمر الرجل، أو الزمان كله مبالغة في كفرانهم، ونصب الدهر على الظرف.

والتنكير في قوله: (شيئاً) للتقليل، أي: شيئاً قليلاً لا يوافق غرضها من أي نوع كان.

المعنى العام للحديث:

الإسلام دين واقعي، بدليل أنه يصف كل شيء وصفاً حقيقياً يتناسب مع طبيعته وتكوينه، ويعطي كل ذي حق حقه، والإسلام إذ يفعل ذلك إنما يريد أن يتعامل المسلمون مع الواقع لا مع المثاليات، حتى لا يفاجأ المسلم بما لم يكن يتوقع، وحتى يستطيع التعايش مع غيره تعايشاً صحيحاً واقعياً، فالإسلام لا يبني حياة الناس على المبالغات الكاذبة التي لا واقع لها.

والحديث الذي نحن بصدد دراسته واحد من الأحاديث التي تشهد بصحة ما نقول، فلقد عرّف رسول الله ﷺ الرجل بطبيعة المرأة لا من باب انتقاصها، بل من باب التعريف بطباعها، ليستطيع التعايش معها والصبر على طباعها، وحتى لا يفاجأ حين يراها تتنكر لمعروفه حين يسيء إليها مرة مع إحسانه الطويل إليها، فيتصرف تصرفاً غير محمود العواقب؛ ظناً منه أن غيرها من النساء أحسن حالاً منها، وأنها انفردت بهذا الطبع المعوج.

ولقد أوصي الرسول ﷺ الرجل بزوجه خيراً، وأمره أن يصبر على ما فيها من عوج الطبع، حتى تستمر الحياة، ولا يلجأ الزوج إلى طلاق زوجته لعوجها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِي جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ

شيء في الضلعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرَتُهُ، وَإِنْ تَرَكْتُهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»^(١).

ويلاحظ أن النبي ﷺ في هذا الحديث شبه المرأة بالضلع، والضلع بطبيعته أعوج، وعوجه ليس عيباً فيه، بل هذه طبيعته التي ينتفع به عليها، ومع عوج الضلع فإنه يؤدي مهمته، فكذلك المرأة - على ما فيها من عوج الطبع - إن صبر عليها زوجها وغض الطرف عن بعض هفواتها - أدت وظيفتها.

من أجل ذلك أوصى الإسلام الرجل بزوجه خيراً، خاصة عندما تقع الخلافات الزوجية، نرى هذا واضحاً متكرراً في القرآن الكريم والسنة المطهرة. قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

ونرى النبي ﷺ يوصي الرجل بزوجه خيراً، ويأمره ألا يبغضها لخلق لا يرضاه منها، فإن كره منها خلقاً رضي آخر، وفي ذلك حثٌّ على حسن العشرة والصحبة؛ لتستقيم الحياة وتستمر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»؛ أَوْ قَالَ: «غَيْرُهُ»^(٢).

وإذا كان النبي ﷺ قد أوصى الرجل أن يصبر على ما يكره من أخلاق زوجته فإنها هي الأخرى ستصبر على ما تكره من أخلاقه، والإنسان إنما يقاس بحسناته وسيئاته، أو بإيجابياته وسلبياته، ولا يصح أن يركز المسلم على سلبيات الآخرين مع غض الطرف عن إيجابياتهم، فيرسم لهم صورة قائمة؛ ومن محاسن المرأة أن تُعد معاييه؛ لأنها إن عدت تكون قليلة.

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاية بالنساء.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

ولقد أوصى النبي ﷺ الرجال بالنساء خيراً في خطبة الوداع - كما جاء ذلك في صحيح مسلم وغيره - وكان من آخر وصاياه ﷺ أن أوصى بالنساء. ومن أجل أن تستمر الحياة وتدوم العشرة بين الزوجين أباح الإسلام للرجل أن يكذب لامرأته؛ يسترضيها، وأن تكذب المرأة لزوجها تسترضيه، ما لم يؤد ذلك إلى المفساد وإضاعة الحقوق.

عَنْ أُمِّ كَلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ - وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأَوَّلِ اللَّائِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْراً وَيَنْمِي خَيْراً»؛ قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا^(١).

والإسلام لا يريد بذكر طباع المرأة وما جُبلت عليه تنقيصها، بل يريد أن يعرف الرجل طباعها وما جُبلت عليه؛ ليستطيع التعايش معها ويصبر عليها، ولا يحدث الشقاق لهفوة تصدر منها أو لأنه يكره بعض أخلاقها.

وما ذكر في هذا الحديث وغيره من ذكر طباع المرأة وما جُبلت عليه، فإن هذا بالنسبة للأغلب من النساء، وإلا فهناك من النساء من هي أكمل خلقاً وأرجح عقلاً من كثير من الرجال، تُقدّر الأمور حق قدرها وترتها بميزان العقل، وأعرف بالله تعالى وأرضي له، وأصبر على شدائد الدهر من كثير من الرجال؛ وماذا نقول في أم المؤمنين الأولى خديجة - رضي الله عنها.

ولشفقة النبي ﷺ على المرأة، وحرصه عليها، وإرادته الخير لها - نراه يرشدها إلى فعل الطاعات التي تجبر نقص دينها وعقلها، وما يقع منها من هفوات وزلات؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات.

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه.

فقه الحديث:

حكم اللعن:

لا يجوز لعن المعين مسلماً كان أو كافراً أو دابة، إلا من عَلِمْنَا بنص الشرع أنه مات على الكفر أو يموت عليه، كأبي جهل، وإبليس... وغيرهما؛ وذلك لأن اللعن معناه - في الشرع -: الطرد والإبعاد - على سبيل السخط - من رحمة الله تعالى، ولا يجوز أن يحكم على أحد بعينه بالطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، مادام أنه لم يعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية؛ لذلك اتفق العلماء على تحريم لعن المعين إلا من عرف بنص الشرع أنه مات كافراً.

أما اللعن بالوصف، فليس بجرام، بل هو جائز، كلعن الكافرين، والظالمين، والفاسقين، والواصله، والمستوصه، وأكل الربا، وغير ذلك مما وردت فيه النصوص الشرعية بإطلاقه على الأوصاف لا على الأعيان. قال تعالى: ﴿لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤]. وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي ورد فيها لعن الموصوفين بأوصاف خاصة.

نقصان عقل المرأة: علل الرسول ﷺ نقصان عقل المرأة بأن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد؛ وذلك لأن المرأة قليلة الضبط بالنسبة للرجل، ولأن المرأة تحكمها عاصفتها أحياناً.

وقد علل القرآن الكريم جعل شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل بقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢].

نقصان دين المرأة: أرجع النبي ﷺ نقصان دين المرأة بأنها تدع الصلاة والصيام في أيام الحيض، ولا تعيد الصلاة؛ لأنها متكررة فيشق ذلك عليها، وتعيد

الصيام؛ لأنه في العام مرة واحدة.

ومن المعلوم أن الطاعات تسمى إيماناً ودينًا، فمن كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه، ومن نقصت عبادته نقص إيمانه ودينه.

وقد سمى النبي ﷺ الإسلام والإيمان والإحسان دينًا، وذلك في حديث جبريل عليه السلام حيث قال النبي ﷺ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَنَا كُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

ولكن لماذا كانت المرأة -مع أنها أضعف من الرجل بدنيًا وعقليًا عادة- أغلب للرجل وإن كان كامل العقل؟

إن الرجل بطبيعته وتكوينه الفطري يميل إلى المرأة ويسكن إلى جوارها، والمرأة تستغل حاجة الرجل إليها في الضغط عليه واستخراج كل ما لديه، ووسائلها في ذلك كثيرة، فهي تستطيع أن تخفي مشاعرها وتظهر خلاف ما تُبطن، وتلجأ إلى الكيد، وتصبر على ذلك صبرًا جميلًا حتى يخيل للرجل أنها لا تريد إلا ما تُظهر.

وقد قال الله تعالى -حاكياً ما قاله يوسف عليه السلام واصفاً حال المرأة وما جُبِلت عليه من الاحتيال والمكر-: «وَقَالَ الْمَلِكُ اثْنُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ» [يوسف: ٥٠].

عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: لَمَّا مَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، أَنَاهُ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ»؛ قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِنْ يَقُمْ مَقَامَكَ يَكِي فَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِرَاءَةِ؛ قَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ»؛ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ: «إِنْ كُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ». فَصَلَّى وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يُهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَخْطُ بِرِجْلَيْهِ الْأَرْضَ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ يَتَأَخَّرُ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ صَلِّ، فَتَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ وَقَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جَنْبِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُسْمِعُ النَّاسَ التَّكْبِيرَ^(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب من أسمع الناس تكبير الإمام.

خلاصة الوحدة الثالثة والعشرون

- ١- حرص النبي ﷺ على تربية أمته، ونصحه لهم، وتعليمهم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وتحذيرهم مما يضرهم في دنياهم وآخرتهم.
- ٢- على الإمام ومن يقوم مقامه أن ينصح الناس، ويذكرهم بالله تعالى والدار الآخرة، ويحثهم على فعل الطاعات، ويحذرهم من المعاصي والمحرمات.
- ٣- الحث على الاستكثار من الطاعات وأعمال البر بوجه عام، والصدقة والاستغفار، فإنها تزيد الإيمان، وتضاعف الحسنات، وتكون سبباً لمغفرة الذنوب والسيئات.
- ٤- مراجعة المتعلم العالم فيما لا يدركه فهمه.
- ٥- جواز الاستفهام عن علة الحكم.
- ٦- لا يمنع الحياء المتعلم عن السؤال عما لا يفهمه أو يدركه عقله.
- ٧- ينبغي أن يبين العالم ما يحتاج إليه تلميذه.
- ٨- تحريم كفران الحقوق.
- ٩- على المسلم وكذا المسلمة ألا ينظر إلى سيئات الآخرين وأخطائهم متناسياً معروفهم وإحسانهم، فالإنسان إنما يقاس بحسناته وسيئاته، أو بإيجابياته وسلبياته.
- ١٠- يجب على المسلم أن ينصف الآخرين من نفسه، فإذا كان الإنسان -بحكم بشريته- لا يسلم من الزلات والمفوقات وليس معصوماً -فعليه أن ينظر إلى الآخرين هذه النظرة الموضوعية، فلا يجرم غيره إن صدرت منه هفوة أو زلة، بل عليه أن يغض الطرف عن المفوقات والزلات، والكرام إذا رأي عيباً ستره.
- ١١- معرفة الفضل لأهله، وشكر أهل المعروف على معروفهم وإحسانهم؛ استبقاء للخير فيهم، وإن صدر منهم مع الإحسان ما يكره، فالإنسان ليس معصوماً.
- ١٢- الطاعات تسمى ديناً وإيماناً، فمن كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه ومن

نقصت طاعته وعبادته نقص إيمانه.

١٣- على الزوجة أن تحسن عشرة زوجها، تطلب بذلك رضا الله، والجنة، والعشرة الطيبة، فالزوج أعظم الناس حقاً على زوجته.

١٤- يحرم على الزوجة الإساءة إلى زوجها، فإن ذلك قد يكون سبباً لدخولها النار، فكفران العشير والإحسان، من الكبائر، حيث توعد عليه بالنار.

١٥- الجحود من الخصال الذميمة التي يجب على المسلم أن ينزّه نفسه عنها، وقد يكون سبباً لدخوله النار، كما أن الجحود يقطع الإحسان ويُमित المعروف بين الناس.

١٦- على المسلم أن ينزّه لسانه عن كل ما من شأنه أن يجلب له الشر في الدنيا والآخرة، كالسب، واللعن... وغير ذلك.

١٧- الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن.

١٨- أهل التوحيد سيعذبون على معاصيهم، إذا لم يغفر لهم ربهم، إلا أن مصيرهم الأخير بعد العذاب إلى الجنة، فلا يخلد في النار إلا الكافر.

١٩- الكفر نوعان: كفر عقدي يُخرج صاحبه من الملة، وكفر عملي -أو كفر نعمة- لا يخرج صاحبه من الملة، وحديث ابن عباس من أقوى ما يستدل به لذلك، حيث جعل النبي ﷺ عدم شكر نعمة الزوج وجحدها كفراً، وليس هو كفراً بالله تعالى بالاتفاق.

٢٠- في الحديث رد على المرجئة الذين يحبطون قيمة العمل، ويقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، حيث أضرت المعاصي بأصحابها فأوردتهم النار، وأيّ ضرر أعظم من هذا الضرر!

٢١- في الحديث رد على الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبيرة، حيث بين النبي ﷺ أن الكفر قد يطلق ويراد به كفر العمل أو كفر الإحسان والنعمة الذي لا يخرج من الملة.

اختبار الوحدة الثانية والعشرين

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- المعشر: هم الجماعة الذين يجمعهم أمر واحد مشترك، فالإنس معشر والجن معشر، والأنبياء معشر، والشباب معشر... وهكذا.
- ٢- قد تطلق الصدقة ويراد بها الزكاة الواجبة.
- ٣- العشير: الزوج، وقيل له: عشير بمعنى معاشر كأكيل بمعنى مؤاكل.
- ٤- اللعن في اللغة والشرع بمعنىين مختلفين.
- ٥- اللعن في اللغة والشرع بمعنى واحد، فكلاهما بمعنى الطرد والإبعاد.
- ٦- اللب: العقل والمراد به في الحديث كماله.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

- ١- إذا أطلقت الصدقة أريدَ بها:
 - أ- صدقة التطوع.
 - ب- الزكاة الواجبة.
 - ج- كلاهما محتمل.
- ٢- اللعن في اللغة والشرع:
 - أ- بمعنى واحد.
 - ب- بمعنىين مختلفين.
- ٣- التنكير في لفظ: "شيئاً" في الحديث غرضه:
 - أ- التقليل.
 - ب- التعظيم.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

- ١- لماذا شبه النبي المرأة في الحديث بالضلع؟
- ٢- من أجل أن تستمر الحياة وتدوم العشرة بين الزوجين أباح الإسلام للرجل أن

- يكذب لامرأته يسترضيها، وأن تكذب المرأة لزوجها تسترضيه ما لم يؤد ذلك إلى مفسد وإضاعة للحقوق. آيدُ هذا المعنى بالشرح المدعوم بالأدلة.
- ٣- "لم يرد الإسلام بذكر طباع المرأة وما جُبِلت عليه تنقيصها، بل يريد أن يعرف الرجل طباعها ليستطيع التعايش معها، ويصبر عليها..."
- هل هذا القول صواب؟ ناقش ذلك مؤيدًا ما تقول بالدليل.
- ٤- بين حكم "لعن المعين" مسلمًا كان أو كافرًا.
- ٥- ما المراد بنقصان عقل المرأة ونقصان دينها، كما فهمت من الحديث.
- ٦- لماذا كانت المرأة -مع أنها أضعف من الرجل بدنيًا وعقليًا عادة- لماذا كانت أغلب للرجل وإن كان كامل العقل؟
- ٧- في الحديث دلالة على جواز الاستفهام عن علة الحكم، اذكر موضع الشاهد المقصود.
- ٨- الجحود من الخصال الذميمة التي يجب على المسلم أن ينزّه نفسه عنها، وقد يكون الجحود سببًا لدخول النار. اشرح هذا المعنى في ضوء دراستك للحديث.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي 'لدارس': يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادراً على أن:

- ١- تبين مدى شفقة النبي ﷺ بأمته ورحمته بهم.
- ٢- تحذر من الكفر بصُورِهِ كافة وأن تجتنب الوسائل المؤدية إليه.
- ٣- تعرف أن الشرك بالله هو أكبر الذنوب على الإطلاق.
- ٤- تنفي الشريك والند والمساوي لله تعالى فهو سبحانه لا يساويه أحد من خلقه.
- ٥- تعظم حق الأرحام وتجتنب الإساءة إليهم.
- ٦- تؤكد على حق الجار ووجوب دفع الضرر عنه، والإحسان إليه.
- ٧- تحذر من الوقوع في الكبائر المذكورة في الحديث وغيرها، مما نهى الله ورسوله عنه.
- ٨- تبين حرص الإسلام على سلامة المجتمع من الشرور والمفاسد.
- ٩- تبين أن العقوبة على الذنوب تتفاوت بتفاوت المفاسد الناتجة عنها.

الوحدة الرابعة والعشرون

أقبح الذنوب

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»؛ قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةً أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ»؛ قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»؛ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] (١).

المباحث اللغوية:

قوله: (ندّ) الند - بكسر النون وتشديد الدال - المثل والنظير، والجمع: أنداد؛ أو هو مثل الشيء الذي يخالفه في أموره.

قوله: (أن تجعل لله ندًّا)، أي: مثيلًا؛ وقيل ند الشيء من يشاركه في جوهره، وهو ضرب من المماثلة، فإن المثل يقال في أي مشاركة كانت، فكل ند مثل، وليس كل مثل ندًّا؛ ويقال: ندّه ونديده (٢).

و(الضد) أحد المتقابلين، وهما الشيطان المختلفان اللذان لا يجتمعان في شيء واحد، ففارق الند في المشاركة ووافقه في المعارضة.

قوله: (تزاني حليلة جارك) معنى (تزاني)، أي: تزني بحليلة جارك برضاها، فالفاعل من الجانبين؛ و(حليلة الجار) هي التي تحل معه في فراش واحد، أو التي يحل له وطؤها، أي: زوجة الجار؛ أو المراد بـ (حليلة الجار) التي تحل معه، أي: تقيم معه في مسكنه، فيشمل ذلك زوجة الجار وكل محارمه، وهذا أولى.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه، فتح الباري، (٤٤٨/١٠)؛ وأخرجه في غير هذا الموضع. وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، صحيح مسلم بشرح النووي، (٨٠/٢).

(٢) مفردات غريب القرآن، (ص ٧٩٦).

فقه الحديث:

الإسلام دين كامل، ونظام شامل، فهو ينظم علاقة الإنسان بالله تعالى، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بيني جنسه بدءاً بأقاربه، ثم جيرانه، ثم علاقته بالمخلوقات الأخرى.

وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، واحد من الأحاديث التي بين النبي ﷺ فيها بعض هذه الحقوق.

أولاً: حق الله على خلقه: حق الله على خلقه أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وإنما استحق الله تعالى هذا الحق؛ لأن له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وتشريعاته، ولأنه هو الذي خلقهم من العدم، ورزقهم، وتعهدهم في جميع مراحل حياتهم، ولا حياة لهم إلا به تعالى، وسخر لهم كل شيء في هذا الكون، فالخلق يعيشون في نعمه ونعمه، ولا غنى لهم عن فضل الله وإحسانه لحظة واحدة، فالله هو مصدر كل خير.

فالله تعالى علل استحقاقه للعبادة بأنه هو الذي خلق الإنسان، وخلق كل شيء، وسخر كل شيء للإنسان، ولولا تسخير ما استطاع الإنسان أن يتفع بشيء في هذا الكون؛ لذلك استحق الله أن يعبد، وألا يجعل الإنسان له نداً أو شريكاً، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [الحل: ٥٣]؛ فإذا عبد الناس مع الله غيره، أو جعلوا له مثيلاً، فقد كفروا بنعم الله تعالى، واستحقوا أن يخلدوا في نار جهنم؛ لذلك كان الشرك بالله أعظم الذنوب على الإطلاق، وأبان ﷺ أنه لن يغفر للمشركين، وأن مصيرهم إلى الخلود الأبدي في

نار جهنم مهما عملوا من أعمال صالحة، وإن بلغت عنان السماء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [التوبة: ٦٠].

ولقد جعل القرآن والسنة استحقاق الله تعالى للعبادة؛ لأنه هو الذي خلق كل شيء، وغيره من الخلق إنما هو من خلقه تعالى، مقهور له تبارك وتعالى، لا يملك أمر نفسه، فكيف يملك أمر غيره؟! لذلك لا يجوز شرعاً وعقلاً أن نسوي بين الخالق والمخلوق، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]؛ فالله تعالى هو الذي خلق كل شيء ويتعده، ومع ذلك فقد سوى الكافرون بين الخالق والمخلوق، فعبدوا مع الله غيره، وهذا يناقض العقل الصحيح، والفطرة المستقيمة وكيف يسوي العقل الصحيح بين الخالق والمخلوق، بين المنعم والمنعم عليه؟! قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٧-١٨].

ثانياً: قتل الأولاد: القتل من أكبر الكبائر، سواء كان المقتول قريباً أو بعيداً، إلا أن قتل قريب أشد وأعظم حرمة عند الله تعالى؛ لما للقريب - وخاصة الأبناء - من حقوق التراحم والمودة، ولأن المنتظر من الأب أن يسعى في حاجة أبنائه عاملاً على راحتهم، متحملاً المشاق في سبيل تحصيل الرزق لهم، وأن يعيشوا سعداء، وأن يدفع عنهم المكروه، فكيف إذا تنصل من كل ذلك، واتجه إلى أن يفعل بهم ما لا ينتظر إلا من عدوه وعدوهم؟! ولأن الولد في هذه السن لم يرتكب ما يستثير من يقتله ويحفره على القتل، ولأنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه القتل؛ فالذي يقتل ابنه صغيراً بدون ذنب يكون قد فسدت عاطفته، وتحجر

قلبه، ولا يُنتظر منه خير على الإطلاق؛ وقتل الأبناء -سواء كان الدافع إليه الخوف من الفقر أو الخوف من العار كما في قتل البنات- من أكبر الكبائر، وإنما خص الحديث الأكل بالذكر وجعله الدافع إلى القتل؛ لأنه كان الأغلب من حال العرب؛ وقد نهي الله تعالى عن قتل الأبناء في أكثر من موضع في كتابه الكريم، مبيناً أن الرازق للوالد والولد -على الحقيقة- إنما هو الله تعالى وليس أحد من البشر يرزق أحداً؛ فالإنسان مهما علا قدره، وارتفعت منزلته، لا يملك أمر نفسه، فكيف يملك أمر غيره؟! قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

ثالثاً: الزنا بحليلة الجار: الزنا من أكبر الكبائر -سواء كان بحليلة الجار أو غيرها من الأبعاد- لما يترتب عليه من اختلاط الأنساب وضياع الحقوق، ولما ينشأ عنه من مفسدات عظيمة تكون سبباً في فساد المجتمع وانحياره، وهذا لا يتناسب وتكريم الله تعالى للإنسان. وإنما خص من تحل مع الجار -سواء كانت زوجة أو قريبة- لأنه من السهل الوصول إليها وإفسادها على زوجها، ولأن للجار على جاره حقوقاً كثيرة، منها حق المناصرة والدفاع عنه، وأنه يخلفه في أهل بيته في غيبته بخير ويدفع عنهم من يريد بهم سوءاً، كما أن من حق الجار على جاره أن يحسن إليه ويواسيه؛ فإذا غرض الجار الطرف عن هذه الحقوق وتكرر لها، وزنا بزوجة جاره، أو من تحل معه في بيته، يكون بذلك قد ارتكب جرماً عظيماً.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: معنى تزاني أي: تزنى بها برضاها، وذلك

يتضمن الزنا وإفسادها على زوجها، واستمالة قلبها إلى الزاني، وذلك أفحش، وهو مع امرأة الجار أشد قبحاً وأعظم جرماً؛ لأن الجار يتوقع من جاره الذب عنه وعن حريمه، ويأمن بوائقه، ويطمئن إليه، وقد أمر بإكرامه والإحسان إليه، فإذا هو قابل هذا كله بالزنا بامرأته وإفسادها عليه مع تمكنه منها على وجه لا يتمكن غيره منه، كان في غاية من القبح^(١).

اقتصر هذا الحديث على ذكر ثلاث كبائر، وذكر في غير هذا الحديث كبائر أخرى لم تذكر في هذا الحديث، ولا شك أن الشرك أو جعل نذ لله أكبر الكبائر على الإطلاق، ولكن هل الترتيب الوارد في هذا الحديث بحسب عظم الكبيرة؟ بمعنى أن الكبيرة الثانية -وهي قتل الولد- أعظم من الزنا بحليلة الجار، وأن هذه الذنوب المذكورة أعظم الذنوب على الإطلاق؟

قال الحافظ ابن حجر: والذي يظهر أن كلا من الثلاثة على ترتيبها في العظم، ولو جاز أن يكون فيما لم يذكره شيء يتصف بكونه أعظم منها لما طابق الجواب السؤال، نعم يجوز أن يكون فيما لم يذكره شيء يساوي ما ذكر، فيكون في التقدير في المرتبة الثانية مثلاً بعد القتل الموصوف، وما يكون في الفحش مثله أو نحوه، لكن يستلزم أن يكون فيما لم يذكر في المرتبة الثانية شيء أعظم مما ذكر في المرتبة الثالثة، ولا محذور في ذلك^(٢).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٨١/٢).

(٢) فتح الباري (١١٩/١٢).

خلاصة الوحدة الرابعة والعشرين

١- شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمتة.

٢- التحذير من الكفر بكل صورته، والوسائل المؤدية إليه، لأنه لا يُغْفَرُ إن مات صاحبه عليه.

٣- أكبر المعاصي على الإطلاق: الشرك بالله تعالى.

٤- إثبات نفى الشريك والندّ والمساوي لله تعالى، فالله لا يساويه أحد من خلقه، فكل ما عداه مهوّر له تعالى، خاضع ذليل لسلطانه، مسخر لأمره، لأنه هو الذي خلقه.

٥- تعظيم حق الأرحام، وأن الإساءة إليهم ليست كالإساءة إلى غيرهم في الإثم.

٦- تعظيم حق الجار ووجوب دفع الضر عنه، فضلاً عن الإحسان إليه.

٧- التحذير الشديد من هذه الكبائر المذكورة في هذا الحديث وغيرها مما ذكر في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٨- العقوبة على الذنب تتفاوت بتفاوت المفاصد الناتجة عنه، والتي تصيب المتضررين به؛ فالزنا من كبائر الذنوب، غير أن الزنا بالمحارم أعظم من الزنا بالأباعد.

٩- حرص الإسلام على سلامة المجتمع من المفاصد والشرور.

١٠- القرآن الكريم والسنة المطهرة، يُخرجان من مشكاة واحدة

(مصدرهما واحد)؛ وذلك أن القرآن الكريم هُي أن يجعل الناس لله ندّاً؛ معللاً

ذلك بأنه هو الذي خلقهم وسخر لهم كل شيء في هذا الكون؛ وجعل النبي

ﷺ اتخاذاً لله أعظم الذنوب؛ معللاً ذلك بأن الله تعالى هو الذي خلق

الإنسان، فهل يجوز في عرف العقلاء أن يعدل الإنسان بخالقه غيره من الخلق

وهو مخلوق لله تعالى؟! فكيف يجعل الإنسان لله ندّاً والذي خلق الإنسان

وغيره إنما هو الله تعالى؟!!

اختبار الوحدة الرابعة والعشرون

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- "الند" بفتح النون وتشديد الدال: المثل والنظير والجمع أنداد.

٢- "تزاني حليلة جارك" أي: تزني بها بغير رضاها.

٣- "حليلة جارك": هي التي تحمل معه في فراش واحد، أي: الزوجة.

٤- "حليلة جارك": هي التي تحمل معه في مسكن واحد ويشمل ذلك كل محارمه.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- "الند" المثل والنظير وهي:

أ- بكسر النون. ب- بفتح النون. ج- بضم النون.

٢- "تزاني حليلة جارك" أي:

أ- تزني بها برضاها. ب- بغير رضاها. ج- كلاهما صواب.

٣- "حليلة جارك" هي التي تحملُ مع الجار:

أ- في فراش واحد وهي الزوجة.

ب- في مسكن واحد ويشمل ذلك كل محارمه.

ج- كلاهما صواب.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- بين النبي ﷺ في هذا الحديث بعض الحقوق منها: حق الله على عباده، تكلم

عن هذا الحق تفصيلاً في ضوء ما درست.

٢- قتل القريب أشد وأعظم حرمة عند الله تعالى؛ لما للقريب -وخاصة الأبناء- من حقوق التراحم والمودة. تكلم عن تحريم الإسلام لقتل الأولاد خشية الإملاق؛ مؤيداً ما تقول بالأدلة الشرعية.

٣- لماذا خَصَّ الرسول ﷺ الزنا بحليلة الجار -على الرغم من أن الزنا كله من أكبر الكبائر سواء كان بحليلة الجار أم بالأبعد؟

٤- هل الترتيب الوارد في الحديث بحسب عِظَم الكبيرة: بمعنى أن الذنوب المذكورة أعظم الذنوب على الإطلاق؟ اذكر رأي الحافظ ابن حجر في هذا.

٥- حرص الإسلام على سلامة مجتمع من المفساد والشرور، اكتب في هذا مستعيناً بما درسته في شرح هذا الحديث.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الحديث أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تترجم لزيد بن خالد الجهني راوي الحديث رضي الله عنه.
- ٢- تؤكد على أن الفاعل على الحقيقة هو الله ﷻ، وأن غيره لا يملك من أمر نفسه شيئاً.
- ٣- تبرهن على أن كل ما في الكون مقهور له سبحانه.
- ٤- تدلل على أن العرب قبل الإسلام كانوا يعتقدون أن الأسباب فاعلة بنفسها، ثم تبطل هذا الاعتقاد.
- ٥- تفرق بين الكفر العقدي وكفر النعمة.
- ٦- تبين أنه لا يجوز التشبه بأهل الكفر في قولهم.
- ٧- تتعلم كيف تلفت الأنظار إليك وتجذب اهتمام السامعين حين تتحدث.
- ٨- تبرهن على علو منزلة النبي ﷺ ورفعته.

الوحدة الخامسة والعشرون

الله هو الفاعل على الحقيقة

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»^(١).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مُطَرَّ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا»؛ قَالَ: فَزِلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥]^(٢).

ترجمة زيد بن خالد الجهني رحمه الله:

أبو عبد الرحمن زيد بن خالد الجهني، ويقال أبو طلحة المدني، روى عن النبي ﷺ وعثمان وعائشة وغيرهم، وروى عنه ابنه خالد وأبو حرب... وغيرهما.

كان صاحب لواء جهينة يوم فتح مكة، خرَّج له الأئمة الستة.

توفي بالمدينة سنة ثمان وسبعين، وقيل: سنة ثمان وستين.

المباحث اللغوية:

قوله: (صلى لنا) المراد صلى لأجلنا، أو اللام بمعنى الباء أي: (صلى بنا)

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، (١/٣١٤). وأخرجه

البخاري، كتاب الاستسقاء، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، (٢/٤١). وأخرجه

مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، (١/٨٣، ٨٤).

(٢) أخرجه مسلم نفس الكتاب والباب السابق.

كما جاء ذلك في رواية مسلم.

وفيه جواز إطلاق ذلك مجازاً، وإنما الصلاة لله تعالى.

قوله: (الحديبية) مكان سمي بشجرة هناك حذباء، بعضه في الحل وبعضه في الحرم، وهي أبعد أطراف الحرم عن البيت، وهي على بعد أميال من مكة. وهذا الموضع هو الذي صدّ فيه المشركون رسول الله ﷺ عن زيارة البيت - وكان ذلك في العام السادس من الهجرة - وصالح النبي ﷺ المشركين، ورجع ولم يدخل مكة، ودخل النبي ﷺ مكة في العام الذي بعده، وفي الحديبية كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة.

قوله: (إثر) وهو ما يعقب الشيء.

قوله: (سماء) أي: مطر، وأطلق على المطر سماء تسمية للشيء باسم محله، لأنه ينزل من السماء أي: السحاب، وسمي السحاب سماء كما سمي مزناً؛ لأن كل ما علا وأظل فهو سماء وسماء كل شيء ما ارتفع منه، وسمي المطر سماء؛ لكونه ينزل من جهة السماء، وكل جهة علوّ تسمى سماء.

قوله: (فلما انصرف) أي: من صلاته أو مكانه.

قوله: (هل تدرون) هل لفظ استفهام معناه التنبيه، ووقع في رواية النسائي (ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة)^(١) وهذا من الأحاديث القدسية، وهي يحتمل أن يكون النبي ﷺ أخذها عن الله تعالى بلا واسطة أو بواسطة.

قوله: (أصبح من عبادي) الإضافة هنا في قوله: (عبادي) إضافة عموم، بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر، وهذا بخلاف الإضافة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجرات: ٤٢] فإنها إضافة تشريف.

قوله: (مؤمن بي)، أي: مصدق بأن المطر من فعلي، أرحم به من أشياء من خلقي.

(١) سنن النسائي، كتاب الاستسقاء، باب كراهية الاستمطار بالكواكب، (٣/١٦٤، ١٦٥).

قوله: (النوء) - بفتح النون وسكون الواو وفي آخره همزة.
قال الخطابي: "النوء الكوكب، وكذلك سموا بنجوم منازل القمر الأنواء، وهذا من باب تسمية الفاعل بالمصدر".

وإنما سمي النجم نوءاً؛ لأنه ينوء طالعاً عند مغيب مقابله ناحية المغرب.
وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين، يسقط كل ثلاث عشرة ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته.
وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما، ومنهم من ينسبه إلى الطالع منهما نسبة إيجاد وتأثير، ويطلقون القول المذكور في الحديث، فهى الشرع من ذلك؛ خوفاً أن يعتقد أحد اعتقادهم^(١).
المراد من قوله: (كذا وكذا):

قال العيني: "قد عرف أن كذا يرد على ثلاثة أوجه:
أحدها: أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما وهما كاف التشبيه، وذا الإشارة كقولك: رأيت زيداً فاضلاً ورأيت عمراً كذا.
ويدخل عليها هاء التنبيه، كقوله تعالى: ﴿أَهْكَذَا عَرْشُكَ﴾ [النمل: ٤٢].
الثاني: أن تكون كلمة واحدة مركبة من كلمتين مكنياً بها عن غير عدد، كما جاء في الحديث أنه يقال للعبد يوم القيامة: "أتذكر يوم كذا وكذا فعلت كذا وكذا".
الثالث: أن تكون كلمة واحدة مركبة مكنياً بها عن العدد، والذي هاهنا من هذا القسم.

قوله: (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون):
قال الحافظ ابن حجر: "وقد قيل في القراءة المشهورة حذف تقديره

(١) عمدة القاري (٥/٢١٠).

وتجعلون شكر رزقكم" (١).

وقال الطبري: "المعنى وتجعلون الرزق الذي وجب عليكم به الشكر تكذيكم به، وقيل: بل الرزق بمعنى الشكر في لغة أزد شنودة"
المعنى العام للحديث:

حرص الرسول ﷺ منذ اللحظة الأولى على تربية لمسلمين، وتصحيح عقيدتهم، وأن يربطهم برهم ﷺ، وأن يغرس في نفوسهم وقلوبهم أن الفاعل على الحقيقة إنما هو الله تبارك وتعالى، وأن غير الله لا يملك من الأمر شيئاً، بل إن غير الله لا يملك أمر نفسه، فكيف يملك أمر غيره؟! فكل ما في الكون مقهور له ﷺ خاضع ذليل مسخر لأمره تعالى لا يملك إلا أن يكون لله طائعاً، ولم يشذ عن هذا الخضوع إلا الإنسان الذي وهبه الله الإرادة، وهو يوم أن يعصي الله أو يتمرّد عليه لا يفعل ذلك رغماً عن الله ﷻ، فسبحانه جل أن يعصي رغماً عنه، ولكن الله هو الذي منحه الإرادة ليرتب على ذلك الثواب أو العقاب.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

أما الأسباب القريبة التي يراها غير المسلمين فاعلة بنفسها، فليست هي الفاعلة على الحقيقة، بل إن الله تعالى هو الذي يحرك هذه لأسباب كيفما يشاء، فهي مقهورة مسخرة لله تعالى، لا تخرج عن إرادته وقهره، فكل ما في الكون من أسباب ومسببات خاضع لله رب العالمين الكل يسير طوعاً لأمره تعالى، ولا يشذ شيء من خلق الله عن النظام الذي وضعه الله؛ لتسير عليه المخلوقات؛ لذلك

(١) فتح الباري (٢/٦٠٧).

نرى الكون يسير سيرًا منتظمًا لا خلل فيه ولا اضطراب؛ لأنه يسير وفق قوانين الله تعالى التي وضعها ليسير عليها، وليست له إرادة، فلا يقوى على مخالفة تلك القوانين أو الخروج عليها.

قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، الكل يسير طوعًا لأمر الله تعالى وفق القوانين التي وضعت له.

لو أخذ الناس أنفسهم بمنهج الله تعالى، فأحلوا ما أحل الله تعالى، وحرّموا ما حرّم الله تعالى، لاستقامت حياتهم كما استقام أمر السماوات والأرض. غير أن الإنسان العاصي المتمرد على الله هو الذي يفسد على هذا الكون انسجامه، وتسيّحه بحمد الله، وخضوعه لأمره.

لذلك وجدنا الهدهد يتعجب من شذوذ الإنسان وخروجه على هذا النظام، فحين يرى قومًا يسجدون للشمس من دون الله تعالى، يتعجب من حالهم؛ لأن أيّ مخلوق - مهما علا قدره وارتفعت منزلته - لا يستحق أن يُعبد؛ لأن العبادة لا تكون إلا لمن خلق كل شيء، ووُصف بكل صفات الجلال والكمال، فلقد قال الهدهد عن ملكة بلقيس وقومها - كما ذكر القرآن -: ﴿وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٤-٢٦].

فالعبادة والطاعة والخضوع لا يكون كل ذلك إلا للإله العظيم رب كل شيء ومليكه، ولقد جعل الله ﷻ استحقاقه للعبادة والحمد والثناء والتسبيح والتقديس - لأنه هو الذي خلق فسوى وقدر فهدى.

قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى
وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ [الأعلى: ١-٤].

ولقد استفاض القرآن الكريم في إثبات هذه الحقيقة وتأصيلها في نفوس
المسلمين بكل وسيلة، وغرس في نفوس المسلمين وقتلوهم أن الهيمنة المطلقة إنما
هي لله تعالى على جميع خلقه، ولا يخرج مخلوق من تحت قهره تعالى وحكمه.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].
وهذا الحديث الذي نحن بصدد دراسته، واحد من هذه الأحاديث التي ربط
فيها الرسول ﷺ العباد بخالقهم ﷻ. وبين فيه أن الفاعل على الحقيقة إنما هو الله،
وأنه صاحب كل النعم التي يعيش فيها خلقه، لذلك فهو الذي يستحق الحمد
والثناء الجميل في كل وقت وحين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، نعم في
الأنفس، ونعم في تسخير الكون كله للإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ
فَمِنْ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [الحل: ٥٣]. فالله هو مصدر كل
خير، ولا غنى للإنسان عن فضله وإحسانه لحظة واحدة.

ولقد كان العرب يعتقدون أن الأسباب فاعلة بنفسها؛ لذلك كانوا ينسبون
نزول المطر إلى الكواكب، فبين النبي ﷺ أن ذلك كفر بالله تعالى وستر لنعمته
على خلقه؛ لأن الكواكب وإن كانت ميقاتا لنزول المطر إلا أنها ليست هي
الفاعلة على الحقيقة، ولكن الذي يُنزل المطر ويدبر أمر الكون من عرشه إلى
فرشه إنما هو الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى
ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاقِهِ
كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨-١٩].

فلا يقع في ملك الله شيء -صغر أم كبر- إلا وهو صادر بأمر الله وتديره

على وفق علم الله تعالى الأزلي الذي لا يتغير ولا يتبدل.

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

فسبحان من أحاط بكل شيء علماً، واستوت الأزمنة كلها والامكنة أمام علمه، فلا يحجبه شيء عن شيء، ولا يشغله أمر عن أمر، ولا يغيب عن علمه شيء، وتعهده خلقه بعنايته ورعايته، فأمرهم تجري بقضائه وقدره مع كثرتهم التي لا تُحصى ولا تعد.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

وهذه العقيدة التي غرسها النبي ﷺ في نفوس أصحابه وتعهدها بما ينميها وبثبتها في قلوبهم بربطهم بالله دائماً وأبداً في كل أحوالهم وأوقاتهم هي سر عز المسلم في الدنيا، واطمئنان قلبه، وهدوء نفسه، واستقرار باله.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

وكيف لا يكون عزيزاً من يعرف أن أمره بيد الله وحده، وأن غير الله - مهما علا قدره وارتفعت منزلته - لا يملك له شيئاً على الإطلاق، بل إن غير الله لا يملك أمر نفسه، فكيف يملك أمر غيره؟! فكل ما سوى الله عبد ذليل مقهور له تعالى.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ

اجْتَمِعُوا عَلَى أَنْ يَضْرُوكَ شَيْءٌ لَمْ يَضْرُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١).

وكلما قويت هذه العقيدة ورسخت في النفس وأصبح صاحبها موقناً بما ازداد عزاً، وتحرراً من عبودية البشر، وأصبح عبداً لله تعالى وحده، ينظر إلى الخلق جميعاً - وإن عظموا - على أنهم عبيد لله مهضون له، ليس لهم من الأمر شيء. ولقد أثمرت هذه العقيدة الصحيحة - التي ربا عليها النبي ﷺ أصحابه وأصلها في نفوسهم - هذا الجيل الفريد المبارك الذي استطاع بتوفيق الله تعالى أن يغير التاريخ، وأن يحرر البشرية من عبادة العباد، وأن يعبد لهم الله رب العالمين. لقد انطلق أصحاب النبي ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها دون خوف أو وجل من أحد، معتمدين على ربهم، لا يخافون سواه تعالى؛ لأنهم علموا أن كل ما عدها تعالى مسخر له منقاد لأمره.

فقه الحديث:

المراد من الكفر في قوله: (أصبح من عبادي مؤمن وكافر) يحتمل أن يراد بالكفر هنا:

أ- الكفر العقدي: المخرج من ملة الإسلام، السالب لأصل الإيمان، وذلك إذا كان قائل هذا القول يعتقد أن الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر - كما كان بعض أهل الجاهلية يعتقدون - ويدل على ذلك ما يأتي:

١ - قابل الحديث الكفر هنا بالإيمان، فدل على أن المراد بالكفر في الحديث السالب لأصل لإيمان المخرج من ملة الإسلام.

٢ - عَنْ مُعَاوِيَةَ اللَّيْثِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ النَّاسُ مُجَدِّدِينَ فَيَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ رِزْقًا مِنْ رِزْقِهِ فَيُصِيبُحُونَ مُشْرِكِينَ»؛ فَقِيلَ

(١) أخرجه الترمذي. كتاب صفة القيامة، باب رقم ٥٩، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، (٦٦٧/٤).

لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَقُولُونَ مُطَرِّئًا بِنُوءٍ كَذًا وَكَذًا»^(١).

ب- كفر النعمة: وذلك إذا كان قائل هذا القول يعتقد أن الله تعالى هو خالق المطر وهو الذي أنزله، ولا يعتقد تدبير الكوكب، وما هو إلا ميقات لنزول المطر، ويدل على ذلك ما يأتي:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: ﴿مَا أَتَعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ، يَقُولُونَ الْكَوَاكِبُ وَالْكَوَاكِبُ﴾»^(٢).

فقوله: في هذا الحديث: (بها كافرين) يدل على أنه كفر بنعمة الله وليس بالله، وإنما كان ذلك كفر نعمة؛ لأنه لم يصفه إلى ربه، واعتبره عادات غير مؤثرة، وآلات مدبرة وهي غير مدبرة في الحقيقة.

٢- قوله: في حديث ابن عباس: (أصبح من الناس شاكراً، ومنهم كافر)^(٣). حيث قابل الكافر بالشاكراً، فدل على أن المراد بالكفر كفر النعمة وليس المراد به الكفر بالله، المخرج من ملة الإسلام، السالب لأصل الإيمان. قال الحافظ: وفي رواية سفيان عند النسائي والإسماعيلي نحوه، وقال في آخره (وكفر بي) أو قال (كفر نعمتي)^(٤).

وقائل هذا وإن كان غير كافر كفرة عقدياً، إلا أنه مخطئ، وخطؤه من وجهين:
أ- مخالفته للشرع.

ب- التشبه بأهل الكفر في قولهم، وذلك لا يجوز؛ لأننا أمرنا بمخالفتهم ونهينا عن التشبه بهم، وذلك يقتضي الأمر بمخالفتهم في الأقوال والأفعال.

(١) أخرجه الإمام أحمد، (٤٢٩/٣).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

(٣) أخرجه مسلم نفس الكتاب والباب السابق.

(٤) فتح الباري (٦٠٨/٢).

قال الإمام النووي في حديث ابن عباس: مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءٌ كَذَا وَكَذَا»؛ قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]^(١)، فقال الشيخ أبو عمرو -رحمه الله-: ليس مراده أن جميع هذا نزل في قولهم في الأنواء، فإن الأمر في ذلك وتفسيره يأبى ذلك، وإنما النازل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] والباقي نزل في غير ذلك، ولكن اجتماعا في وقت النزول، فذكر الجميع من أجل ذلك، قال الشيخ أبو عمرو -رحمه الله-: ومما يدل على هذا أن في بعض الروايات عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في ذلك الاختصار على هذا القدر اليسير فحسب، هذا آخر كلام الشيخ رحمه الله وأما تفسير الآية فقليل (تجعلون رزقكم)، أي: شكركم، كذا قاله ابن عباس والأكثر، وقيل: (تجعلون) شكر رزقكم، قاله الأزهرى وأبو عني الفارسي، وقال الحسن: أي: (تجعلون) حظكم؛ وأما مواقع النجوم، فقال الأكثر: المراد نجوم السماء، ومواقعها: مغاربها، وقيل: مطالعها، وقيل: انكدارها، وقيل: انتشارها يوم القيامة، وقيل: النجوم بنجوم القرآن، وهي أوقات نزوله، وقال مجاهد: مواقع النجوم محكم القرآن، والله أعلم^(٢).

(١) هو الحديث الثاني في الباب.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٦٢/٢).

خلاصة الوحدة الخامسة والعشرين

١- الفاعل على الحقيقة إنما هو الله تعالى؛ لذلك فإنه يستحق الحمد والشكر والثناء الحسن اعترافاً بنعمه التي لا تحصى ولا تعد.

٢- الأسباب القريبة التي يراها الناس، ويظنها البعض فاعلة بنفسها، وينسبون إليها إيجاد الأشياء، ليست فاعلة على الحقيقة - وإن ربط الله بها المسببات - بل هي مقهورة لله مسخرة له لا تخرج عن أمره تعالى وليست لها إرادة. لذلك لا يصح أن ينسب إليها شيء، وإنما تنسب الأشياء إلى الله تعالى؛ لأنه هو الذي خلقها، وهو الذي يوجهها كيفما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه وقدره.

٣- لقد امتازت طريقة النبي ﷺ في التربية والتعليم بأسلوب لم يسبق إليه، فكان ﷺ يلفت الأنظار، ويجذب اهتمام السامعين إلى ما يقول، حيث يطرح المسألة في صورة سؤال لتنشيط أذهانهم، وليشغل السامعين بالجواب قبل أن يجيب، وإن كان الجواب لا يدرك إلا بدقة النظر أو لا يدرك أصلاً - كما في الحديث - فإنه لا سبيل للصحابة إلى معرفة ما قال الله تعالى، ومع ذلك سألهم، فإذا أجاب ﷺ عن السؤال، تمكن الجواب من نفوسهم أيما تمكن.

٤- من سئل عما لا يعلم عليه أن يقول: لا أعلم، ويفوض الأمر إلى الله تعالى.

٥- النهي عن التشبه بالكافرين في أقوالهم وأفعالهم؛ حتى لا يحكم على المسلم بأحكامهم.

٦- قد يطلق الكفر ويراد به الكفر غير المخرج من ملة الإسلام، فيراد به الكفر

العملي، أو كفر النعمة، وهذا لا يخرج من ملة الإسلام.

٧- حرص الرسول ﷺ على تعليم أمته ما يُصلحهم، وحرصه الشديد على تصحيح العقيدة.

٨- بيان منزلة النبي ﷺ الرفيعة، حيث أخبر عن الله ﷻ بلا واسطة.

٩- الإمام يستقبل المأمومين عقب الفراغ من الصلاة مباشرة. قال الزين بن المنير: استدبار الإمام المأمومين إنما هو لحق الإمامة، فإذا انقضت الصلاة زال السبب، فاستقبالهم حينئذ يرفع الخلاء والترفع على المأمومين.

قال الحافظ ابن حجر: والحكمة في استقبال المأمومين أن يعلمهم ما يحتاجون إليه، فعلى هذا يختص بمن كان في مثل حاله ﷺ من قصد التعليم والموعظة، وقيل: تعريف الداخل بأن الصلاة انقضت؛ إذ لو استمر الإمام على حاله لأوهم أنه في التشهد مثلاً.

اختبار الوحدة الخامسة والعشرين

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- المراد بقوله: "صلى لنا"، أي: صلى لأجلنا، واللام هنا بمعنى الباء، أي: صلى بنا.

٢- قوله: "إثر" معناه: ما يعقب الشيء وهو بسكون الشاء.

٣- قوله: "سماء" بمعنى مطر، وأطلق على المطر سماء تسمية للشيء باسم محله.

٤- "النوء": بضم النون وسكون الواو وآخره همزة هو الكوكب، وهو من باب

تسمية الفاعل بالمصدر.

٥- النوء: بفتح النون، هو الكواكب، وسمي النجم نوءاً؛ لأنه ينوء طالعاً عن

مغيب مقابله ناحية المغرب.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- المراد بقوله: "صلى لنا" أي:

أ- صلى لأجلنا. ب- صلى بنا. ج- كلاهما صحيح.

٢- قوله: "إثر" هو:

أ- بسكون الشاء. ب- بفتح الشاء. ج- لغتان.

٣- قوله: "سماء" هي بمعنى:

أ- المطر. ب- السماء الحقيقية. ج- السقف.

٤- "النوء" هو بمعنى الكوكب وهو:

أ- بضم النون. ب- بفتح النون. ج- لغتان.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

- ١- ترجم لزيد بن خالد الجهني راوي الحديث ﷺ.
- ٢- ترد "كذا وكذا" على ثلاثة أوجه قالها العيني، اذكر أوجه ورودها، كما فهمت من الشرح.
- ٣- في قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قولان لابن حجر وللطبري، اذكرهما.
- ٤- حرص النبي ﷺ على أن يغرس في نفوس المسلمين وعقولهم أن الفاعل على الحقيقة هو الله ﷻ، اشرح هذا المعنى في ضوء فهمك للحديث؛ مؤيداً ما تقول بالأدلة الشرعية.
- ٥- لا يقع شيء في ملك الله ﷻ إلا وهو صادر بأمره سبحانه وتديره على وفق علمه الأزلي الذي لا يتغير ولا يتبدل. دلل على هذا المعنى من القرآن الكريم والسنة المطهرة.
- ٦- ما المراد من الكفر في قوله ﷺ: "أصبح من عبادي مؤمن وكافر"؟ فصل القول في هذا.
- ٧- في الحديث دلالة على مكانة النبي ﷺ الرفيعة؛ حيث أخبر عن الله بلا واسطة. اذكر موضع الشاهد المشار إليه هنا.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك - بعد دراسة هذا الحديث - أن تصبح قادرًا على أن:

- ١ - تعرّف الزكاة لغة وشرعًا.
- ٢ - توضّح العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي.
- ٣ - تبيّن منزلة الزكاة في الإسلام وحكمة مشروعيتها.
- ٤ - تحدد الأصناف التي تصرف هم الزكاة.
- ٥ - تبين أثر الزكاة، وثمراتها على الفرد والمجتمع.
- ٦ - تذكر كيف أقرّ الإسلام الملكية الخاصة، وتوضح دوره في تهذيبها.
- ٧ - تبين ثمرات الإنفاق والبذل، وعواقب البخل والشح.
- ٨ - تذكر الآيات والأحاديث التي تتوعد مانعي الزكاة.

مَقَالَةٌ

الزكاة لغة هي: النماء والطهارة والبركة.

وشرعاً: اسم لما يخرج من ماله على سبيل الفرض والوجوب إلى أحد الأصناف الثمانية المذكورة في القرآن شرط ألا يكون الآخذ من آل بيت النبي ﷺ. والعلاقة بين المعنيين - اللغوي والشرعي - واضحة في أن الزكاة تُنقص المال ظاهراً، ولكنها في الحقيقة تزكية وتطهير لنفس ومال المزكي من عبودية المال، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وإن كانت الزكاة تنقص المال مادياً؛ فالله يبارك المال وينميهِ لصاحبه في الدنيا بالبركة في المال والولد والصحة، وفي الآخرة بالأجر العظيم على قدر نية المتصدق وإخلاصه، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام بعد الشهادتين والصلاة، وقد

فرضت في السنة الثانية من الهجرة.

حكمة مشروعية الزكاة:

وحكمه مشروعيتهما أنما تطهر المسلم من أدناس الذنوب والبخل والشح وعبودية المال، وهي إحسان للمحتاجين، وسبب للفوز برضا الله تعالى، والتقرب إليه، كما أنما تطهر نفوس الفقراء من الغل والحقد والحسد والسخط، وتربط بين أبناء المجتمع برباط التكافل الاجتماعي، الذي يجعل المجتمع جسداً واحداً، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، قال ﷺ: "حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة"^(١).

(١) ذكره ابن حجر الهيتمي في الزواج، وعزاه للطبراني وأبي نعيم والخطيب (١٧/١).

مصارف الزكاة:

تصرف الزكاة إلى أصناف ثمانية ذكرها الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

ويجوز صرف الزكاة لصنف واحد من هذه الأصناف الثمانية، غير العاملين عليها. وقد حذر الإسلام تحذيراً شديداً من سيطرة المادة على حياة الناس لما يترتب على ذلك من مفساد اجتماعي وأخلاقي تؤدي إلى عقوق الآباء، وتقطيع الأرحام، وإلى الظلم والكذب والقتل، وبهذه المفساد فإن الإنسان لا يرى إلا المادة، ولا يحيا إلا لنفسه فقط، ولا يفكر إلا في الماديات؛ لذلك حث الإسلام على الإنفاق والبذل والعطاء، وفرض الزكاة قدراً محدداً عند بلوغ النصاب، ومرور الحول على المال، وحث على الصدقة والإطعام، والكفالة، وغيرها.

والإسلام لا يبغيض المال ولا الغنى، ففي الحديث: "نعم المال الصالح للرجل الصالح"؛ ولكنه يهذب هذا الغنى فيجعل للمال حرمة؛ ليعيش الناس في مأمن من الجوع والفقر، ويكونوا متحابين متوادرين، وهذا الجزء الذي يأخذه الإسلام من الأغنياء ليرده إلى الفقراء إنما هو حق للفقراء في أموال الأغنياء، وليس تفضلاً من الأغنياء على الفقراء، فيجب على الأغنياء أن يُخرجوه من أموالهم بطيب نفس؛ لتصير أموالهم ظاهرة مباركة. لم يعرف التاريخ ديناً أو نظاماً غني بالضعفاء كما عُرف ذلك في الإسلام، فهو دين هداية ورعاية، ولتخيل مجتمعاً التزم هذه الأخلاق الفاضلة، الغني يحنو على الفقير ويحسن إليه، ويسعى في حاجته.

والإسلام قد هذب غريزة حب التملك بعدة وسائل، أهمها:

أ- قاعدة: العباد مستخلفون فيما آتاهم الله تعالى:

وهي حقيقة يغفل عنها الكثير، فالمال هو مال الله، والأغنياء ما هم إلا

مستخلفون فيه ليلوهم بهم أيهم أحسن عملاً، قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ب- نزع حرص الإنسان على مصلحة أبنائه:

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً﴾ [النساء: ٩]، وهي طبيعة في الإنسان، والله يعلمه ويذكره أن أرزاق أبنائه عليه سبحانه، فاتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، فلقد سخر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام والعبد الصالح لإقامة جدار أولاد الرجل الصالح ليحفظ بذلك كنزهما من الضياع، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

وفي الحديث: "أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله" قالوا يا رسول الله ما منا أحدٌ إلا ماله أحب إليه؛ قال: "فإن ماله ما قدّم، ومال وارثه ما أخر" (١).

ج- رفض الإسلام قياس أمر الآخرة على أمر الدنيا:

فالإنسان عند الاحتضار يعاين الحقائق، ويرى الغيب الذي أخبر الله تعالى ورسوله ﷺ به واقعاً مشهوداً، وعندها لا يفكر الإنسان إلا في نفسه وما سيصير إليه أمره، ولا يتعلق إلا بنفسه، ولا يُشغل إلا بمستقبله، وعند ذلك يطلب الإمهال من الله تعالى ولو لوقت قصير ليستكثر من الأعمال الصالحة التي يعود ثوابها عليه غير مفكر في مال ولا ولد، غير أنه لن يجاب إلى ما طلب لا هو ولا غيره، قال تعالى:

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له، فتح الباري (١١/٢٦٠)، عن عبد الله ابن مسعود.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

د- فرض الله ﷻ الزكاة وأوجبها على الأغنياء للفقراء:

وهي وسيلة قوية لتهديب غريزة حب التملك، ووعد المستحيين له أن يعرضهم عنها خيراً في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسُكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

هـ- دعوة الإسلام إلى الوسطية والاعتدال في كل شيء

فلا يأمر الإسلام المسلمين بالانخلاع من كل أموالهم وإنفاقها في سبيل الله، فهو دين يحب الوسطية والاعتدال في كل شيء، فكما أمر بإعطاء الفقراء - كذلك أمر بعدم تضييع أولاده الورثة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

حدد الإسلام الزكاة فجعلها ربع العشر في كل عام، وهذا هو القدر الواجب على الإنسان، وبعد ذلك فالمسلم بالخيار ينظر مصلحة أولاده ومصلحة الناس، فالإمساك في وقت يجب فيه البذل بطل، والبذل حيث وجب الإمساك تبذير، وبينهما حدٌ وسط تقدره ظروف الناس ومصلحتهم، وهذا الحد الوسط هو الحمود شرعاً وهو الذي يطلق عليه السخاء.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

الوحدة السادسة والعشرون

عقوبة من لم يؤد زكاة ماله

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ: "هُمْ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ"؛ قَالَ: فَجِئْتُ حَتَّى جَلَسْتُ فَلَمْ أَتَقَارَّ أَنْ قُمْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ أَبِي وَأُمِّي، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: "هُمْ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا -مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ- وَقَلِيلٌ مَا هُمْ مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَا بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسَمَّتُهُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطْوُهُ بِأُطْلَافِهَا كُلَّمَا نَفَدَتْ أَخْرَاهَا عَادَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ"^(١).

المباحث اللغوية:

قوله: "هم الأخسرون -ورب الكعبة-"، وفي رواية: "إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمْ الْأَقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا..." الحديث^(٢)؛ والمراد: أن المكثرين من المال هم المقلون من ثواب الآخرة، وهذا في حق من كان مكثراً ولم يتصف بما دل عليه الاستثناء بعد من الإنفاق في وجوه البر والطاعات.
قوله "فلم أتقارَّ" قال ابن منظور: وفي حديث أبي ذر: فلم أتقارَّ أن قمت، أي: لم ألبث، وأصله أتقارر فأدغمت الراء في الراء؛ قال الإمام النووي: "ومعنى "فلم أتقارَّ" لم يمكنني القرار والثبات.

(١) أخرجه مسلم "واللفظ له": كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، صحيح مسلم

بشرح النووي (٧٤/٧، ٧٣)، وأخرجه الترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في

منع الزكاة من التشديد، قال أبو عيسى: "حديث أبي ذر حديث حسن صحيح" (٤/٣، ٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً، فتح

الباري (٢٦٤/١١، ٢٦٣) عن أبي ذر رضى الله عنه، وأخرجه مسلم "واللفظ له": كتاب الزكاة، باب

الترغيب في الصدقة، صحيح مسلم بشرح النووي (٧٤/٧، ٧٤).

قوله: "إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا - من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله": قال الإمام النووي: "وأما إشارته ﷺ إلى قدام ووراء والجانبين، فمعناها أنه ينبغي أن ينفق متى حضر أمر مهم؛ قال الحافظ ابن حجر: "وبقي من الجهات فوق وأسفل، والإعطاء من قبل كل منهما ممكن لكن حذف لندوره؛ وقد فسر بعضهم الإنفاق من وراء بالوصية وليس قيداً فيه، بل قد يقصد الصحيح الإخفاء فيدفع لمن وراءه ما لا يعطي به من هو أمامه.

قوله: "كلما نفذت أخرها عادت عليه أولها" قال النووي: "هكذا ضبطناه نفذت بالذال المهملة، ونفذت بالذال المعجمة وفتح الفاء، وكلاهما صحيح.

قوله: (النطح): للكباش والثيران وغيرها.

قوله: (القرن): للكباش والثيران.

قوله: (تطؤه): الوطاء الدوس بالقدم.

قوله: (بأظلافها): الظلف ثلث بقر والغنم والظباء، وهو المنشق من القوائم؛ والخف للبعير؛ والخافر للفرس والبغل والحمارة والقدم للآدمي.

قوله: (حتى يقضى بين الناس)، وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ" ^(١)، وهذا التعذيب إنما يكون في الموقف قبل أن ينصرف الناس إما إلى الجنة أو النار.

قوله: "ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمته": قال الإمام النووي: "وإنما كانت الإبل والبقر والغنم على هذه الحالة التامة للزيادة في عقوبته بكثرتها وقوتها وكمال خلقها، فتكون أثقل في وطئها، كما أن ذوات القرون تكون بقرونها ليكون أنكى وأصوب لطئها ونطحها.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، صحيح مسلم بشرح النووي (٦٧-٦٤/٧).

والحكمة في مجيئها على هذه الحالة الكاملة ألها قد تكون عند من منع زكاتها على حالات: مرة هزيلة ومرة ثمينة ومرة صغيرة ومرة كبيرة، فأخبر النبي ﷺ ألها تأتي على أعظم أحوالها عند صاحبها زيادة في عقوبته. فقه الحديث:

مذهب أبي ذر في المال:

كان أبو ذر رضي الله عنه يرى أن المال الفائض عن حاجة المسلم الضرورية إنما هو كنز ويجب على المسلم أن يتصدق به، وإلا كان من الكانزين. قال ابن عبد البر: "وردت عن أبي ذر آثار كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كنز يذم فاعله، وأن آية الوعيد نزلت في ذلك"، وخالفه جمهور الصحابة ومن بعدهم، وحملوا الوعيد على مانعي الزكاة، وأصح ما تمسكوا به حديث طلحة بن عبيد الله وغيره في قصة الأعرابي حيث قال: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا، قَالَ "لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ"^(١)، والظاهر أن ذلك كان في أول الأمر - كما في حديث ابن عمر.

وقد استدلل له ابن بطال بقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، أي: ما فضل عن الكفاية، قال ابن حجر: "فكان ذلك واجباً في أول الأمر ثم نسخ"^(٢).

قال الإمام النووي: "إن مذهب أبي ذر في المال أن الكنز كل ما فضل عن حاجة الإنسان، هذا هو المعروف من مذهب أبي ذر وروى عنه غيره.

لقد استدلل أبو ذر لمذهبه بقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، فكان أبو ذر يرى أن هذه الآية إنما نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين فلا يرى بادخار شيء أصلاً، قال

(١) سبق حديث طلحة بن عبيد الله في أدلة الجمهور في نفس الحديث.

(٢) فتح الباري (٢/٢٧٣).

القرطبي: "وهو الصحيح؛ لأنه لو أراد أهل الكتاب خاصة لقال: "ويكثرون" بغير "والذين"، فلما قال: "والذين" فقد استأنف معنى آخر يبين أنه عطف جملة على جملة، فـ "الذين يكثرون" كلام مستأنف وهو رفع على الابتداء"^(١).

عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ قَالَ: مَرَرْتُ بِالرَّبِذَةِ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْزَلَكَ مَنَزْلَكَ هَذَا؟ قَالَ: كُنْتُ بِالشَّامِ، فَاحْتَلَفْتُ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ فِي الَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ قَالَ مُعَاوِيَةُ: نَزَلْتُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقُلْتُ: نَزَلْتُ فِيْنَا وَفِيهِمْ، فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي ذَاكَ، وَكُتِبَ إِلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه يَشْكُونِي، فَكُتِبَ إِلَيَّ عُثْمَانُ أَنْ أَقْدِمَ الْمَدِينَةَ، فَقَدِمْتُهَا، فَكَثُرَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى كَانَهُمْ لَمْ يَرَوْنِي قَبْلَ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُ ذَاكَ لِعُثْمَانَ، فَقَالَ لِي: إِنْ شِئْتَ تَنَحَّيْتَ فَكُنْتُ قَرِيبًا، فَذَاكَ الَّذِي أَنْزَلَني هَذَا الْمَنْزَلَ، وَلَوْ أَمَرُوا عَلَيَّ حَبْشِيًّا لَسَمِعْتُ وَأَصَعْتُ"^(٢).

قال العيني: "فمعاوية نظر إلى سياق الآية، فإنها نزلت في الأحرار والرهبان الذين لا يوتون الزكاة، وأبو ذر نظر إلى عموم الآية"^(٣).

وسياق الآية التي نظر إليها معاوية هي قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

قال القرطبي: "فذهب معاوية إلى أن المراد بالآية أهل الكتاب، وإليه ذهب الأصم؛ لأن قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ﴾ مذكور بعد قوله: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾"^(٤).

(١) تفسير القرطبي (٢٩٦٢، ٢٩٦٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكسر، فتح الباري (٢٧١/٣).

(٣) عمدة القاري (١٩١/٧).

(٤) تفسير القرطبي (٢٩٦٢).

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِ الشَّدَّةُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى قَوْمِهِ يُسَلِّمُ لَعَلَّهُ يُشَدِّدُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَرْخِصُ فِيهِ بَعْدُ فَلَمْ يَسْمَعْهُ أَبُو ذَرٍّ فَيَتَعَلَّقُ أَبُو ذَرٍّ بِالْأَمْرِ الشَّدِيدِ^(١).

المراد بالكنز:

مذهب الجمهور: ذهب جمهور العلماء إلى أن الكنز المذموم هو المال الذي لم تُؤدَّ زكاته، فإن أدبت زكاته فليس بكنز.

قال الإمام النووي: "الصحيح الذي عليه الجمهور أن الكنز هو الذي لم تؤد زكاته، فأما إذا أدبت زكاته فليس بكنز سواء كثر أم قل"^(٢).

قال ابن عبد البر: "والجمهور على أن الكنز المذموم ما لم تؤد زكاته" ويشهد له حديث أبي هريرة مرفوعاً: "إِذَا أَدَبْتَ زَكَاةَ مَالِكَ فَقَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ"^(٣). ولم يخالف في ذلك إلا طائفة من أهل الزهد كأبي ذر^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: "قال ابن بطال وغيره عقب ذكر ترجمة البخاري (باب ما أدى زكاته فليس بكنز)؛ لقول النبي ﷺ: "لَيْسَ فِيمَا دُونَ خُمْسٍ أَوْاقٍ صَدَقَةٌ"^(٥).

وجه استدلال البخاري بهذا الحديث للترجمة أن الكنز المنفي هو المتوعد عليه الموجب لصاحبه النار لا مطلق الكنز الذي هو أعم من ذاك، وإذا تقرر ذلك فحديث: "لَا صَدَقَةٌ فِيمَا دُونَ خُمْسٍ أَوْاقٍ" مفهومه أن ما زاد على الخمس ففيه الصدقة، ومقتضاه أن كل مال أخرجت منه الصدقة فلا وعيد على

(١) أخرجه أحمد (١٢٥/٤)؛ فتح الباري (٢٧٣/٣).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٧٧/٧).

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء إذا أدبت الزكاة فقد قضيت ما عليك؛ قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن غريب" (٥/٣، ٤).

(٤) فتح الباري (٢٧٣/٣).

(٥) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز، فتح الباري (٢٧١/٣).

صاحبه، فلا يسمى ما يفضل بعد إخراج الصدقة: كنزا.

قال ابن رشد: "وجه التمسك به أن ما دون الخمس وهو الذي لا تجب فيه الزكاة قد عفي عن الحق فيه فليس بكنز قطعاً، والله قد أثنى على فاعل الزكاة، ومن أثنى عليه في واجب حق المال لم يلحقه ذم من جهة ما أثنى عليه فيه وهو المال". قال الحافظ ابن حجر: "ويتلخص أن يقال: ما لم تجب فيه الصدقة لا يسمى كنزاً؛ لأنه معفو عنه، فليكن ما أخرجت منه الزكاة كذلك؛ لأنه عفي عنه بإخراج ما وجب فيه، فلا يسمى كنزاً"^(١).

قال العيني: "المال لا يكون كنزاً إلا بشرطين: أحدهما أن يكون نصاباً، والثاني أن لا يخرج منه زكاته؛ فإذا عدم النصاب لا يلزمه شيء، فلا يكون كنزاً ولا يدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]، فلا يستحق العذاب، وإذا وجد النصاب ولم يُزَكَّ يكون كنزاً فيدخل تحت الآية ويستحق العذاب، وإذا وجد النصاب وزكي لا يكون كنزاً فلا يستحق العذاب، وهذا هو الترجمة.

وقد استدلل الجمهور مع ما سبق بالآتي:

١- عَنْ خَالِدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: أَخْبِرْنِي قَوْلَ اللَّهِ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه: "مَنْ كَنَزَهَا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهَا فَوَيْلٌ لَهُ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُنَزَلَ الزَّكَاةُ، فَلَمَّا أُنْزِلَتْ جَعَلَهَا اللَّهُ طُهْرًا لِلْأَمْوَالِ"^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: "هذا مشعر بأن الوعيد على الاكتناز -وهو حبس ما فضل عن الحاجة عن المواساة به- كان في أول الإسلام ثم نسخ ذلك بفرض

(١) فتح الباري (٢/٢٧٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز، فتح الباري (٣/٢٧١).

الزكاة لما فتح الله الفتوح، وقدرت نصب الزكاة؛ فعلى هذا المراد بنزول الزكاة بيان نصيبها ومقاديرها لا إنزال أصلها^(١).

٢- حديث طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس، يسمع دوي صوته، ولا يفقه ما يقول حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: "خمس صلوات في اليوم والليلة؛ فقال: هل على غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع؛ قال رسول الله ﷺ: "وصيام رمضان؛ قال: هل على غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع؛ قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة؛ قال: هل على غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع؛ قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص؛ قال رسول الله ﷺ: "أفلح إن صدق"^(٢)، وغيره من الأحاديث.

فحديث طلحة بن عبيد الله يدل على أنه ليس في المال حق سوى الزكاة، وأن المال إن أدت زكاته فليس بكنز يذم صاحبه ويعاقب عليه في الآخرة. قال الحافظ ابن حجر: "وأصح ما تمسكوا به حديث طلحة وغيره في قصة الأعرابي حيث قال: "هل على غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع"^(٣).

(١) فتح الباري (٢٧١/٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام (١٨/١).

وأخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف (٢٣٥/٣).

وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام (٤٠/١).

(٣) فتح الباري (٢٧٣/٣).

خلاصة الوحدة السادسة والعشرون

١- زهد أبي ذر رضي الله عنه وكان من مذهبه أنه يحرم على الإنسان ادّخار ما زاد عن حاجته، بل يجب على المسلم أن يتصدّق بما زاد عن حاجته فكان يرى أن الكنز إنما هو جمع المال.

٢- جواز الأخذ بظاهر اللفظ، حيث أخذ أبو ذرّ بظاهر قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]؛ لأن الكنز في اللغة: المال، المدفون سواء أديت زكاته أم لا، فكان أبو ذرّ يرى أن الكنز إنما هو جمع المال، يدل على ذلك قوله في الحديث: "إِنَّمَا يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا".

٣- الوعيد الشديد لمن لا يؤدي زكاة ماله.

٤- يبعث الله تعالى الإبل والبقر والغنم التي لم تؤدّ زكاتها بعينها ليعذب بها مانع الزكاة.

٥- امثال أمر كبير والوقوف عنده أولى من ارتكاب ما يخالفه بالرأي، ولو كان فيما يقتضيه الرأي توهم دفع مفسدة حتى يتحقق ذلك فيكون دفع المفسدة أولى.

٦- استحباب منادة العالم الكبير صاحبه بكنيته إذا كان جليلاً.

٧- جواز الحلف بغير تحليف، بل هو مستحب إذا كان فيه مصلحة، كتوكيد أمر مهم وتحقيقه ونفي الحجاز عنه.

٨- استفهام التابع من متبوعه على ما يحصل له فائدة دينية أو علمية... أو غير ذلك.

اختبار الوحدة السادسة والعشرين

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (x) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- الزكاة تزكي نفس الغني وتطهرها من الغل والحقد والحسد.
- ٢- سميت الزكاة بالنماء؛ لأن رأس المال يزيد في الأعوام التالية.
- ٣- الصدقة مأخوذة من الصدق، وسميت الزكاة بالصدقة؛ لأنها تشهد بصحة إيمان المتصدق.
- ٤- فرضت الزكاة في السنة الثانية من البعثة الشريفة.
- ٥- شرعت الزكاة لتطهير الغني من أذناس الذنوب والبخل والشح وعبودية المال فحسب.
- ٦- يجوز صرف الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية، غير المولفة قلوبهم.
- ٧- أرسل النبي ﷺ سعد بن معاذ إلى أهل اليمن ليجمع منهم الزكاة.
- ٨- أقر الإسلام غريزة حب التملك وحدد مقاديرها.
- ٩- لفظ النطح الوارد في الحديث يكون للكباش والثيران وغيرها.
- ١٠- قوله ﷺ: "أعظم ما كانت وأسمنه" دلالة على المبالغة في تعذيب مانعي الزكاة.
- ١١- دعا أبو ذرٍّ رضي الله عنه إلى أنه ليس لأحد من الناس الحق في المال الزائد عند الغير - ما أدى الغير زكاته.

١٢- الكنز المذموم هو ما لم تؤدَّ زكاة ماله.

١٣- ذكر الحديث الإبل والبقر والغنم؛ لأنها الأصناف الوحيدة التي تخرج فيها الزكاة.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- الذي يمحّد أصل فرضية الزكاة:

أ- فاسق. ب- كافر. ج- مرتد.

٢- الصحابي الذي قال له رسول الله ﷺ: "إنك إن تذر ورثتك أغنياء... هو:

أ- سعد بن الربيع. ب- سعد بن أبي وقاص. ج- سعد بن معاذ.

٣- حد الإسلام الزكاة فجعلها كل عام...

أ- العشر. ب- نصف العشر. ج- ربع العشر.

٤- تصرف الزكاة لأصناف من الناس عددهم:

أ- ثلاثة. ب- خمسة. ج- ثمانية.

٥- يستخدم لفظ الظلف:

أ- للحمار. ب- للبعير. ج- لبقر والغنم والظباء.

٦- "لم أتقار أن قمت" معناها:

أ- لم أتعهل. ب- لم أسمع. ج- لم ألبث.

٧- تجب الزكاة في الزروع إذا بلغت...

أ- سبع أواق. ب- عشر أواق. ج- خمس أواق.

٨- جاء رجل من أهل... ثائر الرأس يسأل النبي ﷺ عن الإسلام وأركانه.

أ- الطائف. ب- البادية. ج- نجد.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- عرّف الزكاة لغة وشرعاً، ثم بين العلاقة بين التعريفين.

٢- بين حكمة مشروعية الزكاة، وفرضيتها.

٣- اذكر الأصناف التي يجوز صرف الزكاة لها.

٤- بين آثار البخل والشح على الفرد والمجتمع.

٥- وضّح ما شرعه الإسلام من وسائل لتهديب هذه الغريزة.

٦- اذكر فوائد وثمرات الزكاة في المجتمع الإسلامي.

٧- في ظاهر الحديث ذمٌ لكثرة المال وللمكثرين منه، وضح هذه العبارة.

٨- ما معنى قول النبي ﷺ عن الإبل والبقر والغنم: "أعظم ما كانت وأسمنه"؟

٩- لأي ذر ﷺ رأي خالف به الجمهور في معنى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ

وَالْفِضَّةَ﴾ وضحه، ثم اذكر رأي الجمهور.

١٠- ما المراد بالكنز، وما شروط المال المكنوز؟



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك -بعد دراسة هذا الحديث- أن تصبح قادرًا على أن:

١- تذكر الأحاديث التي تفيد أن مرور الحول شرط لوجوب الزكاة.

٢- تبين رأي الجمهور وما استدلوا به على مرور الحول.

٣- تذكر رأي من قال بعدم اشتراط الحول لوجوب الزكاة.

الوحدة السابعة والعشرون

مرور الحول شرط لإيجاب الزكاة

- ١- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ اسْتَفَادَ مَالًا فَلَا زَكَاةَ عَلَيْهِ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ عِنْدَ رَبِّهِ" ^(١).
- ٢- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا زَكَاةَ فِي مَالِ امْرِئٍ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ" ^(٢).
- ٣- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَنْ اسْتَفَادَ مَالًا فَلَا زَكَاةَ فِيهِ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ عِنْدَ رَبِّهِ" ^(٣).

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء لا زكاة على المال المستفاد حتى يحول عليه الحول - وفي الباب عَنْ سَرَاءَ بِنْتِ نُبَهَانَ الْغَنَوِيَّةِ (١٦/٣).

قال الحافظ ابن حجر عقب حديث ابن عمر المرفوع: "والراجح وقفه".
قال العلامة الصنعاني عقب حديث ابن عمر المرفوع: "رواه الترمذي مرفوعاً والراجح وقفه، إلا أن له حكم الرفع؛ إذ لا مسرح للاجتهاد فيه، وتؤيده آثار صحيحة عن الخلفاء الأربعة وغيرهم، فإذا حال عليه الحول - أي: على المال - فينبغي المبادرة بإخراج الزكاة" - سبل السلام - (٢/٢٤٩).

(٢) أخرجه الدارقطني: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة بالحول؛ وقال: "رواه مُعْتَمِرٌ وَغَيْرُهُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ مَوْقُوفًا" (٢/٩٠).

(٣) أخرجه الترمذي: نفس الكتاب والباب.

قَالَ أَبُو عِيْسَى الترمذي عقب تخريجه لحديث عبد الله بن عمر الثاني الموقوف عليه: وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ أَسْلَمَ - أي: الحديث الأول المرفوع -. قَالَ أَبُو عِيْسَى وَرَوَى أَيُّوبُ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ مَوْقُوفًا. وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمَ ضَعِيفٌ فِي الْحَدِيثِ ضَعْفُهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَعَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَهُوَ كَثِيرُ الْفَلْطِ. وَقَدْ رَوَى عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَا زَكَاةَ فِي الْمَالِ الْمُسْتَفَادِ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ. وَبِهِ يَقُولُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِذَا كَانَ عِنْدَهُ مَالٌ تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ سِوَى الْمَالِ الْمُسْتَفَادِ مَا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ الْمُسْتَفَادِ زَكَاةٌ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ فَإِنْ اسْتَفَادَ مَالًا قَبْلَ أَنْ يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ فَإِنَّهُ يُزَكَّى الْمَالُ الْمُسْتَفَادَ مَعَ مَالِهِ الَّذِي وَجِبَتْ فِيهِ الزَّكَاةُ. وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ (١٦، ١٧/٣).

هل مرور الحول شرط لإيجاب الزكاة؟

أولاً: مذهب الجمهور: ذهب جمهور العلماء إلى أنه لا زكاة في المال حتى يحول عليه الحول "أي: يمر على تملكه سنة كاملة عند صاحبه".

بل نقل الزرقاني إجماع العلماء على اشتراط الحول في الماشية والنقد دون المعشرات^(١) "أي: الزروع؛ لأن الواجب فيها العشر إذا كانت تسقى بدون كلفة أو نصف العشر إن كانت تسقى بكلفة" وتزكى بمجرد الحصاد ولا يشترط وجوب الزكاة فيها مرور عام على حصادها؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١].

أدلة الجمهور: استدل الجمهور بما يأتي:

- ١- حديث الباب: وفيه أنه شرط مرور الحول لإيجاب الزكاة في الأموال.
- ٢- عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَبْعُضُ أَوَّلَ هَذَا الْحَدِيثِ -أي: حديث الأنصبة- قَالَ: "فَإِذَا كَانَتْ لَكَ مَائَتَا دِرْهَمٍ وَحَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ فَفِيهَا خَمْسَةٌ دَرَاهِمَ وَلَيْسَ عَلَيْكَ شَيْءٌ -يعني في الذهب- حَتَّى يَكُونَ لَكَ عِشْرُونَ دِينَارًا فَإِذَا كَانَ لَكَ عِشْرُونَ دِينَارًا وَحَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ فَفِيهَا نِصْفُ دِينَارٍ فَمَا زَادَ فَحِسَابُ ذَلِكَ"^(٢).

(١) شرح الزرقاني على الموطأ (٩٦/٢).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة. قال أبو داود عقب الحديث: فَلَا أَدْرِي أَعْلَى يَقُولُ: فَبِحِسَابِ ذَلِكَ، أَوْ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "وَلَيْسَ فِي مَالٍ زَكَاةٌ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ"؛ إِلَّا أَنَّ حَرِيرًا قَالَ ابْنُ وَهْبٍ يَرِيدُ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "لَيْسَ فِي مَالٍ زَكَاةٌ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ"، سنن أبي داود (١٠١/٢، ١٠٠).

قال الحافظ ابن حجر: رواه أبو داود وهو "حسن" وقد اختلف في رفعه -سبل السلام- (٢٤٦/٢).

قال العلامة الصنعاني: أخرج الحديث أبو داود مرفوعاً من حديث الحارث الأعور إلا قوله: "فَمَا زَادَ فَبِحِسَابِ ذَلِكَ" قال: فلا أدري أعلي يقول: فبحساب ذلك أو يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قال العلامة الصنعاني عقب كلام أبي داود: فأفاد كلام أبي داود أن في رفعه بجملة اختلافاً وبه المصنف -أي: الحافظ ابن حجر- في التلخيص على أنه معلول وبين علته -سبل السلام- (٢٤٧/٢).

قال العلامة الصنعاني: "وَدَلَّ حَدِيثُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنَّهُ لَا زَكَاةَ فِي الْمَالِ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، وَهُوَ قَوْلُ الْجَمَاهِيرِ، وَفِيهِ خِلَافٌ لَجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَبَعْضِ آلِ وَدَاوُدَ فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يَشْتَرِطُ الْحَوْلُ لِإِطْلَاقِ حَدِيثِ: "وَفِي الرِّقَّةِ رُبْعُ الْعُشْرِ"^(١).

وأجيب بأنه مقيّد بهذا الحديث وما عضّده من الشواهد ومن شواهد حديث ابن عمر عليه السلام: "مَنْ اسْتَفَادَ مَالًا فَلَا زَكَاةَ عَلَيْهِ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ" وهو حديث الباب.

٣ - عَنْ أَنَسٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ فِي مَالٍ زَكَاةٌ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ"^(٢).

٤ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ فِي الْمَالِ زَكَاةٌ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ"^(٣).

فهذه الأحاديث المرفوعة تدلُّ على أن الزكاة لا تجب في المال إلا إذا حال عليه الحول، ويؤيد ذلك أيضًا آثار صحيحة عن الصحابة عليه السلام:

١ - قَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ عليه السلام لَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ مِنْ مَالٍ زَكَاةً حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ"^(٤).

٢ - عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: لَيْسَ فِي مَالٍ زَكَاةٌ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ"^(٥).

٣ - قَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا تَجِبُ فِي مَالٍ زَكَاةٌ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ"^(٦).

(١) أخرجه الدارقطني: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة بالحول (٩١/٢).

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) أخرجه الدارقطني: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة بالحول (٩١/٢).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الزكاة، باب الزكاة في العين من الذهب والورق (٢٤٥/١).

(٥) أخرجه الدارقطني: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة بالحول - (٩١/٢).

(٦) أخرجه مالك - نفس الكتاب والباب السابق. وأخرجه الدارقطني - نفس الكتاب والباب السابق.

هذه الآثار وإن كانت موقوفة إلا أن لها حكم المرفوع؛ لأن مثل ذلك لا يقال من قبل الرأي أو الاجتهاد، فهو يحتاج إلى توقيف من الرسول ﷺ. ومكانة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من النبي ﷺ توجب علينا القول بأن هذا مما علمه من الرسول ﷺ.

ويدخل في ذلك المال المستفاد في أثناء الحول، سواء كان ذلك من تجارة أو راتب أو غير ذلك لا تجب فيه الزكاة؛ لأنه لم يمر عليه سنة كاملة عند صاحبه، وهذا هو المروي عن الصحابة رضي الله عنهم:

١- قَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَعْطَى النَّاسَ أَعْطِيَاتِهِمْ يَسْأَلُ الرَّجُلَ: هَلْ عِنْدَكَ مِنْ مَالٍ وَجَبَتْ عَلَيْكَ فِيهِ الزَّكَاةُ؟ فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ، أَخَذَ مِنْ عَطَائِهِ زَكَاةَ ذَلِكَ الْمَالِ؛ وَإِنْ قَالَ: لَا، أَسْلَمَ إِلَيْهِ عَطَاءَهُ وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً^(١).

٢- عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ قُدَامَةَ عَنْ أَبِيهَا أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ إِذَا جِئْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ أَقْبِضُ عَطَائِي سَأَلَنِي: هَلْ عِنْدَكَ مِنْ مَالٍ وَجَبَتْ عَلَيْكَ فِيهِ الزَّكَاةُ؟ قَالَ: فَإِنْ قُلْتُ: نَعَمْ، أَخَذَ مِنْ عَطَائِي زَكَاةَ ذَلِكَ الْمَالِ؛ وَإِنْ قُلْتُ: لَا، دَفَعَ إِلَيَّ عَطَائِي^(٢).

ثانياً: ذهب بعض العلماء إلى عدم اشتراط الحول لإيجاب الزكاة، ومن هؤلاء: معاوية، وابن عباس... وغيرهما، ثم انعقد الإجماع على خلافهم، وقد خالف في ذلك معاوية بن أبي سفيان فكان يأخذ من الأعطية زكاتها.

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَعْطِيَةِ الزَّكَاةَ: مُعَاوِيَةُ^(٣).

قال ابن عبد البر: ولا أعلم من وافق معاوية إلا ابن عباس، ثم قال: وهذا شذوذ لم يعرج عليه أحد من العلماء، ولا قال به أحد من أئمة الفتوى.

(١) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الزكاة، باب الزكاة في العين من الذهب والورق (١/٢٤٦، ٢٤٥).

(٢) نفس المرجع السابق (١/٢٤٦).

(٣) نفس المرجع السابق (١/٢٤٦).

قال الباجي: قال ابن مسعود وابن عامر مثل قولهما، ثم انعقد الإجماع على خلافه.
قال ابن عبد البر: وإنما كان معاوية يأخذ من العطاء زكاة ذلك العطاء؛
لأنه كان يرى حقه واجباً قبل دفعه إليه، فكان يراه كالمال المشترك يمر عليه الحول
في حالة الاشتراك، وأبو بكر وعمر وعثمان لم يأخذوا ذلك منها؛ إذ لم يتحقق
ملك من أعطوها إلا بعد القبض؛ لأن للإمام أن يصرفها إلى غيره بالاجتهاد^(١).
وقد استدل من أوجب الزكاة في المال المستفاد ولم يشترط مرور الحول
بقوله ﷺ: "وَفِي الرِّقَّةِ رُبْعُ الْعَشْرِ"^(٢)، حيث أطلق الحديث ولم يقيد ذلك بمرور
الحول لإيجاب الزكاة.

ولكن هذا الإطلاق الوارد في هذا الحديث مقيد بالأحاديث التي شرطت
مرور الحول لإيجاب الزكاة، وقد تقدمت، ويلاحظ أيضاً على هذا الحديث أنه لم
يذكر نصاً لإيجاب الزكاة، وقد جاء ذلك في أحاديث أخرى قيدت هذا
الإطلاق - كما سيأتي إن شاء الله تعالى - وأحاديث الباب الواحد ينظر إليها على
أنها حديث واحد، ويؤخذ الحكم من مجموع الأحاديث وليس من بعضها.

(١) شرح الزرقاني على الموطأ (٩٧/٢).

(٢) أخرجه البخاري "حزء حديث": كتاب الزكاة، باب زكاة الغنم - فتح الباري - (٣٧٢/٣).

الرقعة - بكسر الراء وتخفيف القاف -: الفضة الخالصة سواء كانت مضروبة أو غير مضروبة، وقيل: أصلها
الورق فحلقت الواو وعوضت الهاء - النهاية في غريب الحديث - (٢٥٤/٢) - فتح الباري - (٣٧٦/٣).

خلاصة الوحدة السابعة والعشرين

وردت أحاديث كثيرة تشترط مرور الحول على المال حتى تجب فيه الزكاة منها: حديث النبي ﷺ: "من استفاد مالاً فلا زكاة عليه حتى يحول عليه الحول عند ربه" وحديث: "لا زكاة في مال امرئ حتى يحول عليه الحول".

ذهب جمهور العلماء إلى أنه لا زكاة في المال حتى يمر على تملكه سنة كاملة عند صاحبه؛ للأحاديث الواردة في ذلك.

كان الخلفاء الأربعة والصحابة لا يأخذون من مال زكاة حتى يحول عليه الحول.

ذهب بعض العلماء إلى عدم اشتراط الحول لوجوب الزكاة، ومنهم: معاوية، وابن عباس وغيرهما، واستدلوا بحديث النبي: "وفي الرقة ربع العشر".

ثم انعقد الإجماع على خلافهم، وقال ابن عبد البر: وهذا شذوذ لم يعرج عليه أحد من العلماء.

اختبار الوحدة السابعة والعشرين

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- أجمع العلماء على اشتراط الحول في الماشية والنقد والمعرشات.
- ٢- تزكى الزروع بمجرد الحصاد ولا يشترط لوجوب الزكاة فيها مرور عام على حصادها.
- ٣- ذهب بعض العلماء إلى عدم اشتراط الحول لإيجاب الزكاة، ومنهم: أبو بكر وعلي، وابن عمر.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- يجب في الزروع إذا كانت تسقى بكلفة:

- أ- نصف العشر. ب- العشر. ج- ربع العشر.
- ٢- قال القاسم بن محمد: إن لم يكن يأخذ من مال زكاة حتى يحول عليه الحول.
- أ- عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- ب- علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
- ج- أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

- ١- اذكر الأحاديث الدالة على اشتراط الحول لوجوب الزكاة.
- ٢- بين رأي الجمهور وما استدلو به على اشتراط الحول لوجوب الزكاة.
- ٣- خالف بعض العلماء رأي الجمهور في عدم اشتراط الحول لوجوب الزكاة، اذكر ما استدلو به على رأيهم.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك -بعد دراسة هذا الحديث- أن تصبح قادراً على أن:

- ١- تذكر نصاب الزروع والثمار.
- ٢- تحدد أنصبه الذهب والفضة.
- ٣- تبين الحد الأدنى الذي تجب فيه الزكاة في الإبل.
- ٤- تذكر القدر الواجب إخراجه فيما يسقى بكلفة وبدون كلفة.
- ٥- تبين الأنواع التي تجب فيها الزكاة.
- ٦- توضّح الحكم لو سُقي الزرع بالطريقتين (بكلفة- وبدون كلفة).

الوحدة الثامنة والعشرون

نصاب ما يكال والورق والفضة والإبل

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقةٌ وليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقةٌ وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة" ^(١).

المباحث اللغوية:

المراد من قوله: (دون) في المواضع الثلاثة: أنها بمعنى (أقل) -أي: ليس في أقل من خمسة أوسق أو خمس أواق من الورق أو خمس ذود من الإبل صدقة.
المراد من قوله: (أوسق): جمع وسق بفتح الواو، ويجوز كسرهما وجمعه حينئذ أوساق كحمل وأحمال -أي: إذا كان بكسر الواو، وأصل (الوسق) في اللغة (الحمل).

مقدار الوسق: الستون صاعاً) كما جاء ذلك في رواية ابن ماجه وأبو داود؛ والصاع أربعة أمداد.

والمدّ رطل وثلث، فيكون نصاب التمر وغيره من الحبوب (١٦٠٠) رطل بالبغدادي.

قال الدؤادي: "معيّاره الذي لا يختلف: أربع حفنات بكف الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما".

قال صاحب القاموس: "وقد جربت ذلك فوجدته صحيحاً ويبلغ النصاب بالكيل المصري خمسين كيلة".

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب زكاة الورق، فتح الباري (٣/٣٦٣)، وأخرجه البخاري أيضاً، كتاب الزكاة، باب ليس فيما دون خمس ذود صدقة، فتح الباري (٣/٣٧٨) "واللفظ له"، وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب رقم (١)، وأخرجه الترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء في صدقة الزرع والتمر والحبوب، قال أبو عيسى: "حديث أبي سعيد حديث حسن صحيح"، وقد روي من غير وجه عنه (١٣/١٣).

المراد من قوله: (أواق) جمع أوقية بضم الهمزة وتشديد الياء واشتقاق الأوقية من الوقاية؛ لأن المال مضمون مخزون، أو لأنه يقي صاحبه من الضرر. المراد من قوله: (الورق) -بفتح الواو وبكسرهما، وكسر الراء وسكونها: الفضة كلها، مضروبها وغيره.

مقدار الأوقية أربعون درهماً بالاتفاق والمراد بالدرهم الخالص من الفضة سواء كان مضروباً أو غير مضروب، فنصاب الفضة مائتا درهم وهي خمس أواق. (الدُّود): يطلق على العدد من الثلاثة إلى العشرة ولا واحد له من لفظه. قال أبو عبيد: "من الثنتين إلى العشرة وهو يختص بالإناث". نصاب الإبل خمس، والخمسة من الإبل فيهم شاة. فقه الحديث:

١ - نصاب الفضة خمس أواق، وهي مائتا درهم بنص الحديث والإجماع.
٢ - نصاب الذهب عشرون مثقالاً والمعول فيه على الإجماع وورد فيه حديث ضعيف.

قال الإمام النووي: "لم يأت في الصحيح بيان نصاب الذهب وقد جاءت فيه أحاديث بتحديد نصابه بعشرين مثقالاً، وهي ضعاف، ولكن أجمع من يعتد به في الإجماع على ذلك".

في الرواية التي معنا ذكرت المكيل وهو التمر وفي رواية البخاري في كتاب الزكاة باب زكاة الورق لم يذكر المكيل فقال: "وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ". فهل هذا خاص بالتمر كما جاء في حديث الباب؟

جاء في رواية الإمام مسلم "لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مِنْ تَمْرٍ وَلَا حَبِّ صَدَقَةٌ" فتبين بذلك أن هذا ليس خاصاً بالتمر بل يدخل معه كل أنواع الحب -أي: كل ما يكال.

هل التقدير بالأرطال تقريب أم تحديد، بمعنى أنه إذا قلّ عن ١٦٠٠ رطل - تجب فيه الزكاة أم لا؟

قال الإمام النووي فيه وجهان لأصحابنا:

أصحهما: تقريب، فإذا نقص عن ذلك يسيراً وجبت الزكاة.

والثاني: تحديد، فمضى نقص شيء - وإن قلّ - لم تجب الزكاة.

وجزم الإمام أحمد بأنه تحديد وهو أصح الوجهين للشافعية إلا إن كان النقص يسيراً جداً مما لا ينضبط فلا يضر، قاله ابن دقيق العيد.

قال الإمام النووي: " في هذا الحديث فائدتان:

الأولى: وجوب الزكاة في هذه المحدودات (أي: الأصناف المذكورة).

والثانية: لا زكاة فيما دون ذلك ولا خلاف بين المسلمين في هاتين، إلا ما قاله أبو حنيفة وبعض السلف أنه تجب الزكاة في قليل الحب وكثيره، وهذا مذهب باطل منابذ لصريح الأحاديث الصحيحة".

واستدل أبو حنيفة لما ذهب إليه بعموم قوله ﷺ: "فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرُ"^(١).

وأنه لا يعتبر له حول فلا يعتبر له نصاب، كما استدل أبو حنيفة بعموم

الآيات التي أوجبت الزكاة في كل خارج من الأرض قلّ أو كثر.

قال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا

لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وقال ﷺ: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

فلم يحدد القرآن الكرم نصاباً معيناً تجب فيه الزكاة فوجب إخراج الزكاة

في كل ما خرج من الأرض قلّ أو كثر على حدّ سواء، والله تعالى أعلم.

(١) يأتي تحريمه - إن شاء الله تعالى.

وما ذهب إليه أبو حنيفة هو الأحوط فضلاً عن أنه يحقق المصلحة للفقراء ويدفع عنهم الحاجة، ثم إن كثيراً من المزروعات غير المنصوص عليها في الأحاديث قد تحقق عائداً أكبر مما تحققه المزروعات المنصوص عليها، فهل تؤخذ الزكاة من صاحب العائد القليل ولا تؤخذ من صاحب العائد الكبير.

وكذلك أجمعوا أن في عشرين مثقالاً من الذهب زكاة إلا ما روي عن الحسن البصري والزهري أنهما قالا: لا تجب في أقل من أربعين مثقالاً، والأشهر عنهما الوجوب في عشرين، كما قال الجمهور.

قال القاضي عياض: "وعن بعض السلف وجوب الزكاة في الذهب إذا بلغت قيمته مائتي درهم وإن كان دون عشرين مثقالاً، قال هذا القائل ولا زكاة في العشرين حتى تكون قيمتها مائتي درهم".

وكذلك أجمعوا فيما زاد في الحب والتمر أنه يجب فيما زاد على خمسة أوسق بحسابه وأنه لا وقص فيها.

الواجب في الخمس ذود من الإبل (شاة).

قال الصنعاني: "إن الحديث دليل على أنه لا زكاة فيما لم يبلغ هذه المقادير من الورق والإبل والتمر والتمر لطفاً من الله بعباده وتخفيفاً".

وأما الثالث (التمر والتمر) ففيه خلاف بسبب ما عارضه من الحديث بعده وهو قوله: "فيما سقت السماء والعيون... العُشر" يأتي إن شاء الله تعالى.

قال الإمام الترمذي عقب تخريجه لحديث الباب: "والعمل على هذا عند أهل العلم: أن ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، والوسق ستون صاعاً، وخمسة أوسق: ثلاثمائة.

وصاع النبي ﷺ خمسة أرباط وثلث.

وصاع أهل الكوفة ثمانية أرباط.

وليس فيما دون خمس أواق صدقة، والأوقية أربعون درهماً؛ وخمس أواق مائتا درهم.

وليس فيما دون خمس ذود صدقة؛ يعني: ليس فيما دون خمس من الإبل، فإذا بلغت خمساً وعشرين من الإبل ففيها بنت مخاض، وفيما دون خمس وعشرين من الإبل في كل خمس من الإبل شاة^(١).

زكاة ما يُسقى بكلفة وما يسقى بدون كلفة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "فيما سقت السماء والعيون أو كان عَثْرِيَا الْعُشْرُ وما سُقِيَ بِالنَّضْحِ نَصْفُ الْعُشْرِ"^(٢).
المباحث اللغوية:

قوله: (العيون): الماء الذي يجري بنفسه من غير نضح؛ ولذلك عدل البخاري في ترجمة الباب عن لفظ (العيون) الواقع في الخبر إلى الماء الجاري ليجري مجرى التفسير للمقصود من ماء العيون، يأخذ هذا الحكم ليبين أن الذي يجري بنفسه من نهر أو غدير حكمه حكم ما يجري من العيون.

قوله: (عَثْرِيَا) قال الخطابي: "هو الذي يشرب بعروقه من غير سقي، قال أبو يعلى: هو المستنقع في بركة ونحوها يصب إليه من ماء المطر في سواق تشق له واشتقاقه (أي: العثري) من العاثور وهي الساقية التي يجري فيها الماء؛ لأن الماشي يعثر فيها".

ويدخل فيه: الذي يشرب من الأنهار بغير مؤنة، أو يشرب بعروقه، كأن يغرس في أرض يكون الماء قريباً من وجهها فيصل إليه عروق الشجر فيستغني عن السقي.
قوله: (بِالنَّضْحِ) - بفتح النون وسكون المعجمة بعدها مهملة - أي:

(١) سنن الترمذي (١٤/٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب العشر فيما يُسقى من ماء السماء وبالماء الجاري، فتح الباري (٤٠٧/٣)، وأخرجه الترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة فيما يسقى بالأنهار وغيره، قال

أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح" (٢٢/٣).

بالسانية- وهي الإبل التي يستقى عليها، وذكر الإبل كالشال، وإلا فالبقرة وغيرها كذلك في الحكم.

فقه الحديث:

ظاهر حديث ابن عمر رضي الله عنه أن ما سقي بدون كلفة يخرج منه العشر وما سقي بكلفة ففيه نصف العشر، ولم يشترط حديث ابن عمر رضي الله عنه نصاباً لإيجاب الزكاة، كما أن القرآن الكريم لم يشترط نصاباً معيناً لإيجاب الزكاة، فأوجب القرآن الكريم الزكاة في كل ما خرج من الأرض قل أم كثر.

قال عليه السلام: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]. وإلى ذلك ذهب الإمام أبو حنيفة وغيره فأوجبوا الزكاة في كل خارج من الأرض قل أم كثر ولم يشترط نصاباً معيناً استدلالاً بالقرآن الكريم وحديث الباب فليس في ذلك نصاب.

وذهب الجمهور إلى أن شرط وجوب الزكاة في الزروع بلوغها النصاب استدلالاً بحديث أبي سعيد الخدري السابق، فجعلوا حديث أبي سعيد الخدري مقيداً للإطلاق الوارد في القرآن الكريم.

فإن قيل: لماذا لم يذكر النصاب في حديث ابن عمر رضي الله عنه قلنا إن حديث ابن عمر رضي الله عنه ورَدَ للفرقة بين ما يجب فيه العشر وما يجب فيه نصف العشر، ونصوص الباب الواحد يجب أن يُنظر إليها مجتمعة عند استنباط الأحكام الفقهية فلا يؤخذ حكم من نص ويهمل نص آخر في بابه.

ما الحكم لو سقي الزرع بالطريقتين؟

إن سقي الزرع بالطريقتين -أي: بما فيه كلفه وبما ليس فيه كلفه- كأن يسقى بعض الوقت بالمطر وبعض الوقت بالنضح -فيجب ثلاثة أرباع العشر إذا تساوى ذلك، قال ابن قدامة: لا نعلم فيه خلافاً.

وإن كان أحدهما أكثر كان حكم الأقل تبعاً للأكثر، نص عليه أحمد، وهو

قول الثوري وأبي حنيفة وأحد قولي الشافعي.

والثاني يؤخذ بالقسط ويحتمل أن يقال: إن أمكن فصل كل واحد منها أخذ بحسابه وعن ابن القاسم صاحب مالك: العبرة بما تم به الزرع وانتهى ولو كان أقل، والله تعالى أعلم.

الأنواع التي تجب فيها الزكاة:

نص في حديث أبي سعيد الخدري على أن الزكاة تجب فيما يمكن فيه التوسيق وسكت عما لا يقبل التوسيق كالخضروات وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرُ"، فيمكن التمسك بحديث ابن عمر رضي الله عنهما فيما لا يمكن التوسيق فيه عملاً بالدليلين، غير أن الجمهور ذهبوا إلى أن الخضروات لا تجب فيها الزكاة استدلالاً بما روي مرفوعاً "لا زكاة في الخضروات" رواه الدارقطني من طريق علي وطلحة ومعاذ -مرفوعاً- وقال الترمذي: "لا يصح فيه شيء إلا مرسل موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو دال على أن الزكاة إنما هي فيما يكال مما يدخر للاقتيات في حال الاختيار"، وهو قول مالك والشافعي.

حكى ابن المنذر الإجماع على أن الزكاة لا تجب فيما دون خمسة أوسق مما أخرجت الأرض.

قال أبو حنيفة: "تجب الزكاة في جميع ما يقصد بزراعته نماء الأرض إلا الحطب والقصب والحشيش والشجر الذي ليس له ثمر".

حكى عياض عن داود أن كل ما يدخل فيه الكيل يراعى فيه النصاب وما لا يدخل فيه الكيل ففي قليلة وكثيرة الزكاة، وهو نوع من الجمع بين الحديثين المذكورين، أي: حديث أبي سعيد وحديث ابن عمر رضي الله عنهما، والله تعالى أعلم.

قال ابن العربي: "أقوى المذاهب وأحوطها للمساكين قول أبي حنيفة، وهو التمسك بالعموم، واتفقوا على وجوب الزكاة فيما زاد على الخمسة أوسق بحسابه ولا وقص فيها".

خلاصة الوحدة الثامنة والعشرين

- ١- حرص الإسلام على استئصال الضغائن من نفوس المسلمين وغرس الحب والتراحم فيما بينهم، وذلك بتشريع كل ما من شأنه أن يحقق ذلك.
- ٢- وجوب الزكاة في هذه المذكورات إذا بلغت النصاب.
- ٣- بيان الرسول ﷺ لما أجمله القرآن الكريم حيث فصل أحكام الزكاة.
- ٤- حدد رسول الله ﷺ في الحديث بعض الأنصبة، وأخير أن نصاب الفضة هو: خمس أواق، وهي: مائتا درهم.
- نصاب الذهب: عشرون مثقالاً، وهو ما يساوي خمسة وثمانين جراماً.
- نصاب الزروع: خمسة أوسق، وهو ما يساوي ٦٠٠ رطل.
- نصاب الإبل: خمس، وفيها شاة.
- ٥- فرض الله الزكاة وجعلها ركناً من أركان الإسلام الخمسة، وجاء الأمر بإيتائها في القرآن دون بيان لمقاديرها، فجاءت السنة وبينت هذه المقادير، ففي زكاة الزروع والثمار حدد رسول الله ﷺ النصاب الذي تجب فيه الزكاة وهو: خمسة أوسق - أي: ثلاثمائة صاع.
- ٦- حدد رسول الله ﷺ مقدار الزكاة التي تخرج من هذه الزروع، وفرق بين ما يسقى بآلة وبكلفة، وما لا يسقى بآله وكلفة، فالزروع التي تسقى بكلفة يجب فيها نصف العشر؛ لحديث النبي ﷺ: "فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً العُشر وما سقي بالنضح نصف العشر"، والزروع التي تسقى وترى بدون كلفه فيها العشر، كما نص الحديث السابق، وما يسقى بالطريقتين، تارة بآله وكلفة، وتارة بغير آله وكلفة، قال فيه الفقهاء: فيه ثلاثة أرباع العشر.
- ٧- حددت الأحاديث الشريفة أن الذي تجب فيه الزكاة هو ما يقبل التوسيق والكيل، مما يدخر ويقتات غالباً، وهو ما ذهب إليه الجمهور؛ غير أن أبا حنيفة قال بأنه تجب الزكاة في جميع ما يقصد بزراعته نماء الأرض إلا الحطب والقصب والحشيش والشجر الذي ليس له ثمر، وفي الخضروات والفواكه زكاة.

اختبار الوحدة الثامنة والعشرين

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

- ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (x) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:
- ١- حدد رسول الله نصاب الورق فقال: "ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة".
 - ٢- الوسق مقداره: خمسون صاعاً.
 - ٣- نصاب الذهب: عشرون مثقالاً، وتساوي مائتي درهم.
 - ٤- يجب إخراج الزكاة في كل ما خرج من الأرض، قل أو كثر؛ تحقيقاً لمصلحة الفقراء.
 - ٥- العثري هو الذي يشرب بعروقه من غير سقي، أو المستنقع في بركة ونحوها.
 - ٦- المراد بالنضح في الحديث هي الساقية التي يجري فيها الماء.
 - ٧- إن كان الزرع يسقى بالطريقتين وكانت إحدهما أكثر من الأخرى كان حكم الأكثر تبعاً للأقل.
 - ٨- تجب الزكاة فيما يمكن فيه التوسيق، ولا تجب فيما لا يقبل التوسيق، كما نص الحديث الشريف.
 - ٩- أقوى المذاهب وأحوطها للمساكين قول الجمهور، وهو التمسك بالعموم.
- ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- الصاع مقداره:

أ- رطل وثلث. ب- أربعة أمداد. ج- مدان.

٢- الورق هو:

أ- الفضة المضروبة. ب- الفضة غير المضروبة. ج- هما معاً.

٣- نصاب الإبل: خمس، وفيها:

أ- بنت مخاض. ب- شاة. ج- بنت لبون.

٤- إذا كان الزرع عشرياً ففيه:

أ- العشر. ب- ثلاثة أرباع العشر. ج- نصف العشر.

٥- تجب الزكاة في كل ما تخرجه الأرض؟ وهذا قول:

أ- الجمهور. ب- ابن عمر. ج- أبي حنيفة.

٦- الأنواع التي تجب فيها الزكاة هي:

أ- ما يمكن فيه التوسيق.

ب- كل ما تخرجه الأرض.

ج- كل ما تخرجه الأرض عدا الخضروات.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- اذكر أنصبه كل من الزروع والورق والذهب والإبل.

٢- بين مقادير كل من: الوسق، والصاع، والمد، ومقدار زكاة التمر بالأرطال.

٣- حدد رسول الله ﷺ في أحاديثه أصنافاً محددة، للزروع، وللعلماء في هذا التحديد أقوال، بينها، واذكر أدلة كل فريق منهم.

٤- اذكر المقدار الذي يخرج المسلم في الزرع التي تسقى بكلفة.

٥- للشرع الحنيف حكمٌ في التفريق بين ما يسقى بكلفه، وبين ما يسقى بغير كلفة، وضَّح ذلك.

٦- هناك أنواع حددتها الشريعة الإسلامية تخرج الزكاة منها، اذكر هذه الأنواع.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك -بعد دراسة هذا الحديث- أن تصبح قادرًا على أن:

١- تفرق بين حكم ما أتلفته البهيمة بالليل، وما أتلفته بالنهار.

٢- تذكر حكم ضمان صاحب الدابة ما أتلفته دابته.

٣- تبين المراد بالركاز ومصرفه، وركاز الذمي.

٤- تذكر أقسام الركاز وحكم كل قسم.

٥- تحدد مقدار زكاة الحلبي، وتذكر أقوال العلماء فيها.

الوحدة التاسعة والعشرون

زكاة الرُّكَّاز

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "العجماء جبارٌ والبئرُ جبارٌ والمعدن جبارٌ وفي الركاز الخمس"^(١).

المباحث اللغوية

قوله: (العجماء) -بفتح العين وسكون الجيم-: بالمد تأنيث أعجم، وهي البهيمة، ويقال أيضًا لكل حيوان غير الإنسان كما يقال لمن لا يفصح: (أعجمي) والمراد هنا الأول.

قوله: (جبارٌ) -بضم الجيم وتخفيف الباء-: وهو الهدر الذي لا شيء فيه (هذا كلام ابن وهب) وعن مالك ما لا دية فيه وأصله أن العرب تسمي السيل جبارًا، أي: لا شيء فيه.

قال الترمذي: "فسره بعض أهل العلم قالوا: العجماء الدابة المنفلتة من صاحبها، فما أصابت في حال انفلاتها فلا غرم على صاحبها".

قال أبو داود: "العجماء التي تكون منفلتة لا يكون معها أحد وقد تكون بالنهار ولا تكون بالليل".

ووقع عند ابن ماجه: "العجماء البهيمة من الأنعام وغيرها والجبار هو الهدر الذي لا يغرم"^(٢).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب في الركاز الخمس، فتح الباري (٤٢٦/٣) وأخرجه البخاري أيضًا: كتاب الديات، باب المعدن جبار والبئر جبار، فتح الباري (٢٦٥/١٢)، وأخرجه مسلم: كتاب الحدود، باب جرح العجماء والمعدن والبئر جبار -أي: هدر، صحيح مسلم بشرح النووي (٢٢٥/١١، ٢٢٤)، وأخرجه الترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء أن العجماء جرحها جبار، وفي الركاز الخمس، قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح" (٢٥/٣).

(٢) فتح الباري (٢٦٦/١٢).

هل يضمن صاحب الدابة ما أتلفته دابته:

أ- ظاهر الحديث أن الدابة المنفلتة من صاحبها، أو التي ليس معها أحد أنه لا ضمان على صاحبها فيما أتلفته.

ب- أما إذا كان صاحبها معها يقودها فاختلف في ذلك:

ذهب الظاهرية: إلى أنه لا ضمان على صاحب الدابة فيما أتلفته سواء كانت مفردة أو معها أحد سواء كان راكبها أو سائقها أو قائدها، واستثنوا ما إذا كان الفعل منسوباً إلى صاحب الدابة بأن حملها على ذلك الفعل إذا كان راكباً يلوي عنها فتتلف شيئاً برجلها مثلاً أو يطعنها أو يزجرها حين يسوقها أو يقودها حتى تتلف ما مرت عليه وأما ما لا ينسب إليه فلا ضمان فيه.

مذهب الشافعية: قالوا: إذا كان مع البهيمة إنسان فإنه يضمن ما أتلفته من نفس أو عضو أو مال، سواء كان سائقاً أو راكباً أو قائداً، سواء كان مالكاً أو أجيراً أو مستأجراً أو مستعيراً أو غاصباً، وسواء أتلفت بيدها أو رجلها أو ذنبها أو رأسها وسواء كان ذلك ليلاً أو نهاراً.

والحجة في ذلك أن الإتلاف لا فرق فيه بين العمد وغيره، ومن هو مع البهيمة حاكم عليها فهي كالألة بيده ففعلها منسوب إليه سواء حملها عليه أم لا وسواء علم به أم لا.

وذهب مالك إلى ما ذهب إليه الشافعية - إلا إن رحمت بغير أن يفعل بها أحد شيئاً ترمح بسببه وحكى هذا المذهب ابن عبد البر عن الجمهور.

هل يفرق بين ما تتلفه البهيمة بالليل وما تتلفه بالنهار أم هما سواء؟

١ - قال الحنفية والظاهرية: استدل بهذا الحديث على أنه لا فرق في إتلاف

البهيمة للزرع وغيره في الليل والنهار.

٢ - قال الجمهور: إنما يسقط الضمان إذا كان ذلك نهاراً وأما بالليل فإن

على صاحبها حفظها.

فإذا أتلّفت بتقصير منه وجب عليه ضمان ما أتلّفت، ودليل هذا التخصيص:
عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ ضَارِيَةٌ فَدَخَلَتْ حَائِطًا فَأَفْسَدَتْ فِيهِ،
فَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا، فَقَضَى أَنْ حِفْظَ الْحَوَائِطِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَهْلِهَا، وَأَنْ حِفْظَ
الْمَاشِيَةِ بِاللَّيْلِ عَلَى أَهْلِهَا، وَأَنْ عَلَى أَهْلِ الْمَاشِيَةِ مَا أَصَابَتْ مَاشِيَتُهُمْ بِاللَّيْلِ^(١).
أخرجه الشافعي وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

ملحوظة: إذا جرت عادة قوم إرسال المواشي ليلاً وحبسها نهاراً انعكس
الحكم على الأصح.

قوله: (والبئر جبار) - في رواية العلاء عند الإمام مسلم "البئرُ جَرَحُهَا جُبَارٌ" -
قال أبو عبيد: "المراد بالبئر هنا العادية القديمة التي لا يعلم لها مالك تكون في البادية
فيقع فيها إنسان أو دابةٌ فلا شيء في ذلك على أحد، وكذلك لو حفر بئراً في ملكه
أو في موات فوقع فيها إنسان، أو غيره فتلف، فلا ضمان إذا لم يكن تسبب في ذلك
أو غررٌ وكذلك إذا استأجر إنساناً ليحفر له البئر فأنهت عليه - فلا ضمان.
أما من حفر بئراً في طريق الناس وكذا في ملك غيره بغير إذنه فتلف بها
إنسان فإنه يجب ضمانه على عاقلة الحافر، والكفارة في ماله، وإن تلف بها غير
أدمي وجب ضمانه في مال الحافر".

والمراد بـ (جَرَحُهَا) أي: البئر ما يحصل للواقع فيها من الجراحة، وليست
الجراحة مخصوصةً بذلك بل كل الإتلافات ملحقةٌ بها.
مذهب الحنفية: خالف الحنفية في هذه المسألة فذهبوا إلى تضمين حافر البئر
مطلقاً، قياساً على راکب الدابة، ولا قياس مع النص^(٢).

(١) أخرجه أبو داود: كتاب البيوع، باب المواشي تفسد زرع قوم، (٢٩٨/٣) "واللفظ له"، وأخرجه مالك:
كتاب الأنصبة، باب القضاء في الضواري والحرية (٧٤٧/٢).

(٢) فتح الباري (٢٦٦/١٢).

قوله: (المعدن جبار) - وفي رواية الأسود بن العلاء عند مسلم "وَالْمَعْدِنُ حَرْحُهُ جُبَارٌ" - ليس المراد أنه لا زكاة فيه، وإنما المعنى أن من استأجر رجلاً للعمل في معدن مثلاً فهلك فهو هدر، ولا شيء على من استأجره، والحكم فيه ما تقدم في البئر، لكن البئر مؤنثة والمعدن مذكر فكأنه ذكره بالتأنيث للمؤاخاة أو لملاحظة أرض المعدن فلو حفر معدناً في ملكه أو في موات فوقع فيه شخص فمات قدمه هدر، وكذا لو استأجر أجيراً يعمل له فأنهار عليه فمات، ويلتحق بالبئر والمعدن في ذلك كل أجير على عمل: كمن استأجر على صعود نخلة فسقط منها فمات^(١).

قوله: (في الركاز الخمس): ركاز بكسر الراء وتخفيف الكاف وآخره زاي: المال المدفون، مأخوذ من الرّكز بفتح الراء، يقال: ركزه يركزه ركزاً إذا دفنه فهو مركوز.

قال مالك وابن إدريس (هو الشافعي): "الركاز دفن الجاهلية أي: الشيء المدفون"^(٢).

المراد بالركاز:

١ - ذهب الجمهور إلى أن المراد بالركاز المال المدفون.

٢ - ذهب الشافعي إلى حصر الركاز فيما يوجد في الموات، بخلاف ما إذا وجد في طريق مسلوكة أو مسجد فهو لقطة أما إذا وجد في أرض مملوكة فإن كان المالك هو الذي وجده فهو له وإن كان غير المالك فإن ادعاه المالك فهو له وإلا فهو لمن تلقاه عنه إلى أن ينتهي الحال إلى من أحيا تلك الأرض.

قال ابن دقيق العيد: "من قال من الفقهاء بأن في الركاز الخمس إما مطلقاً أو في أكثر الصور فهو أقرب إلى الحديث، وخصّه الشافعي بالذهب والفضة

(١) فتح الباري (٢٦٥/١٢) وما بعدها.

(٢) فتح الباري (٤٢٦/٣).

وقال الجمهور: لا يختص بالذهب والفضة واختاره ابن المنذر^(١).

مصرف الركاز: اختلف العلماء في مصرف الركاز:

١- ذهب الجمهور ومالك وأبو حنيفة إلى أن مصرفه مصرف خمس الفيء، وهو اختيار المزني.

٢- قال الشافعي في أصح قولي مصرفه مصرف الزكاة، وعن أحمد روايتان.

ما الحكم لو وجد الركاز ذمي؟

ذهب الجمهور إلى أن الركاز يخرج منه الخمس، وعند الشافعي لا يؤخذ منه شيء، والراجح ما ذهب إليه الجمهور؛ لقوله ﷺ: في "الركاز الخمس" فلم يفرق بين مسلم وغيره.

هل يشترط لإخراج الخمس أن يحول عليه الحول:

اتفق العلماء على أنه لا يشترط فيه الحول، بل يجب إخراج الخمس في الحال^(٢).

مكان الركاز: لا يخلو موضعه من الأقسام الآتية:

١- أن يجد الركاز في موات أو في أرض لا يعلم لها مالك ولو على وجهها، أو في طريق غير مسلوک، أو قرية خراب، ففيه الخمس بلا خلاف والأربعة أخماس لو واجده.

٢- أن يجده في ملكه المنتقل إليه فهو له؛ لأن الركاز مودوع في الأرض، فلا يملك بملكها وإنما بالظهور عليه فينزل منزلة المباحات من الحطب وغير ذلك، فيكون أحق به، إلا إذا ادعى المالك الذي انتقل الملك عنه أنه له فالقول قوله؛ لأن يده كانت عليه؛ لكونها على محله وإن لم يدعه فهو لو واجده، وهذا رأي أبي يوسف والأصح عند الحنابلة.

(١) فتح الباري (٣/٤٢٧-٤٢٨).

(٢) فتح الباري (٣/٤٢٥-٤٢٨).

قال الشافعي: "هو للمالك قبله إن اعترف به وإلا فهو من قبله كذلك، إلى أول مالك، وإن انتقلت الدار بالميراث حكم أنه ميراث فإن اتفقت الورثة على أنه لم يكن لمورثهم فهو لأول مالك، فإن لم يُعرف أول مالك فهو كالمال الضائع الذي لا يعرف له مالك".

وقال أبو حنيفة ومحمد: "هو لأول مالك للأرض أو نورثته إن عرف وإلا وُضع في بيت المال".

٣ - أن يجده في ملك مسلم أو ذمي فهو لصاحب الملك عند أبي حنيفة ومحمد ورواية عن أحمد، ونقل عن أحمد أنه لو واجده؛ وذلك أن الركاز لا يملك بملك الأرض، إلا إن ادعاه المالك فالقول قوله؛ لأن يده عليه تبعاً للملك، وإن لم يدعه فهو لو واجده.

وقال الشافعي: "هو للمالك إن اعترف به، وإلا فهو لأول مالك".

زكاة الحلي

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: كُنْتُ أَلْبَسُ أَوْضَاحًا^(١) مِنْ ذَهَبٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَنْزٌ هُوَ؟^(٢) فَقَالَ: "مَا بَلَغَ أَنْ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَرَكْمِي فَلَيْسَ بِكَنْزٍ"^(٣).

(١) الأوضح: نوع من الحلي يُعمل من الفضة سُمِّيتَ بها لياضها، واحدها: وضع؛ وقولها في الحديث: "أوضح من ذهب" يدل على أنها إذا كانت من الذهب تسمى أوضاحاً أيضاً.

(٢) قولها: "أكَنْزٌ هو" - أي: بدخل تحت آية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

(٣) أخرجه أبو داود "واللفظ له"، كتاب الزكاة، باب الكنز ما هو زكاة الحلي (٩٥/٢).

وأخرجه الحاكم، كتاب الزكاة، باب التعليظ في منع الزكاة؛ قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه"، قال الذهبي: "على شرط البخاري" - المستدرک - (٣٩٠/١).

وأخرجه الدارقطني: كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز (١٠٥/٢).

قال الحافظ ابن حجر: "حديث أم سلمة عند الحاكم وصححه ابن القطان أيضاً، وأخرجه أبو داود، وقال ابن عبد البر: في سنده مقال، وذكر شيخنا - يعني الحافظ العراقي - في شرح الترمذي أن سنده جيد".

قال الإمام العيني: "حديث أم سلمة إسناده جيد ورجاله رجال البخاري، وأخرجه الحاكم وصححه وقال: على شرط البخاري".

الشرح والبيان:

ظاهر هذا الحديث أن الحلبي الذي تلبسه المرأة تجب فيه الزكاة، وقد اختلف العلماء في هذه المسألة، وهذه مذاهبهم:

١ - ذهب مالك وأصحابه وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيد إلى أن الحلبي الذي تلبسه المرأة لا تجب فيه الزكاة، واحتج هؤلاء بأن قصد النماء يوجب الزكاة في العروض، وهي ليست بمحل لإيجاب الزكاة، كذلك قطع النماء في الذهب والفضة باتخاذهما حلًا للثياب يسقط الزكاة.

٢ - ذهب الثوري وأبو حنيفة وأصحابه والأوزاعي إلى وجوب الزكاة في الحلبي، واستدل هؤلاء بما يأتي:

أ- حديث الباب.

ب- عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا وَفِي يَدِ ابْنَتِهَا مَسْكَنَانِ غَلِظَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ لَهَا: "أَتُعْطِينَ زَكَاةَ هَذَا؟" قَالَتْ: لَا؛ قَالَ: "أَيَسُرُّكَ أَنْ يُسَوِّرَكَ اللَّهُ بِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَوَارِينَ مِنْ نَارٍ؟" قَالَ: فَخَلَعْتُهُمَا فَالْقَتْهُمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَتْ هُمَا لِلَّهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ ^(١).

ج- عن عبد الله بن شداد بن الحاد قال: دخلنا على عائشة زوج النبي ﷺ فقالت: دخل علي رسول الله ﷺ فرأى في يدي سخابًا من ورق فقال: "ما هذا يا عائشة؟" فقلت: صنعتهن أتزين لك فيهن يا رسول الله، فقال: "أتؤدين زكاهن؟" فقلت: لا أو ما شاء الله من ذلك، قال: "هي حسبك من النار" ^(٢).

قال الصنعاني في التعقيب على حديث عائشة: "فهذا الحديث يدل على وجوب الزكاة في الحلبي، وظاهره أنه لا نصاب فيها لأمره ﷺ بتزكية هذه

(١) أخرجه أبو داود "واللفظ له": كتاب الزكاة، باب الكنز ما هو وزكاة الحلبي (٩٧/٢).

(٢) أخرجه الحاكم: كتاب الزكاة، باب التغليظ في منع الزكاة؛ قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"؛ قال الذهبي: "على شرطهما" (٣٩٠/١، ٣٨٩).

المذكورة ولا تكون خمس أواق في الغالب" (١).

٣- ذهب الليث بن سعد إلى وجوب الزكاة في الحلي إذا صنع ليفر به من الزكاة وأسقطها فيما كان منه يلبس ويعار.

٤- ذهب بعض العلماء أنها تجب فيها الزكاة مرة واحدة، روى ذلك البيهقي عن أنس.

٥- زكاة الحلي: عارتها كما روى الدارقطني عن أنس وأسماء بنت أبي بكر.

وقد ذكر الإمام الترمذي ما وقع في هذه المسألة من خلاف، فقال - رحمه الله -: "وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ، فَرَأَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّابِعِينَ فِي الْحُلِيِّ زَكَاةَ مَا كَانَ مِنْهُ ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ، وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ.

وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهُمْ ابْنُ عُمَرَ وَعَائِشَةُ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: لَيْسَ فِي الْحُلِيِّ زَكَاةٌ، وَهَكَذَا رَوَى عَنْ بَعْضِ فَقَهَاءِ التَّابِعِينَ وَبِهِ يَقُولُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ" (٢).

قال العلامة الصنعاني: "وأظهر الأقوال دليلاً وجوبها؛ لصحة الحديث وقوته، وأما نصابها فعند الموجبين نصاب النقيدين، وظاهر حديثها الإطلاق وكأنهم قيدوه بأحاديث النقيدين" (٣).

(١) سيل السلام (٢/٢٦٣).

(٢) سنن الترمذي (٢/١٣٢، ١٣١).

(٣) سيل السلام (٢/٢٦٣).

خلاصة الوحدة التاسعة والعشرين

- ١- الإسلام منهج كامل ونظام شامل، فهو ينظم حياة المسلم من أولها إلى آخرها.
- ٢- حرص الإسلام على كرامة المسلم، وتربيته التربية العالية الرفيعة التي تحقق له العزة والسيادة، وللمجتمع الرفعة والازدهار والأمن والأمان.
- ٣- الحث على العمل الجاد المنتج الذي يعود أثره على الفرد والمجتمع بالخير في الدنيا والآخرة.
- ٤- الحث على ترك الكسل الذي يجعل المسلم ذليلاً، ويهوي بالمجتمع إلى الخسار.
- ٥- حرص الإسلام على سلامة المجتمع ووقايته من العاطلين والانتهازيين الذين يحملون المجتمع ما لا يطيق.
- ٦- ربط الإسلام صلاح الدنيا باستقامة الناس على منهج الله تعالى، وربط صلاح الآخرة بصلاح الدنيا، فمن أصلح دنياه باستقامته على منهج الله تعالى انصلحت آخرته، ومن أفسد دنياه بابتعاده عن منهج الله تعالى فسدت آخرته، وعرض نفسه للهوان في الدنيا والآخرة.
- ٧- حرص الإسلام على أن يأخذ كل ذي حق حقه؛ وذلك أن الأغنياء والذين يقدرون على العمل والكسب إن أخذوا من أموال الزكاة والصدقات فإنهم يضعون الفقراء والعاجزين عن العمل والكسب، والله تعالى إنما فرض في أموال الأغنياء قدرًا يسع فقراءهم، فإن زاحمهم الأغنياء ضاع الفقراء والمحتاجون لا محالة.
- ٨- لا يكلف الشرع المسلم فوق طاقته (لا تكليف بما لا يستطاع).
- ٩- لا يحاسب الإنسان إلا على ما له فيه دخل.
- ١٠- وجوب إخراج خمس الركاك.
- ١١- وجوب تأدية كل إنسان ما عليه من واجب نحو الآخرين.
- ١٢- وجوب الزكاة في الحلبي الذي تلبسه المرأة إذا بلغ نصاباً.
- ١٣- عدل الإسلام في تشريعاته.

اختبار الوحدة التاسعة والعشرين

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

- ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (x) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:
- ١- العجماء هي الدابة المنفلتة من صاحبها، ويقال أيضاً لكل حيوان غير الإنسان.
 - ٢- الدابة المنفلتة من صاحبها، أو التي ليس معها أحد على صاحبها ضمان ما أتلفته.
 - ٣- يضمن صاحب الدابة ما أتلفته نهاراً، أما ليلاً فلا.
 - ٤- إذا استأجر إنسان إنساناً في حفر بئر فأنهارت عليه فعليه ضمانه.
 - ٥- الركاز هو ما وجد في طريق مسلوك أو مسجد.
 - ٦- يشترط للركاز مرور الحول شأن أي زكوات.
 - ٧- الأوضاح نوع من الحلبي يُعمل من الذهب والفضة.
 - ٨- دخل رسول الله ﷺ على صفية رضي الله عنها فرأى في يدها سخاباً من ورق فقال: "هي حسبك من النار".

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

اختر من بين البدائل المطروحة الإجابة الصحيحة فيما يلي:

١- الدابة المنفلتة من صاحبها، أو التي ليس معها أحد:

أ- لا ضمان على صاحبها.

ب- يضمن صاحبها ما أتلفته.

ج- مسألة فيها خلاف.

٢- لو حفر بئراً في ملكه فوق فيها إنسان، أو غيره فتلّف:

أ- يضمن. ب- لا يضمن. ج- يضمن بشروط.

٣- من حفر بئراً في طريق الناس فتلّف بما إنسان:

أ- لا يضمن. ب- يجب ضمانه. ج- فيها خلاف.

٤- ما وجد في الموات، أو في أرض مملوكة فهو:

أ- لقطة. ب- ركاز. ج- فيء.

٥- رأى رسول الله ﷺ في يد ابنة المرأة التي أته:

أ- سخاباً من ورق.

ب- مسكتين غليظتين.

ج- خائماً من ذهب.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- اذكر أحكام ما أتلّفته البهيمة ليلاً أو نهاراً، مصحوبة أو مفردة بالتفصيل.

٢- عرف الركاز، وبين مصرفه، وما الحكم لو وجد الركاز ذمي؟

٣- اذكر أقسام الركاز، وحكم كل قسم.

٤- اختلف الفقهاء في زكاة الحلّي، اعرض أقوال الفقهاء واستدلّ لاتهم في زكاة الحلّي.

٥- بين نصاب زكاة الحلّي عند من أوجب الزكاة فيه.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك -بعد دراسة هذا الحديث- أن تصبح قادراً على أن:

- ١- تذكر رأي الجمهور وأدلته في زكاة اليتيم.
- ٢- تبين أقوال القائلين بعد زكاة مال اليتيم.
- ٣- تعرف صدقة الفطر، وتذكر أسماءها.
- ٤- تبين حكمة مشروعية زكاة الفطر.
- ٥- تذكر حكم زكاة الفطر، ووقت وجوبها.
- ٦- تبين: على من تجب زكاة الفطر؟
- ٧- توضح حكم تعجيلها قبل يوم الوجوب.
- ٨- تذكر أقوال العلماء في إخراج القيمة في زكاة الفطر.

الوحدة الثلاثون

زكاة مال اليتيم

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ:
"أَلَا مَنْ وَلِيَ يَتِيمًا لَهُ مَالٌ فَلْيَتَجَرَّ فِيهِ وَلَا يَتْرُكْهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الصَّدَقَةُ"^(١).

هل تجب في مال الصبي والمجنون زكاة؟

اختلف العلماء في هذه المسألة، وسبب هذا الخلاف يرجع إلى أن البلوغ والعقل شرطاً للتكليف، وغير البالغ والمجنون لا يتوجه إليهما خطاب، وليس بمكلفين، ولا يجب عليهما شيء أصلاً؛ لقول الرسول ﷺ: "رَفَعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ"^(٢). وهذه مذاهبهم:

أ- مذهب الجمهور: ذهب جمهور العلماء - ومنهم: عمر وعلي وعائشة

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة مال اليتيم، قال أبو عيسى: وإنما روي هذا الحديث من هذا الوجه، وفي إسناده مقال؛ لأن المثنى بن الصباح يضعف في الحديث، وروى بعضهم هذا الحديث عن عمرو بن شعيب أن عمر بن الخطاب، فذكر هذا الحديث (٢٤/٣، ٢٣)، وأخرجه الدارقطني في سننه: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة في مال الصبي واليتيم، حديث رقم (١٩٩٣)، قلت: "الحديث وإن اختلف في رفعه ووقفه فهو لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد، وعلى فرض أن الموقوف أصح من المرفوع فالموقوف له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ"، قال الحافظ ابن حجر: "رواه الترمذي والدارقطني، وإسناده ضعيف، وله شاهد مرسل عند الشافعي"، قال العلامة الصنعاني: "رواه الترمذي والدارقطني، وإسناده ضعيف؛ لأن فيه المثنى بن الصباح في رواية الترمذي، والمثنى ضعيف، ورواية الدارقطني فيها مندل بن علي والعرزمي متروك، لكن قال المصنف -أي: الحافظ ابن حجر-: "وله -أي: الحديث عمرو بن شعيب- شاهد مرسل عند الشافعي، وهو قوله ﷺ: "ابغوا في أموال الأيتام لا تأكلوها الزكاة"، وأكدته الشافعي بعموم الأحاديث الصحيحة في إيجاب الزكاة مطلقاً، وقد روي مثل حديث عمرو أيضاً عن أنس رضي الله عنه وعن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفاً، وعن علي رضي الله عنه -سبل السلام (٢/٢٥٠).

(٢) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم: كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق، فتح الباري (٣٨٨/٩)، وأخرجه أبو داود: كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً (١٣٩/٤-١٤١) عن عائشة.

وابن عمر ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق - إلى أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون، ويؤديها عنهما وليهما، كما يقوم الولي بسائر ما يتعلق بهما.

وجهة نظرهم: أن الزكاة متعلقة بهما وليهما وليست متعلقة بفعل الصبي والمجنون، والمتولي بأدائها عنهما إنما هو الولي حتى يبلغ الصبي ويعقل المجنون، وليس في ذلك تكليف للصبي أو المجنون؛ لأنهما ليسا من أهل التكليف.

أدلة الجمهور: استدل جمهور العلماء لما ذهبوا إليه بعدة أدلة، منها:

١- عموم الأحاديث الصحيحة التي أوجبت الزكاة مطلقاً بغض النظر عن كون المالك لها مكلفاً أو غير مكلف، ولم تخص الأحاديث كبيراً من صغير، وإنما الزكاة

توسعة على الفقراء، فمتى وجد اغني وجبت الزكاة؛ ومن هذه الأحاديث:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: "إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَأَدْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خُمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُتَوَخَّذُ مِنْ أَغْنِيَانِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقَرَانِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ" (١).

فظاهر هذا الحديث أن الزكاة تجب في مال الصبي سواء كان يتيماً أو لا، وكذا تجب الزكاة في مال المجنون؛ لعموم قوله ﷺ: "تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَانِهِمْ"، ويؤديها عنهما وليهما.

(١) أخرجه البخاري "واللفظ له": كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث

كانوا، فتح الباري (٣/٣٥٧)، وأخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى

اليمن قبل حجة الوداع، فتح الباري (٨/٦٤)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى

الشهادتين وشرائع الإسلام، صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٩٧، ١٩٦).

٢- قياس زكاة المال على زكاة الحرث والفطر، والولي هو المخاطب بالزكاة، فيأثم بترك إخراجها لا الطفل، فكما يجب على الولي أن يخرج زكاة زروع اليتيم وكذا زكاة الفطر عن اليتيم - فيجب عليه أن يخرج زكاة ماله.

٣- عن مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب قال: "أتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة"^(١).

٤- عن ابن أبي رافع قال: كانت أموالهم عند علي، فلما دفعها إليهم وجدوها بنقص، فحسبوها مع الزكاة فوجدوها تامة، فأتوا علياً فقال: كُتُمُ تَرَوْنَ أَنْ يَكُونَ عِنْدِي مَالٌ لَا أَزْكِيهِ"^(٢).

٥- عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أنه قال: كانت عائشة تليني وأخا لي يتيمين في حجرها فكانت تخرج من أموالنا الزكاة"^(٣).

قال العلامة الزرقاني في التعقيب على أثر عائشة - رضي الله عنها-: "وهي بالمكان العالي من المصطفى ﷺ فدل ذلك على وجوبها في مال اليتامى، واحتج له أبو عمر بالإجماع على زكاة حرث اليتيم وثماره. " إلى أن قال: "فدل ذلك كله على أنها حق المال لا البدن كالصلاة، فتجب الزكاة على من تجب عليه الصلاة ومن لا تجب عليه الصلاة"^(٤).

٦- حديث الباب: حيث أمر النبي ﷺ ولي اليتيم أن يتاجر له في ماله حتى لا تأكله الصدقة، ولو كانت الزكاة لا تجب في مال اليتيم ما كان ماله عُرْضة لأن تأكله الصدقة.

(١) أخرجه مالك في الموطأ "واللفظ له"، كتاب الزكاة، باب زكاة أموال اليتامى والتجارة لهم فيها (٢٥١/١)، وأخرجه الدارقطني: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة في مال الصبي واليتيم (١١٠/٢).

(٢) أخرجه الدارقطني، نفس الكتاب والباب السابق.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الزكاة، باب زكاة أموال اليتامى والتجارة لهم فيها (٢٥١/١).

(٤) شرح الزرقاني على الموطأ (١٠٤/٢).

وحديث الباب وإن كان في إسناده مقال، إلا أن له شواهد تقويه وتعضده وتجعله صالحاً للاحتجاج به في بابه.

قال الصنعاني في التعقيب على أحاديث وآثار الباب: "ففي الكل دلالة على وجوب الزكاة في مال الصبي كالمكلف، ويجب على وليه الإخراج، وهو رأي الجمهور^(١).

ب- وذهب جماعة من العلماء، منهم الثوري وعبد الله بن المبارك وأبو حنيفة إلى أنه لا تجب في مال الصبي والمجنون زكاة؛ لأنه ليس بمكلف، والبلوغ والعقل شرطاً للتكليف - كما مر في حديث "رُفِعَ الْقَلَمُ".

قال العيني: "وبعدم وجوب الزكاة في مال الصبي، قال أبو حنيفة وأصحابه، وهو قول أبي وائل"^(٢).

ج- ذهب ابن عباس رضي الله عنه وجماعة إلى أنه يلزمه إخراج العشر من ماله؛ لعموم أدلته لا غير؛ لحديث: "رُفِعَ الْقَلَمُ".

قال الصنعاني: "ولّا يخفى أنه لا دلالة فيه، وأن العموم في العشر أيضاً حاصل في غيره - كحديث "وَفِي الرِّقَّةِ رُبْعُ الْعُشْرِ"^(٣).

د- روي عن ابن مسعود أن الصبي يخرج الزكاة بعد تكليفه.

وقد ذكر الإمام الترمذي ما وقع في هذه المسألة من خلاف، فقال عقب حديث المثني بن الصباح عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: "أَلَا مَنْ وَلِيَ يَتِيمًا لَهُ مَالٌ فَلْيَتَجَرَّ فِيهِ وَلَا يَتْرُكْهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الصَّدَقَةُ".

فقد اختلف أهل العلم في هذا الباب، فرأى غير واحد من أصحاب النبي ﷺ في مال اليتيم زكاة، ومنهم: عمر وعليّ وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم؛ وبه يقول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق.

(١) سبل السلام (٢/٢٥١).

(٢) عمدة القاري (٧/١٦٣).

وقالت طائفة من أهل العلم: "ليس في مال اليتيم زكاة"، وبه يقول سفیان الثوري وعبد الله بن المبارك^(١).

قال العيني: "وبه -أي: بعدم الوجوب- قال أبو حنيفة وأصحابه، وهو قول أبي وائل وسعيد بن جبیر والنخعي والشعبيّ والحسن البصري" وقال سعيد بن المسيب: "لا تجب الزكاة إلا على من تجب عليه الصلاة والصيام"، ونسب العيني هذا الرأي إلى ابن عباس وعليّ رضي الله عنهما وشريح^(٢).

زكاة الفطر

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى النَّاسِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى كُلِّ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ، ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، مِنَ الْمُسْلِمِينَ^(٣).

الشرح والبيان:

تعريف صدقة الفطر:

قال العيني: قال النووي: "هي لفظة مولدة لا عربية ولا معربة، بل هي اصطلاحية للفقهاء كأنها من الفطرة التي هي النفوس والخلقة -أي: زكاة الخلقة" قال العيني: "ولو قيل: لفظة إسلامية كان أولى؛ لأنها ما عرفت إلا في الإسلام"، ويؤيد هذا ما ذكره ابن العربي: "هو اسمها على لسان صاحب الشرع".

ويقال لها: "صدقة الفطر" و"زكاة الفطر" و"زكاة رمضان" و"زكاة الصوم" و"صدقة الصوم" و"صدقة رمضان"؛ وتسمى أيضاً: "صدقة الرؤوس" و"زكاة الأبدان" سماها الإمام مالك رحمه الله^(٤).

(١) سنن الترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة مال اليتيم (٢٣، ٢٤/٣).

(٢) عمدة القاري (١٦٣/٧).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر على العبد وغيره من المسلمين، فتح الباري (٣٦٩/٣)،

وأخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر، صحيح مسلم بشرح النووي (٥٨/٧، ٥٧).

(٤) عمدة القاري (٣٧٠/٧).

قال ابن قتيبة: المراد بصدقة الفطر صدقة النفوس مأخوذة من الفطرة التي هي أصل الخلقة والأول أظهر ويؤيده قوله في بعض طرق الحديث: "زكاة الفطر من رمضان" (١).

قال الحافظ ابن حجر: "أضيفت الصدقة إلى الفطر؛ لكونها تجب بالفطر من رمضان".
تعريفها شرعاً:

قال العيني: "هي اسم لما يعطى من المال بطريق الصلة ترحمًا مقدراً بخلاف الهبة فإنما تعطى صلة تكريمًا لا ترحمًا" (٢).
حكمة مشروعية زكاة الفطر:

فرضت زكاة الفطر لجبر ما يقع في الصوم من تقصير أو هفوات من لغو وغيره تنقص ثواب الصائم؛ وذلك لأن العبادات التي يطول وقتها يشق التحرز فيها عن أمور تفوت كمالها؛ لذلك جعل الشرع فيها كفارة مالية بدل النقص الذي يقع فيها، ولتكون عوناً للفقراء والمحتاجين في يوم العيد.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ (٣).
حكم زكاة الفطر:

اختلف العلماء في حكم زكاة الفطر، وهذه مذاهبهم:

١- مذهب الجمهور: ذهب جمهور العلماء ومنهم: الإمام مالك والشافعي وأحمد إلى أن زكاة الفطر فرض.

(١) فتح الباري (٣/٤٣٠).

(٢) عمدة القاري (٧/٣٧٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر (٢/١١١)، وأخرجه ابن ماجه: كتاب

الزكاة، باب صدقة الفطر، سنن ابن ماجه بحاشية السندي (١/٥٦٠).

قال الإمام النووي رحمته الله: "اختلف الناس في معنى (فَرَضَ) هنا، فقال جمهورهم من السلف والخلف: معناه ألزم وأوجب، فزكاة الفطر فرض واجب عندهم؛ لدخولها في عموم قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ولقوله: (فَرَضَ)، وهو غالب في استعمال الشرع بهذا المعنى^(١).

أدلة الجمهور: استدلل الجمهور بما يأتي:

١- قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]^(٢).
قال الحافظ ابن حجر: ثبت أنها نزلت في زكاة الفطر، وثبت في الصحيحين إثبات الفلاح لمن اقتصر على الواجبات.
وقد رد من قال بسنيتها على هذا الدليل بقولهم: يلزم من قولكم هذا أن تكون صلاة العيد واجبة وليست كذلك؛ لأن الله قال: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.
قال الحافظ في الرد على ذلك: "إن صلاة العيد ليست واجبة، والذي أخرجها عن الوجوب دليل آخر، وهو دليل العموم في قوله: "هَنْ خَمْسٌ لَا يُدَلُّ الْقَوْلُ لَدَيَّ"^(٣).

٢- قوله في حديث الباب "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ"، وهذه الصيغة تستعمل في الوجوب، وفرض وإن كانت بمعنى قدر في اللغة لكن نقل ذلك في عرف الشرع إلى الوجوب.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٦٠/٧).

(٢) قال القرطبي عند تفسير هذه الآيات: "وروي عن أبي سعيد الخدري وابن عمر أن ذلك في صدقة الفطر وصلاة العيد؛ وكذلك قال أبو العالية إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء؛ وعن ابن سيرين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ قال خرج فصلى بعد ما أدى؛ قال عكرمة: كان الرجل يقول أقدم زكاتي بين يدي صلاي، فقال سفيان: قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾. قال قتادة وعطاء وأبو العالية: نزلت في صدقة الفطر، وقيل غير ذلك.

(٣) فتح الباري (٣٦٨/٣) بتصرف.

قال ابن دقيق العيد: "أصل معنى الفرض في اللغة التقدير، لكن نقل في عرف الشرع إلى الوجوب فالحمل عليه أولى؛ قال الكرماني: المفهوم من لفظ (فَرَضَ) بحسب عرف الشرع الوجوب ولا يجوز للراوي أن يعبر بالفرض عن المندوب مع علمه بالفرق بينهما".

٣- قال الحافظ ابن حجر: "ويؤيد كون زكاة الفطر فرضاً تسميتها زكاة، وقوله في الحديث: "عَلَى كُلِّ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ" والتصريح بالأمر بها في حديث قيس بن سعد وغيره، ولدخولها في عموم قوله ﷺ: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فبين ﷺ تفاصيل ذلك، ومن جعلتها زكاة الفطر.

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: إن زكاة الفطر واجبة وليست فرضاً بناء على مذهبه في التفرقة بين الواجب والفرض^(١).

المذهب الثاني:

ذهب جماعة من العلماء إلى أن زكاة الفطر سنة وليست بواجبة؛ قال الحافظ ابن حجر: "نقل المالكية عن أشهب أنها سنة مؤكدة وهو قول بعض أهل الظاهر وابن اللبان من الشافعية وأولوا قوله: (فَرَضَ) في الحديث بمعنى قدر على سبيل الندب - وسبق الرد عليهم.

وقت وجوب زكاة الفطر:

اختلف العلماء في وقت وجوب زكاة الفطر:

١ - ذهب الثوري وأحمد وإسحاق والشافعي في الجديد وإحدى الروايتين عن مالك إلى أن وقت وجوب زكاة الفطر غروب الشمس ليلة الفطر؛ لأنه وقت

(١) يرى الحنفية أن ما طلب الشارع من المكلف فعله طلباً حتمياً إذا كان دليلاً قطعياً من ناحية الثبوت بأن كان آية من القرآن الكريم أو حديثاً متواتراً فهو الفرض وأما إذا كان دليلاً ظاهرياً بأن كان حديثاً آحاداً أو قياساً فهو الواجب؛ ولذلك فالحكم التكليفي عند الحنفية ينقسم إلى سبعة أقسام وليس إلى خمسة أقسام كما هو رأي الجمهور.

الفطر من رمضان.

- واستدلوا على ذلك بقوله في الحديث: "فرض زكاة الفطر من رمضان"، استدل به على أن وقت وجوبها غروب الشمس ليلة الفطر؛ لأنه وقت الفطر من رمضان.
- ٢- ذهب أبو حنيفة والليث والشافعي في القدم والرواية الثانية عن مالك إلى أن وقت وجوب زكاة الفطر طلوع الفجر من يوم العيد؛ لأن الليل ليس محلاً للصوم، وإنما يتبين الفطر الحقيقي بالأكل بعد طلوع الفجر.
- ٣- حديث ابن عمر أن النبي ﷺ أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة^(١).

الأساس الذي بني عليه هذا الاختلاف في وقت وجوب زكاة الفطر:

يرجع هذا الاختلاف إلى: هل المراد بقوله: "الفطر من رمضان" هل هو الفطر المعتاد في سائر الشهر أم الفطر يوم العيد؟
ثمرة هذا الاختلاف في وقت وجوب الزكاة:

يترتب على الاختلاف بين العلماء في وقت وجوب الزكاة ما يأتي:

- ١- المولود يولد بعد غروب الشمس من آخر يوم في رمضان وقبل صلاة الفجر، هل تجب عليه الزكاة أم لا تجب؟ فعلى قول من يقول إنها تجب بغروب الشمس من آخر يوم من رمضان لا تجب عليه الزكاة؛ لأنه ولد بعد وقت الوجوب، وعلى القول الثاني تجب؛ لأنه ولد قبل وقت الوجوب.
- ٢- الميت يموت بعد غروب الشمس من آخر يوم في رمضان، هل تجب عليه الزكاة أم لا؟ فعلى القول الأول تجب الزكاة؛ لأنه مات بعد أن وجب عليه، أما على القول الثاني فلا تجب الزكاة؛ لأنه مات قبل وقت الوجوب.
- على من تجب زكاة الفطر؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل العيد، فتح الباري (٣/٣٧٥).

اختلف العلماء فيمن تجب عليه زكاة الفطر:

- ١- ذهب الجمهور إلى وجوب زكاة الفطر على كل مسلم حر مالك لمقدار صاع زائد عن قوته وقوت عياله يوماً وليلة وتجب على الإنسان عن نفسه وعن تلزمه نفقته كأولاده وزوجته ومن يقوم بالإنفاق عليهم.
- ٢- ذهب أبو حنيفة وزيد بن علي إلى أن زكاة الفطر لا تجب إلا على الغني الذي تجب عليه الزكاة.

هل يجوز تعجيل زكاة الفطر عن يوم الوجوب؟

قال الشوكاني: "يجوز تعجيل الفطرة قبل يوم الفطر، وقد جوزه الشافعي من أول رمضان، وجوزه الهادي والقاسم وأبو حنيفة وغيرهم ولو إلى عامين عن البدن الموجود؛ وقال الكرخي وأحمد بن حنبل لا تقدم على وقت وجوبها إلا بما يغتفر كيوم أو يومين؛ وقال مالك والناصر وغيرهم: لا يجوز التعجيل مطلقاً كالصلاة قبل الوقت، لكن قياس زكاة الفطر على الزكاة أقرب من قياسها على الصلاة، وأجاب عنهم بأن ردّها إلى الزكاة أقرب؛ وحكى الإمام يحيى إجماع السلف في جواز التعجيل^(١).

والدليل على جواز التعجيل قوله في حديث البخاري: "وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين"^(٢)؛ ولمالك في الموطأ عن نافع أن ابن عمر كان يبعث زكاة الفطر إلى الذي تجمع عنده قبل الفطر بيومين أو ثلاثة^(٣)؛ وأخرجه الشافعي عنه، وقال هذا حسن وأنا أستحبه يعني تعجيلها قبل يوم الفطر^(٤).
قوله في الحديث: "عَلَى كُلِّ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ:"

(١) نيل الأوطار (٤/١٨١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر على الحرّ والمملوك، فتح الباري (٣/٣٧٥) عن ابن عمر.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الزكاة، باب وقت إرسال زكاة الفطر (١/٢٨٥).

(٤) فتح الباري (٣/٣٧٦).

قال الإمام النووي: "أخذ داود بظاهر هذا الحديث فأوجبها على العبد بنفسه وأوجب على السيد تمكينه من كسبها كما يمكنه من صلاة الفرض، وذهب الجمهور إلى أن وجوبها على سيده عنه وعند أصحابنا في تقديرها وجهان: أحدهما: أنها تجب على السيد ابتداءً، والثاني: تجب على العبد ثم يحملها عنه سيده، فمن قال بالثاني فلفظة (على) على ظاهرها، ومن قال بالأول قال لفظة (على) بمعنى عن^(١).

قال العيني: ومذهب الجماعة وجوبها على السيد حتى لو كان للتجارة، وهو مذهب مالك والليث والأوزاعي والشافعي وإسحاق وابن المنذر.

قال النووي في قوله: "ذكر أو أنشئ": حجة للكوفيين في أنها تجب على الزوجة في نفسها ويلزمها إخراجها من مالها، وعند مالك والشافعي والجمهور يلزم الزوج فطرة زوجته؛ لأنها تابعة للنفقة^(٢).

قوله في الحديث: "من المسلمين" قال الإمام النووي: "وأما قوله: "من المسلمين" فصريح في أنها لا تخرج إلا عن مسلم، فلا يلزمه عن عبده وزوجته وولده ووالديه الكفار وإن وجبت عليه نفقتهم، وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء."

قال الإمام مالك: "وليس عليه زكاة في أحد رقيقه الكافر ما لم يسلم لتجارة كانوا أو لغير تجارة"^(٣).

قال الثوري وإسحاق وأبو حنيفة وأصحابه وغيرهم عليه أن يؤدي صدقة الفطر عن عبده الكافر^(٤).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٥٩/٧).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٥٩/٧).

(٣) الموطأ للإمام مالك: كتاب الزكاة، باب من لا تجب عليه زكاة الفطر (٢٨٥/١).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٦٠/٧، ٥٩)؛ عمدة القاري (٣٧٣/٧).

قوله: "صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير".

قال الإمام النووي: في هذا دليل على أن الواجب في زكاة الفطر عن كل نفس صاع، فإن كان في غير حنطة وزبيب وجب صاع الإجماع، وإن كان حنطة وزيبياً وجب أيضاً صاع عند الشافعي ومالك والجمهور.

واستدلوا لذلك بحديث أبي سعيد الخدري، وفيه قوله: "كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير.... إلخ"^(١).

قال الإمام النووي: قال أبو حنيفة وأحمد: إن الواجب في زكاة الفطر عن كل نفس نصف صاع، واستدلوا لذلك بحديث أبي سعيد الخدري وفيه قول معاوية: "إني أرى أن مُدَّين من سمراء الشام تعدل صاعاً من تمر فأخذ الناس بذلك"^(٢).

هل يجوز إخراج القيمة في زكاة الفطر؟

اختلف العلماء في هذه المسألة، وهذه مذاهبهم:

١- ذهب مالك والشافعي وأحمد إلى عدم جواز إخراج القيمة؛ قال الإمام النووي: "ولم يُجزِ عامة الفقهاء إخراج القيمة وأجازه أبو حنيفة"^(٣).

٢- ذهب الإمام أبو حنيفة والثوري والبخاري وغيرهم إلى جواز إخراج القيمة في زكاة الفطر وغيرها من الركوات والكفارات، وأبو حنيفة ليس أول من قال بهذا، بل هو مسبوق إلى ذلك كما سيأتي.

قال الإمام العيني وهو حنفي المذهب في شرحه لصحيح البخاري، باب العرض في الزكاة، من كتاب الزكاة: "اعلم أن الأصل في هذا الباب أن دفع القيمة في الزكاة جائز عندنا، وكذا في الكفارة، وصدقة الفطر والعشر والخراج والنذر، وهو قول عمر وابنه عبد الله وابن مسعود وابن عباس ومعاذ وطاووس،

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٧/٦٠).

وقال الثوري: يجوز إخراج العروض في الزكاة إذا كانت بقيمتها وهو مذهب البخاري وإحدى الروایتين عن أحمد.

قال ابن قدامة: قال الثوري وأبو حنيفة يجوز إخراج القيمة، وقد روي ذلك عن عمر بن عبد العزيز والحسن، وقد روي عن أحمد مثل قولهم فيما عدا الفطرة؛ قال أبو داود: سئل أحمد عن رجل باع ثمرة نخله قال: عشره على الذي باعه، قيل له: فيخرج تمرًا أو ثمنه، قال: إن شاء أخرج تمرًا وإن شاء أخرج من الثمن، وهذا دليل على جواز إخراج القيم ووجهه: قول معاذ لأهل اليمن: "اتنوني بعرض ثياب" ... الحديث يأتي.

وحدثنا جرير عن ليث عن عطاء قال: كان عمر بن الخطاب يأخذ العروض في الصدقة من الدراهم؛ ولأن المقصود دفع الحاجة ولا يختلف ذلك بعد اتحاد قدر المالية باختلاف صور الأموال، وأجاز ابن حبيب دفع القيمة إذا رآه أحسن للمساكين، قال أشهب: لو أعطى عرضًا من ذهب عن ذهب وفضة يجزيه؛ قال الطرطوشي: هذا قول بـين -يشير إلى ما أخرجه البخاري في هذا الباب- في جواز إخراج القيم في الزكاة، قال: وأجمع أصحابنا على أنه لو أعطى فضة عن ذهب أجزأه، وكذا إذا أعطى درهمًا عن فضة عند مالك، وقال سحنون: لا يجزيه وهو وجه للشافعية.

ولقد أورد البخاري رحمه الله في هذا الباب خمسة أحاديث مستدلًا بذلك على جواز إخراج القيم في الزكوات؛ لهذا قال ابن رشيد: وافق البخاري في هذه المسألة الحنفية مع كثرة مخالفته لهم، لكن قاده إلى ذلك الدليل.

والمراد بالعرض في قول البخاري: باب العرض في الزكاة: ما عدا النقدين أي: الدينارين والدراهم التي هي قيم الأشياء^(١).

(١) عمدة القاري (٢٥٣/٧، ٣٥٨)؛ وفتح الباري (٣/٣١٢)؛ والمغني لابن قدامة (٦٥/٣).

قال البخاري رحمه الله وقال طاووس: قال معاذ رضي الله عنه لأهل اليمن: اتوني بعرض ثياب خميص أو ليس في الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة^(١).

فهذا الحديث يدل على جواز أخذ القيمة في الزكاة؛ لأن معاذاً كان أعلم الناس بالحلل والحرام، وقد بين له الرسول صلى الله عليه وسلم لما أرسله إلى اليمن ما يصنع، وقد طلب من أهل اليمن أن يدفعوا إليه قيمة الشعير والذرة ثياباً مراعيًا في ذلك مصلحة الأغنياء والفقراء معاً، ولو كان ذلك خلاف الصواب وفعله برأيه لردّه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصواب^(٢).

ثم إن الحديث وُجد موصولاً في غير الصحيح، قال الحافظ ابن حجر: وصله يحيى بن آدم في كتاب الخراج، ثم قال الحافظ: "إسناد الحديث إلى طاووس صحيح، وبذلك يندفع الإرسال"^(٣).

أما عن الانقطاع الذي وقع بين طاووس ومعاذ، حيث لم يسمع طاووس معاذاً، وهذا ما يطلق عليه الفقهاء المرسل، فإن المرسل حجة عند الحنفية بشرط أن يكون مرسله من أهل القرون الثلاثة الأولى الفاضلة، وطاووس بن كيسان الذي أرسله عن معاذ بن جبل من أهل القرون الثلاثة الفاضلة فلقد توفي سنة ستة ومائة. ثم إن في بابه أحاديث صحيحة تشهد لصحة معناه أخرجها البخاري في

(١) صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب العرض في الزكاة (١٤٤/٢).

وهذا الحديث وإن كان معلقاً إلا أن البخاري أورده بصيغة الجزم، فقال: قال طاووس: وما أورده بصيغة الجزم يُستفاد منه الصحة إلى من علق عنه، فهو صحيح الإسناد إلى طاووس. ثم إن هذا الحديث المعلق رواه ابن أبي شيبة في مصنفه موصولاً عن ابن عيينة عن إبراهيم بن مسرة عن طاووس: قال معاذ: اتوني... الحديث.

(٢) انظر بقية أحاديث الباب عند الإمام البخاري.

(٣) هدي الساري (ص ١٨، ٣٥).

نفس الباب، فالتصحيح إنما وقع باعتبار مجموع أحاديث الباب.

ثم إن الإمام أحمد احتج بحديث معاذ هذا، وقال بجواز إخراج القيمة في زكاة الزروع اعتماداً على حديث معاذ، فالحديث صالح للاحتجاج به عند الإمام أحمد غير أنه جعله خاصاً بالزروع، ولم يجوز إخراج القيمة في زكاة الفطر اعتماداً على أن الرسول ﷺ نص عليها وجعلها في أصناف معينة، وقد سبق ذلك.

فمن أخرج الأشياء العينية المنصوص عليها فلا بأس، ومن أخرج القيمة فلا بأس، مادام أن لكل رأي أدلته المعتمدة، ومادام أن كل رأي قال به أئمة معتمدون؛ والمهم أن نراعي مصلحة الفقير أولاً وأخيراً، والنبى ﷺ إذا كان قد نص على أشياء بعينها فإنما نص ﷺ على الموجود والمتيسر للناس في هذا الزمان، ولم يقل إن ما عدا هذه الأصناف ممنوعة أو منهي عنها أو لا تجزئ في زكاة الفطر خاصة، وأن النصوص قد بينت الغرض الذي من أجله فرضت زكاة الفطر، وهو سدّ حاجة الفقراء والمساكين، والرسول ﷺ ما خيّر بين أمرين إلا كان أحبهما إليه أيسرهما ما لم يكن إثماً؛ فقد يكون إخراج القيمة أفضل بالنسبة لقوم في بلد من البلدان، وقد يكون إخراج الأشياء العينية أفضل بالنسبة لقوم في بلد أخرى، وكما قال العلماء: إن الفتوى ينبغي أن يراعى فيها الزمان والمكان وحال الناس.

خلاصة الوحدة الثلاثين

- ١- مراعاة الشريعة الإسلامية لحقوق الفقراء والمساكين.
- ٢- رفع التكليف عن الصبي والمجنون لا يمنع إخراج الزكاة فالحكم متعلق بالمال لا بهما.
- ٣- الحث على الاتجار في مال الطفل وتنميته له حتى لا تأكله الصدقة.
- ٤- فرضت زكاة الفطر لجبر ما يقع في الصوم من تقصير أو هفوات تُنقص ثواب الصائم.
- ٥- تجب زكاة الفطر على كل مسلم حرٍ مالك لمقدار صاع زائد عن قوته وقوت عياله يومًا وليلة، وتجب عن نفسه وعن تلزمه نفقته كأولاده وزوجته ومن يقوم بالإنفاق عليهم.
- ٦- يجوز تعجيل زكاة الفطر قبل يوم الفطر لسد حاجة الفقير.

اختبار الوحدة الثلاثين

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (x) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- ذهب الجمهور إلى أن الزكاة لا تجب في مال الصبي والمجنون.
 - ٢- أرسل رسول الله ﷺ سعد بن معاذ إلى اليمن وقال له: "إنك ستأتي قومًا أهل كتاب... " الحديث.
 - ٣- زكاة مال اليتيم هي حق المال لا البدن عند من قال بوجوب الزكاة.
 - ٤- أجاز الإمام أبو حنيفة تعجيل زكاة الفطر من أول رمضان.
 - ٥- ذهب الإمام أحمد إلى جواز إخراج القيمة في زكاة الفطر.
 - ٦- ممن منع إخراج القيمة في زكاة الفطر: البخاري رحمه الله.
 - ٧- ذهب ابن عباس -رضي الله عنهما- إلى أن الصبي يلزمه إخراج العشر من ماله.
 - ٨- جعل الشرع زكاة الفطر كفارة مالية بدل النقص الذي يقع في الصيام.
 - ٩- تجب مراعاة مصلحة الفقير أولاً وأخيراً في زكاة الفطر، بالأشياء العينية أو القيمة.
- ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

- ١- "فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر" جاءت "فرض" في الحديث بمعنى:
 - أ- سنّ.
 - ب- قدر.
 - ج- ألزم وأوجب.
- ٢- روي عن... .. أن الصبي يخرج الزكاة بعد تكليفه:
 - أ- ابن عباس -رضي الله عنهما.
 - ب- ابن عمر -رضي الله عنهما.
 - ج- ابن مسعود رحمه الله.

٣- زكاة الفطر شرعت.....

أ- جبراً لما يقع في الصوم من تقصير ولغو ورفث وعوداً للفقراء يوم العيد.

ب- كفارة مالية.

ج- هما معاً.

٤- صدقة الفطر لفظة....

أ- غريبة.

ب- معربة.

ج- إسلامية.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- اختلف العلماء في زكاة مال اليتيم بين الوجوب والمنع، اذكر آراء العلماء، وما استندوا إليه من أدلة.

٢- لزكاة الفطر أسماء عديدة، اذكر هذه الأسماء.

٣- اذكر حكمة مشروعية زكاة الفطر، وعلى من تجب.

٤- بين حكم زكاة الفطر، ووقت وجوبها.

٥- للعلماء أقوالٌ في تعجيل زكاة الفطر قبل يوم العيد، اذكر هذه الأقوال.

٦- يجب مراعاة مصلحة الفقير في زكاة الفطر من حيث: إخراج القيمة، أو

إخراج الأشياء العينية، فالفتوى يراعى فيها الزمان والمكان وحال الناس.

ناقش هذه العبارة من خلال آراء العلماء في إخراج القيمة في زكاة الفطر.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يُرجى منك -بعد دراسة هذا الحديث- أن تصبح قادراً على أن:

١- تبين المباحث اللغوية الواردة في الحديث كالغني، وذئ مرة سوي، والفقر المدقع، والغرم المقطع، والصدق والخموش والرضف.

٢- تذكر المعنى العام للحديث.

٣- تبين الضوابط والنظم التي هذب بها الإسلام غريزة حب التملك.

٤- توضح كيف رغب الإسلام في العمل، وحث على التعفف.

٥- تبين تحذير الإسلام من السؤال لغير حاجة والترهيب من الكسل.

٦- تذكر الأصناف التي تجوز فيها المسألة.

٧- تبين بم يثبت الإعسار، ومتى تطلب الشهادة على الإعسار.

الوحدة الحادية والثلاثون

من تحل له المسألة؟

عَنْ حُبْشَى^(١) بْنِ جُنَادَةَ السُّلُولِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ وَهُوَ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ، أَنَّهُ أَعْرَابِيٌّ فَأَخَذَ بِطَرْفِ رِدَائِهِ فَسَأَلَهُ إِيَّاهُ، فَأَعْطَاهُ وَذَهَبَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حَرُمَتِ الْمَسْأَلَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ لِعَنِي وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ غُرْمٍ مُفْطَعٍ وَمَنْ سَأَلَ النَّاسَ لِيُثْرِيَ بِهِ مَالَهُ كَانَ خُمُوشًا فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَضْفًا يَأْكُلُهُ مِنْ جَهَنَّمَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُقِلِّ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْثِرْ"^(٢).

المباحث اللغوية:

١- الصَّدَقَةُ: تطلق الصدقة على ما يخرجها المسلم من ماله متطوعاً به على

سبيل النذب.

كما تطلق الصدقة على الزكاة الواجبة، وقد أطلقت في القرآن الكريم، وأريد منها الزكاة الواجبة في موضعين: قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقال الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

فالمراد بالصدقة في هاتين الآيتين الكريمتين: الزكاة الواجبة.

٢- الغني: المراد بالغني في هذا الحديث هو الذي يجد حاجته الضرورية من

(١) حبشي بن نصر السلولي، صحابي يعد في الكوفيين، روى عن النبي ﷺ، وشهد حجة الوداع، شهد مع عليٍّ عليه السلام مشاهدته، خرَّج له الترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء من لا تحل له الصدقة (٣٤/٣).

مطعم، وملبس، ومسكن، وليس المراد به -هنا- الذي تجب عليه الزكاة، ودخول من تجب عليه الزكاة في ذلك دخولاً أولياً.

٣- ذي مرة سوي -أي: ذي قوة صحيح البدن والعقل، ليس به مرض أو ضعف يحول بينه وبين العمل والكسب.

٤- الفقر المدقع: الفقير هو الذي لا شيء له، والمسكين: الذي له بعض ما يكفيه وإليه ذهب الشافعي، وقيل فيهما بالعكس وإليه ذهب أبو حنيفة. والفقر المدقع: الفقر الشديد الذي يُفضي بصاحبه إلى الدقعاء، والدقعاء: الأرض التي لا نبات بها؛ وقيل: هو سوء احتمال الفقر.

٥- الغرم المفظع: الغرم: أداء شيء لازم؛ والمفظع: الشديد لشنيع. والمراد بقوله: "إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ.... إِلَّا لِذِي.... غُرْمٍ مُفْطَعٍ" -أي: لا تحل المسألة إلا لذي حاجة لازمة من غرامة مثقلة شديدة شنيعة. ٦- يثري ماله: أي: يكثر ماله، يقال: ثري القوم يثرون وأثروا إذا كثروا وكثرت أموالهم.

٧- الخموش: الخدوش.

٨- الرصف: الحجارة المحماة على النار، واحدها: رَصْفَةٌ.

المعنى العام للحديث:

حَرَصَ الإسلامُ كل الحرص على أن يعيش المسلم عزيزاً معتمداً على الله تعالى أولاً، ثم على نفسه، فمادام أنه يقوى على العمل والكسب، فلا يجوز أن يذل نفسه بتركه العمل معتمداً على الآخرين في معيشتِهِ وأموره الضرورية، أو يسأل الناس أموالهم وهو ليس بحاجة إلى أموالهم رغبة في الاستكثار من المال، لأن جَمَعَ المال صار عنده شهوة يجمع لذاته؛ من فعل ذلك، فهو متوَعِّدٌ بالعذاب الأليم في الآخرة بعد الذلِّ والهوان في الدنيا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلْ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ " ^(١).

وإذا كان الإنسان قد جُبِلَ وفُطِرَ على حُبِّ جمع المال، أو حب التملك عموماً، كما قال الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠] وكما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] ^(٢)، وكما قال الرسول ﷺ: "لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَا يَتَغَيَّ وَادِيَا ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتَوَبُّ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ" ^(٣)، وهذا الحب لا يفارق الإنسان حتى ولو بلغ من العمر أرذله، فإن حب المال يتزايد مع تقدُّم السن، وإن لم يكن الإنسان بحاجة إلى المال.

إذا كان الإنسان قد جُبِلَ على ذلك، فإن الإسلام لا يترك أتباعه تسيرهم غرائزهم وشهواتهم، بل يعمل الإسلام -بشئ الطرق والوسائل- على تهذيب غرائز أتباعه، حتى لا يكونوا كالحیوانات، تسيرهم غرائزهم، وتتحكم فيهم شهواتهم. ومن الغرائز التي عمل الإسلام على تهذيبها: غريزة حب التملك.

فالإسلام يعمل على الحد من سيطرة المال على حياة الناس، ويكسر من سلطانه على النفس، حتى لا يكون سبباً في إذلال المسلم، أو طغيانه، فإن الطغيان والظلم يلزمان الغني ما لم يوجد ما ينظم ويحد من سيطرته على النفس البشرية، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ [العلق: ٦-٧].

ومن المعلوم أن الإسلام وضع الضوابط والنظم التي تمنع من سيطرة المال

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، صحيح مسلم بشرح النووي (١٣٠/٧)؛ والمراد بقوله: "فإنَّما يسألُ جَمْرًا" أنه يعاقب بالنار، ويحتمل أن يكون على ظاهره، وأن الذي يأخذه يصير جمرًا يكوى به كما ثبت في مانع الزكاة.

(٢) والمراد بالخير: المال.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا - صحيح مسلم بشرح النووي (١٣٩/٧، ١٣٨)، عن أنس رضي الله عنه.

على حياة المسلم، وتحرره من عبودية المال، حتى يصير المال في يد المسلم لا في قلبه، ويكون وسيلة لإسعاد البشرية، فلا يحمله على الظلم والطغيان، بل يحمله على شكر الله تعالى صاحب النعم والإحسان إلى غير القادر.

والإسلام لا ييغض المال كما يظن البعض، ولكنه ييغض المال الذي يؤدي بصاحبه إلى الطغيان، ييغض أن يكون المسلم عبداً للمال، فإنه إن صار عبداً للمال، حصّله من الطرق غير المشروعة، ولم يؤد حق الآخرين فيه، وعند ذلك يكون المال وسيلة لشقاء البشرية وإعنائها.

ولا أدل على ما نقول من أن الإسلام أمر بالعمل وحضاً عليه ورغب فيه بكل وسيلة، حتى ولو كان العمل شاقاً، فهو خير من ترك العمل والاعتماد على الآخرين، وإن الأجر على قدر النصب مادام تعين طريقاً للوصول إلى المقصود.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْطَبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مَنْ اتَّاسَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ فَإِنَّ أَلْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْيَدِ السُّفْلَى وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ"^(١).

بل إن الإسلام وَعَدَ على العمل الأجر والثواب إن قصد به المسلم وجه الله تعالى، وإعفاف نفسه ومن يعول عن المسألة والحرام.

وقد قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: "إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدْعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَأَبَاهَا صَدَقَةً، حَتَّى اللَّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي أَمْرَاتِكَ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَكَ فَيَتَفَعَّ بِكَ نَاسٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ"^(٢).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، صحيح مسلم بشرح النووي (١٣١/٧).

(٢) أخرجه البخاري "واللفظ له"، جزء حديث: كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن

يتكففوا الناس، فتح الباري (٣٦٣/٥)، وأخرجه مسلم: كتاب الوصية، الباب الأول. صحيح مسلم

شرح النووي (٧٠/١١).

كما حذر الإسلام غاية التحذير من التكاسل والعزوف عن الدنيا وترك العمل والاعتماد على الآخرين، وما ذلك إلا لأن المسلم ينبغي أن يكون عزيزاً، قال ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وكيف يكون المسلم عزيزاً مع الفقر واعتماده على الآخرين في أمور حياته؟ إنه لن يكون عزيزاً إلا إذا استغنى عن الآخرين بماله وقوته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وما أجهل ما قاله الرسول ﷺ لعمر بن العاص حين صحح له فهمه وبين له أن المال لا يصح أن ييغض لذاته، وإنما يكون وسيلة طيبة حين يوجه التوجيه الصحيح، وذلك لا يكون إلا إذا امتلكته يد مسلمة، فتوجهه التوجيه الرشيد، حيث يعود بالنفع على الأمة كلها، ويكون وسيلة لإعزاز الإسلام والمسلمين وإرضاء الله تعالى.

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ ثُمَّ انْتَبِ"، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَصَعَدَ فِي النَّظَرِ ثُمَّ طَأْطَأَهُ فَقَالَ: "إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ اللَّهُ وَيُعْظِمَكَ وَأَرْغَبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "يَا عَمْرُو نَعَمْ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ"^(١).

وما قاله ﷺ لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدْعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ"^(٢).

كيف ييغض الإسلام الغنى، وبعض أركان الإسلام لا يكون له وجود إلا

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث عمرو بن العاص (٢٠٢/٤، ١٩٧).

(٢) تقدّم ترجمته.

مع المال، ألا وهي فريضة الزكاة والحج؟ إن الإسلام يريد أن يهذب هذه الغريزة، حتى يكون المال في يد المسلم لا في قلبه، حتى إذا ما طُلب المال من المسلم بذلّه بنفس راضية لله ﷻ، وإذا ضاع منه لا يموت حسرة عليه.

بل إن الإسلام لا يكتفي بجعل المسلم معتمداً على نفسه، متعقفاً عما في أيدي الآخرين، بل يسمو به إلى ما هو أعظم وأرفع من ذلك، فيغرس فيه الإيثار، ويجعله معطاءً دائماً وأبداً، محسناً إلى الآخرين.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ وَهُوَ يَذْكُرُ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ: "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُتَنَفِّقَةُ وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ"^(١).

وهذا الحديث -الذي نحن بصدد دراسته- واحد من هذه الأحاديث التي توعدها فيها الرسول ﷺ أولئك الذين يأخذون أموال الصدقات، مع أنهم يجدون حاجتهم الضرورية؛ من مطعم وملبس ومسكن، أو يتركون العمل مع قدرتهم عليه تكاسلاً، معتمدين على الآخرين في حياتهم، فيأخذون ما ليس لهم بحق، وهم إذ يفعلون ذلك إنما يضيعون ويأخذون حقوق العاجزين عن العمل والكسب، رغبة في الاستكثار من المال، وجمع الدنيا بالهوان العظيم والعذاب الشديد.

فقه الحديث:

ظاهر هذا الحديث أنه يحرم على المسلم أن يسأل الناس شيئاً مادام أنه يجد حاجته الضرورية من مطعم وملبس ومسكن، أو عنده القدرة على العمل وكسب قوت يومه، فإن كان فقيراً، أو لا يستطيع العمل لمرض أو عجز أَلَمَّ به لا يستطيع معه العمل والكسب -جاز له أن يسأل الناس حاجته الضرورية.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، صحيح مسلم بشرح

وهذا ما يفهم من قوله ﷺ في حديث الباب: "إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ لَغْنِيٍّ..." الحديث؛ كما يدل على حرمة هذا العمل: أن فاعله متوعد بالعذاب الأليم في النار، بل إن هذا الوعيد الشديد يدل على أن هذا العمل من الكبائر؛ لأن من علامة كون الذنب كبيرة أن يُتوعد فاعله بالنار.

وهذا الحديث تؤيده أحاديث أخرى، منها:
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ لَحْمٌ"^(١).

قال القاضي عياض: "معناه يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطاً لا وجه له عند الله، وقيل: هو على ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه؛ عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه، كما جاءت الأحاديث الأخر بالعقوبات في الأعضاء التي كانت بها المعاصي، وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالاً منهياً عنه"^(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلْ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ"^(٣).

قال القاضي: "معناه: أنه يعاقب بالنار، ويحتمل أن يكون على ظاهره وأن الذي يأخذه يصير جمراً يكرى به، كما ثبت في مانع الزكاة.

قال الإمام النووي عقب أحاديث النهي عن المسألة: "مقصود الباب وأحاديثه النهي عن السؤال، واتفق العلماء عليه إذا لم تكن ضرورة، واختلف أصحابنا -أي: الشافعية- في مسألة القادر على الكسب على وجهين: أصحهما: أنها حرام؛ لظاهر الأحاديث، والثاني: حلال مع الكراهة بثلاثة شروط: أن لا يذل

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، صحيح مسلم بشرح النووي (١٣٠/٧)؛

ومعنى قوله: "مُزْعَةٌ لَحْمٌ" أي: قطعة لحم.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣٠/٧).

(٣) تقدّم تخريجه.

نفسه، ولا يلح في السؤال، ولا يؤذي المستول، فإن فقد أحد هذه الشروط، فهي حرام بالاتفاق. والله أعلم^(١).

ذكر في هذا الحديث أن المسألة تحل لصنفين من الناس، هما: الفقير الذي اشتد فقره، ورجل استدان ديناً ليصلح بين المتخاصمين.

في رواية الإمام مسلم، أن المسألة لا تحل إلا لثلاثة أصناف من الناس:

١ - رجل استدان ديناً ليصلح بين متخاصمين، سواء كانوا أفراداً أم جماعات.

٢ - رجل أصابته آفة، فاستأصلت أمواله وأهلكتها.

٣ - رجل أصابه فقر شديد حتى شهد له بذلك ثلاثة عقلاء من الأقربين منه.

عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهَلَالِيِّ قَالَ: تَحَمَّلْتُ حِمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا فَقَالَ: "أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا"، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: "يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحُلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً: رَجُلٌ تَحْمِلُ حِمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكَ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاَحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قَوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا"^(٢).

قوله: "رَجُلٌ تَحْمِلُ حِمَالَةً": والمراد بالحِمَالَة هي المال الذي يتحمله الإنسان

-أي: يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين، كالإصلاح بين قبيلتين، أو بين شخصين- وإنما تحل له المسألة ويعطى من الزكاة بشرط أن يستدين لغير معصية.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢٧/٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب من لا تحل له المسألة، صحيح مسلم بشرح النووي (١٣٣/٧).

المراد بالجائحة: هي الآفة التي تهدك الثمار والأموال وتستأصلها، وكل معصية عظيمة وقتنة مبررة: جائحة؛

الفاقة: الحاجة والفقر الشديد؛ السحت: الحرام الذي لا يحل كسبه؛ لأنه يسحت البركة -أي: يذهبها.

قوله: "حَتَّى يُصِيبَ قَوَامًا مِنْ عَيْشٍ -أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ-": القوام -بكسر القاف- والسداد -بكسر السين- بمعنى واحد وهو: ما يغني عن الشيء، وما تُسدّ به الحاجة.

وكل شيء سدّدت به شيئاً فهو سِدَاد -بالكسر- ومنه سداد الثغر والقارورة، وقولهم: سداد من عوز.

قوله: "حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَاكًا فَاقَةً": الحجا: المقصود العقل، وإنما شرط الحجا فيمن يشهد؛ تنبيهاً على أنه يشترط في الشاهد التيقُّظ، فلا تُقبل من مغفل.

وإنما شرط فيمن يشهد بذلك أن يكونوا من قومه؛ لأنهم من أهل الخبرة بباطنه، والمال مما يخفى -في العادة- فلا يعلمه إلا من كان خبيراً بصاحبه.

بم يثبت الإعسار؟

١- ذهب جمهور العلماء إلى أن الإعسار يثبت بشاهدين كسائر الشهادات غير الزنا، وحملوا الحديث على الاستحباب.

٢- ذهب بعض الشافعية إلى أن الإعسار لا يثبت إلا بشهادة ثلاثة شهود؛ لظاهر هذا الحديث.

متى تطلب الشهادة على الإعسار؟

من عرف أن له مالاً فلا يقبل قوله في تلفه والإعسار إلا ببينة؛ أما من لم يعرف له مال، فالقول قوله في عدم المال، فلا يطالب بالبينة.

خلاصة الوحدة الحادية والثلاثون

- ١- الإسلام منهجٌ كامل ونظام شامل، فالإسلام ينظّم حياة المسلم من أولها إلى آخرها.
- ٢- حرص الإسلام على كرامة المسلم وتربيته التربية العالية ارفيعة التي تحقق له العزة والسيادة، ولجتمعه الرفعة والازدهار والأمن والأمان.
- ٣- حثّ الإسلام على العمل الجاد المنتج الذي يعود أثره على الفرد والمجتمع بالخير في الدنيا والآخرة.
- ٤- حثّ الإسلام على ترك الكسل الذي يجعل المسلم ذليلاً، ويهوي بالمجتمع إلى الخضوض.
- ٥- حرص الإسلام على سلامة المجتمع ووقايته من العاطلين والانتهازيين الذين يَحْمِلُون المجتمع ما لا يطيق.
- ٦- ربط الإسلام صلاح الدنيا باستقامة الناس على منهج الله ﷻ، وربط صلاح الآخرة بصلاح الدنيا، فمن أصلح دنياه باستقامته على منهج الله ﷻ انصلحت آخرته، ومن أفسد دنياه بابتعاده عن منهج الله ﷻ فسدت آخرته، وعرض نفسه للهوان في الدنيا والآخرة.
- ٧- حرص الإسلام على أن يأخذ كل ذي حق حقه؛ وذلك أن الأغنياء والذين يقدرون على العمل والكسب إن أخذوا من أموال الزكاة والصدقات فإنهم يضيعون الفقراء والعاجزين عن العمل والكسب، والله ﷻ إنما فرض في أموال الأغنياء قدرًا يسع فقراءهم، فإن زاحمهم الأغنياء ضاع الفقراء والمحتاجون لا محالة.

اختبار الوحدة الحادية والثلاثين

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- تطلق الصدقة على ما يخرج المسلم من ماله متطوعاً به على سبيل النَّدب، كما تطلق على الزكاة الواجبة.

٢- المراد بالغني في الحديث: الذي تجب عليه الزكاة.

٣- يثري ماله أي: يقل وينعدم.

٤- كلما تقدم الإنسان في السن وبلغ من العمر أُرذله، كلما زهد في المال وقل حبه في قلبه.

٥- الطغيان والظلم يلازمان الغني ما لم يوجد ما ينظم ويحد من سيطرته على النفس البشرية.

٦- يبغض الإسلام المال ويحذر من كثرة تحصيله واقتنائه.

٧- يحرم على المسلم أن يسأل الناس شيئاً ما دام يجد حاجته الضرورية من مطعم وملبس ومسكن.

٨- يثبت الإعسار بشهادة أربعة شهود عدول.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- المراد بالغني في الحديث:

أ- الذي تجب عليه الزكاة.

ب- الذي يجد حاجته الضرورية.

ج- القادر على الكسب والعمل.

٢- الحجارة المحماة على النار تسمى:

أ- خموش. ب- رصف. ج- جمر.

٣- قال رسول الله ﷺ للصحابي الجليل... .. : "إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أتدعهم عالة.

أ- سعد بن معاذ.

ب- معاذ بن جبل.

ج- سعد بن أبي وقاص.

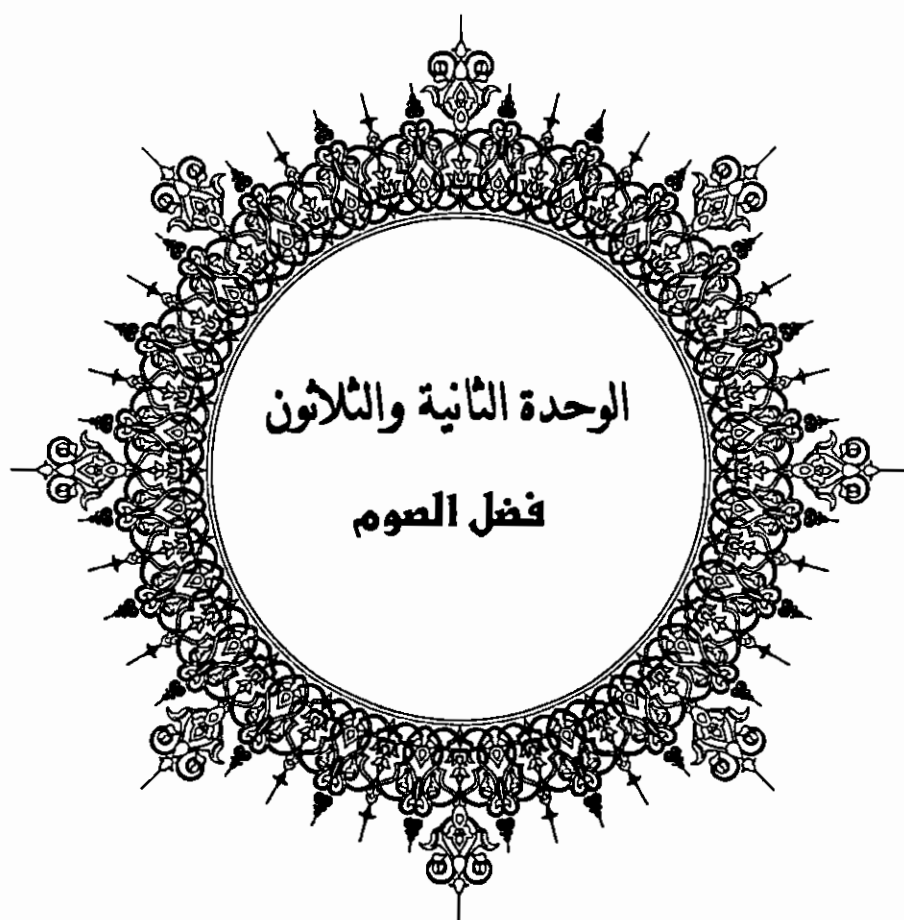
ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- اذكر الضوابط والنظم التي هذب بها الإسلام غريزة حب التملك.

٢- بين الأصناف التي أباح الشرع لها السؤال لسد حاجتها.

٣- اذكر المعنى العام للحديث، ثم اذكر ما يستفاد منه.

٤- رغب الإسلام في العمل، وحث على التعفف، وضح هذه العبارة.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يُرجى منك -بعد دراسة هذا الحديث- أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تعرف الصوم لغة وشرعًا.
- ٢- تذكر حكم صوم رمضان؛ وتوضح متى فرض صيامه.
- ٣- تبين أثر العبادات على الفرد والمجتمع.
- ٤- توضح حكمة مشروعية الصوم.
- ٥- تذكر ما ينبغي أن يكون عليه الصائم حينما يُسب أو يجهل عليه.
- ٦- تبين ما اختص به الصوم من فضائل ومزايا.
- ٧- تذكر ماذا يحدث إذا كان أول ليلة من رمضان؟
- ٨- تبين المراد من تصفيد الشياطين.

مُقَدِّمَةٌ

الصوم لغة: الإمساك عن الشيء.

وشرعاً: الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله تعالى.

حكم صوم شهر رمضان:

صوم شهر رمضان واجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، فهو معلوم من الدين بالضرورة، وهو أحد أركان الإسلام، وجاكد وجوب صيام شهر رمضان كافر، بإجماع المسلمين مَحَلَّدٌ في نار جهنم.

فرض صيام شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة.

أثر العبادات في الفرد والمجتمع:

لقد شرع الله تعالى لخلقه ما تصحّ به نفوسهم وأبدانهم، وما تستقيم به أخلاقهم وسلوكياتهم، فما أراد الله تعالى بما يشرع لخلقه أن يشق عليهم، فهو بحم رؤوف رحيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

نلمح هذه الرحمة وتلك الشفقة في كل التشريعات الإسلامية، فتشريع الله تعالى لخلقه في استطاعتهم جميعاً، بل أقلّ من استطاعتهم، بدليل أن الكثيرين من المسلمين لا يكتفون بما فرضه الله عليهم، بل يزيدون من جنسه.

والناظر في العبادات الإسلامية، يجد أنها وسائل لتهديب النفس، وتقويم السلوك، فليست هدفاً في حد ذاتها، ومع ذلك فيجب أن نعلم أنه ليست هناك وسائل أخرى غير التي شرعها الله تعالى لتأدية هذا الهدف؛ لأن الذي شرعها إنما هو

الله تعالى العليم بخلقه، وما يصلحهم، وما يفسدهم على الحقيقة، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

والله تعالى حين أوجب على المسلم أن يصوم شهر رمضان، ما أراد بذلك أن يشق عليه، أو أن يُعَنِّتَهُ، ولكنه أراد أن يربِّي إرادته، وأن يسمو بأخلاقه، وأن يتذكر المسلم دائماً وأبداً أنه ما ترك المعاصي والمحرمات لأن طبعه ينفر منها، أو لأنه لم يتعوّدها، ولكنه تركها استحابة لأمر الله تعالى؛ لذلك يأتي الإسلام فيحرم على المسلم في أثناء الصيام أموراً هي في أصلها على الإباحة، ولا غنى للإنسان عنها، ليتذكر أنه عبدٌ لله تعالى، وأنه مستجيبٌ لأمر الله تعالى وإن خالف ذلك طبعه وما جبل عليه.

وإذا كان المسلم يترك في أثناء صيامه أموراً في أصلها على الإباحة استحابة لأمر الله تعالى وطباً لمرضاته فهل يليق به أن يفعل أموراً محرمة لذاتها تجلب له ويحتمعه الشرور في الدنيا والشقاء العظيم في الآخرة؟

قال تعالى -مبيناً ثمره الصيام عقب الأمر به-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فثمره الصيام الحقيقي الذي صامت فيه البطن عن الطعام والشراب، وصام فيه القلب عن الشهوات والشبهات، وصامت فيه الجوارح عن المعاصي والمحرمات، هي تقوى الله تعالى بكل معانيها التي تجعل المسلم ربانياً لا يفعل إلا ما يُرضي الله تعالى، ولا يقول إلا ما يحب الله تعالى، وعند ذلك ينعكس أثر ذلك على المسلم والمجتمع بأسره.

وما أراد الله تعالى من فرض الصيام أن يشق على خلقه، أو أن يُعنتهم، ولكنه يريد -بما شرع لخلقه- أن يصلحهم، قال تعالى في سياق الحديث عن الصيام: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وبذلك يعتاد المسلم فعل الطاعات والابتعاد عن المعاصي والمحرمات، فيخرج من شهر الصوم وقد أَلِفَ الطاعات واعتادها، وصارت محبة إلى نفسه، وأصبحت المعاصي والمحرمات -وإن كانت محبة إلى نفسه- من أبغض الأشياء إليه بعد هذا التدريب المتواصل على فعل الطاعات، والتنزّه عن المعاصي والمحرمات، وبذلك يكون قد انتفع في خاصة نفسه من الصيام، وعاد أثر ذلك على المجتمع بأسره، فليس للمسلم المراقب لربه، الخائف منه، الذي يرجو ثوابه، ويخشى عقابه، رغبة في إيقاع الشر على أحد على الإطلاق.

وبهذا تتحول الطاعات إلى وسائل لتهديب النفس، وتقويم السلوك، ويسمو المسلم بنفسه في سَلَمِ الكمالات.

فصيام شهر رمضان زادّ يتزود به المسلم لبقية العام.

الوحدة الثانية والثلاثون

فضل الصوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﻻ: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ"، وَالصَّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرِفْتُ وَلَا يَصْخَبُ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ" ^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "الصَّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرِفْتُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ، مَرَّتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، "يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصَّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا" ^(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنْ رَبَّكُمْ يَقُولُ: "كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ وَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ" الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ وَلَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ وَإِنْ جَهِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ جَاهِلٌ وَهُوَ صَائِمٌ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ" ^(٣).

المباحث اللغوية:

(الصوم جنة): الجنة - بضم الجيم - الوقاية والستر.

(الرفث): الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة، ويطلق

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، فتح الباري (٤/١٤١)، وأخرجه

مسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام - صحيح مسلم بشرح النووي (٨/٣٠-٣١).

(٢) نفس المصدرين السابقين، و"اللفظ للبخاري".

(٣) أخرجه مالك: كتاب الصيام، باب جامع لصيام (٢/١٩٨-١٩٩)، وأخرجه مسلم: كتاب الصيام، باب

فضل الصيام، وأخرجه الترمذي و"اللفظ له": كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل الصوم (٣/١٢٧).

الرفث على الكلام الفاحش، وعلى الجماع، وعلى مقدماته، ويحتمل أن يكون لما هو أعمُّ من ذلك.

(الصخب): الصَّخْبُ والسَّخْبُ - بالصاد والسين - الضَّجَّة واضطراب الأصوات للخصام.

(السب): السب الشتم.

(الخلوف): الخلوف - بضم الخاء واللام وسكون الواو بعدها فاء -: قال عياض: "هذه الرواية الصحيحة، وبعض الشيوخ يقوله بفتح الخاء"؛ قال الخطابي: "وهو خطأ، وحكى التابسي الوجهين"؛ وقال النووي: "لا يجوز فتح الخاء"؛ الخلوف لغة: تغير ريح الفم؛ واتفقوا على أن المراد به تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام.

(الجهل): يطلق الجهل على أفعال أهل الجهل، كالصياح، والسَّفه... ونحو ذلك من الجدل.

(المقاتلة): المقاتلة بمعنى المدافعة، وليس كل قتال بمعنى القتل.

(الشتم): السب والتكلم في عرض الإنسان بما يعبه.

حل المفاعلة في قوله: "وَإِنْ أَمُرُّوْا قَاتِلُهُ أَوْ شَاتِمُهُ" على باهما، بمعنى أن الصائم قابل جهل من يجهل عليه بمثله، وذلك لأن المفاعلة تقتضي وقوع الفعل من الجانبين.

لا يمكن حَمْلُ المفاعلة في قوله: "قَاتِلُهُ أَوْ شَاتِمُهُ" على باهما، لأن الصائم مأمورٌ بأن يكفَّ نفسه عن ذلك، فكيف يقع ذلك منه؟

المراد بالمفاعلة: التهيؤ لها - أي: إن تمياً أحد لمقاتلته أو مشاتمته، فليقل: إني صائم، فإنه إذا قال ذلك أمكن أن يكفَّ عنه، فإن أصرَّ دفعه بالأخف فالأخف، هذا فيمن يروم مقاتلته حقيقة، فإن كان المراد بقوله: "قَاتِلُهُ": شاتمته - لأن القتل

يطلق على اللعن، واللعن من جملة السب - فالمراد من الحديث أنه لا يعامله بمثل عمله، بل يقتصر على قوله: إني صائم.

قد تطلق المفاعلة على التهيؤ لها ولو وقع الفعل من واحد، وقد تقع المفاعلة بفعل الواحد، كما يقال لواحد: عالج الأمر، وعافاه الله.

أو المعنى: إذا جاءه متعرضاً لمقاتلته أو مشاتمته، كأن يبدأه بقتل أو شتم، اقتضت العادة أن يكافئه عليه، فالمراد بالمفاعلة: إرادة غير الصائم ذلك من الصائم. قال القرطبي: "لا يفهم من هذا أن غير الصوم يباح فيه ما ذكر، وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم".

فقه الحديث:

قوله: "كُلْ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ"، كل عمل صالح يعمله ابن آدم يحقق له حظاً نفسياً ونصبياً، حيث يطلع عليه الناس ويثنون على عامله، ويحمد عندهم، إلا الصيام فلا يطلع عليه إلا الله ﷻ، فلا يحقق الصيام للصائم حظاً نفسياً مع ما في الصيام من مخالفة لطبيعة البشر، ومشقة على الصائم.

قوله: "إِلَّا الصَّيَّامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَحْزِي بِهِ"، وفي الرواية الأخرى: "الصَّوْمُ لِي" اختلف العلماء في المراد بقوله: "الصَّوْمُ لِي" مع أن الطاعات كلها لا تكون إلا لله ﷻ، ولا يؤجر عليها العبد إلا إذا قصد بها وجه الله ﷻ والتقرب إليه، وأن الله ﷻ هو الذي يجزي بها على أقوال:

١- إضافة الصوم إلى الله ﷻ إضافة تشريف، كما يقال: "بيت الله"، و"ناقة الله"، مع أن العالم كله لله ﷻ، والتخصيص في موضع التعميم في مثل هذا السياق لا يفهم منه إلا التعظيم والتشريف.

٢- الصوم لا يقع فيه الرياء كما قد يقع في غيره من الطاعات، لخفاء أمره، بخلاف الصلاة، والحج، وغيرهما من العبادات الظاهرة.

قال أبو عبيد: "قد علمنا أن أعمال البر كلها لله ﷻ، وهو الذي يجزي بها، فرى -والله أعلم- أنه إنما خص الصيام لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله، وإنما هو شيء في القلب"^(١).

٣- لم يُعبد بالصوم غير الله ﷻ على مر الأزمنة، بخلاف الصلاة، والصدقة، وغير ذلك من العبادات، فلم يعظم الكفار في زمن من الأزمان معبوداً لهم بالصيام، وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والنذر والصدقة؛ لذلك أضافه الله إليه.

٤- الاستغناء عن الطعام، والشراب، وسائر الشهوات، من صفات الله ﷻ، وليس من صفات الإنسان، فلما تقرب الصائم إلى الله ﷻ بما يوافق صفاته ﷻ، أضافه إليه ﷻ، وإن كانت صفات الله ﷻ لا يشبهها شيء.

فإذا تقرب العبد إلى الله ﷻ بما أمره به -وإن كان ضد ما يهوى ويشتهي- فإن الله ﷻ يثيبه الثواب العظيم، وكأن الله ﷻ يقول: "الصوم لي لا لك أيها الإنسان، فإذا استجبت لأمرى وخالفْتَ طبيعتك وما فطرت عليه، أعطيتك عطاءً لا حدَّ له".

قال الحافظ ابن حجر: "إن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات، من صفات الرب -جل جلاله- فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه". قال القرطبي: "معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام، فإنه مناسب لصفة من صفات الحق، كأنه يقول: إن الصائم يتقرب إلي بأمر هو متعلق بصفة من صفاتي"^(٢).

قال النووي: "وقيل: إن الاستغناء عن الطعام من صفات الله ﷻ، فتقرب الصائم بما يتعلق بهذه الصفة، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء".

(١) فتح الباري: (٤/١٢٩).

(٢) فتح الباري (٤/١٣٠).

٥ - ليس للعبد حظٌّ في الصوم، وإنما يفعله خالصاً لله ﷻ.

قال ابن الجوزي: "ليس لنفس الصائم في الصيام حظ. بخلاف غيره، فإن له فيه حظاً لثناء الناس عليه".

٦ - قال بعضهم: "معناه أن الصوم لي لا لك -أي: أنا الذي ينبغي لي أن لا أأطعم ولا أشرب، وإذا كان كذلك، وكان دخولك فيه لأني شرعته لك، فأنا أجزى به، كأنه يقول: أنا جزاؤه، لأن صفة التنزيه عن الطعام والشراب والشهوة تطلبني، وقد تلبست بها وليست لك، لكنك اتصفت بها حال صومك، فهي تدخلك علي، فإن الصبر حبس النفس، وقد حبستها بأمرى عما تقتضيه حقيقتها من الطعام والشراب والشهوة.

قوله: "وأنا أجزى به" -أي: أنا المنفرد بعلم مقدار ثواب الصوم، وتضعيف حسناته؛ أما غيره من العبادات فقد اطلع بعض مخلوقاته على ثوابه. قال القرطبي: "معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس، وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله ﷻ، إلا الصيام فإن الله ﷻ يثيب عليه بغير تقدير"، كما جاء ذلك في الرواية الثالثة.

قوله: "وَالصَّيَامُ جُنَّةٌ"، جاء في رواية البخاري: "الصَّوْمُ جُنَّةٌ" فلم يذكر متعلق الستر، وذكر في الرواية الثالثة متعلق الستر وأنه: "مِنَ النَّارِ"، فكيف بقي الصوم صاحبه من النار؟

الصوم وقاية وستر بقي صاحبه ومنعه من فعل المعاصي، ويهذب غرائزه، ولما كانت المعاصي أسباباً مفضية إلى دخول جهنم فإذا منع الصوم صاحبه من فعل المعاصي فإنه بذلك يكون وقاه وستره من دخول جهنم.

قال القرطبي: "حنة -أي: سُرّة- يعني: بحسب مشروعيته، فينبغي للصائم أن يصوم صومه مما يفسده ويُنقص ثوابه، وإليه الإشارة بقوله ﷻ: "وَإِذَا كَانَ

يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرُفْتُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ، مَرَّتَيْنِ"، ويصح أن يراد: أنه سترة بحسب فائدته، وهو إضعاف شهوات النفس، وإليه الإشارة بقوله: يدع شهوته، ويصح أن يراد: أنه سترة بحسب ما يحصل من الثواب وتضعيف الحسنات".

قال القاضي عياض: "معناه: سترة من الآثام، أو من النار، أو من جميع ذلك" (١).
قال ابن الأثير: "الصَّوْمُ جُنَّةٌ" أي: يقي صاحبه مما يؤديه من الشهوات".
قال النووي: "وَالصَّيَامُ جُنَّةٌ" معناه: سترة ومانع من الرفث، ومانع أيضاً من النار" (٢).
قال ابن العربي: "إنما كان الصوم جنة من النار، لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات" (٣).

قال الحافظ ابن حجر: "فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا، كان ذلك ساتراً له من النار في الآخرة".
قوله: "وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرُفْتُ وَلَا يَصْحَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ"، لما كان الصوم من أهم وسائل التربية التي تهذب النفس، وتقوّم السلوك -أمر النبي ﷺ الصائم أن يجتنب هذه الأخلاق التي لا تليق بالمسلم، فضلاً عن الصائم المنشغل بالعبادة؛ محافظة على ثواب صيامه، حتى لا يعرضه للضياع.

وهذه الأخلاق التي فُي الرسول ﷺ الصائم عنها، منهي عنها لذاتها، سواء في ذلك الصائم وغير الصائم، ولكن يتأكد النهي إذا كان المسلم متلبساً بالعبادة. اتفقت الروايات الواردة في هذا الباب على أن الصائم يقول إن سبه أحد أو جهل عليه جاهل: "إني صائم"، غير أن هذه العبارة ذكرت في بعض الروايات

(١) فتح الباري (٤/١٢٥).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٨/٣١).

(٣) فتح الباري (٤/١٢٥).

مرتين، وفي بعضها مرة واحدة؛ فهل يخاطب الصائم من جهل عليه بهذه العبارة، أم يقولها في نفسه؟

وإنما يقول الصائم: "إني صائم" إذا جهل عليه جاهلاً، أو اعتدى عليه معتد، لينفّس عن نفسه الضيق، فتهدأ نفسه، وليذكر الصائم نفسه بهذا القول، وأنه في عبادة، فيحسب عليه المحافظة عليها، ولا يفسدها، بل عليه أن يقابل جهل الجاهلين بالحلم واللين، وليذكر من يجهل عليه بأنه في عبادة، فلا يصح أن يفسد عليه عبادته.

قال الحافظ ابن حجر: "وقد رجّح الإمام النووي في الأذكار القول باللسان، وقال - في شرح المذهب -: كلٌّ منهما حسن، والقول باللسان أقوى، ولو جمعهما لكان حسناً، ولهذا التردد أتى البخاري في ترجمته بالاستفهام في باب "هل يقول: إني صائم إذا شتم؟" (١).

وقد فرق بعض العلماء بين صوم رمضان وصوم غيره، فإن كان رمضان فليقل بلسانه، وإن كان غير رمضان فليقل في نفسه، حتى لا يقع في الرياء. وادعى ابن العربي أن موضع الخلاف في التطوع، وأما في الفرض سواء كان رمضان، أو صوم نذر، أو قضاء، فيقوله بلسانه قطعاً. وإنما كرر قوله: "إني صائم" مرتين - كما في رواية البخاري - لتأكيد الزجر منه، أو ممن يخاطبه بذلك.

ونقل الزركشي أن المراد بقوله: "فَلْيَقُلْ إِنْني صَائِمٌ، مَرَّتَيْنِ"، يقوله مرة بقلبه، ومرة بلسانه، فيستفيد بقوله بقلبه كفاء لسانه عن خصمه، وبقوله بلسانه كفاء خصمه عنه.

وتعقب بأن القول حقيقة باللسان، وأجيب بأنه لا يجمع المجاز.

(١) فتح الباري (٤/١٢٦).

جاء في رواية البخاري: "لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ"، أما فَرْحُ الصَّائِمِ بفطره - كما جاء في رواية مسلم -: "إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ"، فالمراد أن الصائم يفرح بفطره، لزوال جوعه وعطشه، حيث أبيع له الفطر، وهذا الفرح طبيعي، وهو السابق للفهم.

وأيضاً، لأن الفطر تمام صومه، وخاتمة عبادته، وتخفيف من ربه، ومعونة على مستقبل صومه.

وفي ذلك إشارة إلى أن المسلم لا يفرح الفرح الحقيقي، ولا ينشرح له صدر، ولا يقر له بال، إلا بطاعته لله تعالى، قال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

قوله: "وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا" جاء في رواية الإمام البخاري: "وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا"، وجاء في الرواية الثالثة: "كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ" - كما هو واضح في التخريج - والمراد: أن الحسنات يضاعف جزاؤها من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصوم، فلا يضاعف إلى هذا القدر، بل ثوابه لا يقدر قدره، ولا يحصيه إلا الله ﷻ؛ ولذلك يتولى الله ﷻ جزاءه بنفسه، ولا يكله إلى غيره.

والسبب في اختصاص الصوم بهذه المزية، أمران:

أحدهما: أن سائر العبادات مما يطلع العباد عليه، والصوم سر بين العبد وربّه ﷻ، يفعله خالصاً، ويعامله به طالباً لرضاه، وإلى ذلك الإشارة بقوله: "فَإِنَّهُ لِي".

الثاني: أن سائر الحسنات راجعة إلى صرف المال، أو استعمال البدن، والصوم يتضمن كسر النفس، وتعريض البدن للنقصان، وفيه الصبر على شدة الجوع والعطش، وترك الشهوات، وإلى ذلك أشار بقوله: "يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي"، وأعاد قوله: "وَأَنَا أَجْزِي بِهِ" تأكيداً على عظم الأجر والثواب.

قوله: "لَخُلُوفٌ فِيمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ أَمْسِكَ".
قال الحافظ ابن حجر: "اختلف في كون الخلوف أطيب عند الله من ريح المسك على أوجه:"

لأنه ﷺ منزّه عن استطابة الروائح، لأن ذلك من صفات الحيوان الذي له طبائع تميل إلى شيء فتستطيبه، وتنفر من شيء فتستقذره، والله ﷻ متقدّس عن ذلك، لأنه ﷻ يعلم الشيء على ما هو عليه.

فقالوا: "الكلام على سبيل المجاز، واختلف في المراد منه".

قال المازري: "هو مجاز، لأنه جرت العادة بتقريب الروائح الطيبة منا، فاستعير ذلك للصوم لتقريبه من الله ﷻ، فالمعنى: أنه أطيب عند الله ﷻ من ريح المسك عندكم -أي: يقرب إليه أكثر من تقريب المسك إليكم، ولأن الله ﷻ ورسوله ﷺ خاطب العباد بما يفهمون^(١)".

وقيل: المراد من ذلك في حق الملائكة، وأنهم يستطيعون ريح الخلوف أكثر مما يستطيع الإنسان ريح المسك.

وقيل: إن الله ﷻ يثيب صاحب الخلوف أكثر من إثابته من يستعمل المسك في الجمع، والأعياد، ومجالس الذكر والعلم، وغير ذلك، فحاصل ذلك حمل معنى الطيب على القبول والرضا.

هل هذه الرائحة تكون في الدنيا، أم في الآخرة؟

للعلماء في ذلك قولان:

١- ذهب العز بن عبد السلام إلى أن ذلك يكون في الآخرة، كما أن دم الشهيد تكون رائحته كرائحة المسك يوم القيامة، ويشهد لذلك الحديث الذي أخرجه مسلم وغيره، حيث جعل ذلك خاصاً بـ (يوم القيامة).

(١) فتح الباري (٤/١٢٧).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَالَ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْكَ: "كُلْ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَّامُ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ" وَالصَّيَّامُ جَنَّةٌ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرُفْثُ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَصْنَعُ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ" ^(١).

٢- ذهب جمهور العلماء ومنهم ابن الصلاح، إلى أن ذلك إنما يكون في الدنيا، قال الحافظ ابن حجر: وهذه المسألة من المسائل التي وقع فيها خلاف بين ابن عبد السلام وبين ابن الصلاح، وذكر ابن الصلاح أقوال العلماء في ذلك، وأن ذلك مذهب الجمهور، فمن ذلك:

قال الخطابي: "طيبه عند الله رضا به وثناؤه عليه".

قال ابن عبد البر: "أزكى عند الله وأقرب إليه".

قال البغوي: "معناه الثناء على الصائم والرضا بفعله"، ثم ذكر أقوال بعض العلماء، وأنهم جزموا كلهم بأنه عبارة عن الرضا والقبول.

وأجابوا عن الحديث الذي جعل ذلك خاصاً بيوم القيامة: بأن يوم القيامة هو يوم الجزاء، وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلباً لرضا الله تعالى، حيث يؤمر باجتنابها، فقيده بيوم القيامة في رواية، وأطلق في باقي الروايات، نظراً إلى أن أصل أفضليته ثابت في الدارين، وهو قوله ﷺ: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ١١]، والله ﷻ خبير بهم في كل يوم في الدنيا والآخرة ^(٢).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصوم، باب فضل الصيام - صحيح مسلم بشرح النووي (٨/٣٠-٣١).

(٢) فتح الباري (٤/١٢٨).

فضل شهر رمضان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ" ^(١).

المباحث اللغوية:

قوله: "صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ": أي: سُدَّتْ وَأُوثِقَتْ بِالْأَغْلَالِ. وَالصَّفْدُ وَالصَّفَادُ: الْقَيْدُ، وَهُوَ بِمَعْنَى سُلِّسَتْ.

قوله: "وَمَرَدَةُ الْجِنِّ": جمع مارد، والمارد من الرجال اعطى الشديد، وأصله من مرده الجن والشياطين.

فقه الحديث:

للعلماء في توجيه هذا الحديث اتجاهان:

الاتجاه الأول: أن الكلام على ظاهره وحقيقته، ويكون المراد من تصفيد الشياطين ومردة الجن: التصفيد الحقيقي للشياطين ومردة الجن، ليمتنعوا من إيذاء المؤمنين والتشويش عليهم في شهر رمضان.

ويكون المراد من تغليق أبواب النار، وفتح أبواب الجنة: التغليق الحقيقي لأبواب النار، والتفتيح الحقيقي لأبواب الجنة.

ويكون ذلك كله علامة لدخول شهر رمضان، وتعظيمًا لحرمته، ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين.

الاتجاه الثاني: أن الكلام على سبيل المجاز لا الحقيقة.

ويكون المراد من تصفيد الشياطين ومردة الجن، أن الشياطين يقلّ إغواؤهم

(١) سنن الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، حديث رقم (٦٨٤).

وإيذاؤهم، ليصيروا كالمصفيدين، ويكون تصفيدهم عن أشياء دون أشياء، ولناس دون ناس. ويكون المراد من تغليق أبواب النار، وفتح أبواب الجنة، إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، ويؤيد هذا الرأي ما جاء في رواية مسلم، حيث قال: "فُتِحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ"، وفي حديث آخر: "وَصُفِّدَتْ مُرْدَةُ الشَّيَاطِينِ"^(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا كَانَ رَمَضَانُ فَتُحْتِ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ"^(٢).

قال القاضي عياض: "يحتمل أن يكون المراد من تغليق أبواب النار، وتصفيد الشياطين، عبارة عما ينكفون عنه من المخالفات، ويكون المراد من فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتح الله تعالى لعباده من الطاعات في هذا الشهر، الذي لا تقع في غيره عموماً، كالصيام والقيام، وفعل الخيرات، والانكفاف عن كثير من المخالفات، وهذه أسباب لدخول الجنة وأبواب لها، وغلق أبواب النار عبارة عن صرف المهم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات".

قال الزين بن المنير: "والأول أوجه -أي: أن الكلام على سبيل الحقيقة لا المجاز، ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وأما الرواية التي فيها: "أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ"، و"أَبْوَابُ السَّمَاءِ"، فمن تصريف الرواة، والأصل: أبواب الجنة، بدليل ما يقابله، وهو غلق أبواب النار".

قال القرطبي -بعد أن رجح حمله على ظاهره-: "فإن قيل: كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيراً؟ فلو صفت الشياطين لم يقع ذلك! فالجواب: أنها إنما تقل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه، وروعت

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، حديث رقم (٢٥٤٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصيام، الباب الأول، صحيح مسلم بشرح النووي (١٨٧/٧).

آدابه، أو المصنف بعض الشياطين -وهم المردة- لا كلهم، كما تقدم في هذه الرواية التي معنا، أو المقصود: تقليل الشرور فيه، وهذا أمر محسوس، فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره؛ إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية؛ لأن لذلك أسباباً غير الشياطين كالنفوس الخبيثة، والعادات القبيحة، والشياطين الإنسية".

وقال غيره في تصفيد الشياطين في رمضان: "إشارة إلى رفع عذر المكلف، كأنه يقال له: قد كفت الشياطين عنك فلا تعتل بهم في ترك الطاعة، ولا فعل المعصية".

المراد من الشياطين في قوله: "صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ" وقوله: "وَسُلِّسَتْ الشَّيَاطِينُ": قال اخليمي: "يحتمل أن يكون المراد من الشياطين مسترقو السمع منهم، وأن تسلسلهم يقع في ليالي رمضان دون أيامه؛ لأنهم كانوا منعوا في زمن نزول القرآن من استراق السمع، فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ، ويحتمل أن يكون المراد: أن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلمين إلى ما يخلصون إليه في غيره، لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات، وبقراءة القرآن، والذكر".

واتفق العلماء على أن المراد بالصيام هنا: صيام من سلم صيامه من المعاصي قولاً وفعلًا.

نقل ابن العربي عن بعض الزهاد أنه مخصوص بصيام خواص الخواص، فقال: "إن الصوم على أربعة أنواع: صيام العوام -وهو الصوم عن الأكل والشرب والجماع- وصيام خواص العوام -وهو هذا مع اجتناب المحرمات من قول أو فعل- وصيام الخواص -وهو الصوم عن غير ذكر الله وعبادته- وصيام خواص الخواص -وهو الصوم عن غير الله، فلا فطر لهم إلى يوم القيامة- وهذا مقام عال^(١).

(١) فتح الباري (٤/١٣١-١٣٢).

خلاصة الوحدة الثانية والثلاثين

- ١- الإخلاص في العمل شرط لقبوله والإثابة عليه.
- ٢- العمل قد يكون واحداً، ويتفاوت الأجر والثواب عليه من إنسان لآخر تبعاً لدرجة إخلاص العامل.
- ٣- على المسلم أن يستر أعماله الصالحة قدر الاستطاعة غير الفرائض التي تؤدي علانية، حتى تكون بعيدة عن الرياء.
- ٤- على المسلم أن يهضم نفسه، فلا يرى لنفسه فضلاً، فإن وفق لطاعة فليعلم أن هذا التوفيق من الله ﷻ، فالله ﷻ هو الذي وفقه للعمل الصالح وأعانه عليه، ولولا أن وفقه الله ﷻ ما كان منه إلا الشر.
- ٥- رحمة الله ﷻ بخلقه، حيث فتح لهم أبواب الرِّحَمَات، فلا يُثيبهم على الحَسَنَةِ بمثلها، بل بأضعاف مضاعفة على قدر إخلاصهم لله ﷻ.
- ٦- الأجر والثواب على العمل يتناسب تناسباً طردياً مع مشقته على النفس، فكلما كان العمل شاقاً على نفس العامل، وضد ما تموى نفسه وتستهي، كان الأجر والثواب عليه أعظم.
- ٧- يجب على المسلم أن يسترضي ربه تبارك وتعالى بامتثال أوامره واجتناب ما نهى عنه، وإن كان في ذلك إغصابٌ لنفسه وحرمانها، وإتعا ببدنه، مع يقينه أن صلاح نفسه وبدنه في الدنيا، وفوزه في الآخرة -متوقفٌ على طاعته لربه تبارك وتعالى.
- ٨- على المسلم أن يتعهد نفسه ويهذب غرائزه، وذلك بتربيتها وفق منهج الله تعالى، فلا يقابل جهل الجاهلين بمثله، بل عليه أن يسمو بنفسه، وأن يعفو ويصفح، رجاء أن يعفو الله ﷻ عنه.

- ٩- مخالفة النفس والهوى وما جُبِلَ عليه الإنسان في حدود الشرع، يُوجَر عليه المسلم الأجر العظيم، ويكون ثوابه الجنة، قال ﷺ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].
- ١٠- فضّل الله بعض الأزمنة على بعض، وجعل للطاعات فيها ثواباً عظيماً، ومن هذه الأزمنة المفضّلة شهرُ رمضان الذي فضل وشرف بنزول القرآن الكريم فيه.
- ١١- على المسلم أن يغتنم هذه الأوقات المفضلة ويشغلها بالطاعات؛ لعل رحمة الله تنزل عليه ويكون من الفائزين برضوان الله ﷻ المعتقين من النار.
- ١٢- رحمة الله ﷻ ورأفته بالمؤمنين حيث فتح لهم أبواب الطاعات، وأعانهم، عليها وحال بينهم وبين الشياطين، حتى لا يحملوهم على المعاصي.

اختبار الوحدة الثانية والثلاثين

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (x) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- فرض صيام شهر رمضان في السنة الأولى من الهجرة.
- ٢- الرّفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة، ويطلق على الكلام الفاحش، وعلى الجماع.
- ٣- لم يُعبد بالصوم غير الله ﷻ على مر الأزمنة.
- ٤- يفهم من قوله: "إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يصخب ولا يفسق"، أن غير الصوم يباح فيه ما ذكره.
- ٥- إضافة الصوم إلى الله ﷻ إضافة تشريف وتعظيم.
- ٦- لما تقرب الصائم إلى الله ﷻ بما يوافق صفاته ﷻ، إضافة إليه ﷻ.
- ٧- خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، هو كلام على سبيل المجاز.
- ٨- تصفيد الشياطين، وفتح أبواب الجنة، وتغليق أبواب النار في رمضان، على سبيل الاستعارة.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- في الحديث: إلا الصيام فإنه لي:

أ- أي: من صفاتي.

ب- إضافة تشريف وتعظيم، وثوابه عندي.

ج- جميع ما سبق.

٣- "فليقل: إني صائم مرتين":

أ- في صيام الفرض.

ب- في صيام النفل.

ج- في كل صيام.

٤- المراد بالشياطين في: "صفدت الشياطين" هم:

أ- جميع الشياطين.

ب- مردة الجن.

ج- مُسْتَرْقُو السمع.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- عرف الصوم لغة وشرعاً، وبين حكم صوم رمضان.

٢- متى فرض الصوم، ثم بين حكمه مشروعيته.

٣- تناول بالشرح آثار الصيام الإيمانية والجسدية التي تعود على الأسرة والمجتمع.

٤- اذكر آداب الصيام وأخلاقه.

٥- بين فضائل الصوم ومزاياه.

٦- اذكر أهم الأحداث التي تكون في أول ليلة من رمضان.

٧- اختلف العلماء في تصفيد الشياطين وفتح أبواب الجنة وغلق أبواب النار على

آراء، اذكر هذه الآراء مبيناً الراجح فيها.



الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يُرجى منك -بعد دراسة هذا الحديث- أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تبين حكم صوم التطوع في النصف الثاني من شعبان.
- ٢- تذكر حكم صوم يوم الشك.
- ٣- تستخرج ما يستفاد من حديث: "صوموا لرؤيته".
- ٤- تبين تأثير المعاصي على العمل الصالح، ونقصان ثواب هذا العمل بالمعاصي.
- ٥- تبين دور المعاصي في إحباط الأعمال الصالحة.

الوحدة الثالثة والثلاثون

الصوم والفطر لرؤية هلال الشهر

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَصُومُوا قَبْلَ رَمَضَانَ صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ فَإِنْ حَالَتْ ذُوْنُهُ غَيَاةٌ^(١) فَأَكْمَلُوا ثَلَاثِينَ يَوْمًا"^(٢).
عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمٍ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ"^(٣).

فقه الحديث:

١- نوع النهي في قوله: "لا تصوموا قبل رمضان": النهي الوارد في حديث الباب عن الصوم قبل شهر رمضان مطلقاً وَرَدَ مقيداً بصوم يوم أو يومين في حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه إلا إذا وافق عادةً للصائم كأن يكون الصائم اعتاد صيام الاثنين والخميس مثلاً، فإنه لا يكره له الصيام قبل رمضان مطلقاً؛ وذلك لأن من كان له وَرَدٌ فقد أذن له فيه؛ لأنه اعتاده وألفه وترك المألوف شديداً، وليس ذلك من استقبال رمضان في شيء؛ ويلحق بذلك القضاء والنذر لوجوبهما.
هل يفهم من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن من صام قبل رمضان أكثر من يومين جاز له ذلك؟

(١) الغاية: كل شيء أظلم الإنسان فوق رأسه، كالسحابة وغيرها، ومنه حديث هلال رمضان "فإن حالت دونه غيابة -أي: سحابة أو قتر، النهاية في غريب الحديث (٤٠٣/٣).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء أن الصوم لرؤية الهلال والإفطار له؛ قال الترمذي: "حديث ابن عباس حديث حسن صحيح وقد روي عنه من غير وجه" (٦٣/٣).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين، فتح الباري (١٥٢/٤)، وأخرجه مسلم: كتاب الصوم، باب النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، صحيح مسلم

بشرح النووي (١٩٤/٨).

قال الحافظ ابن حجر: "في الحديث -أي: في حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه - منع إنشاء الصوم قبل شهر رمضان إذا كان لأجل الاحتياط لشهر رمضان، فإن زاد على يومين فمفهوم الحديث أنه يجوز.

٢- حكم صوم التطوع في النصف الثاني من شعبان:

أ- ذهب أكثر الشافعية إلى كراهية صوم التطوع في النصف الثاني من شعبان، واستدلوا لذلك بما يأتي:

عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا بَقِيَ نِصْفٌ مِنْ شَعْبَانَ فَلَا تَصُومُوا" ^(١).

وأجابوا عن الحديث الذي قيد المنع بيوم أو يومين بأن المراد منه منع التقديم بالصوم، فحيث وحد التقديم منع؛ وإنما اقتصر الحديث على صوم يوم أو يومين لأن الغالب ممن يقصد الاحتياط لصوم شهر رمضان أن يسبقه بصوم يوم أو يومين من شعبان.

ب- مذهب الجمهور: ذهب جمهور العلماء إلى أنه يجوز صوم التطوع في النصف الثاني من شعبان، وضعفوا حديث العلاء بن عبد الرحمن في النهي عن ذلك، فقال أحمد وابن معين: "إنه منكر" واستدل البيهقي بحديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه على ضعف حديث العلاء بن عبد الرحمن، فقال: الرخصة في ذلك

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية الصوم في النصف الثاني من شعبان لحال رمضان؛ قال أبو عيسى: "حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه على هذا اللفظ، واللفظ له".

وأخرجه أبو داود: كتاب الصوم، باب في كراهية ذلك، أي: كراهية وصل شعبان برمضان؛ قال أبو داود: "ورواه الثوري وشبل بن العلاء وأبو عميس وزهير بن محمد عن العلاء".

قال أبو داود: "وكان عبد الرحمن لا يحدث به، قلت لأحمد: لم؟ قال: لأنه كان عنده أن النبي ﷺ كان يصل شعبان برمضان، وقال عن النبي ﷺ حلافه؛ قال أبو داود: "وليس هذا عندي حلافه ولم يحنى به غير العلاء عن أبيه" (٣٠١/٢، ٣٠٠).

بما هو أصح من حديث العلاء - يقصد حديث أبي سلمة.

وكذا صنع قبله الطحاوي. ثم جمع الطحاوي بين حديث أبي سلمة وحديث العلاء بن عبد الرحمن، بأن حديث العلاء محمولٌ على من يُضعفه الصوم، وحديث أبي سلمة مخصوص بمن يحتاط بزعمه لرمضان، وهو جمع حسن. والله أعلم^(١).

ج- قال الروياني من الشافعية: يحرم الصوم قبل رمضان يوم أو يومين لحديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه، ويكره صوم التطوع في النصف الثاني من شعبان لحديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الإمام النووي: "في حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه النهي عن استقبال رمضان بصوم يوم أو يومين لمن لم يصادف عادة له، أو يصله بما قبله، فإن لم يصله ولا صادف عادةً فهو حرام، هذا هو الصحيح في مذهبنا - أي: الشافعية - لهذا الحديث وللحديث الآخر في سنن أبي داود وغيره: "إذا انتصف شعبان فلا صيام حتى يكون رمضان"، فإن وصله بما قبله أو صادف عادة له فإن كانت عادته صوم يوم الاثنين ونحوه فصادفه فصامه تطوعاً بنية ذلك جاز؛ لهذا الحديث - أي: حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وسواء في النهي - عندنا - لمن يصادف عادته ولا وصله يوم الشك وغيره فيوم الشك داخل في النهي.

وفيه مذاهب للسلف فيمن صامه تطوعاً وأوجب صومه عن رمضان أحمد وجماعة بشرط أن يكون هناك غيم والله أعلم^(٢).

٣- حكم صوم يوم الشك:

مذهب الجمهور: ذهب جمهور العلماء، ومنهم: مالك والشافعي إلى أنه لا

(١) فتح الباري (٤/١٥٤، ١٥٣).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٧/١٩٤).

يجوز صوم يوم الشك، ولا يوم الثلاثين من شعبان عن رمضان إذا كانت ليلة الثلاثين ليلة غيم^(١)، واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أ- حديث الباب وغيره من الأحاديث التي ورد فيها النهي عن صوم يوم أو يومين قبل رمضان.

والنهي يقتضي التحريم ما لم يصرفه عن التحريم صارف، ولا صارف هنا.

ب- عَنْ صَلَّةِ بْنِ زُفَرَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ فَأَتَانِي بِشَاةٍ مَصْلِيَّةٍ فَقَالَ: كُلُوا، فَتَنَحَّى بَعْضُ الْقَوْمِ فَقَالَ: إِنِّي صَائِمٌ؛ فَقَالَ عَمَّارٌ: مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يَشْكُ فِيهِ النَّاسُ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ عليه السلام^(٢).

هذا الحديث وإن كان موقوفاً لفظاً إلا أنه مرفوعٌ حكماً؛ لأن الصحابي إذا حكم على عمل من الأعمال بأنه طاعة لله تعالى أو لرسوله ﷺ، أو معصية لله تعالى أو لرسوله ﷺ، فهذا يأخذ حكم المرفوع إلى النبي ﷺ؛ لأن هذا لا يقال من قِبَلِ الرَّأْيِ أو الاجتهاد، وإنما يحتاج إلى توقيف من النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر عقب حديث عمار بن ياسر: "استدل به على تحريم صوم يوم الشك؛ لأن الصحابي لا يقول ذلك من قبل رأيه فيكون من قبيل المرفوع"، قال ابن عبد البر: "هو مسند عندهم لا يختلفون في ذلك".

وخالفهم الجوهري المالكي فقال: "هو موقوف".

والجواب أنه موقوف لفظاً مرفوعٌ حكماً.

قال الطيبي: "إنما أتى بالموصول وذلك في قوله: 'الْيَوْمَ الَّذِي يَشْكُ فِيهِ'".

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٩٠/٧، ١٨٩).

(٢) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم: كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: "إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فافطروا"، فتح الباري (١٤٣/٤)، وأخرجه أبو داود: كتاب الصوم، باب كراهية صوم

يوم الشك (٣٠٠/٢)، وأخرجه الترمذي "واللفظ له": كتاب الصوم، باب ما جاء في كراهية صوم

يوم الشك؛ قال الترمذي: "حديث عمار حديث حسن صحيح" (٦١/٣).

النَّاسُ" ولم يقل: يوم الشك مبالغة في أن صوم يوم فيه أدنى شك سبب لعصيان صاحب الشرع، فكيف بمن صام يوماً الشك فيه قائم ثابت؟! ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ١٣] -أي: الذين أونس منهم أدنى ظلم فكيف بالظلم المستمر عليه؟!^(١)

قال الترمذي عقب تخريجه لحديث عمار بن ياسر: "والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، ومن بعدهم من التابعين، وبه يقول سفيان الثوري ومالك بن أنس وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق كرهوا أن يصوم الرجل اليوم الذي يشك فيه، ورأى أكثرهم إن صامه فكان من شهر رمضان أن يقضي يوماً مكانه"^(٢).

٤- المراد بقوله: (صوموا لرؤيته): أي: صوموا لرؤية هلال رمضان، قال الحافظ ابن حجر: "واللام في قوله: (لرؤيته) للتأقيت لا للتعليل".

قال ابن دقيق العيد: "ومع كونها محمولة على التأقيت فلا بد من ارتكاب مجاز؛ لأن وقت الرؤية -وهو الليل- لا يكون محل الصوم

وتعقبه الفاكهي بأن المراد بقوله: "صوموا": انووا الصيام، والليل كله ظرف للنية. قال الحافظ: فوقع في المجاز الذي فر منه؛ لأن النايي ليس صائماً حقيقة، بدليل أنه يجوز له الأكل والشرب بعد النية إلى أن يطلع الفجر"^(٣).

٥- المراد بقوله: "وأفطروا لرؤيته": -أي: أفطروا لرؤية هلال شوال. قوله: (فإن حالت دونه غياية فأكملوا ثلاثين يوماً): أي: إذا حالت دون هلال شوال سحابة ولم تتمكنوا من رؤية هلال شوال، فأكملوا شهر رمضان

(١) فتح الباري (٤/١٤٤).

(٢) سنن الترمذي (٦١/٣).

(٣) فتح الباري (١٥٣/٣).

ثلاثين يوماً.

٦- المراد بقوله: "فأكملوا ثلاثين يوماً" -أي: أكملوا شعبان ثلاثين

يوماً، وقد جاء ذلك صريحاً في رواية البخاري.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ أو قال: قال أبو القاسم ﷺ: "صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غيبي^(١) عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين"^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا يتقدم أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم"^(٣).

قال الحافظ ابن حجر: "قال العلماء: معنى الحديث: لا تستقبلوا رمضان بصيام على نية الاحتياط لرمضان؛ وذلك لأن الحكم علق بالرؤية فمن تقدمه يوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم، وهذا هو المعتمد.

وقيل: الحكمة فيه خشية اختلاط النفل بالفرض"^(٤).

قال أبو عيسى الترمذي عقب تخريجه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق: "والعمل على هذا عند أهل العلم؛ كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول شهر رمضان لمعنى رمضان؛ وإن كان رجل يصوم صوماً فوفق صيامه ذلك فلا بأس به عندهم"^(٥).

(١) عي: خفي، وفي حديث الصوم "فإن غيبي عليكم -أي: خفي، ورواه بعضهم "غيبي" -بضم العين وتشديد الباء المكسورة- لما لم يُسم فاعله من الغباء شبه الغبرة في السماء- النهاية في غريب الحديث (٣/٣٤٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فتح الباري (١٤٣/٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين، فتح الباري (١٥٢/٤).

(٤) فتح الباري (١٥٣/٤).

(٥) سنن الترمذي (٦٠/٣).

وإكمال الشهر ثلاثين يوماً إذا لم ير الهلال ليس خاصاً بشعبان، بل يدخل فيه شهر رمضان وغيره من الأشهر؛ لحديث أبي هريرة عند الترمذي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تَقْدَمُوا الشَّهْرَ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ إِلَّا أَنْ يُوَافِقَ ذَلِكَ صَوْمًا كَانَ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْهِ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَعُدُّوا ثَلَاثِينَ ثُمَّ أَفْطَرُوا"^(١).

قال الحافظ ابن حجر: "قال ابن عبد الهادي في تنقيحه: الذي دلت عليه الأحاديث وهو مقتضى القواعد، أنه: إذا كان شهر غم أكمل ثلاثين، سواء في ذلك شعبان ورمضان وغيرهما، فعلى هذا فقوله: "فأكملوا العدة" يرجع إلى الجملتين وهو قوله: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة" -أي: غم عليكم في صومكم أو فطركم، وبقيّة الأحاديث تدل عليه، فالألف واللام في قوله: "فأكملوا العدة" للشهر -أي: عدة الشهر، ولم يخص ﷺ شهراً دون شهر بالإكمال إذا غم، فلا فرق بين شعبان وغيره في ذلك؛ إذ لو كان شعبان غير مراد بهذا الإكمال لبينه فلا تكون رواية من روى: "فأكملوا عدة شعبان" مخالفة لمن قال: "فأكملوا العدة" بل مبينة لها، ويؤيد ذلك قوله في الرواية الأخرى: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن حال بينكم وبينه سحب فأكملوا العدة ثلاثين ولا تستقبلوا الشهر استقبالا"^(٢).

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء لا تقدموا الشهر بصوم؛ قال أبو عيسى: "حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح (٦٠/٣)، (٥٩).

(٢) أخرجه الدارقطني: كتاب الصوم، باب في النهي عن صيام يوم الشك، حديث رقم (١٧٣٦) عن ابن عباس، وأخرجه أحمد -مسند عبد الله بن عباس- حديث رقم (٢٠١٣).

المعاصي تنقص ثواب العمل الصالح وقد تذهب به

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ نَمَّ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلُ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"^(١).

المباحث اللغوية:

(يدع): يترك.

(الزور): الكذب والباطل والتهمة.

الزور أصله: تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته، حتى يخيل إلى من سمعه أو رآه أنه بخلاف ما هو به، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق.
(العمل به) -أي: العمل بمقتضى الكذب والباطل.

فقه الحديث:

قوله: "فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ" لا مفهوم له، فإن الله لا يحتاج إلى شيء، بل هو كناية عن عدم القبول، والمراد: ردّ الصوم المتلبس بالزور، وقبول الصوم السالم من الزور؛ وذلك لأن الله تعالى لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية، فالله تعالى غني عما سواه، مفتقر إليه كل من عداه، فطاعة الطائعين لا تحقق لله تعالى كمالاً ولا تدفع عن الله تعالى نقصاً، وإنما تعود ثمرة الطاعة إلى الطائعين أنفسهم، كما تعود ثمرة المعصية إلى العصاة أنفسهم.

قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» [فصلت: ٤٦]، وقال الله تعالى: «وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» [العنكبوت: ٦].

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، فتح الناري (١٣٩/٤)، وأخرجه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في التشديد في العيبة للصائم (٧٨/٣)؛ قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح".

وقريب من هذا قوله ﷺ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]، فإن معناه: لن يصيب رضاه الذي ينشأ عنه القبول. وقال الله ﷻ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

قال الله ﷻ حاكياً ما قاله موسى لقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]. فالله ﷻ خلق الخلق وهو مستجمع لكل الصفات، وما زاد بخلق الخلق شيئاً. ولكن هل يفهم من الحديث أن من فعل هذه الأفعال المذكورة في الحديث عليه أن يدع الصوم؟

ليس المراد من الحديث أن يؤمر من يفعل هذه الأفعال أن يدع الصوم، وإنما التحذير من قول الزور وما ذكر معه؛ لأن المسلم إذا علم أن هذه المعاصي تنقص ثواب صومه، أو تذهب به كلية، اجتنبها؛ محافظة على ثواب عمله. وهل هذه الأعمال تبطل الصوم؟

قال الحافظ ابن حجر: "وفي زيادة أبي عبيدة بن الجراح إشارة إلى أن الغيبة تضر بالصيام، وقد حكي عن عائشة، وبه قال الأوزاعي: إن الغيبة تفطر الصائم، وتوجب عليه قضاء ذلك اليوم".

وأفرط ابن حزم فقال: "يبتله كل معصية من متعمد لها، ذاكراً لصومه سواء كانت فعلاً أو قولاً؛ لعموم قوله ﷺ: "الصَّيَّامُ جُنَّةٌ... فَلَا يَرُفْتُ وَلَا يَجْهَلُ... " الحديث^(١)، ولقوله ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ".

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب هل يقول: إني صائم إذا شتم، فتح الباري (١٤١/٤)، وأخرجه مسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، صحيح مسلم بشرح النووي (٣١/٨، ٣٠).

وحمل الجمهور النهي في قوله: "فَلَا يَرْفُتْ" على التحريم، إلا أنهم خصوا الفطر بالأكل والشرب والجماع.

وأشار ابن عبد البر إلى ترجيح الصيام على غيره من العبادات، فقال: "حسبك بكون الصوم جنة من النار فضلاً"^(١).

قال ابن العربي: "مقتضى هذا الحديث أن من فعل ما ذكر لا يثاب على صيامه". ومعناه أن ثواب الصيام لا يقوم في الموازنة بإثم الزور وما ذكر معه. قلت: إن الأمر ليس على إطلاقه، بل إن الأمر يختلف بحسب الذنب والمفاسد الناشئة عنه، فقد يذهب الذنب بالثواب كلية أو بحجز منه، وقد يكون الذنب أعظم من الثواب.

قال البيضاوي: "ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من كسر الشهوات، وتطويع النفس الأمانة للنفس المطمئنة، فإن لم يحصل ذلك لا ينظر الله تعالى إليه نظر القبول، فقلوه: "فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ" مجاز عن عدم القبول، فنفي السبب وأراد المسبب، والله أعلم.

(١) فتح الباري (٤/١٢٥-١٢٦).

خلاصة الوحدة الثالثة والثلاثين

- ١- العبادات ليست مقصودة لذاتها، بل هي وسائل لتهديب النفس، وتقوم السلوك.
- ٢- العبادات التي شرعها الله تعالى تربي الفرد وتحفظ المجتمع؛ لما تثمره من ثمار طيبة يعود أثرها على المسلم في سلوكه وتصرفاته، وعلى المجتمع بالأمن والأمان.
- ٣- ينبغي أن يحافظ المسلم على أعماله الصالحة، حتى يقدمها بين يدي الله تعالى، فلا يضيع ثوابها بالمعاصي والمحرمات.
- ٤- السيئات قد تذهب بالحسنات.
- ٥- ينبغي أن يرقب المسلم نفسه من وقت لآخر، وأن يحاسبها، ليرى: هل أثمرت أعماله الصالحة أم لا؟
- ٦- إنما يتقبل الله تعالى الأعمال الصالحة، ويشيب فاعلها إذا أثمرت الثمار المرجوة من وراء تشريعها.
- ٧- من رحمة الله تعالى بخلقه، أن ذكر ثمار الأعمال الصالحة عقب الأمر بها، ليزن المسلم أعماله.
- ٨- حرص الرسول ﷺ على أمته، وتعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وما يحفظ عليهم أعمالهم الصالحة.
- ٩- الله تعالى غني عن خلقه جميعاً، فطاعة الطائعين لا تحقق لله تعالى كمالاً، ولا تدفع عن الله تعالى نقصاً.

اختبار الوحدة الثالثة والثلاثين

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (x) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- لا يجوز الصيام قبل رمضان بيوم أو يومين مطلقاً؛ لورود النهي عن ذلك.
 - ٢- الجمهور على أنه لا يجوز التطوع بصيام في النصف الثاني من شعبان.
 - ٣- لا يجوز صوم يوم الشك، ولا يوم الثلاثين من شعبان إذا كانت ليلة الثلاثين غيماً.
 - ٤- اللام في قوله ﷺ: "صوموا لرؤيته" للتعليل فعلة الصيام الرؤية.
 - ٥- إذا غمَّ الهلال فيجب إكمال عدة رمضان ثلاثين يوماً.
 - ٦- الله ﷻ غني عما سواه، مفتقر إليه كل من عداه.
 - ٧- المراد من الحديث أن يؤمر من يفعل هذه الأفعال بترك الصوم.
 - ٨- قوله: "فليس لله حاجة"، مجاز عن عدم القبول، فنفي السبب وأراد المسبب.
- ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

- ١- إذا وافق صيام رجل صيام يوم أو يومين قبل رمضان فإنه.... الصوم.
 - أ- يكره له.
 - ب- يحرم عليه.
 - ج- لا يكره له.
 - ٢- الزور هو:
 - أ- شهادة الزور.
 - ب- الكذب والباطل.
 - ج- كل المحرمات.
 - ٣- المعاصي المذكورة في الحديث... 'الصيام'.
 - أ- تنقص ثواب الصيام.
 - ب- تبطل الصيام.
 - ج- لا تضر بالصيام.
- ثالثاً: الأسئلة المقالية:

- ١- بين حكم صيام التطوع في النصف الثاني من شعبان.
- ٢- اذكر حكم صوم يوم الشك.
- ٣- بين آثار المعاصي في نقصان ثواب العمل الصالح.
- ٤- لماذا خص قول الزور والعمل به دون سائر المعاصي في الحديث؟

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

رسالة إلى الدارس	٤
لوحة المسار لدراسة وحدات الكتاب	٥
خريطة مكونات الكتاب	٦
الوحدة الأولى : بدء الوحي إلى النبي ﷺ	٣٤-٧
المقدمة	٨
ترجمة أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها	١٢
المباحث اللغوية	١٥
المعنى العام للحديث	٢٤
خلاصة الوحدة الأولى	٣١
اختبار الوحدة الأولى	٣٣
الوحدة الثانية : الصور التي كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ فيها	٤٦-٣٥
ترجمة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها	٣٧
المباحث اللغوية	٤٠
فقه الحديث	٤١
الصورة الأولى	٤٢
الصورة الثانية	٤٢
الصورة الثالثة	٤٢
الصورة الرابعة	٤٣

٤٥	خلاصة الوحدة الثانية
٤٦	اختبار الوحدة الثانية
٦٢-٤٧	الوحدة الثالثة: علامات الساعة
٤٩	ترجمة أبي هريرة رضي الله عنه
٥٠	أسباب إكثار أبي هريرة من الرواية
٥٤	المباحث اللغوية
٥٦	المعنى العام للحديث
٥٨	فقه الحديث
٥٩	أ- علامات الساعة
٥٩	ب- قطع الخطبة لسؤال السائل
٦٠	ج- آداب طالب العلم
٦١	خلاصة الوحدة الثالثة
٦٢	اختبار الوحدة الثالثة
٧١-٦٣	الوحدة الرابعة: المسلم دائم النفع
٦٥	ترجمة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
٦٦	المباحث اللغوية
٦٦	المعنى العام للحديث
٦٧	فقه الحديث
٦٩	خلاصة الوحدة الرابعة
٧٠	اختبار الوحدة الرابعة

الوحدة الخامسة : الله ﷻ يعطي العبد من جنس عمله ، ومما في قلبه

٧٥	ترجمة أبي واقد الليثي ﷺ
٧٥	المباحث اللغوية
٧٧	المعنى العام للحديث
٧٨	فقه الحديث
٧٩	خلاصة الوحدة الخامسة
٨٠	اختبار الوحدة الخامسة

الوحدة السادسة: وجوب تبليغ الإسلام إلى الناس كافة لعموم الرسالة

٨٣	ترجمة أبي بكرة الثقفي ﷺ
٨٣	المباحث اللغوية
٨٤	المعنى العام للحديث
٨٦	فقه الحديث
٨٧	خلاصة الوحدة السادسة
٨٨	اختبار الوحدة السادسة

الوحدة السابعة : شفقة المربي بمن يربيهم

٩٣	ترجمة عبد الله بن مسعود ﷺ
٩٤	المباحث اللغوية
٩٥	المعنى العام للحديث
٩٦	خلاصة الوحدة السابعة
٩٧	اختبار الوحدة السابعة

الوحدة الثامنة: ثبات طائفة من الأمة الإسلامية ٩٩-١١٠

على الحق إلى قيام الساعة

- ١٠١ ترجمة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه
- ١٠١ المباحث اللغوية
- ١٠٢ المعنى العام للحديث
- ١٠٤ فقه الحديث
- ١٠٤ أ- المراد من قوله ﷺ : « وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يَعْطِي »
- ١٠٥ ب- المراد بالطائفة التي ستثبت على الحق
- ١٠٧ ج- المراد بأمر الله تعالى في الحديث
- ١٠٨ خلاصة الوحدة الثامنة
- ١٠٩ اختبار الوحدة الثامنة

الوحدة التاسعة: موقف الناس من قبول الحق ١١١-١٢٠

- ١١٣ ترجمة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
- ١١٤ المباحث اللغوية
- ١١٤ المعنى العام للحديث
- ١١٥ فقه الحديث
- ١١٨ خلاصة الوحدة التاسعة
- ١١٩ اختبار الوحدة التاسعة

١٢٩-١٢١

الوحدة العاشرة

قبض العلم بموت العلماء

- ١٢٣ ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
- ١٢٤ المباحث اللغوية
- ١٢٥ المعنى العام للحديث
- ١٢٧ خلاصة الوحدة العاشرة
- ١٢٨ اختبار الوحدة العاشرة

١٤٠-١٣١

الوحدة الحادية عشرة

حرص المرأة المسلمة على تعلم دينها

- ١٣٣ ترجمة أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
- ١٣٤ المباحث اللغوية
- ١٣٥ المعنى العام للحديث
- ١٣٦ فقه الحديث
- ١٣٩ خلاصة الوحدة الحادية عشرة
- ١٤٠ اختبار الوحدة الحادية عشرة

١٥٥-١٤١

الوحدة الثانية عشرة

إثم الكذب على رسول الله ﷺ

- ١٤٣ المباحث اللغوية
- ١٤٤ المعنى العام للحديث
- ١٤٦ فقه الحديث
- ١٤٦ أ- حكم التكني بكنيته ﷺ

- ١٤٧ ب- رؤيا النبي ﷺ في النوم ، وهل يثبت بها أحكام شرعية ؟
- ١٤٨ ج- هل يثبت بالرؤيا أحكام شرعية ؟
- ١٤٩ د- حكم الكذب عليه ﷺ
- ١٥١ و- حكم رواية الحديث الموضوع
- ١٥٣ خلاصة الوحدة الثانية عشرة
- ١٥٤ اختبار الوحدة الثانية عشرة

١٨٦-١٥٧

تمهيد في معنى الإيمان والإسلام

- ١٥٨ أولاً : الإيمان
- ١٥٨ أ- تعريف الإيمان
- ١٦٠ ب- أنواع الإيمان
- ١٦٠ ١- الإيمان الكامل
- ١٦١ ٢- الإيمان غير الكامل
- ١٦١ ج- أركان الإيمان
- ١٦١ د- حقيقة الإيمان المعتمدة شرعاً عند الله تعالى
- ١٦٢ الإيمان قول وعمل
- ١٦٤ زيادة الإيمان ونقصانه
- ١٦٥ اعتبر السلف الأعمال جزءاً من الإيمان
- ١٦٧ ثانياً: الإسلام
- ١٦٨ ثالثاً: علاقة الإسلام بالإيمان
- ١٦٩ رابعاً: قيمة العمل الصالح
- ١٨٠ خامساً: الإسلام هو دين الله الحق الذي ارتضاه لخلقه ولن يقبل غيره

ملحوظة: أطلق بعض أهل الحديث على مرتكب الكبيرة أنه كافر ، ١٨٥

فما مرادهم من ذلك ؟

أ- كفر عقدي ١٨٥

ب- كفر عملي ١٨٥

٢١١-١٨٧

الوحدة الثالثة عشرة

إثبات الفلام لمن فعل الواجبات الشرعية

ترجمة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ١٨٩

المباحث اللغوية ١٩٠

المعنى العام للحديث ١٩٤

فقه الحديث ١٩٥

أ- سأل النبي ﷺ عن الإسلام ١٩٥

ب- حكم الشروع في تطوع ١٩٦

ج- لماذا لم يذكر في الحديث الحج ؟ ٢٠٠

د- كيف أقر النبي ﷺ هذا السائل على حلفه ألا يزيد على الفرائض ؟ ٢٠٢

هـ- كيف أثبت النبي ﷺ لهذا السائل الفلاح إن صدق فيما التزم به ٢٠٣

، وقد التزم عدم الزيادة على الواجبات ؟

و- كيف أثبت له الرسول ﷺ الفلاح بمجرد ما ذكر ، مع أنه لم ٢٠٤

يذكر جميع الواجبات ولم يذكر المنهيات الشرعية والسنن ؟

ز- جاء في الرواية الثانية أن النبي ﷺ قال : «أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ» ، ٢٠٥

كيف نوفق بين هذا وبين النهي عن الحلف بغير الله تعالى ؟

خلاصة الثالثة عشرة ٢٠٨

اختبار الثالثة عشرة ٢١٠

٢٢٨-٢١٣

الوحدة الرابعة عشرة : فعل الواجبات من

الأسباب المفضية إلى دخول الجنة

- ٢١٥ ترجمة أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه
- ٢١٦ المباحث اللغوية
- ٢٢١ المعنى العام للحديث
- ٢٢٢ فقه الحديث
- ٢٢٢ أ- التوفيق بين الروايات
- ٢٢٣ ب- لماذا لم يذكر الحج في حديث أبي أيوب ؟
- ٢٢٣ ج- اختلاف أجوبة الرسول ﷺ مع أن المسئول عنه واحد
- ٢٢٣ د- كيف حكم النبي ﷺ لهذا الرجل أنه من أهل الجنة ؟
- ٢٢٤ هـ- كيف رتب النبي ﷺ دخول الجنة على فعل الأمور ؟
- ٢٢٥ خلاصة الوحدة الرابعة عشرة
- ٢٢٧ اختبار الوحدة الرابعة عشرة

٢٥٢-٢٢٩

الوحدة الخامسة عشرة : التدرج في دعوة الناس

إلى الإسلام والرفق بهم

- ٢٣٢ ترجمة ابن عباس رضي الله عنه
- ٢٣٤ ترجمة معاذ بن جبل رضي الله عنه
- ٢٣٥ المباحث اللغوية
- ٢٣٨ المعنى العام للحديث
- ٢٤١ فقه الحديث
- ٢٤٢ أولاً : حكم النطق بالشهادتين

٢٤٢	حكم الاقتصار على قول لا إله إلا الله
٢٤٣	ثانياً : هل يجوز نقل الزكاة من بلد إلى بلد آخر ؟
٢٤٤	ثالثاً : هل يعطى غير المسلم من الزكاة ؟
٢٤٥	رابعاً : إجابة دعوة المظلوم
٢٤٨	خلاصة الوحدة الخامسة عشرة
٢٥١	اختبار الوحدة الخامسة عشرة

٢٧٤-٢٥٣

الوحدة السادسة عشرة

من مات على التوحيد دخل الجنة

٢٥٦	المباحث اللغوية
٢٥٨	المعنى العام للحديث
٢٥٩	فقه الحديث
٢٦٤	أ- الحكم الشرعي إنما يؤخذ من مجموع أدلة الباب لا من بعضها
٢٦٦	ب- دخول الجنة أعم من أن يكون دخولاً ابتدائياً
٢٧٠	خلاصة الوحدة السادسة عشرة
٢٧٣	اختبار الوحدة السادسة عشرة

٢٨٩-٢٧٥

الوحدة السابعة عشرة

الاعتقاد الصحيح شرط لدخول الجنة

٢٧٧	ترجمة عبادة بن الصامت ؓ
٢٧٧	المعنى العام للحديث
٢٨١	فقه الحديث
٢٨١	أولاً: الجمع بين الأحاديث

٢٨٢	ثانيًا: قضية السيد المسيح
٢٨٤	ثالثًا: الإيمان بالجنة والنار
٢٨٦	خلاصة الوحدة السابعة عشرة
٢٨٨	اختبار الوحدة السابعة عشرة
٢٩١-٣٠٣	الوحدة الثامنة عشرة : الحياء وأثره في المجتمع
٢٩٣	المباحث اللغوية
٢٩٤	المعنى العام للحديث
٢٩٥	فقه الحديث
٢٩٥	شعب الإيمان
٢٩٥	التوفيق بين الروايات
٢٩٦	هل يلزم معرفة أعيان شعب الإيمان على التفصيل ؟
٢٩٧	أنواع الحياء
٢٩٧	١- الحياء من الله تعالى
٢٩٨	٢- الحياء من الناس
٢٩٩	هل الحياء يحمّد على إطلاقه ؟
٣٠١	خلاصة الوحدة الثامنة عشرة
٣٠٢	اختبار الوحدة الثامنة عشرة
٣٠٥-٣٣٥	الوحدة التاسعة عشرة : خصال الإيمان
٣٠٧	ترجمة أنس بن مالك ؓ
٣٠٩	المباحث اللغوية
٣١٠	المعنى العام للحديث

٣١٢	أولاً : حب الله ﷻ
٣١٣	الدافع الأول لحب الله تعالى
٣١٤	الدافع الثاني لحب الله تعالى
٣١٦	ثانياً : حب الرسول ﷺ
٣٢٠	أنواع محبة الله ﷻ ورسوله ﷺ
٣٢٠	أ- المحبة الواجبة
٣٢٠	ب- المحبة المندوبة
٣٢٠	ثالثاً: حب المؤمنين وموالاتهم
٣٢٢	رابعاً: بغض الكافرين لا لذواتهم بل لكفرهم بالله ﷻ
٣٢٤	علامات حب الله ﷻ ورسوله ﷺ
٣٢٦	خامساً: الولاء للإسلام العظيم
٣٢٩	ما المراد بحلاوة الإيمان ؟
٣٣٠	ما المراد بالحب ، أهو حب فطري أم حب عقلي ؟
٣٣٠	أ- الحب الفطري
٣٣١	ب- الحب العقلي
٣٣٣	خلاصة الوحدة التاسعة عشرة
٣٣٤	اختبار الوحدة التاسعة عشرة

الوحدة العشرون : إفشاء السلام وسيلة لغرس المودة والمحبة بين المسلمين

٣٣٩	المعنى العام للحديث
٣٣٩	المباحث اللغوية

٣٤١ فقه الحديث

٣٤٢ خلاصة الوحدة العشرين

٣٤٣ اختبار الوحدة العشرين

٣٤٥-٣٥٦

الوحدة الحادية والعشرون

نقصان الإيمان بالمعاصي

٣٤٧ المباحث اللغوية

٣٤٨ المعنى العام للحديث

٣٤٨ فقه الحديث

٣٤٨ المراد من نفي الإيمان في هذا الحديث

٣٥٤ خلاصة الوحدة الحادية والعشرين

٣٥٥ اختبار الوحدة الحادية والعشرين

٣٥٧-٣٦٩

الوحدة الثانية والعشرون : تعظيم حق المسلم

٣٥٩ المباحث اللغوية

٣٦٠ المعنى العام للحديث

٣٦١ فقه الحديث

٣٦١ أولاً : أنواع الفسق

٣٦٢ المراد بالفسق في الحديث

٣٦٣ ثانياً : أنواع الكفر

٣٦٤ المراد بالكفر في الحديث

٣٦٧ خلاصة الوحدة الثانية عشرة

٣٦٨ اختبار الوحدة الثانية عشرة

الوحدة الثالثة والعشرون : المعاصي أسباب مفضية إلى دخول جهنم

٣٧٣	المباحث اللغوية
٣٧٥	المعنى العام للحديث
٣٧٨	فقه الحديث
٣٧٨	حكم اللعن
٣٧٨	نقصان عقل المرأة
٣٧٨	نقصان دين المرأة
٣٧٩	لماذا كانت المرأة أغلب للرجل ؟
٣٨٠	خلاصة الوحدة الثالثة والعشرين
٣٨٢	اختبار الوحدة الثالثة والعشرين

الوحدة الرابعة والعشرون : أقبح الذنوب

٣٨٧	المباحث اللغوية
٣٨٨	فقه الحديث
٣٨٨	أولاً : حق الله على خلقه
٣٨٩	ثانياً : قتل الأولاد
٣٩٠	ثالثاً : الزنا بمحيلة الجار
٣٩٢	خلاصة الوحدة الرابعة والعشرين
٣٩٣	اختبار الوحدة الرابعة والعشرين

٤١٠-٣٩٥

الوحدة الخامسة والعشرون الله هو الفاعل على الحقيقة

- ٣٩٧ ترجمة زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه
- ٣٩٧ المباحث اللغوية
- ٤٠٠ المعنى العام للحديث
- ٤٠٤ فقه الحديث
- ٤٠٤ المراد من الكفر في الحديث
- ٤٠٧ خلاصة الوحدة الخامسة والعشرين
- ٤٠٩ اختبار الوحدة الخامسة والعشرين

الوحدة السادسة والعشرون: عقوبة من لم يؤد زكاة ماله

- ٤١٣ مقدمة
- ٤١٣ حكمة مشروعية الزكاة
- ٤١٧ عقوبة من لم يؤد زكاة ماله
- ٤١٧ المباحث اللغوية
- ٤٢١ المراد بالكنز
- ٤٢٤ خلاصة الوحدة السادسة والعشرون
- ٤٢٥ اختبار الوحدة السادسة والعشرون

الوحدة السابعة والعشرون: مرور الحول شرط لإيجاب الزكاة

- ٤٢٩ مرور الحول شرط لإيجاب الزكاة
- ٤٣٤ خلاصة الوحدة السابعة والعشرون
- ٤٣٥ اختبار الوحدة السابعة والعشرون

الوحدة الثامنة والعشرون: أنصبة الأموال الزكوية ٤٣٧-٤٤٨

- ٤٣٩ نصاب ما يكال والورق والفضة والإبل
- ٤٤٣ زكاة ما يُسقى بكلفة وما يسقى بدون كلفة
- ٤٤٤ ما الحكم لو سقى الزرع بالطريقتين
- ٤٤٥ الأنواع التي تجب فيها الزكاة
- ٤٤٦ خلاصة الوحدة الثامنة والعشرون
- ٤٤٧ اختبار الوحدة الثامنة والعشرون

الوحدة التاسعة والعشرون: زكاة الركاك والحلي ٤٤٩-٤٦١

- ٤٥١ زكاة الركاك
- ٤٥٢ هل يضمن صاحب الدابة ما أتلفته دابته
- ٤٥٢ هل يفرق بين ما تتلفه البهيمة بالليل وما تتلفه بالنهار أم هما سواء
- ٤٥٤ المراد بالركاك
- ٤٥٥ مصرف الركاك
- ٤٥٥ ما الحكم لو وجد الركاك ذمي
- ٤٥٥ هل يشترط لإخراج الخمس أن يحول عليه الحول
- ٤٥٥ مكان الركاك: لا يخلو موضعه من الأقسام الآتية
- ٤٥٦ زكاة الحلي
- ٤٥٩ خلاصة الوحدة التاسعة والعشرون
- ٤٦٠ اختبار الوحدة التاسعة والعشرون

٤٦٣-٤٨٢	الوحدة الثلاثون: زكاة مال اليتيم
٤٦٥	زكاة مال اليتيم
٤٦٩	زكاة الفطر
٤٦٩	تعريف صدقة الفطر
٤٧٠	تعريفها شرعاً
٤٧٠	حكمة مشروعية زكاة الفطر
٤٧٠	حكم زكاة الفطر
٤٧٢	وقت وجوب زكاة الفطر
٤٧٣	على من تجب زكاة الفطر
٤٧٤	هل يجوز تعجيل زكاة الفطر عن يوم الوجوب
٤٧٦	هل يجوز إخراج القيمة في زكاة الفطر
٤٨٠	خلاصة الوحدة الثلاثون
٤٨١	اختبار الوحدة الثلاثون
٤٨٣-٤٩٦	الوحدة الحادية والثلاثون: من تحل له المسألة
٤٨٥	من تحل له المسألة
٤٨٦	المعنى العام للحديث
٤٩٠	فقه الحديث
٤٩٣	م يثبت الإعسار
٤٩٣	متى تطلب الشهادة على الإعسار
٤٩٤	خلاصة الوحدة الحادية والثلاثون
٤٩٥	اختبار الوحدة الحادية والثلاثون

٥١٨-٤٩٧

الوحدة الثانية والثلاثون: فضل الصوم

٤٩٩	مقدمة
٤٩٩	حكم صوم شهر رمضان
٤٩٩	أثر العبادات في الفرد والمجتمع
٥٠٢	فضل الصوم
٥٠٢	المباحث اللغوية
٥٠٤	فقه الحديث
٥١٢	فضل شهر رمضان
٥١٢	فقه الحديث
٥١٥	خلاصة الوحدة الثانية والثلاثون
٥١٧	اختبار الوحدة الثانية والثلاثون

٥٣٢-٥١٩

الوحدة الثالثة والثلاثون: الصوم والفطر لرؤية هلال الشهر

٥٢١	الصوم والفطر لرؤية هلال الشهر
٥٢١	فقه الحديث
٥٢٣	حكم صوم يوم الشك
٥٢٨	المعاصي تنقص ثواب العمل الصالح وقد تذهب به
٥٢٨	فقه الحديث
٥٣١	خلاصة الوحدة الثالثة والثلاثون
٥٣٢	اختبار الوحدة الثالثة والثلاثون
٥٤٩-٥٣٣	فهرس الكتاب